" الاتجاه الإسلامي في نهضة الشريف الهاشمي

دراسة في الفكر السياسي للثورة العربية الكبرى

وثائق و نصوص و أسانيد

إعداد

الدكتور أسامة يوسف شهاب

مركز اللغات/ الجامعة الأردنية

رقم الايداع لدى دائرة المكتبة الوطنية

(١٩٩٥/١١/١١٩٦)

رقم التصنيف : ٩٥٦,٠٨٥

المؤلف ومن هو في حكمه : د. أسامه يوسف محمد شهاب

عنـــوان المصنـف : الاتجاه الاسلامي في نهضة الشريف الهاشم

روؤس الموضوعــات : ١ - الثورة العربية الكبرى

٢ - الحسين بن علي - تراجم

رقــم الايــداع : (١٩٩٥/١١/١١٩٦)

الملاحظــات : عمان : مركز اللغــات

* - تـم اعداد بيانات الفهرسة الاولية مـن قبل دائرة المكتبة الوطنية

بسم الله الرّحمن الرّحيم

الإهداء

إلى صقر قريش و حفيد آل البيت الكرام ،

إلى مقام حضرة صاحب الجلالة الشريف الهاشمي

الحسين بن طلال حفظه الله

إلى صاحب السموّ الملكي الأمير

الحسن بن طلال

ولي العهد الأمين و قرّة عين الحسين حفظه الله

إلى صاحب السموّ الملكي الأمير

محمّد بن طلال

الممثل الشخصي لحضرة صاحب الجلالة حفظه الله

إلى ورثة النهضة العربية الكبرى،...

إلى كلّ من يعشق سماء الأردن وثراه الطهور...

الدكتور أسامة يوسف شهاب



حضرة صاحب الجلالة الملك الحسين بن طلال المعظم



حضرة صاحب السمو الملكي الامير الحسن بن طلال ولي العهد المعظم



حضرة صاحب السمو الملكي الامير محمد بن طلال المعظم

المدخل الأول

"ما قال لا قطّ إلاّ في تشهده
لولا التشهد كانت لاؤه نعم
من معشر حبهم دين وبغضهم
كفر وقربهم منجى ومعتصم
إن عدّ أهل التقى كانوا أئمتهم
أو قيل من خير أهل الأرض قيل هم"

المدخل الثاني

« الملك فيكَ وفي بنيك وإنه
حقّ من الآباء للأحفاد
فإذا انبروا للمجد فهو سبيلُهم
يمشون فيه على هدى وسداد ... »

المقدمة

ما ظلمت ثورة كما ظلمت الثورة العربية الكبرى ، وما ظلم ناهض بالثورة كما ظلم الشريف الهاشمي الحسين بن علي ، ولذا كانت هذه الدراسة احقاقا للحق ، ودفعاً للافتراءات التي دارت حول أعظم الثورات في القرن العشرين ، وتبدأ هذه الافتراءات من بدايات تأريخ الدولة العثمانية كما تبدأ من تناول الثورة العربية الكبرى بمفهوم قومي خالص، وقد ظلمت هذه الثورة – ازاء هذا الفهم – فهي ليست ثورة قومية بمفهوم القومية العربية والبعث بقدر ما هي ثورة اسلامية اصيلة انطلقت من الاسلام وقيمه ومبادئه ، انطلقت من الفكر الاسلامي والمنهج الاسلامي .

.. وقبل أن استطرد في هذا الجانب ، واصحح بعض ما اعتوره ، وقبل ان أضيف عدداً من الوثائق والخطب السياسية والمقالات النادرة التي توطد هذا الفهم ، وأعنى به « الاتجاه الاسلامي في الثورة » ... أقول قبل أن أستطرد في هذا الجانب أو اضيف إلى ذاك لا بدّ من أن ابدأ بمقولة الملك المؤسس الشهيد عبد الله بن الحسين حينما وصف الثورة التي قادها والده المنقذ الأعظم :

« وما العرب الا بالإسلام ، وكان من الحق عليهم أن يسعوا إلى استعادة مجدهم وحقهم وخلافتهم ، والثورة العربية الأخيرة التي قام بها والدي ومن معه من عظماء الحجاز وبافتاء علمائهم وانضمام عظماء الشام والعراق إليهم ، كانت ثورة حق للدفاع عن الاسلام، ثم لتبوىء العرب المقام الذي خصهم الله به ، حيث قال تعالى في كتابه العزيز

«كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر » .

فواقع هذه الثورة العربية الاسلامية أنها كانت تسعى لتحقيق أوضاع مؤلمة عانت من ويلاتها الأمة العربية والاسلامية الكثير ، اذ لم تنفصل عن الخلافة ، ولم تنسلخ عن الدولة الاسلامية الواحدة ، وانما كانت ثورة شاملة ضد حزب الطغاة الجبابرة أعضاء الاتحاد والترقي الذين هم أنفسهم وبأفعالهم انسلخوا عن حقيقة الخلافة الاسلامية ، ولعل المنقذ الأعظم باعث النهضة العربية الاسلامية الحديثة أصرّ حينما أرغمه الاحرار العرب على قبول البيعة بالملك أن يلقب بأمير المؤمنين ايمانا منه بأن ثورة التاسع من شعبان سنة ١٣٣٤هـ لم تكن ضد دولة الخلافة بقدر ما كانت انتفاضة عربية درءاً للظلم والعدوان ، وقد بويع المنقذ الأعظم في مدينة عمان لدى تشريفه العاصمة الأردنية بالخلافة في ١١ آذار ١٩٢٤م .

يقول المغفور له الملك عبد الله بن الحسين في مذكراته :

« وفي ٢٠ آذار ١٩٢٤ غادر أمير المؤمنين الحسين بن علي شرقي الأردن عائداً الى مكة المكرمة مقر ملكه ، ولعل أبلغ وصف لما وصلت اليه حالة الأمة العربية آنذاك ما جاء على لسان الشاعر الثورة العربية الشيخ فؤاد الخطيب في قصيدة له نقتطف منها قوله :

جاروا على لغة القرآن فانصدعت

لها القلوب وضج البيت والحرم

فالشام شاكية والقدس باكية

وفي الحجاز يكاد الركن ينهدم

وها هو يخاطب الترك في موقع آخر فيقول :

يا عصبة في بلاد الترك طاغيـــــة
لا تحسبوا العرب في أوطانهم رمما
ان الزمان الذي أولاكم نعمـــــا
هو الزمان الذي نرجو به نعمـــا
يأبى الأخاء لنا الا مصافحـــــة
فصافحونا وصونوا العهد والذمما

وكذلك ما قاله الشاعر اللبناني الشهيد المرحوم عمر حمد :

قد دعوهم اتحادا ليتهـــم قد دعوهم انشقاقا وانقساما
لغة القرآن ودوا محوهـــا ويل قومٍ أغضبوا البيت الحراما
هذه امالهم فينا فـــلا تغتّربا شعب واحذر أن تناما

وفي مقالة نادرة للمرحوم تيسير ظبيان صاحب كتاب « الملك عبد الله كما عرفته »، يقول حول موضوعنا هذا تحت عنوان :

« الطابع الاسلامي في ثورة الشريف الحسين بن علي » :

إن نهضة التاسع من شعبان او الثورة العربية كما اطلقوا عليها فيما بعد لم تكن ثورة قومية او اقليمية او عنصرية بل كانت ثورة اسلامية قام بها الحسين بن علي وانجاله وسكان الحجاز وبعض القبائل لتصحيح الاوضاع وتقويم الانحرافات ، ودفع المظالم ، واسترداد الحقوق ، وانقاذ البلاد العربية من المحن العارمة ، والاخطار الداهمة ،

ولم يكن هدفها تحطيم دولة الخلافة او الانفصال عنها كما يزعمون !

وكل عربي أو انسان عاش في تلك الأيام العصيبة كان يضيق ذرعا بما يشاهد ويسمع ولا يمكنه كبح جماح عواطفه مهما كانت العواقب ، ولا بد أن يثور ويمتشق الحسام ويتمرد على تلك الأوضاع ، ولا بد من أن ينطلق لسانه بترديد قول شاعر الثورة:

يا من الحّ علينا في ملامته بعض الملام وجرِّب مثلنا الألما

لو كان من يسمع الشكوى كصاحبها مضنى لما ضج بالزعم الذي زعما

فثورة الحسين وانجاله لم تكن ثورة أحزاب سياسية او هيئات قومية بل كانت ثورة الجماهير الصاخبة والشعوب الغاضبة ، ثورة الحق على الباطل ، والصلاح على الفساد، والخير على الشر لانقاذ المجتمع العربي من تلك الحالة المريرة المفجعة التي وصفها شاعر الفيحاء بقوله :

كم فتاة تبكي وطفل يصيح وجريح يلقى عليه جريح

وشهيد يبكي عليه الضريح ويتامى تسقى الردى وأيامى

ما كفى يا زمان حسبنا ان نهان

اجل الظلم حان فامحوا اللئاما

* * *

كان الشريف حسين في مختلف المناسبات يعرب عن وجهة نظره الاسلامية بصراحة ووضوح ويدعو باسم الثورة الى التمسك بأهداب الدين وتطبيق احكام الشريعة الغراء ، وقد زارته في ايلول سنة ١٩١٦ بعض الوفود من بعض الاقطار الاسلامية وبينها وفود من المغرب للاعراب عن تأييدها للحركة العربية ، فكان رده

على كلمات التهنئة والتأييد قوله :

إن نهضتنا انما قامت لتأييد الحق ونصرة العدل واعزاز كتاب الله واحياء سنة رسوله « صلى الله عليه وسلم » ولم أرد لنفسي زيادة في الجاه او الثروة ولو اردت الدنيا مع المجاملة والمسايرة لبلغت كل ما أصبو اليه . وها أنا اشهدكم واشهد الله بأنني مستعد لأن أضع يدي في يد كل من يرى فيه المسلمون الكفاءة للقيام بأعباء هذا الأمر.

ومن البراهين القاطعة على أن ثورة الحسين بن علي لم تكن تحمل طابعا قوميا بل طابعا اسلاميا ذاك الخطاب الذي القاه العلامة المرحوم الشيخ محمد رشيد رضا من زعماء العرب المعروفين الذين شملهم حكم الاعدام الصادر من ديوان الحرب العرفي في عاليه وقد القى ذلك الخطاب في موسم الحج عام ١٣٣٤هـ ومما جاء فيه : -

إن سواد المسلمين يغارون على الدولة العثمانية ويتمنون لها دوام الاستقلال وكمال القوة، ولكن الحالة الخطرة التي وصلت اليها هذه الدولة من حيث الضعف ، والفساد والاختلاس ، والرشوة ، والظلم ، الذي ارتكبه الحكام الاتحاديون، ادى الى انفصال بعض اجزاء الدولة عنها واستيلاء الاجانب عليها مثل دولة البلقان.وقد حمل ذلك المسلمين وعلى رأسهم الملك حسين على تدارك الخطر قبل استفحاله ، وانقاذ الحجاز مهد الاسلام وانقاذ غيره من الاقطار العربية ليكون ذلك نواة لحفظ الاستقلال الاسلامي وعدم زواله بزوال الدولة العثمانية.ثم قال : -

وكنا نعلم انه لا يوجد في الدنيا كلها مكان يصلح لتأسيس دولة اسلامية تخلف الدولة العثمانية الا جزيرة العرب . وقد تابع الشيخ رشيد كلامه قائلا :

هل يغيب عن اذهانكم انه لولا اعلان هذا الاستقلال الذي حفظ لـ الحكم الاسلامي في اشرف بقاع الاسلام لترتب على سقوط الدو العثمانية ، وقوع حرم الله تعالى وحرم رسوله صلى الله عليه وسلم ف أيدي الدول الأجنبية وتبقى تحت سيطرتها الى الأبد .

وقد وصف المعلق السياسي البريطاني جيمس موريس الحسين بـ علي بقوله : كان الحسين شخصية جذابة لا تقاوم ، وكان بالنسب لابنائه مربيا على الطراز الاسلامي انشأهم على النظام والطاعة ، وكا على جانب عظيم من الورع والتقوى والتمسك بأهداب الدين، وعندم قابله نفر من اعضاء جمعية الاتحاد والترقي معربين عن املهم ف تطبيق بعض النظم العصرية في بلاده ثار في وجوههم قائلا : ا الحجاز هو أرض الله ، وان الحكم الوحيد الذي سيظل سائدا فيه ه شريعة الله ، وقانونه السماوي ، وتعاليم رسوله العظيم .

وقد نوّه المعلق المذكور بـ بعض الاسباب التي ادت الى ثور الحسين ومنها ان السلطات الاتحادية التركية قررت عام ١٩١٦ ارسال قوة الى الحجاز بغرض اخضاعه والتوجه الى عدن ورافقت هذه القو بعثة عسكرية المانية مما اثار نقمة الحسين فجاء في بعض مذكرات «يبدو ان القدر يدفعنا الى الثورة »!

وإذا كانت جميع هذه الروايات والاحاديث التي اوردتها لا تكفي للتدليل على أن ثورة ٩ شعبان لم تكن ثورة قومية أو عنصرية أو اقليمية بل كانت ثورة اسلامية بكل ما تنطوي عليه هذه الكلمة من معنى فحسبي أن أسوق اليكم أقوالاً لفيلسوف عربي معروف وأعني به الاستاذ أمين الريحاني الذي قام برحلة إلى أقطار الجزيرة العربية عام

١٩٢٢ وقابل ملوكها وامراءها ووضع كتابا عن هذه الرحلة ، اسماه (ملوك العرب) وهو يعتبر من المصادر التاريخية الهامة ، وقد أنشأ فصلا خاصا عن الملك حسين وصف فيه شخصية الملك وعبقريته وأحاديثه وتصرفاته وصفاً مسهباً واليكم بعض ما اورده في كتابه المذكور : - جلالة الملك حسين من ملوك العرب الذي يهمهم فوق كل شيء سعادة المسلمين الدائمة السرمدية ، وهذه السعادة التي نص عليها النبي ووصفها الله في كتابه وصفا جميلا لا تقوم بالموسيقى او بالرقص او بشرب الخمر او بكسب المال او بالتعلم في المدارس ... الاجنبية ... ثم يقول : واذا ما تساهل جلالته في امور لا تمس (السعادة السرمدية) بصنع الطائرات مثلا او الدبابات او آلة تصفية الماء أو معمل الثلج، فهو لا يتساهل مطلقا فيما يبلبل الاذهان ويفسد الاخلاق ويخرج العرب ولو قيد فتر عن دين هو كنزهم الثمين في الدنيا والآخرة . وينقل الريحاني عن لسان الملك حسين قوله : - لا يلزمنا نحن العرب من العلم يا ايها النجيب (الخطاب لأمين الريحاني) غير ما يوافق حالنا وبلادنا ، ويمكننا ضمن حدود الدين من الانتفاع بالكمالات .

ولم يتمكن الريحاني من كتم مشاعره المكبوتة نحو هذه الثورة وتبرمه من طابعها الاسلامي فقال : إن غضبة الملك الحسين على الترك (ويقصد الاتحاديين) كانت في الدرجة الاولى بسبب خروجهم على التقاليد الاسلامية . ويعترف الريحاني بأن الملك الحسين ذكر في منشور الثورة من الذنوب المنسوبة اليهم مخالفتهم نصوص الشرائع الاسلامية ، واهانة النبي ، والمساواة في الحقوق بين المرأة والرجل ، واعفاء الجنود الموجودين في دمشق والمدينة ومكة من المحافظة على الصوم ، واصدار الاحكام التي فيها مخالفة صريحة لنصوص سورة البقرة .

لا بد لي قبل أن اختم هذه التوطئة عن هذه الثورة المبار
تعتبر في نظري من انبل الثورات غاية ، واسماها هدفا ، وابـ
مـوالاة الاجنبي ، رغم كل مـا قـيل ويقـال عنها ، اقـول لا بـ
الاشارة الى الدور الذي لعبته السياسية البريطانية والصهيونيا
بواسطة عـمـيلها الجاسـوس ، المعروف باسم « لورنس » والذ
بمختلف الوسائل ان يصرف الثورة عن أهدافها الشريفة ، ويخر
غاياتها النبيلة بتوجيه من اسياده المستعمرين والصهاينة،ولكنا
لأن قائد الثورة كان يرقب اعماله وحركاته بدقة واهتمام،فقد
اوراق هذا الجاسوس بعد مصرعه على تقارير سرية كان يرفـ
الدوائر البريطانية وهي تحمل اسم (سياسات مكة) وفيها يتـ
سياسة الحسين ومنهاجه الاسلامي ويقول في أحد تقاريره :
من تحريض العرب على انتزاع حقوقهم من تركيا فجأة وبالعنفـ
على خطر الاسلام الى الابد ، ودفعنا المسلمين الى اعلان الحـ
انفسهم فنمزقهم من داخلهم وفي عقر دارهم.واذا ما استطعنـ
خليفة المسلمين في العالم العربي الى جانب خليفة آخر فـ
ليخوضا حربا دينية داخلية فيما بينهما،فلن يخيفنا الاسـلا
ابدا". وعثر على وثيقة اخرى بين اوراق هذا الجاسوس وقد جـ
قوله : أهدافنا الرئيسية تفتيت الوحدة الاسلامية ، ودحر الامبـ
العثمانية وتدميرها !!

وقد ثبت ان الدوائر الصهيونية كانت تمول هذا الجاسوس
الى تحويل الثور العربية عن وجهتها الاسلامية واقناع رجـا
وعلى رأسهم الحسين بقبول فكرة الوطن القومي اليهودي في فلـ

ولكن الحسين المسلم ، قطع الطريق على هذا الجاسوس واحبط محاولاته ومؤامراته وأبى الا ان يؤيد قضية فلسطين ويضحي من أجل فلسطين ، وينفى الى قبرص في سبيل فلسطين ، ويقضي نحبّه انتصارا لحق العرب والمسلمين في فلسطين ، ويوارى جثمانه الشريف في أرض فلسطين ، وبجوار المسجد الاقصى المبارك الذي أسري بجده المصطفى عليه الصلاة والسلام من المسجد الحرام اليه . إن الحسين يخاطبنا من وراء الغيب بلسانه وبألسنة رفاقه في الجهاد :

موتة في الفضاء وموت على الأرض سواء أن نحن متنا كراما

نحن متنا لأجلكم فعليكم أن تعيشوا وتحسنوا الانتقاما

وانطلاقا من دعوة مجلة « الشريعة » الى انصاف هذه الثورة المباركة وابراز حقائقها وأسبابها ودوافعها الصادقة ، كانت هذه الدراسة الشاملة القاصدة نحو الناشئة ، نحو الاجيال القادمة ، نحو رجال الغد ، ... إن في هذه الثورة نهضة العروبة الحقة ، نهضة الاسلام الحقيقي الذي ثار على الظلم والطغيان ، منطلقة من أهداف الرسالة السماوية السمحاء ، من شريعة الاسلام الغراء [١] .

* * * * *

لقد كانت الدعوات المختلفة التي زخرت بها منطقة المشرق العربي وما جاورها في اواخر القرن التاسع عشر وفي السنوات الأولى من القرن

---

(١) انظر مجلة الشريعة ، العدد رقم ٢٢٦ ، حزيران ١٩٨٤ ، رمضان ١٤٠٤هـ .

العشرين ناشطة بقدر ما كانت تسمح به الاحوال السياسية الداخلية والخارجية،فالدعوة الى القومية التركية (الطورانية) كانت ، بطبيعة الحال ، تتمتع بحرية تامة وخاصة بعد انقلاب سنة ١٩٠٨ ، ويحلو لدعاتها النيل من القومية العربية والعرب ولغتهم . وكانت الدعوة إلى الجامعة الاسلامية تلقى التأييد من عبد الحميد ، وان كانت مطامعه ونياته تختلف عن نيات الداعين المخلصين لها . ولم تعدم الدعوة الى الجامعة العثمانية (الرسمية) نوعا من السند الرسمي . لكن القومية العربية كانت تحارب بقوة وقسوة وبطش !

وكان العالم في اوائل القرن العشرين ، يحس بأن حربا ما لا بد ان تنفجر . فقد بلغ الطمع عند الدول الاوروبية حده ، واشتدت المنافسة فيما بينها ، وعقدت المحالفات (الاتفاق الثلاثي ، وحلف دول الوسط) واشتغلت معامل السلاح ، بحيث ان الامر اصبح لا يمكن ان يوضع حد له الا بحرب طاحنة . وهذا الوضع قوّى الوعي السياسي في مناطق مختلفة داخل الامبراطورية العثمانية ، وكان ان نشطت الدعوة الى القومية العربية في جمعيات سرية وغير سرية ، وكانت الدعوة تجري في الولايات العربية من الامبراطورية ، بل وفي عاصمة الدولة نفسها ، وتشددت الحكومة العثمانية !

وجاءت عوامل السياسة الدولية تؤثر في الآراء وتتجاذب اصحاب القول في المراكز الحساسة . الا ان المهم هو ان قيام الحرب البلقانية (١٩١٢) والشعور بأ ن الحرب العالمية اصبحت وشيكة الوقوع ، ادى الى بلورة بعض النواحي في القومية العربية ومناهجها المتكئة على الاسلام،ومن هذه اتجاه في الرغبة للاستقلال عن تركية . ولم تقتصر

الدعوة على كلام ورسائل ، إنما اتخذت نوعا من التنظيم على أيدي جمعيات العهد والأخاء وغيرهما . ومن نواحي التنظيم عني القائمون على الأمور بالتواصل والتراحم والاتصال والبحث عن الرجل الذي يمكن ان يتزعم الحركة العربية الاسلامية الجديدة !

وقد ادرك اصحاب الرأي أنه ليس باستطاعة دمشق او بيروت او حلب أو بغداد أو البصرة القيام بدور القيادة المباشرة ، لأن يد الدولة العثمانية كانت شديدة على كل انسان فيها . وقد اثبتت المشانق التي علقت صحة هذا الرأي وصدق هذه النظرة . وإذن، فقد اصبح من الضروري ان تكون القيادة في مكان بعيد عن قوى السلطان والاتحاديين نسبيا ، وان تكون الزعامة فيمن يسلس له القياد ، وتليق به الزعامة ، ويقبل به الرأي العام .

فكان الحجاز المكان

وكان الحسين بن علي الزعيم

وكانت الرصاصة الأولى التي اطلقت في صباح التاسع من شعبان سنة ١٣٣٤هـ / اي العاشر من حزيران (تموز) سنة ١٩١٦ م ، انتفاضة رجل تمثل في نفسه ما عانته امته من ألم فثار على ذلك ، وتعبيرا عن وعي جيل من الناس لحالته ، فأراد ان يخلص نفسه مما هو فيه ، ورمزا للامال والأماني التي تجسمت تدرجا في الرجل الذي أطلق الرصاصة الأولى . (١)

(١) نقولا زيادة : أبعاد الثورة العربية الكبرى ، ص ٤٣ – ٤٤ ، ويقول محمد رشيد رضا في خطاب له في منى ١٣٣٥هـ حول هذا :

« الحجاز هو أجدر بقاع العالم الاسلامي لاقامة استقلاله ، ولذا فان عمل الشريف في اعلان استقلال الحجاز هو اكبر منه في أعناق أهل البلاد وفي أعناق جميع المسلمين ، ومن يكفر لهذا المصطلح المنقذ هذه النعمة فهو أكفر الناس للنعم ».

ان الفلسفة الكامنة في اعادة كتابة تاريخ أمة ما تنبع – عادة – من ضرورة تعريف الناشئة بتاريخ الأمة وتطور مسيرتها ، والدور الذي لعبته في مجال الحضارة الانسانية . وعلى الكاتب ان يبين أبعاد هذه الفلسفة بصورة واضحة ، تحمي الناشئة من الأخطار السلبية التي تبنتها الكتابات والأفكار المناهضة لتاريخ هذه الأمة وحضارتها وأفكارها سواء كان ذلك عن قصد أم عن سوء فهم [1] .

* * * * *

يجمع الباحثون على ان المنقذ الأعظم لم يستخدم كلمة ثورة للتعريف بما قام به ، وانما اسماها نهضة ، ... نهضة أمة ، ، ونهضة رسالة ، ونهضة فكر ... وصاحب هذه النهضة المباركة لم يكن طالب شهرة ، ولم يكن طالب منصب أو مال ، وانما كان رائده الاصلاح والعمل كما رفض تسميته ملكا ، وقد اشرنا الى إصرار هذا الشريف الهاشمي ابن الشريف الهاشمي على أن يخلع عليه لقب أمير المؤمنين

وقبل أن نسهب في الحديث عن هذه النهضة ، وقد اطلقنا عليها لفظ الثورة مجازاً حيثما وردت ، وقبل أن نتحدث عن بداياتها ، ومبادئها ، وأهدافها ، وأبعادها ، ومنابع فكرها ، ودور الأردن في حمل لوائها ... أقول لا بد من الحديث عن مؤسسها وباعثها المنقذ الأعظم المغفور له الشريف الحسين بن علي صاحب هذه السيرة العطرة / مولده ونسبه ثم نستطرد فيما اشرنا اليه ، وفي اثبات جملة من الوثائق والأسانيد والصور النادرة ...

* * * * *

(١) انظر د. سهيلة الريماوي : الاتجاهات الفكرية للثورة العربية الكبرى ، ص٧ .

وازاء هذا الفهم لم تكن الثورة العربية الكبرى بزعامة المغفور له الشريف الحسين بن علي عام ١٩١٦ ثورة اقليمية ، أو عائلية ، أو طائفية ، هدفها خدمة إقليم معين كالحجاز ، أو عائلة معينة كالأشراف الهاشميين ، ولكنها كانت ثورة قومية عربية اسلامية ، هدفها النهوض بالعرب كافة والسعي لتوحيد اقطارهم ، والعمل على تمكينهم من حكم أنفسهم ، مقرونا ذلك كله بالدفاع عن الاسلام وتراثه ومجده ، وفي ذلك يقول الشريف الحسين :

« إن هذه النهضة العربية تشمل كل عربي كائنا من كان ، وأني أحب قومي وبلادي وديني أكثر من كل شيء في هذا الوجود »

والاردن بصفته الوارث المعاصر الوحيد للثورة العربية الكبرى ، والمجسد في أعماله وسياساته لأهدافها ومبادئها ، منذ تأسيسه على يد المغفور له الأمير / الملك عبد الله بن الحسين وحتى اليوم ، معني قبل غيره بالتذكير بهذه الثورة ومبادئها وأهدافها ، ولا سيما في هذا الوقت الذي يواجه فيه العرب عوامل الفرقة والتشتت ، المقرونة بالاطماع الصهيونية التي تهدد العرب في حاضرهم ومستقبلهم . (١)

إن الاسلام والعروبة حقيقة واحدة ، وقد نادى الشريف الهاشمي بهما معاً ، ولم يكن مغالياً في دعوته الى العروبة بل انطلق من خلال الاسلام ، وقد عرف رحمه الله بالتقوى والورع ، وأحسبه يردد مقولة المفكر الاسلامي المعاصر الدكتور احمد كمال ابو المجد « بل الاسلام والعروبة معا » ، وما ورد في الأثر « ليست العربية بأحدكم من أب ولا أم، وإنما هي اللغات ، فمن تكلم بالعربية فهو عربي » ، حيث تنزلت

(١) انظر مقدمة « في رحاب الثورة العربية الكبرى » تأليف العميد الركن قاسم محمد صالح ، ص ١١ ، وهي بقلم الدكتور ممدوح الروسان.

آيات الله وكلماته بلسان عربي مبين ، ومن ينكر هذا او يحاربه فهو يحارب الاسلام وينكره ، قال تعالى : ﴿ وهذا لسان عربي مبين ﴾ / سورة النحل ، ﴿ إنّا انزلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون ﴾ / سورة يوسف ﴿ قرآنا عربيا غير ذي عوج لعلهم يتقون ﴾ / سورة الزمر ، ﴿وكذلك أوحينا اليك قرآنا عربياً ﴾ / سورة الشورى ؛ فاللغة العربية هي روح الاسلام ولا تعد جزءا مكملاً له ، ونحن لا نستطيع أن نتصور وجودنا التاريخي الا اذا تصورنا لغة القرآن ، والفكر الاسلامي نحاوره ونقرأه من لغته ، فكيف بمن حارب هذه اللغة المقدسة حاملة الرسالة ودعا الى سياسة التتريك ؟؟ ... كيف بمن حارب مستودع ذخائر الأمة وتراثها وثقافتها وآدابها ..؟ ... (١)

* * * * *

في هذه الدراسة لا ادعّي التأليف أو الابداع في مجال لم يسبقني إليه أحد ، فقد سبقني كثيرون ممن تناولوا سيرة الثورة العربية الكبرى وتاريخها ورجالها وأحداثها ... وقد غاب عن بال بعض هؤلاء الباحثين منطلق الثورة العربية الأول واتجاهها الاسلامي الواضح ، بل نظر بعضهم الى الثورة من منطلق قومي عربي خالص (٢) ، في حين تحامل عليها غير واحد وحاولوا النظر اليها من علٍ، فاعتبروها ثورة على الخلافة العثمانية ولمزوا بهذه النهضة المباركة ازاء ذلك ... (٣)

---

(١) انظر حول هذا الموضوع ما اصدره مركز دراسات الوحدة العربية« القومية العربية والاسلام » مجموعة من الباحثين ، بيروت ، ١٩٨١ محمد أحمد خلف الله ورفاقه ، وانظر المجلة الثقافية الجامعة الاردنية ، العدد ٢٨ ، ك ١٩٩٣ .

(٢) من هولاء العماد مصطفى طلاس .

(٣) من هؤلاء الدكتورة خيرية قاسمية .

وقد رددت على هؤلاء وغيرهم في الموقع المناسب ، على الرغم من اعتمادي على بعض مؤلفاتهم ، وإبراز الجانب الايجابي في كتاباتهم !!

أما بشأن التبويب في هذه الدراسة ، فقد قسمّتها الى ثلاثة أجزاء، وجعلت الجزء الأول في مقدمة وعشرة فصول وخاتمة . اشتمل الفصل الاول على سيرة الشريف الهاشمي / مولده ونسبه وذكر ولاية الشريف الحسين بن علي على مكة ، والحسين في الآستانة ، ومبايعة الحسين بن علي ملكاً على العرب ، ... ووفاته وما قيل في تأبينه ...

وخصصت الفصل الثاني للحديث عن الدولة العثمانية والعالم العربي ، وخصوصية العلاقة العثمانية الأردنية ، ثم تناولت ثورة العرب الكبرى بقيادة الحسين بن علي ، ومقومات الدولة الجديدة في فكر الثورة من خلال منشوراتها ، ثم أسهبت في الحديث عن حزب الاتحاد والترقي ودوره التدميري للدولة (العلية) وسياستهم العنصرية المتطرفة التي لحمتها تعزيز الجامعة الطورانية وتأييدها ، وعلاقتهم مع الصهاينة !!

اما الفصل الثالث فقد تناولت فيه أصول الثورة العربية الاسلامية ، والتيارات السياسية والفكرية التي عاصرت الثورة العربية ، كما عرضت لمقومات هذه النهضة الهاشمية .

وفي الفصل الرابع تناول الباحث مسيرة الثورة ومهاد النهضة العربية الاسلامية ، وعلاقة الحسين بن علي بالجمعيات العربية ، ومكانة العرب ودورهم في الماضي والحاضر والمستقبل ، وأهداف الثورة العربية القومية والاسلامية . كما عرض الباحث لمنطلقات الثورة العربية الكبرى- على وجه التحديد - لتأكيد طروحاته السابقة حول الاتجاه الاسلامي في هذه النهضة الهاشمية المباركة ، ومصادرنا في استقراء

الاتجاه الفكري للثورة العربية ، مما دعاني إلى وقف فصل كامل على منشور الثورة العربية الأول وهو الفصل الخامس ، وقد وثقت جزءاً من هذا المنشور ، واعتمدت بعد ذلك على دراسة الأستاذ الدكتور نقولا زياده « أبعاد الثورة العربية » في عرضه وتحليله ، وقد اثبت في ختام هذا الفصل قصيدة الشاعر الكبير فؤاد الخطيب الذائعة الصيت :

حيِّ الشريف وحيِّ البيت والعلما وانهض فمثلك يرعى العهد والذمما

ودونت عدة مقاطع من قصيدة أخرى ومطلعها :

لمن المضارب في ظلال الوادي ريّا الرحاب تغصّ بالورّاد

كما اثبت مقطعاً من قصيدة لعرار ، وختمت هذا الرثاء بقصيدة « ثورة قريش للشاعر شفيق جبري .

أما الفصل السادس فقد عرضت فيه مفهوم الاستقلال والوحدة العربية من خلال منشوراتها ، والثورة العربية والوحدة العربية ، وذلك توطئة للموضوع الرئيسي في هذه الدراسة وهو « الاتجاه الاسلامي في ثورة الشريف الهاشمي » ، ومسألة الخلافة في فكر الثورة الهاشمية » والاتجاه الفكري التوفيقي بين الدائرتين الاسلامية والقومية » ، وذلك اعتمادا على عدة دراسات لخمسة أعلام هم : الدكتورة سهيلة الريماوي ، والدكتور علي محافظة ، والشيخ محمود البخيت ، والأستاذ بلال حسن التل ، والعماد مصطفى طلاس .

وخصصت الفصل السابع للحديث عن جهاد الحسين بن علي وانجاله في سبيل فلسطين » ، عرضت فيه آراء ثلاثة باحثين هم : الدكتور غازي ربابعة ، والاستاذ سليمان موسى – الذي اراه مؤرخ الثورة العربية الأول – والدكتور ابراهيم الشريقي .

وفي الفصل الثامن عرض الباحث لموضوع هام وهو : دور الأردن في حمل لواء الثورة العربية الكبرى ، وحتى لا تفهم هذه الخصوصية ، على غير معناها ، عاد الباحث الى جريدة القبلة ، جريدة الثورة العربية الاولى ، وتناول نهج الثورة في الولاء لعامة المسلمين والدعوة الى الشورى ، وذلك اعتمادا على دراسة الدكتورة سهيلة الريماوي «الاتجاهات الفكرية في الثورة العربية الكبرى » ودراسة العقيد الركن قاسم محمد صالح « في رحاب الثورة العربية الكبرى » وجريدة القبلة نفسها ، وغير ذلك من دراسات أشير إليها : أما الموضوع الرئيس في هذا الفصل وهو « الأردن يحمل لواء الثورة العربية » فقد عرض فيه الباحث آراء باحثين في هذا المجال هما : الدكتور على محافظة ، والأستاذ بلال التل .

ووقف الباحث الفصل التاسع للحديث عن الثورة العربية الكبرى والمجتمع الدولي عرض فيه - بايجاز - موقف بريطانيا ، وفرنسا ، وروسيا ، والولايات المتحدة الامريكية والمانيا والصهاينة ، كما عرض الباحث لدور الاردن في معركة مصير المشرق العربي ، ودعم الاردن لتحرير سورية تحديدا ، وختمت الفصل باستنتاجات عن الموقف الدولي من الثورة العربية الكبرى للدكتور حكمت فريحات .

اما الفصل العاشر - والأخير - فقد تناولت فيه « نتائج الثورة العربية الكبرى وأهم منجزاتها - وقد ربطت هذه النتائج والمنجزات بالفصول السابقة وبخاصة فيما دار حول موضوع الثورة العربية والوحدة العربية ، وتوجه الثورة الاسلامي .

واختتمت الدراسة بعرض موجز لأهم موضوعات الدراسة ، وتساءلت مع من تساءل : هل انتهت الثورة العربية ،... ؟ وقد اجبت عن

هذا السؤال العريض الواسع بأن الثورة لم تنته ، فهذه الثورة موجودة ما دام في العرب عرق ينبض ، وما دام احفاد بني هاشم بين ظهراني الأمة • وثورة الثورات هذه قائمة ما وجد الأردن وقيادته الهاشمية الرشيدة الملهمة ... وقد اعتمدت في اجابة هذا السؤال على عدة آراء للدكتور نقولا زيادة ، والدكتوره سهيلة الريماوي ، والعقيد الركن قاسم محمد صالح ، ... وغيرهم.

أما بشأن المصادر والمراجع في هذه الدراسة فقد كانت متنوعة ، أهمها كتب الأساتذة الافاضل : أحمد بن السيدزيني دحلان ، وأسعد داغر ، وأمين سعيد ، وابراهيم الشريقي ، وسليمان موسى ، وعلي محافظة ، ونقولا زيادة ، وحسن ريان ، وسهيلة الريماوي ، وسعد ابو دية ، وقاسم محمد صالح ، وعبد المجيد النسعة ومصطفى طلاس ، وغازي ربابعة ، وممدوح الروسان ، وبلال التل ، ومحمد علي ذياب ونبيه أمين فارس وحكمت فريحات ... وغيرهم .

كما اعتمد الباحث على مؤلفات الملك عبد الله بن الحسين جميعها ، ومذكرات أصحاب السيادة الاشراف ، وكتاباتهم ومنشوراتهم ، وبخاصة ما كتبه الشريف الهاشمي من مقالات وخطب وبيانات في جريدة القبلة ، مما دعا الباحث الى العودة الى هذه الجريدة المتميزة ، والتي اراها بحاجة الى الدراسة المتخصصة القاصدة،وقد أحسن الدكتور سعد ابو دية والعميد الركن قاسم حمد صالح والعميد عبد المجيد النسعة صنعا بجمع بعض مقالات جريدة الثورة جريدة القبلة ، كما عاد الباحث الى صحف تلك الفترة ، والى بعض المجلات مثل : مجلة الشريعة ، ومجلة الهلال ، ومجلة العمران ، ومجلة «هدى الاسلام » ومجلة الشباب ،كما عدت الى الجريدة الرسمية لامارة شرقي الاردن

وعدد من النشرات والوثائق الشخصية والمخطوطات الهامة والمذكرات والسير الذاتية المتوافرة في مركز الوثائق والمخطوطات ومكتبة دائرة المطبوعات والنشر في عمان • وقد زودني أحد الزملاء في قسم التاريخ في الجامعة الاردنية ببعض الصور والوثائق ، كما تمكنت من الاطلاع والافادة من ارشيف مركز الشرق الاوسط في كلية القديس انطون / جامعة اكسفورد ، والمتحف الحربي في دمشق ، اضافة الى عدد من الصور الخاصة ، وما نشره المجمع الملكي لبحوث الحضارة الاسلامية / مؤسسة ال البيت بعنوان « صور من حياة جلالة المغفور له الملك عبد الله ابن الحسين ١٢٩٩ هـ - ١٣٧١ هـ (١٨٨٢ - ١٩٥١ م) .

****

إن المتصفح لجريدة القبلة يلمح توجهها العربي الاسلامي بكل وضوح ، يلمح طرحها الفكري الواعي ، وحثها على الجامعة والجماعات التي لا تتلفى روح الدين وأ وامره , وهو ما كان الغرض منه ايجاد التحالف والاتحاد والتاخي واحياء روح التعاضد والتضامن بين افراد الأمة (كما جاء في عددها 184 ,17 شعبان 1336 هـ) ونقرأ دعوات الشريف الهاشمي الحسين ابن علي المتكررة الى تأسيس هيئة مجلس شورى الخلافه .... وفي موقع آخر يدعو الى تعمير المسجد الاقصى ... وفي جل ما اصدره أمير المؤمنين من منشورات ومكاتبات نلمح الطرح الاسلامي والاستشهاد المتكرر اللافت بالقران الكريم والاحاديث النبوية الشريفة . بل ونقرأ عشرات الخطابات الهاشميه والمقالات ذات الطابع الاسلامي فيما نشره الأساتذة : علي محافظه , وسعد أبو ديه, وعبد المجيد النسعه, وقاسم محمد صالح, وقاسم محمد الدروع ,..وأحسب أن هذه المجاميع بحاجة الى البحث والدراسة المتأنية، وما هذا الكتاب الا مساهمة متواضعة في هذا المجال الرحب!

ولابد لي في ختام هذه المقدمة من الاشادة بجهود المقيّمين لمادة هذا الكتاب اللذين قرظاه/مؤسسة آل البيت / المجمع الملكي لبحوث الحضارة الاسلامية، وقد أخذت ببعض ملاحظات الاستاذين الفاضلين ، ولكني أعاود الاشارة إلى أن هذه الدراسة هي أقرب إلى الاعداد وجمع المادة من مظانها المختلفة ، المتقاربة منها والمتباعدة ، وهي دراسة توليفية أخذت بهذا الاتجاه – وأعني به الاتجاه الاسلامي – من كل طرف ، ولذا حرصت على كتابة « اعداد » في الصفحة الأولى ، وفي غير موقع ، كما حاولت جمع الآراء التي تتفق وتوجهنا في هذه الدراسة ، بل وتلك التي تناولت النهضة العربية وتوجهها العروبي . وقد فهم الشريف الهاشمي الحسين بن علي ، كما فهم ابناؤه من بعده العروبة من خلال الاسلام ، وهذا ما طرحه الباحث في غير موقع، وعندما أشرنا الى نفي التوجه القومي الخالص عن هذه الثورة كنا ننفي صفة العنصرية الطائفية والاقليمية والجهوية ومفهوم حزب البعث العربي عن هذه القومية ، وإلا كان اعتزازنا بالقومية والعروبة كالنزعة النازية عند هتلر، او كنظرة اليهود الى انفسهم على انهم شعب الله المختار ، وكالفرعونية في مصر والفينيقية في لبنان والبربرية في شمال افريقيا وهذا على النقيض تماماً من طروحات الشيخ المهاب الجليل مفجر الثورة الشريف الهاشمي الحسين بن علي طيب الله ثراه .

*****

هذه صورة جديدة وطرح جديد عن الثورة العربية الكبرى ، وهذا الكتاب لم يجيء ككتابٍ تاريخيٍ متسلسلٍ ، بل هو مزيج من النقولات والتاريخ والتعليقات على ذلك التأريخ ، وهو إلى ذلك استعراض واسع لمؤلفات وكتب عديدة وضعت في تاريخ الثورة العربية ولنلمح الأصول العربية الاسلامية في

مؤلفات الأساتذة:أمين الريحاني ، ونقولا زيادة ، وسهيلة الريماوي وعلي محافظة وخيرية قاسمية وسليمان موسى ، وغازي ربابعة ، وقاسم محمد صالح ، ومصطفى طلاس ، وبلال التل ، وحكمت فريحات ، وممدوح الروسان ، وسعد أبو دية ومحمد علي ذياب ، وعبد المجيد النسعة وابراهيم الشريفي وغيرهم وذلك على اختلاف اتجاهات هؤلاء وثقافتهم ومشاربهم الفكرية .

« ان الشريف حسين ومعه قادة الثورة ، لم يجدوا تناقضاً بين العروبة والاسلام ، فالقومية العربية موجودة بوجود امة تُعرف في العالم باسم (الامة العربية) ، وبوجود الدين الاسلامي الذي هو دين الاكثرية الساحقة من أبناء هذه الامة العربية . ان الاسلام لايتناقض مع العرب والقومية العربية ، كما انه لايتناقض مع وجود أمم أخرى غير عربية تدين بالاسلام وتعتنقه. ولو أُمعن النظر في كتاب (الحركة العربية) لقرأنا كيف ان رفيق رزق سلّوم ، وهو القومي العربي (المسيحي) التفت الى ساحة المرجة ، قبل أن يصعد الى درجة المشنقة ، التفت الى جثة الشيخ عبد الحميد الزهراوي ، الذي شُنق قبله بدقائق وهتف قائلاً : سلاماً يا أبا الحرية . من هنا نرى أن الزهراوي وسلّوم ، كانا عرباً وكان هدفهما واحداً ، وهو العمل من أجل تحرير قوم لهم خاصيتهم بين أقوام العالم ، هم العرب!! »

وكمايقول مُقيّم الكتاب الذي اعتمدنا على طرحه فيما سبق : إن الاسلام كان عنصراً مهماً من عناصر الثورة العربية ، يتماشى ويسير جنباً إلى جنب مع عناصر القومية العربية ، ومع شعب عربي أصلاً وفصلاً وصليبة ،.. ولكن قادة الثورة لم ينظروا إلى القومية العربية – قطعاً – نظرة ميشيل عفلق وصلاح البيطار واكرم الحوراني وغيرهم !

ولاضير في أن هذا الكتاب يعدُّ في نهاية المطاف جمعاً لآراء وافكار من

سبق ذكرهم لأدلل على صحة ما أذهب إليه من طرح جديد وتناول واع لطابع الثورة العربي الاسلامي ، وهو ما أغفله الباحثون السابقون ، وقد أردت وضع طروحات الأساتذة الأفاضل الذين اعتمدت عليهم أمام القراء والمثقفين والمهتمين للاطلاع عليها بصورة افقية استعراضية قاصدة ، لنرى المؤلف القومي والبعثي والعروبي على تداخل هؤلاء يتحدث عن اسلامية الثورة!!

هذا كتاب توثيقي ومُدخلٌ أولي لهذا الطرح الذي طرحناه ولذا استغربت ما جاء في تقرير مقّيم هذا الكتاب الثاني ، فالباحث لم ينف الطابع العربي للثورة، ولكنه أكدّ اتجاهها الاسلامي مع طابعها العربي الذي ركّز عليه الباحثون والمؤرخون السابقون ، وقد قلت في عشرات المواقع بأن العروبة والاسلام في نظري وجهان لعملة واحدة ، ولم يعّز العرب إلا بالاسلام !! وبعد هذا يزعم مُقّيم الكتاب بأنني أشن هجوماً شديداً على كل من يقول بأن ثورة الشريف حسين بن علي ثورة قومية عربية !!

اما تسجيل آراء الكتاب والباحثين السابقين ، واقتباس فقرات من مذكرات الملك عبدالله بن الحسين ، أوتدوين القصائد والكلمات التي قيلت بمناسبة وفاة الحسين بن علي فقد انطلق فيه الباحث من أن هذا الكتاب هو كتاب وثائقي تسجيلي وليس هو بكتاب نقدي تحليلي ، وقد قلت في مقدمات هذا الكتاب «بأنني لا ادعّي الابداع أو التأليف في مجال لم يسبقني إليه أحد ، فقد سبقني كثيرون ممن تناولوا سيرة الثورة العربية الكبرى وتاريخها ورجالها وأحداثها ، وقد غاب عن بال بعض هؤلاء الباحثين منطلق الثورة العربية الأول واتجاهها العربي الاسلامي الواضح بل نظر بعضهم إلى الثورة من منطلق قومي عربي خالص ، واعتبروها ثورة على الخلافة الاسلامية !!؟» ... ولذا كانت هذه الدراسة وهذه

الوثائق والمقالات والآراء رداً على هولاء ومن بينهم مقيّم هذا الكتاب الذي لم يتعدّ في جُلِّ مؤلفاته طابع جمع المادة الخالص ، في حين انني قد رددت على بعض الآراء ، و والفت بينها ضمن طرحنا الذي طرحناه ، ومعظم شبابنا المعاصر لايعرفون قصائد شوقي ، وعرار وشفيق جبري ، وفؤاد الخطيب والزركلي وغيرهم في الثورة العربية الكبرى وصاحبها ، ولذا كان اثبات هذه القصائد مساهمة متواضعة للثقافة والاطلاع واعادة النظر في تأريخ الثورة العربية ورجالاتها وأدبياتها ، بل واعادة النظر في اتجاهها الفكري العام .

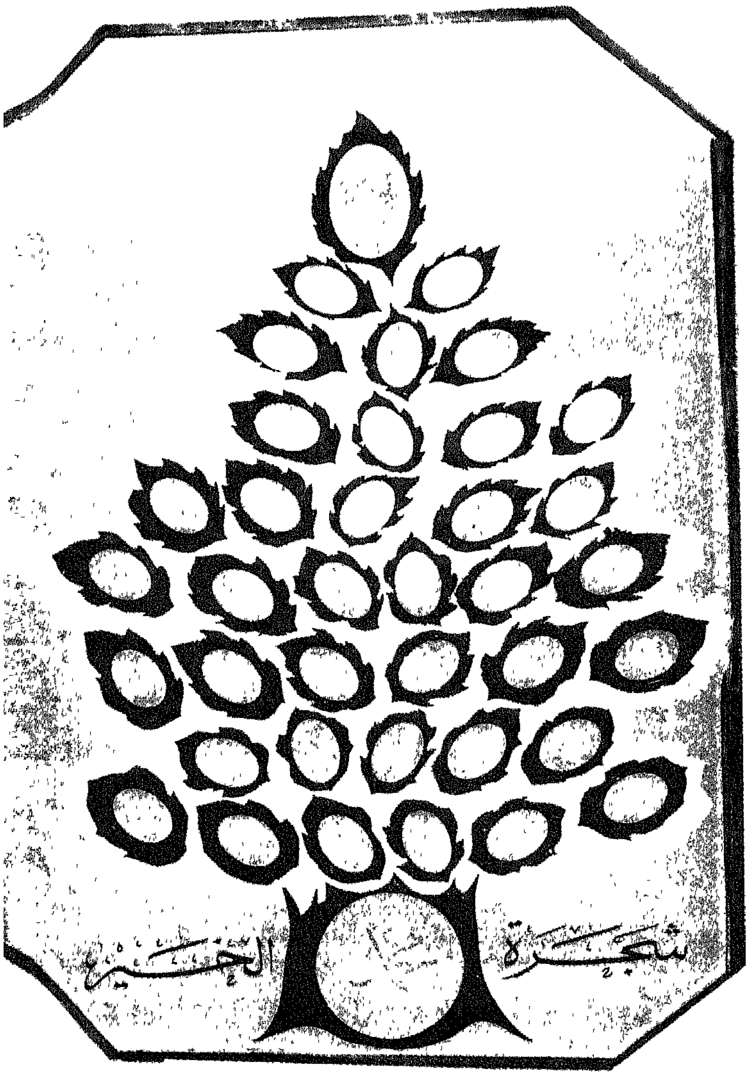
واقع الأمر اني أمضيت ما يزيد على اربعة اعوام كاملة وأنا أعدّ مادة هذا الكتاب واجمع وثائقه ونصوصه ومصوراته . لا أزعم فيها الابداع ولا التأليف – كما قلت أنفاً — بقدر ما اردت ابراز هذا الوجه المشرق الوضاء للنهضة العربية الهاشمية المباركة ، والتي ازعم ان في اعداد هذه الدراسة بهذه الصورة اضافة جديدة الي المكتبة الاردنية والعربية والاسلامية، ولعل دراسات قادمة تكمل ما قد فاتني في هذا الموضوع الرحب . وحسبي أني شققت الطريق وأخلصت النيّة، وبذلت أقصى الجهد وغاية الوسع . والباحث يتوجه بالشكر الجزيل لكل من ساهم في اخراج هذه الدراسة مذ كانت فكرة في رأسي حتى رأت النور ، فالشكر لأهل الشكر واجب ...

وآخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين

الدكتور اسامة يوسف شهاب

جرش في غرة ربيع الثاني ١٤١٥هـ

الموافق للسابع من أيلول ١٩٩٤م


شجرة

الفصل الاول

﴿الشريف الهاشمي الحسين بن علي﴾

مولده ونسبه

النسب الطاهر الزكي

روى ابن عباس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال :

« لم يزل الله عز وجل ينقلني من الاصلاب الطيبة الى الارحام الطاهرة صفيا مهذباً ، لا تتشعب شعبتان الا كنت في خيرهما » .

وفي الصحيح من حديث واثلة بن الاسقع ان رسول الله قال : إن الله اصطفى من ولد ابراهيم اسماعيل ، واصطفى من بنى كنانة قريشا واصطفى من قريش بني هاشم ، واصطفاني من بني هاشم .

عن كتاب خاتم النبيين للشيخ « محمد ابو زهرة» القسم الأول « المعهد الملكي » صفحة ١٠٢

أما رسول الله صلى عليه وسلم . فهو :

محمد ، بن عبد الله ، بن عبد المطلب « واسمه عمر» ، بن عبد مناف « واسمه المغيرة» ، بن قصى (واسمه زيد) بن كلاب ، بن مرة ، بن كعب ، بن لؤي ، بن غالب ، بن فهر ، بن مالك ، بن النضر ، بن كنانة ، بن خزيمة ، بن مدركة ، بن الياس ، بن مضر ، بن نزار ، بن معد ، بن عدنان .

وهذا التعريف بنسبة الكريم ، هو المجمع عليه بين كتاب السيرة ، ولقد كان ذلك التعريف كما تدل الرواية عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ، فقد كان يقول : كان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم اذا انتهى الى عدنان امسك ثم يقول « كذب النسابون»

وقد قال عليه السلام : « ولدت من خيار من خيار » .(١)

(١) مجلة «هدى الاسلام»، عمان، المجلد ٣٠، العدد الثاني، ١٤٠٦هـ، ١٩٨٦م.

« الشريف الهاشمي الحسين بن علي »

مولده ونسبه

الهاشميون هم أعظم أسر الاسلام حسبا ، فهم ينحدرون من سلالة النبي محمد صلى الله عليه وسلم عن طريق ابنته فاطمة الزهراء زوجة علي ابن ابي طالب كرم الله وجهه .

ويدعى الاشراف ايضا بالهاشميين نسبة الى هاشم أحد أجداد الرسول الكريم . وقد انتشر الاشراف في مختلف انحاء العالم الاسلامي الا ان قسما منهم بقي في الحجاز ، وتولى منصب الامارة او الشرافة في مكة والمدينة وحماية الأماكن المقدسة .

بقي الهاشميون يحافظون على أولويتهم رغم ما طرأ على الشؤون العربية في مختلف الازمنة من ارتجاجات وذبذبات . وتحدى الهاشميون الصعاب التي واجهت الأمة فلم يسع الهاشميون - كما كان قدرهم عبر مسيرة تاريخ العرب والمسلمين - الى اقامة امبراطورية دنيوية ، بل كانوا جميعا يدعون كلما رأوا صدعا في جدار الاسلام الى رأبه ، وتصحيح اعوجاجه !

وللهاشميين أفضال كبيرة على القضية العربية في مختلف بلدان العروبة بعامة وفلسطين بخاصة، فالنهضة العربية يمكن إدراكها بشكل أفضل من خلال إدراك ذلك الالهام الذي تميز به الشريف حسين بن علي قائد الثورة العربية الكبرى في التأييد الذي اجتذبه والاجماع الذي حاز عليه من أحرار العرب لقيادة ثورتهم من أجل استقلال الأمة العربية وكرامتها .

ويعد ارتباط المملكة الاردنية الهاشمية بفلسطين والمدينة المقدسة ، جزءا مهما من تراث المملكة التاريخي وعقيدة يؤمن بها شعبنا كافة ، ففي القدس يقوم ضريح الشريف حسين بن علي قائد الثورة العربية الكبرى يشهد بالتزامة بمناصرة قضية فلسطين ، وعلى عتبات المسجد الأقصى الشريف انتقل المرحوم الملك عبد الله بن الحسين ، مؤسس المملكة الى الرفيق الأعلى بعد أن أدى الأمانة في الدفاع عن فلسطين والمقدسات ، ولقد واصل المسيرة المغفور له الملك طلال الذي عرف عنه الصلابة في الحق والثبات على المبدأ والذي قاتل ببسالة في سبيل حقوق العرب في فلسطين وفي الدفاع عن القدس (١)

* * * * *

ولد الحسين بن علي طيب الأصل والمنبت في استنبول سنة ١٢٧٠هـ - ١٨٥٣ م خلال امارة عبد المطلب بن غالب في مكة ، وكان جده ووالده يقيمان يومذاك في عاصمة الدولة ، وفي السنة الثالثة من عمره عين جده محمد بن عون للمرة الثانية اميرا لمكة ، فغادروا العاصمة هو ووالده وجدّه الى الحجاز .

ثم سافر والد الحسين الى استنبول بعد وفاة أبيه محمد عون عام ١٨٥٨م . ولم يرافقه الحسين ، بل بقي في مكة منكبا على طلب العلم ، في مدارس خاصة للاشراف ، كانوا يقومون على امرها بأنفسهم ، بسبب انعدام المدارس المنظمة في الحجاز يومذاك . ثم ما لبث طويلا حتى علم بانحراف صحة أبيه فسافر الى استنبول وأقام فيها الى جانبه حتى توفي عام ١٨٧٠م .

---

(١) انظر غازي ربابعة : الهاشميون والقضية الفلسطينية ، ص٤ وما بعدها.

تختلف تربية الحسين اختلافا كبيرا عن تربية غيره من ابناء الاشراف ، فقد خالف والده فيه العادة المتبعة ، اذ لم يبعث به الى احدى القبائل المجاورة لمكة ، ولم ير به تربية بدوية خالصة ، يتلقن فيها اخلاق البدواة في معايشتهم ، ويتمرن على ركوب الخيل واحتمال المشاق، فنشأ حضريا مدنيا ، واولع بالدرس والمطالعة فحفظ مبادىء العربية ، وتفقه في اصول الدين وفروعه . وحفظ القرآن الكريم قبل ان يتجاوز العشرين من عمره . ورافقه في طلب العلم فتى مصري الاصل هو الشيخ ياسين البسيوني الذي صار اماما له فيما بعد .

وعاد الحسين بعد وفاة والده إلى الحجاز ، فأقام فيها الى جانب عمه الشريف عبد الله باشا بن محمد عون ، وكان أميراً لمكة يومئذ واحبه عمه وقربه منه وعامله معاملة الاب لبنيه ، ثم جعل يسيره في المهمات ويوجهه لتذليل الصعاب ، فسافر في ايامه الى نجد ، وطاف اكثر ما يلي الحجاز من شرقه ، وعرف قبائل تلك الانحاء وعشائرها ، واختبر احوال البدو وأساليب حياتهم ، حتى صار الصلة الدائمة بين امارة مكة والقبائل تلك الانحاء وعشائرها ، واختبر احوال البدو وأساليب حياتهم ، حتى صار الصلة الدائمة بين امارة مكة والقبائل الحجازية وغيرها ، ثم زوّجه عمه بابنته الشريفة عابدية وهو في عنفوان الشباب فانجبت له من الابناء علي وعبد الله وفيصل .

كان الحجاز حتى عام ٣٥٨هـ ولاية تابعة لبغداد عاصمة الخلافة العباسية ، لا يمتاز في ادارته وشؤون حكمة عن سواه من الولايات التابعة للخليفة ، وحينما استولى الفاطميون على مصر وانتزعوها مع بعض البلدان الاخرى من العباسيين ، اغتنم الاشراف الحسينيون

الفرصة واستقلوا بالحجاز واولهم جعفر بن محمد بن الحسين بن محمد الثائر ، وظلوا يتصرفون بأمورهم دون أن يخلو الامر من منازعات داخلية فيما بينهم على الامارة . اذ كانوا يستعينون تارة بأمير الحج الشامي واخرى بامير الحج المصري ، ويقومون على تدبير امور البلاد المالية بما ينفقه الحجاج ، وبما يأتي من الاعانات للحرمين من اغنياء الاسلام . ولم يكن للفاطميين تاثير كبير على أحوال البلاد الادارية الا في فترات متقطعة واحيان متباعدة .

وبقيت الامور على هذا المنوال إلى ان كان ظهور الاتراك في الاناضول ، ثم زحفهم على سوريا وافتتاحهم مصر عام ٩٢٢هـ . فقدّم شريف مكة طاعته للسلطان سليم ، وارسل اليه في القاهرة كتاب بيعته ودخوله في حضيرته ، وكان يومذاك الامير بركات بن أبي نمي ، وبويع السلطان بالخلافة وأعطى نفسه لقب « خادم الحرمين » اكتسابا لعواطف العرب خاصة والمسلمين عامة . وهي السياسة التي درج عليها العثمانيون في بدء دولتهم ، فقلدوا الخلافة ، واتخذوا كثيرا من شعائرها، وكانوا يعلنون في كل مناسبة انهم حماة الاسلام والمسلمين.

ينقسم الاشراف الذين تولوا امارة الحجاز منذ انفصالهم عن العباسيين ، الى أربع طبقات : الموسويون والسليمانيون والهواشم وقد حكمت هذه الطبقات الثلاث من سنة ٣٥٨هـ الى ٥٩٨هـ . والطبقة الرابعة تبتدىء من قتادة بن ادريس من سلالة موسى الجون الشهير ، وموسى هذا هو ابن حفيد الامام الحسن بن علي بن ابي طالب . ونبغ في هذه الطبقة محمد بن ابي نمي جد الاشراف الاكبر .

وحتى القرن الثاني عشر الهجري كان حق انتخاب شريف مكة محصوراً في بني بركات ، ثم جرت منافسات عديدة بين بني بركات وبين اولاد عمهم ، نتج عنها ان تسلم الامارة ذوو زيد ، ولم يكن فيهم منصب الشرافة وراثيا بل كان ينتقل بعد موت الشريف الى أقوى العائلة نفوذا كما يقول الأستاذ سليمان موسى .

وغزا النجديون الحجاز عام ١٢١٨هـ ، فقاومهم الشريف غالب ، واستمرت الحرب سجالا بين الطرفين حتى تمكن النجديون من افتتاح البلاد كلها عام ١٢٢٠هـ ، وبقي الشريف اميرا ، وصانع الغزاة دون ان يخلص الود لهم ، اذ قام يكاتب محمد علي والي مصر وسلطان تركيا ، مستنجدا بهما .

وقد بدأ الخلاف بين سعود أمير الوهابيين وبين اميري الحج الشامي والمصري حينما هددهما بعدم السماح لهما بالحج مرة اخرى اذا اتوا بالمحامل ومعها الطبول والزمور لاعتقاده انها من البدع . واستحث السلطان محمود الثاني محمد علي في تجهيز حملة على نجد والحجاز على ان يكون والياً عليهما أيضاً . فبدأت الحملة المصرية عام ١٨١١م واحتلت ينبع وما زالت تتقدم حتى استولت على الحجاز برمته بعد سنتين .

ولم يأمن المصريون جانب الشريف غالب ، فاجبروه على اعتزال العمل وارسلوه الى سلانيك ، وعينوا يحيى بن اخيه بن سرور اميرا بدلا منه ، وبقي يحيى في منصبه حتى عام ١٨٢٧م ، اذ عين الشريف محمد بن عون للامارة ، وبذلك انتقل الحكم الى الفرع الثالث من نسل ابي نمي . وسبب تعيين محمد بن عون انه كان ينافس غالب ويحيى على

الزعامة في مكة ، وقد انضم الى الجيش محمد علي ابان الحملة ، وساعده مساعدة فعلية ، فحفظ له محمد علي هذه اليد ، واقطعه خمسة الاف فدان في مصر .

وفي عام ١٢٥٦ هـ - ١٨٣٩ م عقد الصلح بين السلطان عبد الحميد ومحمد علي ، وانسحبت الحاميات المصرية من الحجاز وحلت الحاميات التركية و واصبح امر شرافة مكة منوطا بالسلطان .

وارسلت الدولة والياً من قبلها ، فأصبحت السلطة ثنائية بينه وبين الشريف ، مما أدى الى المنافسة بينهما فالوالي يمثل مصالح الحكومة التركية ويقود الجند النظامي . اما الشريف فيسعى للاحتفاظ بسلطته في المدن ، وفي حكم القبائل ، والاشراف على شؤون الحج والحجاج . وقد أدى التنافس بين الامير والوالي ، الى تدخل الدولة ، فينفى الشريف محمد بن عون إلى الاستانة (اسلام بول) عام ١٨٥١ ، ونصب الشريف عبد المطلب بن غالب ، من ذوي زيد ، مكانه .

ثم حصلت في الحجاز عام ١٨٥٦ فتنة ادت الى عزل عبد المطلب ، واعادة محمد بن عون اميرا لمكة . وبعد وفاة محمد عام ١٨٥٨ اقرت الحكومة امارة مكة في ابنه عبد الله ، بعد وفاته عين أخوه الشريف حسين اميرا ، وبقي في منصبه حتى قتل غيلة عام ١٨٧٩ ، فأعيد عبد المطلب بن غالب للامارة ، ثم عزل بعد عامين ، وعين الشريف عون الرفيق بن محمد بن عون اميرا عام ١٨٨٢ م .

وخلال امارة عون الرفيق ، ساد الحجاز ما ساد بقية بلاد الدولة العثمانية من سوء الادارة ، وفقدان الامن ، وانتشار الفوضى والفتن ، وتفشي الرشوة . وتململ الناس من كثرة الجور والمظالم ، وجاهر

الحسين بمعارضته للسياسة القائمة ، فاستدعاه السلطان عبد الحميد الى عاصمة الخلافة عام ١٨٩٣ ، ليقيم فيها قريبا منه .

وبعد وفاة عون الرفيق ، عيّن مكانه الشريف علي بن عبد الله اميرا ، ولكنه عزل بعيد اعلان الدستور العثماني لمعارضته في الانقلاب عام ١٩٠٨ ثم صدر الامر بتعيين عمه عبد الاله اميرا ، غير أنه توفي بعد يومين ، فخلفه ابن اخيه الحسين بن علي [١] .

* * * * *

وقد ذكر العلامة احمد بن السيد زيني دحلان في كتابه « امراء البيت الحرام ولاية الشريف الحسين بن علي على مكة فقال :

ذكر ولاية الشريف حسين بن علي :

هو الحسين بن علي بن محمد بن عبد المعين بن عون . وعون هذا الذي تنتمي اليه الأسرة الهاشمية الملكية هو عون بن محسن بن عبد الله ، تفرعت منه ثلاثة فروع ، فرع محمد وهم أهل الأمارة ، وفرع هزاع ، وفرع ناصر .

ويصفه ابنه الملك عبد الله بأنه «ربعة القوام متواضع مائل الرقبة الى الأمام ، عريض الجبين كث الحية أشيبها أشم الأنف » .

وكان الحسين من الهاشميين سادة السادات ، والطبقة الارستقراطية للأرستقراطيين أعظم أسر الإسلام حسبا ، ويحافظون على أولويتهم رغم ما طرأ على الشؤون العربية في مختلف الأزمنة من ارتجاجات وذبذبات . وتحدى الهاشميون جميع المتطفلين الأجانب ،

---

(١) سليمان موسى . الحسين بن علي والثورة العربية الكبرى ، ص١٢-١٤ .

وسارت قافلتهم عبر التاريخ تفذ سيرها سلسلة طويلة من المصائب والجرائم . فالكثير منهم ، من قتل او خلع ، والبعض منهم ، من وشي به، أو سجن ، وهم بين ماكر بهم أو مخادع لهم أو متحد . وكان بعضهم على جانب كبير من الورع والتقوى .

هؤلاء أجداد الحسين في أحضانهم تربى وهو فرع باسق من دوحتهم ، وسنحدثك فيما يلي من الصفحات عن طائفة من أعماله :

دعاه السلطان عبد الحميد الى حضرته . وقال له أنه أنما استدعاه لينشئه ويرجو منه أن يخدم الدولة ويخدمه . وبالرغم من أنه قد عينة عضوا في شورى الدولة وامر بأن تهيأ له دار ساحلية في البوسفور وتفرش ، فقد كان في الحقيقة ورغم هذه الاعتبارات أخذ إلى الآستانة نفياً وتغريباً بناء على معارضته سياسة الظلم والاعتساف بالحجاز ، وأخذ الاموال الطائلة من الحجاج بشتى الأسباب ... تلك السياسة التي اختطها ولاة الحجاز والأمير عون الرفيق . وقد نفي أثر أخذ الشريف حسين الى الأستانة ، كل من العلماء الأعلام : الشيخ عبد الرحمن سراج مفتي مكة المكرمة الاكبر ، والشيخ عابد مفتي المالكية بمكة المكرمة والشيخ عبد الله الزواوي مفتي الشافعية بمكة المكرمةفأخرجوا من الحجاز وطلب إلى صاحب مفتاح بيت الله الحرام الشيخ عبد الرحمن الشيبي أن يسكن بالهدى . وبعد ذلك تفاقم الظلم بالبلاد المقدسة الإسلامية ، ووقع من عدم الأمان ومن الإستيلاء بشتى الصور المخزية على أموال الحجاج ، ما أكسب الظالمين الوزر وعدم التمتع ، فشتتوهم وذراريهم أيدي سبأ وحاق بالسلطان ودولته الدمار .

وقد حاول الشريف حسين ان يدخل مغترك السياسة . ولما شغر منصب أمير مكة كتب الشريف حسين طلباً الى جلالة السلطان بوساطة الصدر الأعظم كامل باشا . وكانت المذكرة كما يلي : « بناء على وفاة عمي الشريف عبد الإله بن محمد أمير مكة ، بعد عزل ابن عمي الشريف علي بن عبد الله ابن محمد وخلو مقام الإمارة ، ولكوني من العائلة الهاشمية وأحقها بمقام الآباء ، استرحم جلالة السلطان أن يتكرم بإيصالي إلى حقي الذي لا يخفى على جلالته مع صداقتي وإخلاصي » .

ومرت فترة على إرسال هذا الطلب إلى السلطان وردت برقية من رئيس كتاب القصر السلطاني يقول فيها : « إن حضور الشريف حسين يوم غد في الساعة الثالثة عربية صباحاً مرغوب فيه لدى جلالة السلطان . ولقد توجه الحسين إلى القصر السلطاني حسب الوقت ، فعين أميراً على مكة ، وعاد بعد الظهر وهو صاحب مقام آبائه . وكان من هذا التعيين أن غضب حزب الاتحاد والترقي على الحسين ، فكان مبدأ الخلاف بينه وبين كل حكومة اتحادية، حتى وصلت الحالة من ذلك الاختلاف إلى حين ترؤسه رحمه الله حركة النهضة العربية .

الحسين بن علي أميراً على مكة :

حاز الحسين بن علي مقام الإمارة . وفي يوم سفره قابل السلطان عبد الحميد مودعاً ، واختلى به أكثر من ساعة ونصف . وكان حزب الاتحاد والترقي يحاول الاستحواذ على الحكم ، بعد أن ظفر بما أراد من انقلاب دستوري ، بتوليه المناصب لكل من ينتمي الى هذا الحزب .

وعندما قابل الحسين السلطان عبد الحميد قال له جلالته « أسأل الله أن يجازي من حال بيني وبين الاستفادة من مواهبك الهاشمية ، وإني لست بالأمين على الدولة والملك من هذه الفئة المتغلبة » . فأجابه الحسين :« إن لذاتكم الملوكية في البلاد العربية الفئة التي إذا تحيزتم لها كان لكم ما تريدون من حفظ الدولة والملك ، ومتى شعرتم جلالتكم ذلك وجلبتم آل بيتكم معكم لجمعت لكم الأموال ولأخضعت رقاب العصاة، لأنكم تكونون حينذاك فوق متناول أيديهم » .

وعندما حان وقت سفر الحسين حضر إلي الباخرة الصدر الأعظم كامل باشا ، مودعا ومقدما اليه مذكرة يقول فيها : « إن الخطة المباركة الحجازية مربوطة رأساً بمقام الخلافة العظمى ، وإنه لا يسري عليها بمناسبة الدستور الجديد ما يخالف الحقوق المقدسة القائمة بين الأمارة الشريفة والسدة السلطانية .

وإن اعتماد الحضرة الملوكية والباب العالي على ذاتكم الهاشمية مما لا يحتاج الي تأكيد ، فقوموا بواجباتكم السامية على أساس التعامل القديم ، وفقكم الله لكل خير » .

وبعد أن وصل الأمير الحسين إلى جدة زاره وفد حزب الاتحاد والترقي التركي وتكلم رئيسه عبد الله قاسم قائلا : « جئنا نرحب بالأمير الدستوري الذي يؤمل من سيادته أن يضرب صفحاً عن الأصول الإدارية القديمة وعن الظلم الذي كان يرتكبه الشريف عون الرفيق والشريف علي ، تبعاً للإدارة المستبدة السابقة إرضاء للسلطان . وإن البلاد إذ تحيي سيادة الأمير فإنها تحيي فيه الأمير الذي عرف روح العصر والتجدد المطلوب للعمل ، تحت الدستور الذي هو نبراس السلامة» .

ولقد أجاب الحسين بما يأتي : « لقد حظيت بمقام أسلافي وآبائي على الشريطة التي بايع بها الشريف أبو نمي السلطان سليم الأول . وإن هذه بلاد الله لا تقوم فيها غير شريعة الله المشتملة على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وهي حريصة على الاحتفاظ بحقها . فليذهب كل منكم ليشتغل بما يخصه ... وإن السلطان الآمر بالدستور ، الذي تذكره والذي أمر بأن يعمل في بلاده . يفتخر هو وأسلافه بأنهم خدام الحرمين الشريفين ، دستور بلاد الله شريعة الله وسنّة نبيّه » .

وقد شعر الاتحاديون أن الحسين لا يسير في ركابهم لذا بدأت الحرب بينه وبينهم من تلك اللحظة .

* * * * *

بعد الرجوع الى الحجاز أخذ الحسين يضع أسس النهضة . وقد حاول أن يتخلص من ظلم الأتراك واستبدادهم ، وعندما شعر الأتراك بقوة شخصية الحسين وخبرته قرروا التخلص منه . وقد عينوا لهذا الغرض أحد الولاة واسمه وهيب بيك . وعندما تسلم وهيب بيك الحكم ضغط على العموم وعزم على تطبيق قانون ادارة الولايات في الحجاز . وقد اعترض الرأي العام الحجازي على هذا الأمر وتجمهرت الأمة . وقد زار الحسين الوالي وقال له «ها أنت ترى رغبة الشعب الحجازي في التمسك بحقوقه القديمة والشروط التي بويع بها السلطان سليم الاول بالخلافة . فإن أحببت عدم اعتبار هذا ، وكانت بيدك أوامر من الدولة في تطبيق قانون الولايات على هذه البلاد وسلخ امتيازاتها فأرنا هذه الأوامر التي لم تأتيني عنها من الباب العالي أي إشارة » ، وقد حصلت أزمة بين الأمير والوالي ، وحيط رئيس الوزراء علما بذلك ، فأرسل برقية للأميرقال فيها بأنه لا اخلال بحقوق الإمارة وبإمتيازات الحجاز ، وأن الدولة في الوقت الحاضر لا تلح في مد الخط الحديدي (١) .

---

(١) أحمد بن السيد زيني دحلان. امراء البيت الحرام، ص٣٨٢-٣٨٥.

« ولقد ذكر لي والدي ان السلطان عبد الحميد قال له « أسأل الله أن يجازي من حال بيني وبين الاستفادة من مواهبك الهاشمية ، وانني لست بالامين على الدولة والملك من هذه الفئة المتغلبة » .قال فأجبته : « إن لذاتكم الملوكية في البلاد العربية الفئة التي اذا تحيزتم لها كان لكم ما تريدون من حفظ الدولة والملك ، ومتى شعرتم جلالتكم بذلك فأول بلد من بلاد العرب تقوم بالواجب المفروض هو الحجاز ، وان النبي (ص) قال (المدينة خير لهم لو كانوا يعلمون) ولو فعلتم جلالتكم ذلك وجلبتم آل بيتكم معكم ، لجبيت لكم الاموال ولاخضعت رقاب العصاة ، لانكم تكونون حين ذاك فوق متناول ايديهم » ، قال فاغرورقت عيناه وأجاب : « أشكرك أشكرك ، بارك الله فيك ، ولكن الوقت لم يحن ... » ثم وضع السلطان بيده وسام الافتخار المرصع على صدره وودعه ...»

مذكرات الملك عبد الله ص٥٤ الآثار الكاملة

الحسين في استنبول (اسلام بول) (١)

١٨٩٣ – ١٩٠٨ م (١٣٠٩ – ١٣٢٦هـ)

حينما عين الشريف عون الرفيق اميرا للحجاز ، كان الحسين يقيم في مكة مع عائلته ، وكان له اذ ذاك ابنان : علي الاكبر ، وعبد الله الذي ولد في العام الذي تولي عون فيه الامارة ، ثم ولد فيصل بعد ذلك بعامين ، وكان الى ذلك التاريخ قليل الاختلاط بالناس كما يظهر بمظهر عدم الاكتراث بالامور ، وكمن لا يعنيه من شؤون السياسة شأن أو يحفزه لها حافز كما يقول الأستاذ سليمان موسى.

ولكن موقفه أخذ ينجلي رويدا رويدا ، ثم صار لا يتحرج عن التصريح بفساد بعض الانظمة القائمة ، وكان يكره كل ما هو تركي ويعمل على اظهار نفسه بمظهر العربي الصميم في عاداته وتقاليده ، وأخذ يبرهن على هذا بالنزوح الى البادية في كثير من فصول السنة ، ويقيم في واحاتها ويعيش بين قبائلها مطمئنا الى الحياة بينهم حريصا على تنشئة اولاده كاولادهم ، حتى أنه لم يحاول اتقان اللغة التركية التي كانت في ذلك العصر لغة أهل الجاه والرأي والسلطان !

وجهر بمعارضته لبعض اعمال عمه عون الرفيق اميرمكة ، واخذ ينتقد سياسته في ادارة الحجاز ، فشكاه الى السلطان طالبا ابعاده عن الحجاز لان في وجوده خطر على الامن العام . وأخذ جواسيس الاتراك يوالون ارسال تقاريرهم إلى عبد الحميد بشأنه ، فوصفوه بالعناد وبأنه ميال لاذكاء روح القومية والاستقلال وقالوا ان في ارائه خطر على البلاد اذا هو اثارها في الوقت المناسب ، وأضاف بعضهم انه يطمح إلى الامارة ويصرح انه احق بها من غيره .

---

(١) اسلام بول . ارض الاسلام

ولما كانت سياسة عبد الحميد تقوم على الأخذ بالشبهة ، فقد قرر استدعاءه الى الآستانة ليكون فيها أسيراً مبجلا تحيط به عيون الارصاد ، وقد جاء في مقال للمغفور له جلالة الملك عبد الله نشر في العدد الممتاز الذي اصدرته مجلة الهلال في نيسان عام ١٩٣٩ إيضاحا لهذه الفترة ننقل منه ما يلي :

« نفضت عن عيني إغفاءة الفجر في يوم من أيام سنة ١٣٠٨هـ وأنا في الطائف ، فشعرت بحركة غير مألوفة في القصر مما يدل على نية الرحيل كأعداد الحقائب والألبسة ، وسمعت همسا يدور بين الناس يمازجه شيء من القلق والحزن ، ثم دخلت البهو على والدي جريا على عادتي معه فوجدته يتناول غداءه متهلل الجبين مشرق الاسرة ، الا ان الجدة كانت الى جانبه لم تشاطره ما هو فيه من ارتياح ، بل كانت محمرة العينين يعلو وجهها الأسى الكمين تحت قناع التجلد ، واذا على طرف المتكأ مذكرة بالتركية وعليها طابع الولاية والقيادة . وهذه ترجمتها بالعربية « بما ان منطوق الارادة السنية الملوكية التي تشرفت بتبليغها تقضي بحركة عطوفتكم بأول واسطة الى دار السعاده كي تنالوا شرف المثول بين يدي حضرة صاحب الخلافة العظمى ، ارجو ابلاغ يوم وتاريخ حركتكم الى هذا المثني عليكم » .

ولقد رأيت الوالد يتلوها من غير انزعاج ، ثم خرجت من بين يديه يساورني القلق ، وبعد الغداء خرج الوالد ميمما قصر الامارة ، وكان الامير في ذلك الحين سيدنا المرحوم الشريف عون الرفيق بن محمد ، وكان الجو بينهما غير ودي ، فمكث ساعة او اكثر مع الامير .

وقد سمعت تناجي الخدم بان الوالد على عزم السفر الى الآستانة غداً ، فأخذتني عيناي بالبكاء الشديد . وما لبث الوالد ان عاد ولما عرف ما نزل بي قال : « لا عليك ساستصحبك الى الآستانة » ، وكانت خدعة مشفق ، فسافر في الفجر الباكر ، وكان الغرض من سفره اخلاء الجو من القائمين معه في استنكار المظالم التي كانت تفدح عواتق الناس . وان هي الا بضعة ايام حتى اتبع بصحبه وهم مفتي مكة عبد الرحمن سراج ، ونقيب الاشراف علوي بن احمد السقاف، و الشيخ عابد مفتي المالكية ، والشيخ عبد الله الزواوي احد مدرسي الحرم الشريف فنفوا الى أزمير.

أجاب الحسين الدعوة دون وناء ورحل الى الآستانة ، ثم لحقت به والدته واولاده ، فأهداه السلطان قصر الدّلي فؤاد باشا في استينيه، وهوقصر فخم البناء يطل على القرن الذهبي ويشرف على مناظر جميلة[1] .

وعن اقامة المنقذ الاعظم في استنبول يقول الملك عبد الله في مذكراته :

« اما اقامتنا باسطنبول ، فكانت اقامة جبر وإكراه وإقامة تعلم وعبر ، وبالرغم من أن السلطان عبد الحميد حينما قابل والدي يوم وصوله الى الآستانة ، قال له انه انما استدعاه لينشئه ويرجو منه أن يخدم الدولة ويخدمه ، وبالرغم من أنه عينه عضوا في شورى الدولة ، وأمر بأن تهيأ له دار ساحلية في البوسفور وتفرش ، فقد كان في

---

(١) سليمان موسى . الحسين بن علي والثورة العربية الكبرى ، ص ١٥-١٦ وانظر مذكرات الملك عبدالله بن الحسين ، ص٧٨-٨٠ .

الحقيقة ورغم هذه الاعتبارات ، أخذ الى الاستانة نفيا وتغريبا ، بناء على معارضته سياسة الظلم والاعتساف بالحجاز ، وأخذ الاموال الطائلة من الحجاج بشتى الاسباب »، وقد اعتمدنا على هذا النص في غير موقع .

* * * * *

لقد نشأ الشريف حسين رجلا مستقل التفكير ، قلبه على أبناء شعبه . ومن هنا أخذ يعارض المظالم التي كانت تفدح عواتق الناس ، وهي مظالم كان رجال الدولة العثمانية يرتكبونها ، وكان عمه الامير عون الرفيق يشارك فيها ، وقد كتب عدد من كبار رجال الدين شكاوى الى السلطان ، ضد الشريف عون وضد رجال الادارة ، وأتّهم الشريف حسين بالتحريض على إرسال تلك الشكاوى . وهكذا صدر أمر السلطان بنفيه الى أستانبول ، وفي الوقت نفسه صدر أمر آخر بنفي خمسة من رجال الدين الذين اعتبروا من حزبه والقائلين بقوله .

كان الحسين في الأربعين من عمره عندما انتقل للاقامة في استانبول . وعلى الرغم من أن السلطان عبد الحميد قال إنه إستدعاه لينشئه ، وعيّنه عضواً في شورى الدولة الا أن تلك الاقامة التي استمرت ستة عشر عاماً (١٨٩٣ - ١٩٠٨) كانت « إقامة جبر وإكراه» وكانت « نفياً وتغريباً بناء على معارضته سياسة الظلم ... » وفي أثناء تلك السنين كان منزل الشريف حسين مأوى أحرار الناس من العثمانيين ومتظلمة العرب ، للمذاكرة فيما هم فيه (١) .

---

(١) راجع بهذا الشأن المقالة التي كتبها الملك عبد الله ونشرتها مجلة (الهلال) القاهرية في عددها الخاص، نيسان ١٩٣٩، وكذلك مذكرات الملك عبد الله ، القدس ، ١٩٤٥، ص١١ . ومن الجدير بالذكر ان الشريف الحسين بعد أن تولى الملك عمل على تقريب اولئك الذين نفوا معه، فعين الشيخ عبد الله سراج (ابن عبد الرحمن سراج) نائبا لرئيس الوزراء ، وفي عهد الامارة الاردنية عين الشيخ سراج نفسه رئيسا للوزراء ، كما عين السيد أحمد علوي السقاف رئيسا لديوان الملك حسين ولديوان الملك عبد الله/راجع سليمان موسى .

إننا نجد في هذه الواقعة مفتاحاً لشخصية الشريف حسين ، فهو رجل مبدأ ، وهو رجل عنيد وثابت في وقوفه عند المبدأ الذي يقتنع به .

على أن سني النفي الستة عشر لم تكن الا سني تأمل وتربّص واكتساب خبرة . وسوف نرى أن الستة عشر عاماً التالية (١٩٠٨ - ١٩٢٤) التي قضاها الشريف في الحجاز ، هي التي برزت فيها عناصر شخصيته ومواقفه المبدئية ، ومطامحه الشخصية والقومية والاسلامية .

إننا نستطيع أن نتابع تطوّر الفكر القومي عند الشريف حسين من خلال دراسة الوقائع والأحداث المتعلقة به من جهة ، ومن خلال دراسة كتابات نجليه عبد الله وفيصل ، أقرب أبنائه إليه ، من ناحية التفكير القومي والسياسي ، من جهة أخرى ، فالملك عبد الله يرى أن الانقلاب العثماني عام ١٩٠٨ أشعر العثمانيين من غير الأتراك أنهم « أصبحوا رعايا أتراك» . ذلك أن جمعية الاتحاد والترقي التي قام رجالها بالانقلاب ، كانت في واقع الامر جمعية عنصرية متشددة ، أخذت تسير على سياسة عنصرية يتولى فيها أبناء العنصر التركي مهمة السيادة في الحكم أكثر من أي وقت مضى . وعلى قول الملك عبد الله ان لسان حال العرب كان يقول « نحن وأنتم أهل الاسلام» ، بينما لسان الاتحاديين يقول « نعم ولكن نحن السادة وأنتم التبع » .

ومن هنا انقلبت الأوضاع في الدولة العثمانية من أوضاع دولة عثمانية اسلامية يقف على رأس الحكم فيها السلطان العثماني خليفة المسلمين ، الى دولة مليّة (أي عنصرية) يقف على رأس الحكم فيها أعضاء جمعية الاتحاد والترقي الأتراك [١].

---

(١) مقالة الملك عبد الله المشار اليها سابقا ، ومذكراته ص ٢٣ .

عندما وصل الشريف حسين الى الحجاز في كانون الأول ١٩٠٨ كشف في الحال عن شخصيته الحقيقية واسلوبه في ممارسة الحكم ، فقد أبلغ أعضاء جمعية الاتحاد والترقي في الحجاز أن عليهم ان يتركوا السياسة لأصحابها وأن ينصرفوا الى أداء أعمالهم . وبذلك اظهر أنه ليس صديقاً للاتحاديين وانه لا يحسب حساباً لهم . وأعلن من ناحية أخرى أنه ينوي التمسك بجميع حقوق منصبه التي كانت لأمراء الأشراف قبل أن تبدأ الدولة بتعيين ولاة الحجاز . وقد توصل الى ذلك بالحزم والعزم والإرادة القوية وبنشاط عظيم في العمل حتى انه عقد مجلساً عاماً في مكة المكرمة قبل أن يضع ملابس الإحرام . وسرعان ما أخذ يتصل بجميع طبقات الشعب ويستمع الى ظلاماتهم ويحل مشاكلهم بنفسه ، بل إنه كان « لا يترك واحداً من الأهالي يتقاضى في قليل أو كثير الا عنده سواء في ذلك الأحوال الشخصية اوالحقوق المدنية »[١] .

اتخذ الشريف حسين لنفسه سياسات ثابتة عند توليه منصب الإمارة ، فقد جعل همه اولا توطيد مكانته ونفوذه والقبض على زمام الحكم بيد حازمة ، وعقد علاقات وثيقة مع أهل البلاد من بدو وحضر ، وفي نفس الوقت سار على سياسة الولاء للدولة العثمانية باعتبارها دولة الاسلام الكبرى ، وللسلطان باعتباره خليفة المسلمين . ومن هنا فإن علاقته بالاتحاديين كان يشوبها البرود .

---

(١) حسين محمد ناصيف ، ماضي الحجاز وحاضره القاهرة ١٣٤٩هـ (١٩٣٠م) ، ص١٦ .

وقال الاستاذ هوجارث في مقالة نشرها عن الملك بعيد زيارته له في جدة : ان الملك يشتغل بشؤون الحكومة ما معدله ١٤ – ١٥ ساعة يوميا ، وانه يميل الى البساطة في كل شيء ، ويتجنب الفخفخة والترف ، ولا يهتم بالتملق ويهوى معالجة الامور بنفسه ... ولا يسمح لأحد بتولي المسئوليات مهما كانت صغيرة ، ووزراؤة ليسوا أكثر من كتبة سجلات ، وهو يقابل بنفسه أصحاب القضايا ويفصل في كل الامور . (النشرة العربية ، ملحق الخاص ، رقم ٢ ، ١ آذار ١٩١٨) R.R.O.F.O. 882/13 راجع سليمان موسى .

إن اسلوب الشريف حسين في إثبات وجوده ومكانته يتضح لنا من الواقعة التالية :

في عام ١٩٠٩ أراد أمير الحاج الشامي (وهو من أكراد دمشق) أن يبرهن عن ولائه للاتحاديين ، فأبى الرجوع بالحجاج عن طريق البر بحجة ا ضطراب حبل الأمن ، وقصده أن يثبت عجز الأمير الجديد . ولكن الشريف أعلن أن الأمن مستتب ، وأرسل أخاه ناصراً وابنه عبد الله مع الحجاج فوصلوا الى دمشق ، بينما عاد أمير الحاج وحده عن طريق البحر . وبذلك أعطى الشريف برهاناً على سيطرته على القبائل .

اما بالنسبة لجيران الحجاز فان الدولة العثمانية استعانت به كي يقنع ابن سعود بالاعتراف بسيادتها في نجد ، وكتب الشريف الى ابن سعود يطلب منه أن يدفع لخزينة الدولة ضرائب متأخرة ، وعندما لم يتلق جواباً مرضياً بادر فاعد حملة سنة ١٩١٠ وزحف شرقا حتى وقع سعد شقيق ابن سعود أسيراً بين يديه ونتج عن ذلك أن أبن سعود أعطى الشريف وثيقة يعترف فيها بسيادة الدولة . وفي البند الثالث من تلك الوثيقة تعهد ابن سعود :

« اطاعتي لامير مكة بأي أمر يأمره حسبما تقتضيه حقوق ومنافع الدولة العلية ... » (١)

واعترفت معظم القيادات العربية في آسيا بزعامة الحسين الروحية . وكان أول من اعترف بها النواب العرب في مجلس المبعوثان العثماني . فقد بعث خمسة وثلاثون منهم مذكرة الى الشريف سنة ١٩١٣ أقروه فيها على إمارة مكة ، واعترفوا له ، دون سواه ، ، « بالرئاسة الدينية

---

(١) سليمان موسى · صور من البطولة ، ص ١٤ - ١٧ .

على جميع الاقطار العربية » لانه « خلاصة بيت الرسول صلى الله عليه وسلم » . وأكدوا أن إجماعهم هذا « هو بالنيابة عن أهل بلادهم » (١) . وأعلن طالب النقيب ، زعيم ولاية البصرة ، في رسالة مرفقة بهذه المذكرة استعداد هؤلاء النواب « للقيام الى جانبكم اذا قمتم لخلع هذا النير الذي أثقل كاهل العرب ، وسعيتم لانتشالهم مما هم فيه من الظلم والعبودية » (٢)

ولما فكر قادة الاحزاب والجميعات السرية العربية بالثورة على الاتراك في بداية سنة ١٩١٥ ، وفي أعقاب حملة الاعتقالات والارهاب الذي تعرض لها المتنورون العرب في بلاد الشام وتقديم نخبة منهم الى أعواد المشانق في بيروت ودمشق ، اتجهوا بانظارهم الى الشريف حسين ، وعرضوا عليه أن يتعاون معهم وأن يتولى قيادتهم ، ولم يكن خافيا عليهم الطموح السياسي للشريف وأنجاله ، ولذا لم يترددوا في الاتصال بالامير فيصل ، نجله الثالث ، واطلاعه على نوايا جمعيتيهم السريتين « العهد » و « العربية الفتاة » . وقدموا له ميثاقا قوميا يتضمن وحدة اقطار آسيا العربية واستقلالها عن الدولة العثمانية ، والشروط التي اتفقوا عليها لعقد معاهدة مع بريطانيا والدخول الى جانبها في الحرب الدائرة ، وطلبوا منه أن يقدم هذا الميثاق لوالده ليكون أساسا في مفاوضاته . (٣)

---

(١) أسعد داغر ثورة العرب ، مقدماتها ، ونتائجها ، القاهرة ، مطبعة المقطم ، ١٩١٦ ، ص ٧٨ .

(٢) أحمد عزة الاعظمي · القضية العربية ، أسبابها ومقدماتها وتطوراتها ونتائجها ، ج٤ ، ط١ ، بغداد ١٩٣٢م، ص ٩٣ - ٩٥ ، وسليمان فيضي . في غمرة النضال ، بغداد ، ١٩٥٢ ، ص ٨٧ -٨٨ .

(٣) جورج انطونيوس : يقظة العرب ، ترجمة إحسان عباس وناصر الدين الاسد ، ط٢ ، بيروت دار العلم للملايين ، ١٩٦٦ ، ص ١٣١ .

وقد اعتمدنا فيما سبق على كتاب الدكتور علي محافظة الفكر السياسي في الاردن ص ٣٦- ٣٧ .

لقد اتصل نسب هذا الشريف الهاشمي من جهة والده بالنبي محمد صلى الله عليه وسلم ، هذا النبي العربي الهاشمي العدناني ، وهذا النسب منحدر من اسماعيل بن ابراهيم الخليل عليهما السلام كما اشرنا آنفاً ... وهذا الشريف القرشي الهاشمي أب لثلاثة ملوك ،وحفيد وجد لابرز قادة العرب المعاصرين ، هو آخر ملوك العرب الهاشميين من حكام الجزيرة العربية ... (١)

ولم ارد في دراستي هذه ان اتحدث عن تاريخ الثورة العربية الكبرى ، او تاريخ حامل لوائها المغفور له الحسين بن علي بقدر ما اردت تناول الفكر السياسي لهذه الثورة باعتبارها الأساس الركين لمعظم التيارات الفكرية والسياسية المعاصرة في الوطن العربي بعامة ، وفي الاردن بخاصة ... ومن أراد تاريخ هذه الثورة فإن هنالك عشرات الكتب والدراسات الحافلة بتاريخ هذه الثورة ووقائعها وأحداثها ... كما ركزت هذه الدراسة على الاتجاه الاسلامي في هذه النهضة المباركة ، وقد كشفت الحقائق ، وأبانت الأستار ، وصوبت الاخطاء ، وما اعتور بعض الدرأسات السابقة من خلل وقد ركزت على هذا الجانب الهام ، في حين يحاول الكثيرون الغمز واللمز ، أو الحطّ من شأن ثورة الثورات هذه !!

لم تكن الثورة العربية ثورة ضد الاسلام أو ضد الخلافة كما يدعي هؤلاء ، بل أن ثورة العرب هذه كانت ثورة ضد من خرجوا على الاسلام ضد حكام تركيا الجدد « الاتحاديين » الذين خرجوا على هذا الدين الحنيف ، وحددوا سلطة الخليفة المسلم في اسلام بول !! ... بل حاربوا – كذلك – اللغة العربية ، لغة القرآن ، وهذا ما سنعرض له تالياً!

---

(١) انظر حول هذا الموضوع ، الزركلي . الاعلام ،ج٢ ، ص٢٤٩-٢٥٠ والموسوعة السياسية ، ص٤٥٢-٤٥٣ .

« عـجبـا يا قـوم بنو هاشم ... كـيف يـحرم ابن رسـول الله من عرش جـده ؟ بل كيف تـحرم الـعرب من صـولجـان الملك الزعامة ، وقد قال حبيب الـخلق : « الأئمة من قريش» ، بل كـيف يـحــرم بنو هاشم من حـقـوق آبـائهم واجـدادهم وقـد قال فـيـهم مـسلمة بن هـلال الـعبـدي : إنـهم قـوم بنور الـخلافة يشرقون وبلسان النبوة ينطقون »

جريدة القبلة ، مكة المكرمة ، العد ١٢١ ، ١ محرم ١٣٣٦ هـ ، ١٧ / ١٠ / ١٩١٧ .

« مبايعة الحسين بن علي ملكاً على العرب »

« يا ابن الكماة وأنت اليوم وارثهم قد عاد متصلا ما كان منفصما... »

كان لا بد من اعلان استقلال البلاد العربية بأجمعها والبيعة للحسين بن علي ملكا على العرب [1] . فقد كان الأتراك يعتبرون القائمين بالثورة عصاة خارجين على القانون ، وكان الحلفاء ينظرون اليهم كثوار لا أكثر ، وفي هذا ما فيه من الخطر على مستقبل الأمة . فتذاكر الأمير عبد الله مع مجلس الوزراء [2] – ما عدا الأميرين عليا وفيصلا اللذان كانا في الجبهة – وقد حضر المذاكرة الشيخ عبد الله سراج قاضي القضاة ونائب رئيس الوزراء ، والشيخ يوسف قطان وزير النافعة ، وحافظ محمد أمين أفندي ناظر الاوقاف ، وعزيز علي المصري رئيس أركان الجيش العربي ، وعلماء مكة ومفتيها ، ومن حضر من رجالات الشام والعراق و منهم : الشيخ كامل القصاب والسيد محب الدين الخطيب وآل البكري والشيخ فؤاد الخطيب ، وكان معاونا للخارجية – وآل الداعوق والضباط العراقيون... فوافقوا جميعهم على الرأي وألحوا على السرعة في التنفيذ.

فدخل الأمير عبد الله على والده وعرض عليه الأمر فرفض الشريف حسين بشدة قائلا : « أنا لا أعمل للملك ولا أقبل هذا الأمر الذي

---

(١) من أجل التوسع في هذا الموضوع يجب العودة إلى مذكرات الملك عبد الله بن الحسين في الاثار الكاملة ص ١٣١ .

(٢) شكلت هذه الوزارة بعد الثورة برئاسة الامير علي بن الحسين وكان من أعضائها . الامير فيصل وزيرا للداخلية والامير عبد الله وزيرا للخارجية وعزيز علي المصري وزيرا للحربية، ورئيسا لهيئة الاركان. ولكن لم يمارس أحد من هؤلاء مهام وظيفته ممارسة فعلية بسبب انهماكهم في الحرب . (راجع: الحركة العربية . سليمان موسى ص ٢٨١) .

تعرضونه عليّ » . فتقدم منه ولثم ركبته وقال : « هذه العريضة مقدمة من عظماء الحجاز ومن حضر من سائر بلاد العرب وهم يلتمسون قبول عرضهم » . فقال : « ليس عندي سوى ما قلته لك » . فقال : « لسنا جميعا على استعداد لخدمة الثورة الا على شرط قبول ما عرضناه ، فاعمل ما تشاء مع سوانا » . فقال : هل بلغت بكم الحال الى هذه الدرجة؟ فقال : نعم . فقال : قف ، فوقف ، ثم أمر بحضورهم جميعا .

فلما جاءوا سألهم : أصحيح ما يقول ؟ قالوا : لا يجرؤ أحد على أن يعرض على سيدنا ما لا صحة له . قال : هل عزمتم على عدم الاستمرار في الثورة ان لم أقبل ما عرضتموه ؟ قالوا : نعم سننسحب كلنا . فقال : افعلوا ما شئتم والتبعة عليكم ، فانني أقبل ما عرضتموه منفذا لرغبتكم لا موافقاً عليها . قالوا : اذن وفقك الله ، وستكون البيعة يوم الاثنين اول محرم سنة ١٣٣٥ الموافق ٢٨ تشرين اول عام ١٩١٦ في المسجد الحرام فقال : على بركة الله .

كانت البيعة عامة . وقف الناس يبايعونه من ضحوة النهار الى أن أذّن الظهر ، أربع ساعات كاملة . وبعد أن عاد الى القصر الملكي ودخل الحجرة الخاصة ، تقدم الأمير عبد الله مهنئا وقال : « هذه البيعة

العلنية ...» ، اما البيعة السرية فكانت والاتراك في البلاد ، وقد اخذتها من أحد عشر ألف رجل بمكة ، كلهم بايعني على أن أختار لهم ملكاً هاشمياً» يسير بهم على ما أمره الله ورسوله ، وكانت باذن جلالتكم » . فقال : « تذكرت .. تذكرت ».ثم أبرق الأمير عبد الله بصفته وزيرا للخارجية لكل وزراء الخارجية من دول الحلفاء والدول المحايدة ، وأبلغهم بما تم . واستمر العمل ذلك اليوم من بعد الظهر الى ما بعد

منتصف الليل وكان يساعده في ذلك الشيخ فؤاد الخطيب .

وفي اليوم الثاني طلب المعتمد البريطاني العقيد ولسن والمعتمد الفرنسي العقيد بريمون مقابلة الامير عبد الله وزير الخارجية فظن أنهما سيقدمان اليه التهنئة على ما وقع ، واذا بهما على عكس ذلك يقولان :

« لم فعلتم هذا الأمر قبل الرجوع الى رأي حلفائكم ؟ » فقال لهما : « عجيب ما تقولانه .. اننا نقاتل بسيوفنا في سبيل الله وإعلاء كلمته وإرجاع حقنا القومي الى نصابه ، فمن ساعدنا وأيدنا فهو صديقنا ، ومن نكص عنا ، وأحب أن يفت في عزائمنا فهو لا يريد بنا الخير ، ونحن لا نسفك الدماء الا في حقها ، فاذا رأيتم اننا على خطأ فأنتم تضمرون لنا غير ما تعلنون . وانني لانتظر رد حكوماتكم ، لا ردودكم الشخصية ،أنا أعتقد أن الترك وحلفاءهم اليوم سيقرون ما فعلناه ويقبلون الصلح وهذا أمر نحبه » . فقالوا : هل تشك سموك في إخلاصنا ؟ قال : « لا ، لكن نحن أعلم بما ينبغي لنا أن نفعله من أجل القضية العربية [1] » .

وفي اليوم الثاني جاء الرد من السيد ستورمر وزير خارجية روسيا القيصرية ، وقد اعترف باستقلال البلاد العربية وبملكية صاحب الجلالة الهاشمية الحسين بن علي ملكا على الأمة العربية ، مقدماً تحيات جلالة القيصر نيقولا الثاني الى جلالته وتحياته هو الى الأمير عبد الله وزير الخارجية وإلى الحكومة . فبلغ الأمير عبد الله هذه البرقية الى دول

(١) لا شك ان الحلفاء الانكليز والفرنسيين لم يكونوا ابدا راضين كل الرضى عن المبادهات التي كان يقوم بها قادة الثورة العربية من حين لاخر والتي تخدم المصلحة العربية اولا لانهم كانوايريدون من الثورة العربية ان تكون بالنسبة لهم مثل الصقر يصطاد الحبرية ولا يأكل منها شيئا ... ولذلك كانت مساعداتهم للثورة أقل من القليل ! /راجع العماد مصطفى طلاس .

الحلفاء . فقال العقيد ولسن : أتعد هذا اعترافا منه يا سمو الأمير ؟ فقال : وكيف يكون الاعتراف اذن ؟ فقال : « تكرم اذا بقبول التهاني الشخصية على أن أقدم التهاني الرسمية بعد تلقي الاعتراف من حكومتي (١) ».

وبعد مباحثات بين الحكومتين البريطانية والفرنسية ، اتفقتا على الاعتراف بالشريف ملكا على الحجاز فقط ومخاطبته بلقب « صاحب السيادة » وليس بلقب « صاحب الجلالة» وفي ١٠ كانون الأول ١٩١٦ أرسل ولسن وبريمون جواب حكومتها على هذا الاساس . وقد جاء في رسالة الحكومة البريطانية ما يلي :

« ان الحكومة البريطانية وحكومتي فرنسا روسيا - مع أنها تعتبر وستظل تعتبر سموكم الرأس الأسمى للشعوب العربية في ثورتها ضد الحكم التركي الظالم - يسرها علاوة على هذا ان تعترف اعترافا واقعيا بسموكم حاكما شرعيا مستقلا للحجاز - ولكنها في الوقت الحاضر لا ترى ان الفرصة مناسبة لاتخاذ لقب بمعنى الملك الذي قد يكون سببا لتفريق كلمة العرب وتفكيك عرى جامعة الاتحاد بينهم في مثل هذه الظروف ، ومن ثم قد يؤثر تأثيراً سيئاً على تأسيس جزيرة الحرب سياسياً وبشكل نهائي على أساس متين ثابت الاركان (٢) ».

---

(١) المرجع السابق ص ١٣٣ .

(٢) راجع النص الكامل للرسالة في المراسلات التاريخية عدد ٦٠ص٩٣-٩٤ ، وراجع ايضا رسالة الملك حسين الى ونجت حيث يدافع عن هذه المبايعة وهذا اللقب بتاريخ ١٣ / ١٢ / ١٩١٦ - المراسلات التاريخية ، العدد ٦١، ص٩٤ - ٩٦ ، راجع رسالة الشيخ رشيد رضا الى الملك حسين من القاهرة بتاريخ ١٩١٦/١٢/١٨ يهنئه باعلان نفسه ملكا على العرب - المراسلات التاريخية - عدد ٦٢ ص٩٦-٩٧ .

راجع العماد مصطفى طلاس ، الثورة العربية الكبرى ، ص ٣٤٣-٣٤٦ .

تأبين الشريف الهاشمي :

نفي الشريف الهاشمي من وطنه ، ابعد ذاك الأسد عن عرينه الى قبرص ، وقد لاقى شيخ قريش العذاب والآلآم ، وفي أواخر عام ١٩٣٠ أذن له الانجليز بالسفر الى عمان وقد صحبه الملك عبد الله والملك فيصل وفي الثالث من شهر حزيران ١٩٣١ (١٣٥٠هـ) انتقل الحسين بن علي الى رحمة الله وفي الرابع من هذا الشهر دفن في القدس التي افتداها بملكه وعرشه ، وقد شاركت في جنازته عدة وفود عربية كما شيعته دموع الملايين من العرب ، وقيل في رثائه عدة قصائد ، ومنها قصيدة أمير الشعراء أحمد شوقي يقول :

« لك في الارض والسماء مآتم قام فيها ابو الملائك هاشـــــم

قعد الآل للعزاء وقامـــــــت باكيات على الحسين الفواطم»

* * * * *

يا ابا العلية البهاليل ســــــــل آ بائك الزهر هل من الموت عاصم

المنايا نوازل ، و الشعر الابيـــض جارات كـــل اســـود قاحــم

ما الليالي الا قصار ولا الدنيا سوى ما رأيــت احــــلام نائـــم

انحسار الشفاه عن ســـن جذلان وراء الكـــرى الى سن نـــادم

سنّة افرحت واخرى أســــاءت لم يدم في النعيم والكرب حالـم

* * * * *

المناحات في ممالك ابنائـــك بـــدرية العـــزاء قوائـــم
تلك بغداد في الدموع وعمان وراء السواد والشـــام واجم
والحجاز النبيل ربع مصـــل من ربوع الهدى وآخـــر صائـــم
واشتركنا فمصر عبـــرى ولبنان سكوب العيون باكي الحمائـم

* * * * *

قم تأمل بنيك في الشـرق زيـن التاج ، ملء السرير، نور العواصـم
الزكيون عنصراً مثل ابراهيـــم والطيبـــون مثـــل القاســـم
وعليهم اذا العيون رمتـــهم عوذ من محمـــد وتمائـــم
قد بني الله بيتهم فهو بـــاق ما بنـــى الله ماله من هـــادم
دبروا الملك في العراق وفي الشام فسنوا الهـدى وردوا المظالـــم
امن الناس في ذراهم وطابـــت عرب الارض تحتهـــم والاعاجـم
وبنوا دولة وراء فلسطـــين كعاب الهدى فتـــاة العزائـــم
ساسها بالأناة اروع كالداخـــل ماضي الجنان يقظـــان حـــازم
قبرص كانت الحديد وقد تنـزل قضبانه الليـــوث الضراغـــم
كره الدهر ان يقوم لـــواء تحشر البيد تحته والعمائـــم

* * * * *

قم تحدث أبا علي اليـنـــــــا كيف غامرت في جوار الاراقم

لم تبال النيوب في الهام خشنا وتعلقت بالحواشي النواعـــــم

هات حدث عن العوان وصفها لا ترع في التراب ما أنا لائـــم

كلنا وارد السراب وكـــــل حمل في وليمة الدهر طاعـــم

قد رجونا من المغانم حظـــــا ووردنا الوغى فكنا غنائـــــم

* * * * *

قد بعثت القضية اليوم بعثـــا رب عظم آتى الامور العظائـــم

أنت كالحق الف الناس يقظـان وزاد ائتلافهم وهو نائـــــــم

انما الهمة البعيدة غـــــرس متأتي الجنى بطيء الكمائـــــم

ربما غاب عن يد غرستـــــه وحوته على المدى يد قـــــادم

حبذا موقف غلبت عليـــــه لم يقفه للعرب قبلك خـــــادم

ذائدا عن ممالك وشعـــــوب نقلت في الاكف نقل الدراهـــم

كل ماء لهم وكل سمـــــاء موطيء الخيل او مطار القشاعـــم

لِمَ لمْ تدعهم الى الهمة الشماء والعلم والطماح المزاحـــــم

وركوب اللجاج وهو طـــواغ والسماوات وهي هوج الشكائـم

والى القطب والجليد عليـــــه والصحارى وما بها من سمائـــم

* * * * *

اغسلوه بطيّب من وضوء الرسول كالورد في رباه البواســـــم
وأخذوا من وسادهم في المصلـى رقعة كفنوا بها فرع هاشـــم
واستعيروا لنعشه من ذرى المنبـر عودا، ومن شريف القوائـــم
واحملوه على البراق ان اسطعتم فقد جلّ عن ظهور الرواسـم
واديروا الى العتيق حسينـــــا يبتهل ركنه وتدعو الدعائـــم
واذكروا للأمير مكة والقصـــر وعهد الصفا وطيب المواسـم
ظمىء الحر للديار وان كــــان على منهل من الخلد دائـــم

* * * * *

نقلوا النعش ساعة في ربى الفتح وطوفوا، تربه في المعالـــم
وقفوا ساعة به في ثرى الاقمـار من قومه وترب الغمائـــم
وادفنوه بالقدس بين سليمــــان وداود والملوك الأكـــــارم
انما القدس منزل الوحي مغنـى كل حبر من الأوائل عالـــم
كنفت بالغيوب فالارض اسرار مدى الدهر والسماء طلاسم
وتحلّت من البراق بطغــــــراء ومن حافر البراق بخاتـــم»

* * * * *

وقد قال شاعر الأردن عرار في تلك المناسبة :

علمتنا كيف الفناء بحب امتنا يكـــــــون ،
واعز ما ملكت يدان وما يعز المالكـــــين
في نصرة المثل العلية كيف يجدر ان يهـــون
غامرت بالتاج الثمين تصون بالعرش المكـين
المسجد الأقصى وحقّ بني ابيك بفلسطـــين
لا غرو ، اولى القبلتين أن اصطفيت لها خدين
ما زلت بين حماتها في السابقين الأولـــين
أأصبت أم أخطأت في مسعاك نهج المحسنـين
شأنان لن يعنى بمثلهما مؤرخك الرّصـــين
يكفيك أنّك كنت عفّ النّفس وضّاح الجبيــن
لم تَشْرِ ، إذ بلفور سامك موطنا ، دنيا بديــن

ثورة قريش
في رثاء الحسين بن علي

للشاعر شفيق جبري

تلكم قريش وما جفت عواليهـــا

على الحطيم ولم تنشف مواضيهـا

من ذاكر في ظلال البيت ثورتها؟

والعهد غير بعيد عن لياليهــــــا

نار بمكة أذكاها حلاحلهــــــــا

فهاجت النار بالفيحاء تذكيهـــــا

رجعت طرفي الى الماضي فروعّني

يوم بجلّق فتاك بأهليهـــــــــــا

أكاد أنسى على الايام روعتـــــه

لولا تهاويل من ذكرى أناجيـــها

وكيف أبعثها والترك جيرتنـــــا

ما بيننا اليوم أضغان نقاسيهـــــا

فنحن في الشرق اخوان تؤلفنـــا

هذي الجراح وقد سالت دواميهـا

عداوة الترك كانت أمس واشجة

تجري الدماء على اطراف مجريهـا

واليوم أنقرة ماجت مواكبهـــا
بفيصل واحتفى بالعرب غازيهـا
ويح السياسة ما أخفى مساربها
على العيون وما أقصى نواحيهـا
في كل يوم أساليب ملونـــــة
بحائر اللون تخفيها وتبديهـــا

* * * * *

قم في قريش وردد في مضاربهـا
هذي المراثي وما تغنى مراثيهـا ؟
قضى الحسين فهاجت في خواطرنا
ذكرى الحسين منى فسحاً مراميها
يا ابن النبي وما الأذان سامعـــة
فهل تلبي زحوفا أنت داعيهـــا
لما رأيت قلوب العرب واجفـــة
من الشدائد ما تسجو سواجيهـا
وأهل جلق بالاعواد عالقـــــة
أعناقهم وسيوف القوم تفريهـا
مبعثرون على الاوطان تلحظهم
عين المنية ما تغفو غوافيهـــــا

بعثتَها ثورةُ دهواء مائجـــــــــــة
بالهاشميين مخضوبا حواشيهــا
حمراء أوقد جنبيها القنا ، وسقــى
فتيانها من نجيع الترك ساقيهــا
على الحطيم رفات من حصائدهـــا
وأربع الشام ريا من أضاحيهــا
أبناؤك الغر ثاروا في طلائــعـــهــا
يستعذبون المنايا في معاليهـــا
ما زلت بالقوم حتى انجاب ظلهـــم
عن الحمى ورمى بالترك راميها
صمدت صمدة جبار فما اختلجت
منك الجوانح في جلى تعانيهــا
النار محدقة بالقصر ملـــهــبــــة
وأنت في صلوات الله تقضيهــا
فلم يرعك اجيج من تلــهــبــهـــا
ولا أثارك وهج من ذواكيهــا
شيخوخة صقل الايمان طلعتـــهـــا
الله حارسها والبيت حاميهـــا

ضحيت بالتاج لم تعبأ برونقـــــه

ضحية ذقت في المنفى تواليـــهـــا

فأين ملك سكبنا في فتوتـــــــه

دما نقيا فكان الملك تمويهـــــــا

هواجس كسراب القاع ملهيـــــة

تفسح البال حينا في ملاهيهـــــا

يا يوم فيصل طاح التاج وانقلبـــت

تلك المنى وطوى الامال طاويهـــا

ما كان أعذب أحلاما حلمت بهـــا!

وكيف تبقى على الدنيا أمانيهـــا؟

* * * * *

مشـت الينا قريش في اراهطهـــــا

تملي علينا المعالي في أماليهـــــا

صحائف كاحمرار الافق مشرقـــة

يفيض روح الأضاحي في معانيهـا

تبنى الشعوب على الاشلاء نهضتها

فما يزلزل ركن من مبانيهـــــــا

على المقابر أشباح مخلـــــــدة

معنى الحياة كمين في خوافيهـــــا

تكاد تحمل اسرار السنيـــــن ومـــا

تضمنتـــه الليالـي فـــي دياجيهــــــا

تهز كل ضعيف في هوادتـــــــه

حتى يثور ويوحي العز موحيهــــــا

وللشعوب عظات في غوابرهـــــا

تهيج روح المعالي في بواقيهـــــــا

حرية القوم ما زالت مضرجـــــــة

بقاني الدم مصبـــوغ مطاويهـــــا

نمت على (السين) منها غرسة رويت

من الدماء ولم تذبل نواميهـــــــــا

فروعها في فجاج الارض باسقـــة

ينال كل هضيم من مجانيهـــــــــا

فليس بدعا اذا قامت على بـــــردى

منهـــا منابـــت محمـــر سواقيهـــا

على اعتلاج القنا تذكـــو مغارسهـــا

وفي اضطراب الوغى تصفو مساقيهـا

يبيت كل هشيــــــم في جوانبهــــا

مسهدا في الثرى يرعى ضواحيهــــا

أيهدمون حماها بعد أن مـــــلأت

مذاهب الأرض قاصيهــا ودانيهـا

في عصفة الريح حس من مصارخها

وللعبـــاب هديـر مـن أغانيهــا

فليس يطفأ نور من مشارقهـــــا

ولا يهـدم مسعـى مـن مساعيهــا

* * * * *

آل الحسين عزاء في مصابكــــم

وقــد ترفــه عـن نفس تعازيها

فما انفردتم بخطب هز بيتكـــم

وإنما الخطب خطب العرب يبريها

لله قربى على الاحقاب خالــــدة

أمية جددت فيكم أواخيهــــــا

هــذي المرابــع مــا تنفك شاغـرة

فهل لهاشم أن تحتل واديهـــا (١)

* * * * *

(١) من ديوان الشاعر شفيق جبري · نوح العندليب ، منشورات مجمع اللغة العربية ، دمشق ، ١٩٨٤ ، ص١٥٨-١٦٤ ، وقد ألقى الشاعر هذه القصيدة في ١٩٣١/٧/١٥ .

كما قال الملك عبد الله بن الحسين في تأبين المغفور له المنقذ الاعظم الملك الحسين بن علي :

ايها السادة الكرام،

الحمد الله الذي يجري قضاؤه بما شاء ، واياه نستلهم الصبر الجميل والعزاء ، فهو الموئل والمفزع ، واليه المآل والمرجع ، والصلوات الزاكيات والتحيات الطيبات على خير خلقه وآله وصحبه.

اما بعد فلست بالوحيد الذي يعالج برحاء الهموم وقد اخذت منه بالكظم فأغصته بريقه واشرقته بدمعه!

فكل عربي اليوم يتصدع مثلي حسرات ويتقطع زفرات لما رزىء به العرب من فقد منقذهم الاكبر وعمادهم الارفع ساكن الجنان مولانا الحسين بن علي رضي الله عنه وأرضاه

اني في هذا الخطب الجلل لبعضكم وواحد منكم ينوبني منه ما ينوبكم ، ويفدحني من لواعج شجوه ما يفدحكم ، ولذلك قدمت القدس الشريف من عمان ملبيا لدعوتكم الكريمة شاكرا لكم اختصاصي برئاسة الحفلة وان تكون تحت رعايتي ، ولقد جئت مشتركا في العاطفة معكم ، مشاطرا في الكارثة لكم ، وان الفقيد العظيم لوالد العرب اجمع – فلقد كان عليهم حدبا وبهم شفيقا وليست لحمة النسب بأوثق عروة من صلة الروح بالروح ، وتلك حال الامة مع فقيد الامة . واني لأسأل الله الذي وحد شعور العرب بمولانا الحسين مرة اخرى في مماته كما كان يؤلف قلوبهم في حياته ان يمد في اجل ذلك الاتحاد المحمود الذي له اثره وخطره ، وبذلك تقّرعين الفقيد العظيم كلما اطلع على ابنائه العرب من غرف النعيم .

وان اكبر تعزية لنا عن ذلك الرزء الجسيم انما هو هذا الاشتراك الواحد في الشعور والألفة الفذة في العاطفة . ان في ذلك برهانا ناصعا على الحياة الفياضة تدب في جوارح العرب فتنبض بها عروقهم ، وتختلج جوانحهم ، وتهتز لها بلادهم جذلا وغبطة ، ثم إني اشكر الهيئة المحترمة التي قامت بترتيب هذه الحفلة الفائقة، واشكر الخطباء والشعراء والادباء والحضور كافة ممن وفد لهذا الغرض من كل أوب نأء او دنا للقيام بالواجب البنوي نحو الأب البر ، الراحل عنا بجسمه ، المقيم بين ظهرانينا بروحه ، وافتتح هذه الحفلة باسم الله الذي قيض لنا هذا الاجتماع الشامل للعرب على اختلاف الامصار ، واياه نحمد وبه نستعين .

* * * * *

« ضحّى بملكه وتاجه وعرشه في سبيل البلاد التي سعى لاستقلالها ووحدتها ، ورفض باباء وشهامة ، الموافقة على تقسيمها واذلالها »

يقول الحاج أمين الحسيني في تأبين الملك الراحل :

الحمد الله الذي لا يحمد على المكروه سواه ، (خلق الموت والحياة ليبلوكم ايكم احسن عملا) ، والصلاة والسلام على سيد المرسلين وآله وصحبه وجميع النبيين.

اما بعد ، فاننا نحتفل بذكرى فقيد العرب العظيم ، شيخ قريش ، ملك الامة العربية وقائدها ، وزعيم نهضتها ، صاحب الجلالة الشريف الهاشمي ، الملك حسين بن علي ، تغمده الله برحمته ، واسكنه فسيح جنته ، وجزاه خير الجزاء عن هذه الامة العربية التي عاش جاهدا لنهضتها ، دائبا لرفعتها ، مضحيا في سبيل استقلالها ، النفس والنفيس ، والطارف والتليد ، والعرش والتاج ، وظل مخلصا لها الى النفس الاخير ، فكان لهذه الامة المثل الاعلى في الاقدام والشجاعة ، والصبر والجلد ، والدأب والعزم والتنضحية ، وغيرها من المزايا العالية ، والخلال السامية .

ليس من المستطاع تصوير تلك النفس الكبيرة ، والروح العظيمة ، وكيف نصف تلك الشجاعة التي تحير العقول ، ورباطة الجأش التي ظهرت منه حين اطلق الرصاصة الاولى مؤذنا بالثورة ، فقابلته الجنود المرابطة في قلعة « جياد » باطلاق القذائف من مدفعها على قصره ، فجعلت تتساقط عليه من كل جانب ، وتخترق الغرفة التي كان جالسا فيها و وتتناثر شظاياها القتالة ، ذات اليمين وذات الشمال ، والغرفة

تهتز وتكاد تنهار اركانها ، وهو رابط الجاش لم يتحرك من مجلسه ، ولم يصغ الى من كانوا يرجون منه مغادرة مكانه ، وكلما اهتز القصر وماد من وقع القذائف الضخمة قال له (قر يا قصر هذا ميدك ما هو ميدي). ام كيف نصف عزمه وقوة ارادته ، اذ يذكر الذين رافقوه في حربه الى عسير كيف كان جيشه المؤلف ، حينئذ، من جنود نظامية وغير نظامية خارجا من المعارك منهوك القوى،وقد أصيب نحو نصفه بالوباءالاصفر ، وقد اجتمع قواده من نظاميين واشراف ورؤساء عشائر ، واجمعوا امرهم على ان من المتعذر عليهم ، الانتقال من مكانهم ، واستئناف الحرب وهم على هذه الحالة ، فدخل حينئذ خيمته وقد حسبوه اذعن لآرائهم ، واذا به يخرج بعد دقائق ويمتطي راحلته ويسير منفردا نحو جيش اعدائه ، فلم يسع من معه الا اللحاق به . وقد كانت شجاعته ورباطة جأشه ، وعزمه وقوة ارادته ، في الحادثة الاولى والثانية ، السبب الاكبر في بث روح الشجاعة والعزم في نفوس رجاله وجيشه ، وبذلك كتب له الفوز والنصر المبين.

ولا يتسع الوقت لسرد ما اشتهر عنه من غرائب الصبر والجلد ، والدأب المستمر ليلا ونهارا!

اما التضحية فقد ضرب لنا فيها المثل الاعلى اذ ضحى بملكه وتاجه وعرشه في سبيل البلاد التي سعى لاستقلالها ووحدتها ، ورفض باباء شهامة ، الموافقة على تقسيمها واذلالها . وكان لامته القدوة الطيبة في التضحية ، التي لا تنال امة مبتغاها بدونها ، والتي هي من اهم الاركان في نهضات الامم واستقلالها . التضحية التي لولاها لما قام نظام او عمران في الكون ، ولما نهضت أمة وانتظمت دولة ، ولما ذاد

جندي عن حياض وطنه ، ولا استبسل مخلص في سبيل مبدئه ومعتقده، ولا بذل عالم في سبيل العلم او الاختراع ماله ومهجته ، ولا جازف مكتشف في سبيل اكتشافه ، بل ولا بذل اب جهدا في سبيل ابنائه ، ولولا فكرة المجازفة والتضحية لما جنى احد ثمرة جهودة ، ولما حصد الزراع نتيجة ما بذله في ارضه من مال ومن جهد ، والله سبحانه وتعالى يقول (اني لا اضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى بعضكم من بعض فالذين هاجروا واخرجوا من ديارهم واوذوا في سبيلي ، وقاتلوا وقتلوا ، لاكفرن عنهم سيئاتهم ولادخلنهم جنات تجري من تحتها الانهار ثوابا من عند الله والله عنده حسن الثواب) .

التضحية هي تلك الخلة الكريمة المباركة ، وهي الدرس العملي الاخير ، الذي املاه علينا ذلك العاهل الكبير واراد تعليمنا اياه ، لنوقن ان لا نجاح بدون أن نوطن النفس على التضحية التي نحن احوج ما نكون اليها ، وقديما كنا احق بها وأهلها ، فلما نسيناها نسينا العز والمجد ، وحل بنا الذل والوهن.

وان اعظم ما نخلّد به ، ذكرى فقيدنا العظيم ، ان ننسج على منواله ، ونتبع خطواته في تحقيق غاياته ، وان نتلقى عنه الدرس الذي املاه علينا في التضحية لاجل البلاد وفي سبيل الاستقلال (١)

القيت في حفل تأبين الحسين بن علي في القدس – ١٩٣١

(١) دراسات في الثورة العربية الكبرى ، ذكرى مرور نصف قرن ، ١٩٦٦ ، ص٥٧.

الوثبة الجريئة ، مع ما تبعها من الصلابة في الحق ، والضحايا الغالية في سبيل الغاية الشريفة ، هي الميزة العظمى التي تميز بها الحسين »

ويقول فارس الخوري حول هذا المعنى :

مهما كانت فجيعتنا بالحسين عظيمة فان منزلته في نفوسنا اعظم ليست هذه المنزلة الرفيعة التي تبوأها سيدنا الحسين بن علي في قلوب العرب ناشئة عن كونه ملكا ، فقد كان للعرب وما زال لهم ملوك آخرون في آسيا وافريقيا استحوذ بعضهم على سلطان الرقاب دون سلطان القلوب .

ولا عن انتمائه لبيت النبوة الاشراف ، فان هذه المزية النسبية يشاركه بها عشرات الالوف من المنتسبين الى هذه الشجرة الباسقة - وانما احرز هذه المكانة واحتل هذه المنزلة الممتازة ، الوثبة الجريئة التي وثبها في اشد الادوار حرجاً ، لتخليص العرب كافة من السلطان الاجنبي الذي اجتاح ديارهم ، ولجمعهم وتوحيد صفوفهم ، تحت لواء الاستقلال .

هذه الوثبة الجريئة ، مع ما تبعها من الصلابة في الحق ، والضحايا الغالية في سبيل الغاية الشريفة ، هي الميزة العظمى التي تميّز بها الحسين ، فدونت له في تاريخ العرب صفحة خالدة تتلى على الدهر بالمباهاة والفخر ، وتبقى لامراء العرب وزعمائهم اقباسا يستضيئون بها ، ويجرون على مثالها ، لتحقيق الهدف السامي الذي يسعون اليه ، من جمع كلمتهم ، وضم شملهم المتصدع .

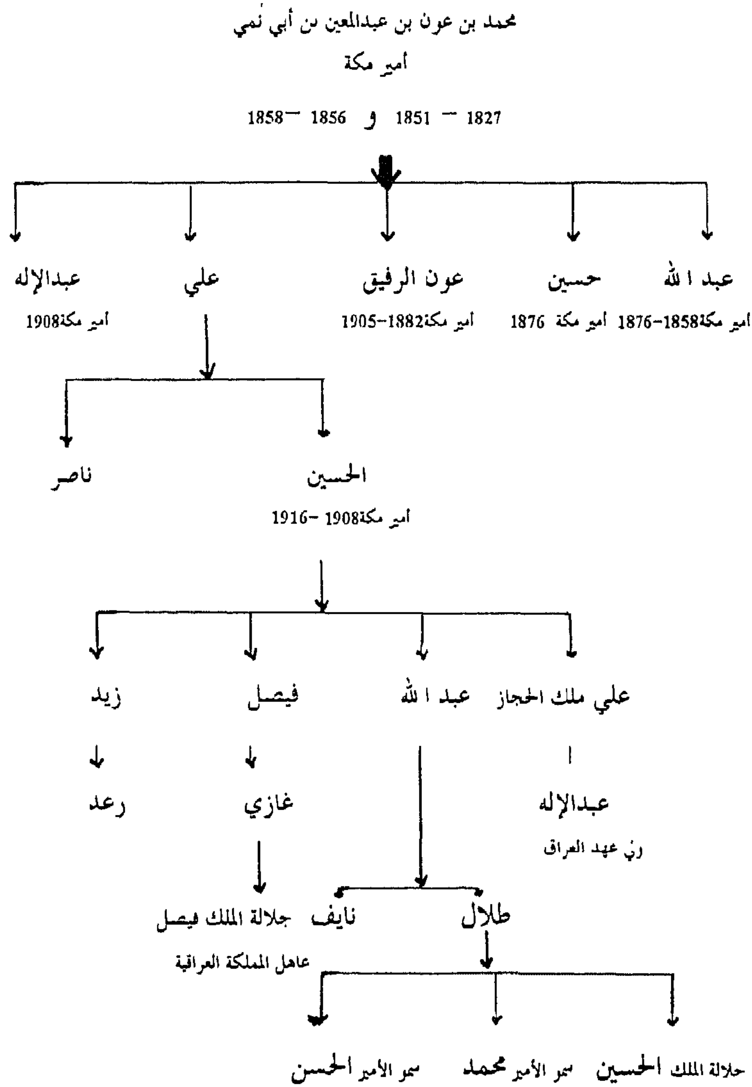
رحم الله سيدنا الحسين ، ونفع الامة العربية بأعماله الخالدة ، ومثاله الصالح .[1]

القيت في حفل تأبين الحسين بن علي في القدس - ١٩٣١

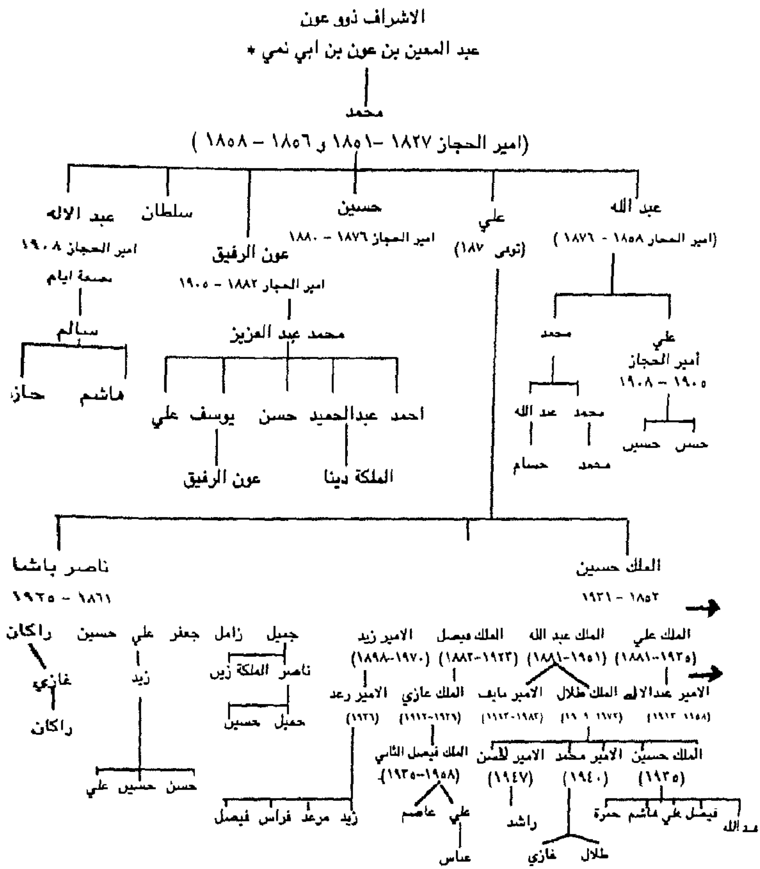
---

(١) المرجع السابق ، ص ٦٠ .

ذوو عون

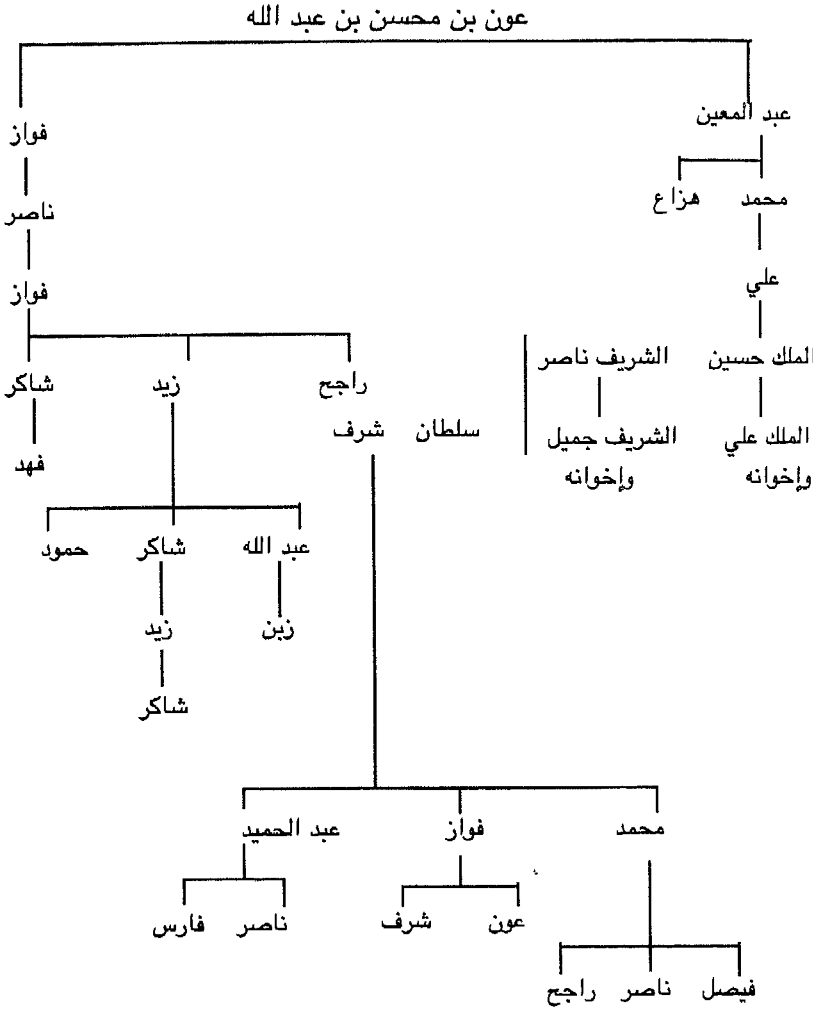


(1) انظر الشجرة التالية من الأستاذ سليمان موسى، فهي أكثر وضوحاً.

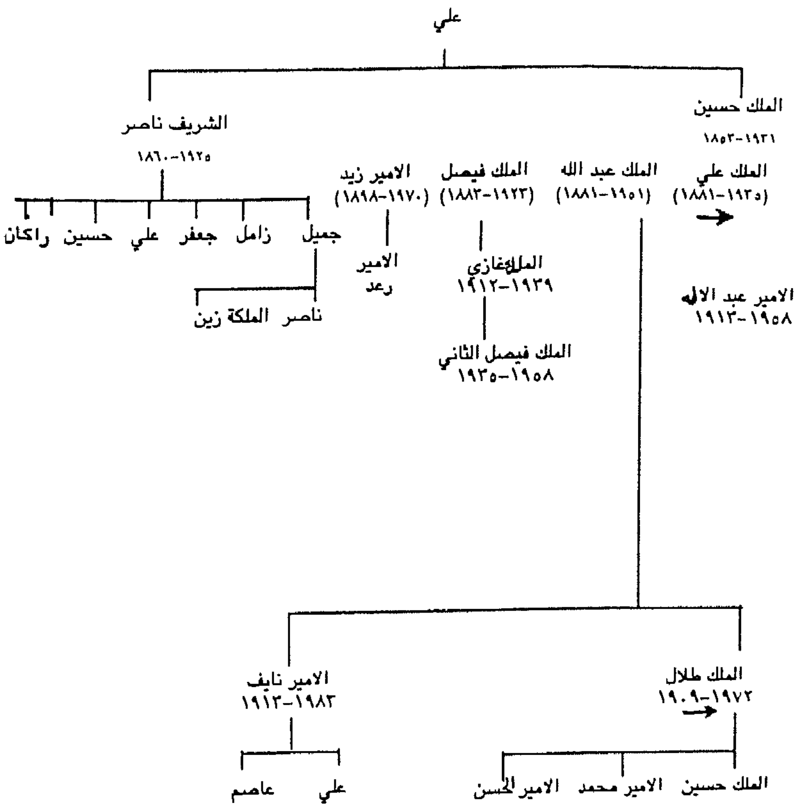


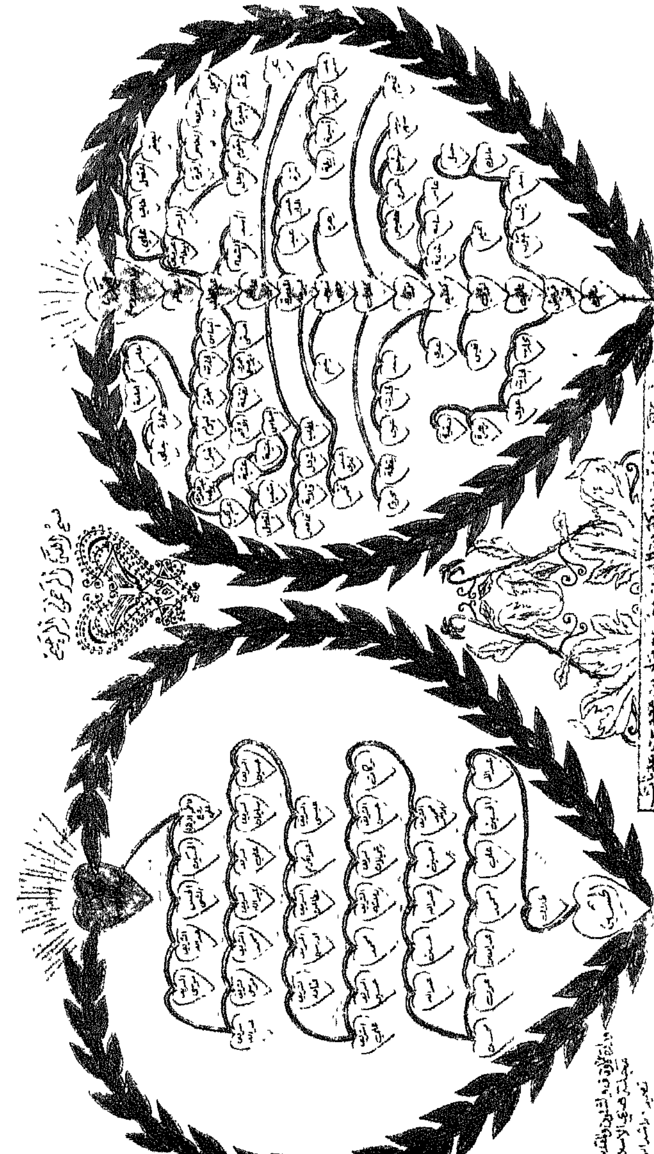
* سليمان موسى   مذكرات الامير زيد ، مركز الكتب الاردني، عمان ، ١٩٩٠

الاشراف ذوو عون



الاسرة الهاشمية المالكة





الفصل الثاني

﴿ العثمانيون والعالم العربي ﴾

العثمانيون والعالم العربي
١٢٠٠/ ١٧٨٥ - ١٣٤٢/١٩٢٤م

ستبقى الأراءحول هذه الحقبة من التاريخ ، بل وحول العهد العثماني كله ،مختلفة ومتضاربة. ولكن هذه الحقبة تختلف عن العهد العثماني الذي سبقها بمحاولات الاصلاح والتغيير التي حاول السلاطين والوزراء ادخالها الى البلاد بشكل عام والى اجهزة الحكم بشكل خاص ،وانقسمت آراء العرب حولها وحول جدواها . وإذا كان البديل هو الاحتلال الأوروبي فهو أشد ضررا من الاستبداد العثماني مع كل ما يرافقه من فساد . وأعتقد أصحاب هذا الرأي ان تمزيق الدولة العثمانية سيؤدي إلى قيام دويلات ضعيفة عاجزة عن حماية نفسها . وآمن هؤلاء بإمكانية تطوير جهاز الحكم العثماني ليصبح قادرا على حماية البلاد من الأخطار الخارجية ومنح المواطنين قدرا اكبر من الحرية والديمقراطية وزيادة كفاءة أجهزة الحكم . ولم يؤيد هذا الرأي كثيرون من الذين فقدوا كل أمل بالإصلاح لأن الدولة العثمانية دولة همجية «تسوس بما يقضي هواها وتعمل » بل إن شاعراً مثل شوقي نظم ثمانيَ عشرةَ قصيدة في مدح الترك والسلطان العثماني وجرى دم تركي في عروقه لم يتورع عن وصف دولتهم :

لم تغادر قلماً في راحة　　　دولة ما عرفت إلا الحرابا
أقعد الله الجبرتيَّ لهـا　　　قلما عن غائب الاقلام نابا

ولكن خطر الاحتلال الأوربي وجّه تفكير أهل المناطق التي احتلها الأوربيون أوهددوها بالاحتلال الى التشبث بالأمل العثماني الواهن. وثبت عند عرب افريقية « اليقين بأن دول النصرانية تطارد دول الاسلام وقويت فيهم النزعة الدينية » ورأوا « في الخليفة الموئل الأخير لأمم الاسلام جميعا » . واتجهت أنظار المسلمين نحو الآستانة يستمدون منها مدد السيف والمدافع بالاضافة الى المدد المعنوي.

وشعر سلاطين بني عثمان والقائمون بالأمر في الآستانة بأن واجباتهم نحو المسلمين تفرض عليهم ان يكونوا أقوياء . واعتقدوا ان القوة العسكرية ضرورية لحماية البلاد لا بد وان ترتكز على جهاز اداري حديث وعلى بنية اقتصادية قادرة على تمويل هذة المتطلبات . وبدأ الاصلاح بمفهومه الجديد في عهد السلطان العثماني التاسع والعشرين سليم الثالث وهو الخليفة الحادي والعشرين من سلاطين الأتراك الذين وحدوا العالم العربي وأخضعوه لحكمهم . وقرن سليم ، مثل غيره من مصلحي الشرق ، بين الاصلاح ووجود جيش كبير قوي حديث قادر على حماية الحاكم وصيانة عهده والدفاع عن النظام الاجتماعي القائم وصد غادية الطامحين .والتزم سليم بمبدأين في الاصلاح هما: أولا جعل الجيش هدفا للاصلاح وركنا له وثانيهما . ازدواجية المؤسسات والأنظمة. وبقيت المؤسسات القديمة واستمرت رعاية الدولة لها جنبا الى جنب مع المؤسسات الجديدة . وأسس سليم جيشا جديدا سماه النظام الجديد ولكنه لم يتعرض للجيش القديم فبقيت القوات الانكشارية قادرة على التدخل ضد السلطان . وأثبت الجيش الجديد كفاءة في الدفاع عن عكا ضد الافرنسين . وحاول واليا مصر خسرو باشا ومحمد علي باشا اعداد جيش جديد في مصر

على النمط الأوروبي ففشل الأول ونجح الثاني . وتدخل المماليك في مصر لافشال (خسرو) وعزله وابعاده. كذلك تدخل الجيش القديم في استانبول للقضاءعلى الجيش الجديد فيها فخسر السلطان حكمه وحياته بسبب ذلك .(١)

* * * * *

في مطلع القرن السادس عشر الميلادي سيطر الأتراك العثمانيون على بلاد الشام حوالى سنة ٩٢٢هـ/١٥١٦م، وأدخلوا نظامهم الاداري الخاص بهم ، وقد جعلوا بلاد الشام أثناء القرن الثامن عشر الميلادي ثلاث ولايات بارزة (إيالات) وهي :-

١-ولاية طرابلس .

٢-ولاية دمشق ويتبعها عشرة أقضية منها بيروت ودمشق والقدس وغزة ونابلس والكرك.

٣- ولاية حوران ويتبعها سبعة وعشرون قضاء .

وفي خلال القرن التاسع عشر ، وهو القرن الأخير من حياة الدولة العثمانية . يذكر المؤرخون أن شخصيات أردنية دخلت مجلس المبعوثان العثماني ، ففي المجلس الثاني والثالث كان منهم على سبيل المثال لا الحصر الشيخ توفيق المجالي عن الكرك ، وسعد الدين المقداد عن لواء حوران ، كما أن

---

(١) د. عبد الكريم عرايبة تاريخ العرب الحديث ص٢٤١-٢٤٢ ، وانظر سلاطين آل عثمان ، ولعل من الكتب الجيدة التي تناولت الدولة العثمانية والجوانب المضيئة في تاريخهم كتاب الاستاذ رياد أبو غنيمة « جوانب مضيئة في تاريخ العثمانيين الاتراك» ركز فيه على موقفهم الصلب في وجه المطامع الصهيونية في فلسطين ، كما تناول التسامح الديني في زمن العثمانيين وهي ميزة ايجابية انكرها الحاقدون ، كما لعبوا دوراً رائدا في اعادة لحمة الوحدة الاسلامية ، ولم يكونوا مستعمرين أو مستبدين ... وغير ذلك من الموضوعات التي لا يسمح المقام بعرضها ... وهذا الكتاب من منشورات دار الفرقان ، عمان ، ١٩٨٣.

رجالات من الأردن اشتركوا في الثورة على الباب العالي العثماني ومن أمثلتها ثورة شيخ سوف بزعامة حسن بركات وثورةالشيخ قبلان زعيم العدوان في القرن التاسع عشر ذاته. وفي مطلع القرن العشرين . كانت ثورة الشوبك سنة ١٩٠٥م وثورة الكرك ١٩١٠م (١).

* * * * *

لم يكن قانون الخدمة العسكرية شاملا لواء الكرك اثناء الحرب ، ولكن بقية المناطق في الاردن اكتوت بناره فسيق الشبان الى ميادين القتال المختلفة حيث لقي اكثرهم حتفه . على ان لواء الكرك لم يظل مستمتعا بذلك الامتياز طيلة سنوات الحرب ، ففي سنة١٩١٦جاء محمد جمال باشا (قائد الفرقة الثامنة) الى الكرك وجمع زعماء اللواء وشيوخه وشرح لهم خطورة الموقف العسكري والواجب الملقى على كاهل كل عثماني بان يقدم كل تضحية ممكنة ، ثم طلب منهم ان يقدموا متطوعين للخدمة داخل حدود لواء الكرك ، فوافقوا على ذلك الطلب وأخذوا وثيقة خطية موقعة منه بهذا المعنى ونتيجة لذلك تألفت فرقة متطوعين من الخيالة . وقد قررت الحكومة الاستيلاء على حاصلات البلاد الزراعية ،، وكان ذلك القرار يقضي بان لا تترك للمزارعين سوى كمية البذار للسنة المقبلة بالاضافة الى ٣٠٠ جرام من القمح يوميا لكل نفر ، وأخذت الحكومة تنفذ قرارها هذا بواسطة شركات ملتزمة على طريقة التعهدات . أما الحاصلات المصادرة فقد أخذت الحكومة تدفع أثمانها بالعملة الورقية بعد ان تقدر لها أسعارا بخسة تقل عن السعر الدارج في السوق . ولقد ألحق الأتراك بالأردن أضرارا لا يمكن تعويضها ، اذ أنهم قضوا على معظم ثروة البلاد الحرجية التي استعملوها وقودا لقاطرات سكة الحديد بعد ان فقدالبترول . وأنشأت الحكومة عام ١٩١٦ خطا فرعيا لسكة الحديد طوله اربعين كيلومتر من محطة عنيزة الى

(١) انظر الاردن في التاريخ الاسلامي ، ص١٧ .

الشوبك ليسهل نقل الحطب من أحراج (الهيشة) بعربات القطار . وفي قضائي عجلون والسلط قطعت الاف الأشجار الضخمة ، بل ان الأتراك لم يتركوا للأهلين أشجارهم المثمرة فقطعوا كميات منها ولا سيما من شجر الزيتون . وقد جندوا عددا كبيرا من الرجال للعمل في تقطيع الأشجار بالمناشير الكبيرة «الجوازير » . وفي التلال المطلة على اليرموك – وكانت تشكل غابة كثيفة من شجر البلوط – كان الرجال المكلفون بقطع الأشجار ينقلونها ويقذفون بها من أعلى التلال الى بطن الوادي حيث يتم نقلها في عربات سكة الحديد الممتدة بين دمشق وحيفا. [1] وقد اخذا اهتمام الدولة العثمانية بشرقي الاردن يزداد منذ بداية النصف الثاني من القرن التاسع عشر ، ففي عام ١٨٥١ ، جعلت من المنطقة الواقعة بين نهر اليرموك ونهر الزرقاء قضاء مركزه اربد . وعينت له (قائمقام) يتبع متصرفية حوران . كما جعلت من المنطقة الواقعة بين نهر الزرقاء ونهرالموجب قضاء آخر مركزه السلط ويتبع متصرفية نابلس . أما جنوب نهر الموجب فلم يشهد ممثلي السلطة العثمانية منذ رحيل الجيوش المصرية عن بلاد الشام عام ١٨٤٠ حتى عام ١٨٩٤ ، عندما كلف رؤوف باشا والي الشام باخضاع المنطقة وجباية الضرائب منها فسير حملة الى الكرك وانشئت متصرفية الكرك في ذلك العام . واصبحت تتبع مباشرة لولاية الشام . أما العقبة فقد بقيت تحت سلطة المصريين حتي عام ١٨٩٢ حينما الحقت بولاية الحجاز [2] وكما نعرف فإن علاقة الدولة العثمانية والبلاد العربية كانت علاقة طيبة حتى نهاية القرن الخامس عشر تخللتها المراسلات والزيارات وتبادل الهدايا والهبات !!

بل إن مراسلات ومكاتبات سلاطين آل عثمان كانت باللغة العربية حتى عهد السلطان سليم [3] كما ان من يتصفح كتاب « من أنا ؟ » للملك عبد الله بن الحسين [4] ويطلع على المرسوم العثماني من السلطان محمد رشاد إلى المغفور

---

(١) سليمان موسى وصاحبه ، تاريخ الاردن في القرن العشرين ، ص٢٩–٣٠ .

(٢) انظر علي محافظة ، تاريخ الاردن المعاصر ، ص٨ .

(٣) انظر ساطع الحصري : البلاد العربية والدولة العثمانية ، ص٢٠–٢٨

(٤) مطبعة الاستقلال ، عمان، ١٣٥٩هـ .

له الشريف حسين بن علي ، يجد التبجيل والتعظيم والصداقات الحميمة ، بل نقرأ مراسم تلاوة الفرمانات السلطانية في الأمارات الهاشمية وكيفية الرد على الفرمان ، وأحترام الحاج العثماني ، والدعاء للسلطان الأعظم والخاقان الأكرم بطول العمر والتمكين . وعندما توفيت زوجة الشريف الهاشمي الحسين بن علي الشريفة عابدية عام ١٣٠٥ هـ ، تزوج حفيدة فؤاد باشا الكبير ، وولد للحسين من هذه السيدة التركية الفاضلة ولده الرابع زيد وثلاث بنات . كما تزوج الأمير نايف بن عبد الله حفيدة السلطان عبد المجيد العثماني ؛ ... والأمثلة كثيرة كثيرة! وعلى الرغم من هذه الصداقة والعلاقات الطيبة ووشائج الصهارة (١) والنسب إلا أن العثمانيين لم يرعوا إلاً ولا ذمة ، ولم يحترموا العهود والمواثيق ، كما لم ينظروا إلى التاريخ المشترك ، والدين الواحد الذي يجمعنا في صعيد واحد ، وازاء سياسة التتريك – وغير هذا الكثير الكثير ، انكفأ السحر على الساحر ، ونال الظالم جرائر ظلمه ، وهذا ما سنتحدث عنه في فصل قادم بعنوان « الاتحاديون والعرب » .

---

(١) انظر حول هذا : مذكرات الملك عبد الله بن الحسين ، ص٨١ وما بعدها .

ثورة العرب الكبرى بقيادة الحسين بن علي

على أثر قضاء الأتراك على المماليك بقي شريف مكة متمتعا بسلطاته التقليدية في الحجاز ، وبقي العثمانيون يحكمون المنطقة أربعمائة عام حتى هزيمتهم النهائية وتفكك امبراطوريتهم في نهاية الحرب العالمية الاولى سنة ١٩١٨ . وكان الحسين بن علي على علاقة جيدة مع السلطان عبد الحميد ، وقد عينه عضوا في شورى الدولة ، وعندما شغر منصب أمير مكة بوفاة الشريف عبدالاله عم الحسين بن علي طلب الحسين بن علي من السلطان عبد الحميد العودة الى مكة ، واستجيب الى طلبه وعين أميراً لمكة . وقد أغضب هذا التعيين حزب الاتحاد والترقي لما عرف عن الحسين بن علي من حرص على القيم الاسلامية ولما له من مكانة متميزة في العالمين العربي والاسلامي ، وكان حزب الاتحاد والترقي يحاول الاستحواذ على الحكم بعد أن ظفر بما أراد من انقلاب دستوري بتوليه المناصب لكل من ينتمي الى هذا الحزب .

وبعد أن وصل الأمير الحسين الى جده ، زاره حزب الاتحاد والترقي وتكلم رئيسه قائلا : « جئنا نرحب بالأمير الدستوري الذي يؤمل من سيادته ان يضرب صفحاً عن الاصول الادارية القديمة وعن الظلم الذي يرتكبه الشريف عون الرفيق والشريف علي ، تبعا للادارة المسستبدة السابقة وإرضاء السلطان ، وان البلاد اذ تحيي سيادة الأمير الذي عرف روح العصر والتجديد المطلوب للعمل ، تحت الدستور الذي هو نبراس السلامة ».

لقد شعر الاتحاديون أن الحسين بن علي لا يسير في ركابهم، لذا بدأت الحرب بينه وبينهم من تلك اللحظة... وقف هذا الشريف الهاشمي قبالتهم، وقد عرف أعمالهم وصلاتهم الخارجية، وسنشير فيما يأتي الى تحزب هذه الجماعة وتوحدها ضد العرب والمسلمين جميعاً.

في سنة ١٩٠٨ نجح أعضاء جمعية تركيا الفتاة في انقلاب عسكري ضد السلطان عبد الحميد وخلعوه في عام ١٩٠٩م ، وبدأ الاتحاديون يخرجون عن القيم الاسلامية ويعدمون الأحرار من العرب ويرسلون الجنود العرب في حرب خاسرة مع المانيا فيما وراء البحار ، رغم تحذيرات الشريف حسين بن علي الذي اتجهت اليه انظار احرار العرب، وقد نصح الشريف الدولة العثمانية بعدم دخول الحرب بسبب ضعفها وفقرها الاقتصادي وكونها تحت رحمة اساطيل الحلفاء في البحر ، فلم يقبل الاتحاديون بنصيحة الشريف بل انهم كلفوه باعلان الجهاد وجمع المتطوعين . وتخلص بصعوبة ومهارة من اعلان الجهاد بحجة أن ذلك قد يثير الانجليز في البحر الاحمر ويجعلهم يحاصرون شواطيء الحجاز ، أما بالنسبة لدعوة الجهاد فقال : إن ذلك مشروط بأعطاء الاتراك استقلالا ذاتيا للاقطار العربية التي تقع شرقي البحر الابيض المتوسط وتضم العراق وسوريا الكبرى وشبه الجزيرة العربية ، فرفضوا شروطه وأصروا على اعلان الجهاد ، كما أنهم أهملوا الدفاع عن الاقطار العربية بأن ركزوا معظم قواتهم في جبهة القفقاس والجبهة الغربية على الحدود بين تركيا وجيرانها في اوروبا ، وقد شجع تقلص الوجود العسكري التركي العرب على الثورة . ولأن الدولة العثمانية وقفت في صف المحور فقد شرعت بريطانيا بالاتصال بالشريف حسين ، وساورت المخاوف بريطانيا إزاء الدعوة التي صدرت من السلطان بالجهاد ضد الحلفاء

الاوروبيين ، وخافت ان تلقى هذه الدعوة استجابة واسعة من المسلمين في الهند ومصر اللتين كانتا تحت سيطرة بريطانيا ، وكان الشريف حسين حامي الحرمين الشريفين الأنسب لاحباط هذه الدعوة ، وفي المراسلات التي جرت بعد ذلك بين الشريف ومكماهون عام ١٩١٥ ، اشير بكل وضوح الى استقلال العرب والى تعيين الحدود الاقليمية للأراضي العربية ، وقد قام السير هنري مكماهون المندوب السامي البريطاني في القاهرة بابلاغ الشريف حسين ان بريطانيا مستعدة للاعتراف باستقلال العرب ودعم هذا الاستقلال ضمن الاراضي التي حددها الشريف وهي تضم جميع الأراضي المأهولة بالعرب من مرسين وأضنة (وهما اليوم جزء من تركيا) الى الخليج العربي .ولم يكن الشريف حسين ولا مكماهون على ما يبدو، على علم بأن الحلفاء الاوروبيين وعلى وجه التحديد بريطانيا وفرنسا وروسيا ، قد عقدوا معاهدة تعرف باسم اتفاقية سايكس بيكو في الوقت الذي كانت تجري فيه المراسلات بين القاهرة ومكة ، وفي الاتفاقية تم تقويض التفاهم الذي تم التوصل اليه بين الشريف حسين والمندوب السامي . هذا وقد عقدت اتفاقية سايكس بيكو في ربيع عام ١٩١٦وبمقتضاها أقطعت الأراضي العثمانية الى الدول الثلاث التى وقعت الاتفاقية اصلا وظلت أحكام هذه الاتفاقية مجهولة إلى أن نفض الروس ايديهم منها ، عام ١٩١٧ بعد ثورة اكتوبر (تشرين الاول) وتنازلوا عن أي ادعاء لهم فيها ؛ بيد ان فرنسا وبريطانيا لم تقوما بالمثل . وقد انتهت الحرب العالمية الاولى بأنتصار الحلفاء ولكن العرب بقيادة الشريف حسين ابن علي قوبلوا بخيانة وغدر وتنكر لما قاموا به من مساعدة للحلفاء اذ كان الحلفاء البريطانيون والفرنسيون قد اتفقوا فيما بينهم على اقتسام بلاد العراق والشام بموجب معاهدة سايكس بيكو ، كما كانت بريطانيا قد اتفقت مع

الصهيونية العالمية على تأسيس وطن قومي لليهود في فلسطين وتسهيل هجرة اليهود بموجب وعد بلفور الذي صدر في نهاية عام ١٩١٧.

حاول العرب مواجهة هذه الاتفاقية الغادرة بأن أعلنوا فيصل بن الحسين ملكا على بلاد الشام بأكملها بما فيها فلسطين ، كما نادوا بشقيقه عبد الله ملكا على العراق ، وبذل العرب بقيادة الملك فيصل جهودا مضنية في مؤتمر الصلح للحصول علـى حقوقهم ، بيد أن التآمر الاستعماري الصهيوني حال بينهم وبين ما يطلبـون ، فلم يعترف الحلفاء الا بكون الملك حسين بن علي ملكا على الحجاز فقط. وطالبوه بإقرار اقتسامهم لبلاد الشام والعراق وإعطاء فلسطين للصهاينة مقابل اعترافهم هذا، ولكن الملك حسين رفض هذه العروض بعناد وتصميم .

وفي ٥ نيسان سنة ١٩٢٠ قرر مؤتمر سان ريمو إعلان الانتداب البريطاني على فلسطين وشرق الاردن والعراق ، والانتداب الفرنسي على سوريا الشمالية (سوريا ولبنان الحاليين) وكان طبيعيا ان يرفض العرب بقيادة الحسين هذه العملية الغادرة ، وتصدوا بامكاناتهم الضئيلةللقرارات الاستعمارية ، وكان فيصل بن الحسين قد نصب ملكا على سوريا الطبيعية التي كانت فلسطين جزءا اساسيا منها ، ورفض وعد بلفور والهجرة اليهودية كما جاء صريحا في قرارات المؤتمر السوري العام في حزيران ١٩١٩وآذار ١٩٢٠ فذهب كل ذلك هباء. [1]

---

(١) د. غازي ربابعة : الهاشميون والقضية الفلسطينية . ص ٦-٩ .

وقد طرح الأستاذ المؤرخ نقولا زياد ة سؤالا وهو : لماذا لم يثر العرب قبل سنة ١٩١٦ويجيبه معتمدا على اجابة للأستاذ ناصر الدين الأسد فيقول :

في الفصل الذي وضعه الدكتور ناصر الدين الاسد عن « الثورة العربية الكبرى والأدب» في دراسات في الثورة العربية الكبرى (عمان ١٩٦٧) عرض لهذه القضية بالذات . وقد عزا أسباب تأخر القيام بالثورة الى ثلاثة اسباب كانت وراء « تأخر الشعور العام بهذا الفساد والثورة عليه» وأول هذه الأسباب هو نظرة العرب الى الحكم العثماني والسلطان العثماني . ويدلل على ذلك بان اكثر رواد الفكر واعلام الأدب كانوا يدعون الى الاصلاح ويطالبون باشاعة العدل . يقول الدكتور الأسد :« كان الاحساس الديني بين المسلمين ، والرابطة العثمانية عندهم وعند نصارى العرب اقوى في النفوس من عوامل الثورة » ونحن نتفق معه لا على هذا فحسب ولكن على قوله :« وبقي الشعور بالرابطة الدينية وبالجامعة العثمانية شعورا واضحا فياضا عند الكثيرين حتى بعد خلع عبد الحميد » وكان الناس قد الفوا هذه الرئاسة القائمة في استانبول ، وقوامها سلطان على العثمانيين وخليفة على المسلمين . ولسنا نحسب ان الكثيرين كانوا مستعدين لتهديم هذا البناء ، إذ ما الذي يمكن ان يقوم مكانه . وعندنا مثل على ذلك فى دعوة عبد الرحمن الكواكبي الى وجوب عودة (أو إعادة) الخلافة الى العرب (من قريش) ، كي يفوت على الاتراك سلطة اساءوا استعمالها او اهملوها . ولعل السخط الذي شمل العالم الاسلامي لما الغى مصطفى كمال الخلافة (١٩٢٤)

مما يدل على أهمية هذه المؤسسة . وثاني هذه الأسباب ، في رأي الدكتور الأسد، هو التخلف الاجتماعي عامة والجهل خاصة . وحين يسود الجهل وتستبد بالناس الغفلة والخرافات والتعلق بالمظاهر ، يصعب تنبيه الوعي فيهم، ويتعذر ايقاظهم من غفلتهم ، ولسنا نعدم امثلة من دعوات اهل الفكر الى الناس كي يستيقظوا . ولكن الصراخ شيء . وسماع الصوت عند من يوجه الصراخ اليه شيء اخر . وإذا نحن تتبعنا ما كان يلقاه المفكرون والأدباء والأحرار من ملاحقة بالتضييق عليهم ونفيهم والزج بهم في اعماق السجون ، ادركنا السبب الثالث لتأخر الوعي والشعور بالفساد. ومما استشهد به الكاتب (وقد افدنا منه كثيرا في هذا الحديث) كلمات لعبد الرحمن الكواكبي لعلها تصلح تلخيصا للوضع او وصفا للحالة . يقول الكاتب الحلبي : « ينازعني والله الشعور : هل موقفي هذا في جمع حي احييه بالسلام ، ام انا اخاطب اهل القبور فأحييهم بالرحمة ؟ يا قوم لستم بأحياء عاملين ، ولا أموات مستريحين . الى متى هذا النوم ؟ انتبهوا قبل ان يحل بكم القضاء يا قوم شفاكم الله ، قد ينفع اليوم الانذار واللوم ... أما غداً إذا حلّ القضاء فلا يبقى لكم غير الندب والبكاء . فإلى متى هذا التخادع ، والى متى هذا التوانى ، والى متى هذا التواكل ؟ هل طاب لكم هذا الذل وتودون لو تصبحوا في القبور ؟ام عاهدتم ان تضلوا غفلة الحياة بالممات فلا تفيقوا انفسكم من السبات قبل صباح يوم النشور ؟ يا قوم رحمكم الله وما الحرص على تعيسة دنيئة لا تملكونها ساعة ؟ ما هذا الحرص على الراحة الموهومة ، وحياتكم كلها تعب ونصب ؟ (١).

(١) د. نقولا زيادة : ابعاد الثورة العربية الكبرى ، ص ٣٩-٤٠

الاتجاه الفكري لثورة العرب :

تؤكد الثورة في اتجاهها الفكري القومي عراقة الأمة العربية ، وتاريخها الحافل بالحضارة من أيام حمورابي في العراق ، الى الدول العربية في اليمن ، الى القبائل العربية على حدود بلاد الشام (١) وأن هذه « النهضة العربية» « قامت بالعرب ولأجل فائدة العرب ولمصلحة بلاد العرب » (٢) . وبالتالي فإن تحقيق الجامعة العربية ، (أي الدولة العربية) ليس بالأمر الغريب لأن « الامة العربية ترجع الى اصل واحد وتتكلم بلغة واحدة ، وهذا من أهم دواعي اجتماع الأمم(٣)، ويرتبط هذا المفهوم القومي المناضل والممتد تاريخيا بتكوين الدولة العربية بما قدمه العرب المسلمون عبر التاريخ للبشرية ، « فالدول الكبرى التي قامت عبر التاريخ هي الدول العربية - الإسلامية ، كالدولة الأموية والدولة العباسية التي قدمت الحضارة الانسانية لجميع العالم ، فأين الكوفة الآن من الكوفة أيام « إخوان الصفا » أو الكسائي ، وأين كربلاء اليوم والنجف من الأمس لا توجد فيهامدرسة واحدة يجوز ان تسمى رشيدية، والبصرة ثغر العراق وبلاد الشام ، فقد ضرب الاتحاديون على أيدي الافاضل فيها لأنهم يعلمون أكثر من غيرهم أن التحرر الفكري يعقبه التحرر السياسي وهذا ما يخشاه الاتحاديون ، ولكن ليس

---

(١) لمزيد من التفاصيل راجع القبلة : الثاني ، والحادي عشروالحادي والعشرين .

(٢) القبلة، العدد ٣ .

(٣) القبلة: العدد ١٨٤ .

(*) لم يكتب اسم محرر الصحيفة في العدد الاول ١٥ شوال ١٣٣٤هـ ، وفي العدد الخامس أصبح مدير الجريدة المسؤول الاستاذ محب الدين الخطيب ، وطبعت في المطبعة الاميرية بحارة جياد ، وكتب في راسها : جريدة دينية سياسية اجتماعية تصدر مرتين في الاسبوع لخدمة الاسلام والعرب وقيمة الاشتراك ريال مجيدي ونصف في الحجاز ، وقد صدر منها ٨٢٣ عددا . اما العدد ٨٢٣ مثلا فقد كان مدير الجريدة المسؤول الاستاذ حسين الصبان / اضافة من الباحث .

غريبا أن ينهض العرب أسوة بالامم الحية والشعوب الأبية» [1] ... وأسوة بأسلافهم فيحققوا دولتهم الواحدة ، وعندها «سوف يذكر أحفادنا هذه الحرب العامة بالخير والشر معا، لأنها أماطت اللثام عن العدو المتزيي بزي الصديق، فصار من الواجب سحقه وتأسيس دولة قوية »[2] ومن أجل ذلك قامت الحركة العربية تنادي بالانفصال أو الاستقلال عن الاتحاديين. ومن هذا المنطلق الوحدوي حرصت الثورةعلى جمع كلمة أهل البلاد العربية ولم شعث العرب [3] لأن النهضة العربية قامت من أجل جميع العرب دون تمييز في المذهب كما يؤكد شريف مكة بقوله : « إن وحدة القومية هي جامعة التفاهم وتبادل المصالح، وطالما قلت : إن العرب عرب ، قبل أن يكونوا مسلمين أو مسيحيين او موسويين(٤) وبهذا المفهوم تخطت الثورة الطائفية والعرقية والعنصرية ، والقطرية التي تعاني منها الأمة العربية ، وقد التزمت بلاد الشام بتطبيق هذه المفاهيم - بعد الحرب العالمية الأولى- وبقي لبنان يعاني من الطائفية وأضرارها الى اليوم ، كما تقول الدكتورة سهيلة الريماوي .[5]

مقومات الدولة الجديدة في فكر الثورة من خلال منشوراتها :-

جاء المنشور للثورة العربية الكبرى جامعا شاملا لمقومات . الدولة الجديدة التي قامت الثورة من أجل تحقيقها ، إذ تناول البحث في حالة البلاد الداخلية

---

(١) القبلة، العد ١:٧

(٢) القبلة، العدد ٢:١١

(٣) القبلة، العدد ١٧٧ .

(٤) القبلة، تاريخ ٤ محرم ١٣٣٧هـ .

(٥) عندما أعلن الامير فيصل قيام الدولة العربية في دمشق - باسم والده شريف مكة - ملك العرب - أكد هذا المفهوم الوحدوي ، وطاف أنحاء سوريا شارحا ضرر الطائفية والعنصرية والقطرية ، كما أن الدستور الاردني أكد هذا المفهوم عندما أعلن مساواة المواطنين الاردنيين على الرغم من اختلاف العرق والدين.

قبل هذه النهضة وبعدها « فتجلت للناس صفحة من أمجد الصفحات وحالة من أسعد الحالات » في بلاد العرب بعد قيام هذه النهضة المباركة وكانت المقارنة « من باب القياس مع الفارق وان الشواهد على ذلك قائمة». أما ما كان عليه الوضع في المملكة العربية التي أعلن استقلالها بعد النهضة فهو كما قال الله عز وجل : (وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها) [1] « فقد فتحت أبواب الاكتساب الخارجية بعد انسدادها ، ودارت حركة الأعمال بعد وقوفها ، وتوافرات مواد المعيشة بعد انقطاعها ، وابتسمت الوجوه بعد عبوسها ، وصارت مناصب الحكومة ووظائفها خاصة بأصحاب الكفاءة من أبناء البلاد ، يخدمون بها مصالحها العامة، ويقومون بالنافع من حاجات أوطانهم ولوازم راحتهم وهنائهم . ولا عجب في ذلك فهنالك فرق عظيم بين أن تكون الأمة حاكمة وأن تكون محكومة...» وكان جلالة الحسين بن علي ملك العرب قد بشّر في منشوره الثالث: «أن ما حصل حتى الآن من النعم والخيرات ليس الا جزءا قليلا من الخير التدريجي »[2] فإذا تساءلنا عن خطة هذا الخير التدريجي وجدنا الجواب في العدد الثاني والثلاثين من جريدة القبلة إذ إن من جملة ما عزمت عليه الحكومة العربية الهاشمية :

١- النهوض بأمر المعارف على أساس تقويم يتضمن تهذيب ناشئة البلاد اذ ستؤسس الحكومة لابناء هذه الامة المدارس المساعدة على نهضة البلاد بكل أنواعها ، كالمدارس التجارية والصناعية والزراعية والطبية والهندسية ، وسائر ما نحتاج اليه في حياتنا الجديدة ،هذا فضلا عما تأسس الآن أو تقرر تأسيسه في القريب العاجل من المدارس التحضيرية والابتدائية الراقية والثانوية ...».

---

(١) النحل : ١٨

(٢) راجع منشور الثورة الثاني في العدد ١١ من القبلة والمنشور الثالث في العدد ٣١، وانظر ملاحق هذه الدراسة .

٢- والوصول الى الارتقاء والمدنية الهادئة «ان البلاد التي انتشرت فيها الأمراض المعنوية وانهمكت بملذاتها ، لا يكون إصلاحها الجدي الا بعمليتي النقض والبناء ، ولما كان بناء المملكة على أساس التقوى ، فإن الوصول بها الى هذا الارتقاء الجدي والمدنية الهادئة لا يكون الا بالتضامن الاجتماعي والسعي المشترك ».

٣- والدعوة الى السعي والعمل بحيث يقوم كل فرد من أفراد الدولة بما يتقنه ويحسنه من وسائل المساعدة للنهضة العامة حتى يتم الخير العميم على أيديهم جميعا ، فتشترك الامة كلها في نتائجه كما اشتركت في مقدماته« وبهذا تقيم الأمم صروح المجد وتهيء لمالكها أسباب الهناء والسعد ». [1] وقد أشار المنشور الهاشمي الثالث الى ضرب من ضروب السعي الذي يستطيع كل فرد من أفراد الأمة القيام به (وهو على شكل مشروع مقترح كما يدعى في وقتنا الحاضر) وكما توجزه الدكتورة سهيلة الريماوي :-

(أ) إنعاش إقتصاد المملكة العربية الحديثة : « فإن الذي يطرق باب الكسب بنوع من أنواع التجارة ، أو يتعلم إحدى الصناعات ويؤثر الاشتغال بها ، ويستعين على قتل الوقت والبطالة والفراغ، لا يخدم بذلك نفسه وأهله فقط ، بل هويخدم بلاده أيضا ، وفي الوقت نفسه يغنيها عن الاحتياج للخارج ، ويحفظ لها نصيبا من ثروتها » [2] وهكذا تنبهت الثورة الى قيمة « الناتج المحلي » ومحاربة البضائع الأجنبية ، وأشارت الى أهمية الاكتفاء الذاتي للدولة الحديثة .

---

(١) القبلة، العدد ٣٢:٢

(١) القبلة، العدد ٣٢:٢

(ب) والدعوة الى العلم : « فإن الذي يضع ابنه في المدرسة لا يقتصر نفع عمله هذا على ابنه وحده ، بما يتولاه من الوظائف أو بما سيرشده اليه في المستقبل من الاعمال الصالحة والخدمات النافعة».

(ج) والدعوة إلى الجهاد والدفاع بحيث «يتبارى أبناء العرب في الميدان العسكري وعليهم سيماء البسالة في كل حركة من حركاتهم ، وعلى هذا الاساس يجب أن تفتح الثكنات العسكرية والمدارس الحربية ، وعندها نرى : « شبابنا الكرام يتسابقون الى امتشاق الصوارم وخوض الملاحم غير هيابين ولا وجلين لعلمهم أنهم يدافعون عن أنفسهم » ، فانفروا أيها العرب الى الدفاع عن بلادكم وعن حقوقكم وعن تاريخكم وعن دينكم وعن كل عزيز عليكم وغال عندكم ،(وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون)* وهكذا دعت الثورة الى الجهاد بالنفس والمال فأحيت الروح العسكرية عند ابناء هذه الأمة.[1] .وعلى الرغم من أيجاز بعض أحداث الثورة فيما سبق إلا أن هذا لا يمنع من الاشارة إليها مرة أخرى ، أو تفصيل القول في بعض المواقع الهامة في البحث ، فقد أشرنا -مثلا- إلى حزب الاتحاد والترقي ومحاولاته المتكررة في التقرب من الشريف الهاشمي إلا أنه بحنكته السياسية عرفهم وعرف نواياهم وخطرهم ، كما تحدثنا عن بعض احداث الجزيرة العربية زمن الدولة العثمانية العلية إلا أن هذا لا يمنعنا من تناول الموضوع مرة اخرى ، ذلك أننا نتناول أحداثا ونصوصا هامة في تاريخنا المعاصر ، ينبغي توضيحها وابانتها للناشئة وجيل الغد ، وعرض وجهات النظر والآراء المختلفة التي دارت حول موضوعنا وطروحاته الجديدة هذه وها نحن نتحدث عن حزب الاتحاد والترقي بشيء من السعة والتحليل الدقيق.

---

(١) القبلة، العدد ٢:٣٢ ، والآية هي ١٠٥ من سورة التوبة

* راجع الدكتورة سهيلة الريماوي : الاتجاهات الفكرية للثورة العربية الكبرى ص ٥١-٥٦

واقع الأمر أن حزب الاتحاد والترقي قدتحزب وتوحد ضد المسلمين ، ضد العرب جميعا ، بل ضد دولة الخلافة في أرض الاسلام وفي عاصمة الخلافة والدولة العلية «اسلام بول »وكانت لهم أياديهم الممتدة كما الاخطبوط - في محاربة العروبة والاسلام ، ومراقبة كل نشاط سياسي او ثقافي او فكري في هذا المجال ، كما حاولوا الحد من سلطات الشريف الهاشمي في مكة بادعائهم أن طريق الحج الشامي غير آمن ، ودعوا إلى سياسة التتريك واهمال اللغة العربية واضطهاد ابنائها وتعذيبهم ، كما لا يغفل الباحث دورهم الواسع في دعم الصهاينة وتوطين اليهود في فلسطين .

لقد اندلعت نيران الحرب العالمية الاولى في صيف عام ١٩١٤، وأقدم قادة الدولة العثمانية على خوضها بجانب دول الوسط (المانيا ، والنمسا والمجر) ضد الحلفاء (فرنسا و بريطانيا وروسيا) في تشرين ثاني ١٩١٤ ، مجازفين بمستقبل دولتهم وغير مصغين الى نصائح العقلاء والحكماء الذين أشاروا عليهم بالتريث والتزام الحياد . وكما نعلم فقد حكم العثمانيون الشعوب العربية منذ بداية القرن السادس عشر وحتى نهاية الحرب العالمية الاولى ، وفيما بين القرن السادس عشر والقرن التاسع عشر ، لم تتحرك جديا الخلافات بين العرب والترك، فالاتراك بسبب طبيعة الحكم العثماني الانقطاعي وافتقارهم الى رصيد حضاري ، لم يستطيعوا ، وربما لم يحاولوا أن يحدثوا تغييراً جذريا في أوضاع العالم العربي ، كما أن الفكرة الاسلامية كانت ما تزال على أشدها . وهكذا امتد حبل الود والولاء بين امتين وحد بينهما الدين والاقليم والمصلحة ! الا أن العثمانيين بالغوا في تطبيق سياستهم الرامية الى الحفاظ على العالم العربي من الأخطار الخارجية بأن ضربوا حوله عزلة كثيفة حرمته من التأثر بكافة التيارات الحضارية والفكرية التي كانت تجتاح اوروبا خلال هذه الفترة ، وأصبح العالم

العربي على هذا الاساس أشبه بمستنقع راكد ، تتبخر مياهه دون أن تتجدد !
وهبت على أوروبا بعد الثورة الفرنسية في القرن الثامن عشر ريح القومية التي تدعو الى الانعتاق والتحرر من النير الاجنبي ، واكتشف البخار في أوائل القرن التاسع عشر فاقترب الشرق من الغرب واختصرت المسافات ، واتصلت بالامم ، والشعوب بالشعوب ، وكانت بضاعة القومية في جملة صادرت الغرب الجديد الى الشرق ، فجاءت تجر ثوبا قشيبا يغري ويفتن ، الا أن تأثيرها ظل محدودا خلال القرن التاسع عشر بسبب الجهل الذي كان مستحكما وسائدا ، بيد أن الفوز الذي ادركه فتيان الترك (الاتحاديون) . [1] في أوائل القرن العشرين على السلطان عبد الحميد -وقد تشبع بعضهمم بفكرة القومية - كان مقدمة تحول عظيم في صلات هاتين الأمتين . وقد خيم هذا الدور (٢٣ تموز ١٩٠٨ -٣٠ تشرين أول ١٩١٨) بانفصالهما عن بعضهما البعض بعدما عاشا متحدين قرابة اربعة قرون . ذلك أن معظم هؤلاء الفتية كان قليل التجارب ، بعيدا عن الحنكة والدهاء ، كما أن بينهم من أغرم بالمدنية الاور وبية غراما أذهله عما للشرق من تقاليد وعادات تختلف عن تقاليد الغرب وعاد اته . فانصرف يعمل منذ الساعة الاولى على انشاء أمبراطورية تركية تبتلع ما للعناصر الأخرى - وفي جملتها العرب - من مقومات ومميزات فتدمجهم في القومية التركية وتجعل منهم أمة تركية تدين بدين الطور انية ، وحجتهم أن ذلك أنفى للخطر ، وادعى الى تماسك اجزاء السلطنة واتحادها ... وكما نعرف فقد جاء الاتحاديون الى الحكم عام ١٩٠٨وساروا في سياستهم العنصرية القومية المتطرفة بتفضيل الاتراك على جميع عناصر الدولة ، ووقف العرب ، مع بقية العناصر غير التركية في الامبراطورية العثمانية ضد هذه السياسة . وكانت علاقات الشريف حسين

---

(١) د . زين زين : أسباب الثورة العربية ، ص ٠٢

بالاتحاديين منذ توليهم الحكم سيئة لانهم كانوا يريدون تقوية سلطاتهم في الحجاز والحد من نفوذ الشريف في امارته ، بينما كان هو يطمح الى تقوية سلطانه وتحقيق الاستقلال الذاتي للحجاز . ولقد اتضح له ولابنه عبد الله سوء نية الاتراك واخذ يفكر بتحقيق الاستقلال للأمة العربية عن طريق الثورة ، ورأى أن مثل هذا العمل يحتاج الى عون عسكري ومادي فبدأت الاتصالات التي أشرنا اليها مع الانجليز . وجدير بالذكر ان الشريف حسين رغم سوء علاقته مع الاتحاديين لم يكن في البداية يريد تحطيم الدولة العثمانية ، وقد قام بتحذير السلطان عشية نشوب الحرب من الكارثة التي ستحل بالامبراطورية العثمانية اذا دخلت الحرب الى جانب المانيا ، كما كرر التحذير لوهيب باشا والي الحجاز ولكن دون جدوى . ولما دخلت تركيا الحرب وأتضح للشريف النوايا السيئة التي كانت تبيتها للعرب أخذ يعمل لتحقيق الاستقلال التام للحجاز وللعرب . وعلى هذا الأساس فقد تحولت الحال حينما بدرت بوادر الخلاف العنصري وظهر ان الاتحاديين يسيرون على سياسة قومية هداها ولحمتها تعزيز الجامعة الطورانية وتأييدها . لذا فقد تألفت خلال هذه الفترة جمعيات عربية عديدة في الاستانة والقاهرة وبيروت ودمشق وبغداد لتعزيز شأن العرب والمطالبة بحقوقهم ومساواتهم بالترك ، واقتداء بهؤلاء في تعزيز قوميتهم ، فأثرت هذه الجمعيات أثرا بليغا في تكوين الرأي العام العربي ، واليها يرجع الفضل في أنشائه واعداده بالتعاون مع الصحافة العربية في مصر والشام والعراق والاستانة ، فقد ساعدت على تنميه الشعور القومي وإيقاظه ، كما ساعد الشعراء بقصائدهم الحماسية على خلق النهضة الجديدة (١) .

الحقيقة ان طور الانفصال او التعبير المستقل للحركة العربية لم يحدث فجأة بل نما بشكل تدريجي وان كان سريعا وطبيعيا . ونجد اول تعبير له عند

---

(١) امين سعيد « الثورة العربية الكبرى » الجزء الاول ، ص ٦ .

عبد الرحمن الكواكبي الذي أسهم في الحركة الفكرية وفي النضال ضد الاستبداد العثماني وميز بين الشعوب العربية والشعوب الاسلامية غير العربية ، وأهاب بالعرب لأن يتصدروا مركز قيادة العالم الاسلامي في مكافحة الاستعمار الاوروبي ، ودعا الاتراك الى ترك الخلافة لأهلها والدين لحماته . ومع أن تفكير الكواكبي كان لا يزال متأثرا بالفكرة الاسلامية ، الا أن أهميته التاريخية تظهر في أنه كان بمثابه الدعوة المبكرة لصفة متميزة للشعوب العربية . ثم يخطو هذا التفكير خطوة جديدة في السنوات الأخيرة من القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين ، فتجد الحركة العربية تعبيرا لها فيما يسمى بحركة اللامركزية ، للحركة العربية ، ومع ذلك فهناك عوامل تاريخية ساعدت دون شك على الاسراع بظهورها ، وفي مقدمتها :

أولا: فشل الدولة العثمانية في الدفاع عن البلاد العربية ضد الضغط الاوروبي كما حدث في غزو ايطاليا لطرابلس ، وعلى ذلك فلا بد من قيام نظام اللامركزية ليتيح للعرب فرصة لبناء كيان عربي متمين، يستطيع أن يدافع عن نفسه ، أمام الزحف الاستعماري الغربي، فلا يترك الامر برمته في يد الدولة العثمانية المتهالكة .

ثانيا: للمحافظة على التراث العربي الفكري ضد سياسة التتريك التي أخذ في ممارستها الاتحاديون بعد عام ١٩٠٨تجاه البلاد غير التركية الخاضعة لهم اعتقادا منهم بأن تجديد شباب الدولة لا يمكن الا بالتمسك بالقومية التركية . ومن هنا شاب حكمهم التعصب لقوميتهم ، وكان لهذا رد فعل سيء وعنيف بين الشعوب العربية وغيرها من الشعوب غير التركية في الدولة العثمانية ، مما اذكى الروح القومية بين العرب ، وخاصة في وقت كانت قد قامت فيه في دنيا العرب نهضة فكرية وثقافية بصرّت العرب بتاريخهم وأمجادهم ، ، جعلتهم

يتمسكون بمقومات قوميتهم ، ومن هنا كان ظهور فكرة اللامركزية كضمان لحماية الذات العربية ، والتراث العربي الفكري.

وكما نعلم فان حكومة الاتحاديين كانت تراقب نشاط مؤتمر الطلبة العرب في باريس عام ١٩١٣ م بقلق بالغ ، وعرضت على المؤتمر- الذي كان لا يزال الاتجاه السائد فيه اتجاه اللامركزية – ان ترسل وفدا لمفاوضة الحكومة التركية ، وبالفعل توجه وفد عربي الى القسطنطينية . وهناك ظل الاتراك يماطلون في المفاوضات ويغرون بعض أعضاء الوفد بالمناصب الهامة في الدولة ، حتى فشلت المفاوضات وانسحب الوفد العربي ، والحقيقةانه بفشل هذه المفاوضات يمكن القول أن الحركة العربية قد دخلت في طور جديد هوطور الانفصال التام عن الدولة العثمانية وقد شمل هذا الطور الحرب العالمية الاولى حين جاءت أحداث الحرب وسياسة بريطانيا العدائية للدولة العثمانية لتساهم في دعم انفصال العرب عن هذه الدولة .[1] وكان للشريف حسين مشكلة في علاقاته مع الدولة العثمانية فالشرافة في الحجاز نظام ابقاه العثمانيون بعد دخولهم الحجاز في القرن السادس عشر وظلت الشرافة تتمتع بمركز شبه مستقل طوال تاريخها ، ويعني هذا الاستقلال ، ان منصب الشرافة كان وراثيا في يد الهاشميين . غير أن سياسة الاتحاديين بعد وصولهم الى الحكم في عام ١٩٠٨ كانت تقوم على المركزية ، بمعنى ربط الولايات العثمانية شبه المستقلة ربطا محكما بالدولة في القسطنطينية . وكان لا بد أن يؤدي هذا الموقف إلى تفكير العثمانيين في تحطيم نفوذ الشرافة في مكة ، فازدادت العلاقة سوءاً بين الشريف حسين وحكومةالاتحاديين في القسطنطينية ، ولجأ الاتحاديون الى تعيين وهيب باشا واليا على الحجاز على أن يجمع السلطة المدنية والعسكرية في يده ، ويحاول القضاء على الشرافة . وكان من مشروعاتهم ايضا اكمال السكة الحديدية من

(١) د . حسن ريان ومحمود طوالبة : مذكرة في تاريخ العرب الحديث ، ص ٤٥–٤٧

المدينة الى مكة ليسهل عليهم توفير اتصال سريع بين الحجاز وبين السلطات العثمانية في سوريا ، وكانت كل هذه المشروعات العثمانية تقلق بال الشريف حسين الذي رأى أن اصطدامه بالدولة العثمانية وشيك الوقوع ، فأخذ يتطلع إلى دولة كبرى لمساعدته.(١)

بعد اعلان الدستور وتعيين الشريف حسين لامارة الحجاز . انتخب الاهلون نجليه عبد الله وفيصل ليمثلا مكة وجدة في مجلس النواب العثماني فكثرت رحلاتهما تبعا لهذا الى الاستانة . وفي عام ١٩١٤ دخل الامير عبد الله في محادثات مع الباب العالي لدعم مركز والده في الحجاز كما قدمنا . وصار معروفا بأنه اليد اليمنى لوالده ، وظن الاتحاديون أنه يحرض الحسين على اثارة المشاكل فجربوا أن يلهوه بالوظيفة . فعرضوا عليه مقعدا في الوزارة ثم حاولوا تعيينه حاكما عسكريا لليمن . ولكنه عرف الدوافع لهذه العروض فاعتذر عن قبول احدها . أما عن علاقة الاتحاديين بالعرب فلا بد من بيانها والوقوف عندها وقفة متأنية غير الذي عرضنا له آنفا ، وحول هذا يقول الأستاذ سليمان موسى:

كانت شكاوى العرب عام ١٩١٠ تنحصر فيما يلي:

(١) إقصاء عدد كبير منهم عن الوظائف التي كانوا يشغلونها في الآستانة.

(٢) عدم ادخال عربي من أعضاء جمعية الاتحاد والترقي في اللجنة المركزية في سلانيك حتى الضباط العرب الذين كانوا أول من أعلن الدستور .

---

(١) المرجع السابق ، ص ٤٤٩، وأسعد داغر : ثورة العرب.

(٣) عدم قبول أي عضو عربي في المذكرات السياسية للجمعية .

(٤) تحويل الجمعية الاتحادية من جمعية عثمانية الى جمعية تركية .

(٥) انتزاع وزارة الاوقاف من وزير عربي واسنادها الى تركي بحيث لم يبق احد من ابناء العرب في الوزارة .

(٦) استبدال الولاة والمتصرفين والقضاة من العرب بموظفين من الاتراك .

(٧) مناهضتهم للغة العربية مناهضة غريبة في بابها ، كما حدث مثلا عندما اعلن سفير الدولة في واشنطن عام ١٩٠٩ أن جميع العثمانيين في أميركا يجب أن يخاطبوا السفارة باللغة التركية فقط مع علمه ان الجالية السورية هناك لا يقل عددها عن نصف مليون وانه ليس بينها من يحسن التركية .

على ان هذه الشكاوى كان بالامكان تلافيها لو توفرت النية الحسنة. ولكن الاتحاديين بدلا من هذا بادروا الى ارسال الحملات على حوران واليمن وعسير لاخماد أصوات العرب في ديارهم . وإذا اضفنا هذا الى الحالة السيئة التي تردت فيها الدولة عن الدفاع عن البلاد العربية إذا هجمت عليها دولة قوية ، فاخذوا مع بعض احرار الاتراك يدعون إلى وجوب جعل ادارة الولايات على اساس اللامركزية، والفوا الاحزاب لتحقيق هذه الغاية. على أن غلاة الاتحاديين ومتهوسيهم كانوا يحولون دون تنفيذ أي اصلاح كهذا ، كما ورد في كتاب «تاريخ المستقبل» للكاتب التركي جلال نوري من قوله : «يجب على الحكومة ان تكره السوريين على ترك اوطانهم ، وأن تحول اليمن والحجاز الى مستعمرات تركية .وان تنشر اللغة التركية بحيث تكون لغة الدين . ومما لا مندوحة لنا عنه للدفاع عن كياننا ان نحول جميع الاقطار العربية الى اقطار تركية ، لان النشء

العربي الحديث صار يشعر بعصبية جنسية وهو يهددنا بنكبة عظيمة يجب أن نحتاط لها» ومن يمعن النظر في الحوادث التي وقعت بعد مؤتمر باريس العربي وبين ابتداء الحرب يدرك مبلغ الكيد الذي استشرى في صدورالاتحاديين ، اذ تلاعبوا بالانتخابات حتى لم يمثل العرب في مجلس النواب سوى أذنابهم غالبا ، واقصوا الضباط العرب عن المناصب العالية وارسلوهم الى الميادين البعيدة . كما أرسلوا وهيب الالباني قائدا وواليا للحجاز . وختموا السلسلة باعادة جمال الى سوريا فكان أول عمل قام به تفريق كتيبة ضباط العرب في دمشق وعددها ثمانين شابا من خريجي المدارس العالية وارسلهم الى الدردنيل والقوقاس . فما نجا من افرادها سوى القلائل وفي اوائل الحرب اخذوا ينقلون الفرق العربية المرابطة في سوريا والعراق الى ما وراء الاناضول ، واخلوا مكانها فرقا تركية محصنة ، وارسلوا الى البصرة قائدا قوي الشكيمة اسمه فريد بك للفتك بزعيمها طالب النقيب ولكن النقيب كان اسبق منهم فارسل احد رجاله الى القائد فاغتاله وتشتت اعوانه [1] .

ويستطرد الأستاذ المؤرخ سليمان موسى في حديثه عن «الاتحاديين» ومحاولاتهم المتكررة تلك التي كانت ترمي إلى الحد من سلطات المنقذ الأعظم فيقول : لم يكف الاتحاديون عن بذل المحاولات للحد من سلطة الحسين ، والتقليل من شأنه وحدثت أول محاولاتهم في السنة الثانية لامارته إذ اوعزوا الى أمير الحج الشامي عبد الرحمن باشا اليوسف أن يعمل على إيقاع الحسين في ورطة تخفف من غلوائه . فأعلن هذا طريق دمشق - المدينة المنورة غير مأمونة وانه يخشى اعتداء العربان عليه ولهذا فهو يقترح ان يعود المحمل الشامي بطريق البحر فيركب السفن من جده الى الساحل السوري . وفطن الحسين الى المكيدة

---

(١) للمزيد انظر سليمان موسى . الحسين بن علي ، مرجع سابق ، ص ٣٢- ٣٣

والى ان القصد منها اثبات عدم كفاءة وعجزه عن حماية الأمن والضرب على أيدي اللصوص وسقوط نفوذه بين العربان . ولهذا فانه عارض عبد الرحمن اليوسف واصر بلزوم رجوع الحج الشامي ومحمله على عادته من طريق البر . وأعلن انه سيتولى بنفسه أرسال المحمل الشامى على مسؤوليته الشخصية ، وعهد بقيادته والسهر عليه الى شقيقه الشريف ناصر والى نجله عبد الله باشا بن محمد والشريف شاكر بن زيد .

ورفض عبد الرحمن اليوسف السفر معهم مدعيا عدم الامان وان الطريق محفوفة بالاخطار ، وسافر بحرا هو وحاشيته الى بيروت . غير أن الحسين لم يعبأ به وسافر المحمل ودخل دمشق بسلام . فاحتفلت دمشق بالاشراف احتفالا كبيرا ودعاهم امير الحج الى مأدبة عشاء فرفضوا قبولها .

واستفحل أمر الشريف وازداد نفوذه حتى امتد من الحجاز الى سائر الاقطار العربية . وزاد من مخاوف الاتحاديين أنهم حينما كانوا يتهامسون على عزله قبيل الحرب ، ارسل مبعوثو العرب في مجلس النواب الكتاب التالي الى الحسين : «الى السند المعظم والشريف الاعظم حسين باشا امير مكة ادامه الله نحن نواب العرب في مجلس المبعوثان نقرك على امارة مكة . ونعترف لك دون سواك بالرئاسة الدينية على جميع الاقطار العربية لانك الآن خلاصة بيت الرسول صلى الله عليه وسلم . واجماعنا هذا هو بالنيابة عن أهل بلادنا نجهر به عند الحاجة . والله يحفظك لامتك ويساعدك لدفع الشر عن دينك ».

وكان وصول وهيب باشا الى مكة في شهر شباط ١٩١٤ مزودا بصلاحيات واسعة . وقد فوضه مركز الاتحاديين بمعالجة قضية الحجاز واميرها ، وجمعوا له بين الولاية وقيادة الجيش وزودوه بأوامر مفادها القضاء على كل ما للشريف من نفوذ ومقام واغتياله اذا لزم الامر . وامدوه لتنفيذ هذه الخطة بقوات كبيرة

من الجند والمدفعية . وهذا نص التعليمات التي اعطيت له كما اوردها غالب باشا في مذكراته : « اننا نعلم ان الشريف حسين يعمل بكل قواه في سبيل استقلال العرب وسلخ هذه البلاد عن السلطنة العثمانية ، ولهذا اعتزمنا عزله وتولية الشريف علي حيدر بدلا منه. فعليك حين وصولك الى مكة ان توجد خلافا بين مقامي الولاية والامارة لتتمكن من تحقيق هذا الهدف »....

سافر فيصل الى دمشق في أواخر آذار ١٩١٥ ، ومنها قصد الاستانة . فبلغها في اواسط نيسان واقام فيها ما يقرب من شهر ، وتحادث أثناء تلك الفترة مليا مع الصدر الاعظم ومع طلعت وزير الداخلية وانور وزير الحربية ، وقابل السلطان مرتين . وقد لاقى عطفا من الجميع على شكاويه . لكنهم افهموه ان العلاج بيد والده . فاذا رضي الحسين أن يدعو للجهاد ويباركه فإن حل قضية الحجاز يكون سهلا وسيتم وفق رغبته . وكتب الصدر الاعظم وطلعت وانور واوضح فيه موقف الدولة في الدردنيل وبين له انتصارت المانيا والنمسا في ميادين أوروبا ثم عرض لاهمية الجهاد في هذه الحرب. وختم الكتاب بحث الحسين بن على مناصرة الدولة .

واثمرت زيارة فيصل ، إذ نقل وهيب من الحجاز وعين الفريق غالب باشا مكانه وهو رجل طيب القلب محب للسلام . وأعطي تعليمات تقضي عليه أن يتقرّب من الشريف ويسعى للتفاهم معه وكانت هذه الخطوة من جانب الاتراك ناتجة عن قناعتهم أنه ليس بامكان الشريف القيام بثورة وفي الحجاز قوات نظامية كبيرة .

وتبدل الموقف عام ١٩١٦ ، فان صلابة الحسين ومطالبته بالاستقلال ، جعلت الاتراك يوجسون خيفة ويتخذون بعض الاحتياطات ، ومن ذلك أن جمال أمر فخري باشا وكيل قيادة الجيش الرابع بالسفر الى المدينة بحجة الاشراف

على الحالة هناك ، ولمعاونة بصري باشا حاكم المدينة في عمل الترتيبات اللازمة اذا وقع أي حادث . وكانت فيها قوة مؤلفة من ثلاثة آلاف جندي عززها بنجدات اخرى .

وأمر جمال ايضا أن تبقى ثلاث كتائب وبطاريتان جبليتان على استعداد تام للزحف في أية ساعة على المدينة . وكان الاتراك يعلنون انهم سيرسلون هذه القوة الى اليمن مما زاد مخاوف الشريف . وادرك ان الغرض من حشد القوات هوالزحف على مكة بحجة السفر الى اليمن فيدخلونها بغتة ويفتكون به. يؤيد هذا ما قاله آصف بك المستشار العدلي للجيش الرابع لفيصل وهما في المدينة والدموع تسيل من عينيه : « اذا كنت تستطيع أن تنجو بنفسك فانج ولا تعد الى دمشق فهم يضمرون لك الشر . واني اقول لك هذا القول كرامة لجدك الراقد في هذه الروضة».(1)

ولا بد قبل التوغل في البحث من التنويه بالعوامل الحقيقية التي ادت الى نشوب هذه الثورة لتحرير البلاد العربية من نير الحكم التركي والطغيان الاتحادي ويمكن تلخيصها فيما يلي:-

١-إضطهاد الاتحاديين المتواصل لأبناء العرب سواء بمحاولة تتريكهم واهمال اللغة العربية وعدم السماح باستعمالها في الدوائر الرسمية والمدارس الحكومية أو حرمانهم من الوظائف ، واحتقارهم بتوجيه اقذع الالفاظ اليهم مثل كوبك عرب (أي العربي الكلب) أو بيس عرب (أي العربي القذر) حتى انهم اخذوا يتداولون مثل هذه الالفاظ والشتائم في الاناشيد المدرسية.

---

(1) المرجع السابق ، ص ٣٧- ٣٩

٢- الخطط الارهابية التي عمد اليها الاتحاديون أثناء الحرب ولا سيما في عهد جمال السفاح لافناء العرب وهلاكهم بالتجويع والتعذيب والنفي والتشريد وكانت هناك خطة مدبرة لنقل الوف العائلات العربية من أوطانها الى بر الاناضول ، واستبدالهم باقوام اخرى ، وقد بدأوا فعلا بتنفيذ هذه الخطة في أواسط الحرب العالمية الاولى . أما خطة التجويع فقد طبقت تطبيقا دقيقا ولا سيما في سوريا ولبنان حيث قضى الالوف المؤلفة من السكان العرب نحبهم جوعا ، وكانت السلطات الاتحادية تستولي على منتجات البلاد من الحبوب وغيرها ، بحجة تموين الجيش في حين انها كانت تباع في الاسواق السوداء باثمان باهظة وتتسرب قيمتها الى جيوب المتنفذين من المسؤولين (المدنيين والعسكريين) .

٣- اعدام عدد كبير من الشبان العرب المثقفين واستصدار الاحكام صورياً عليهم بأمر من جمال السفاح بغية التشفي والانتقام .

٤- العبث بالشعائر الدينية والمقدسات الاسلامية والدعوة الصريحة الى الكفر والالحاد ، حتى ان المنظمة المعروفة باسم (ترك أو جاغي) كانت تدعو جهارا الى نبذ قواعد الشرع الشريف والعودة إلى عبادة الاوثان وذلك ثابت فيما اصدرته من بيانات وما ادلى به زعماء هذه المنظمة من احاديث وتصريحات .

٥- انتشار الفوضى والفساد في جهاز الحكم والعبث بجميع القيم الاخلاقية والروحية وتغلغل الرشوات في مختلف الدوائر الرسمية.

٦- تردى الحالة الاقتصادية في بلاد الحجاز وقطع مصادر التموين عن ابناء الحجاز وايصاد ابواب الحج مما احدث بلبلة شاملة وازمة خانقة.

وتضيف الدكتوره سهيلة الريماوي سببين آخرين فتقول :

١- الحروب التي ادت الى ضياع الدولة : « إن الفئة الاتحادية التي سلبت الحكم في البلاد العثمانية ، أضاعت في مدة لا تتجاوز ثماني سنوات نحو ثلث الدولة وحملت الثلثين الباقيين من الديون الباهظة ما تنوء به خزائن قارون ، وسفكت من الدماء الطاهرة البريئة ما جرى كالسيل»(١) وفي هذا اشارة الى ضياع البلقان وطرابلس الغرب (ليبيا) .

٢- خطة الاتحاديين العقيمة نحو العروبة والاسلام فقد : « افتتحوا عصر دستورهم شر فاتحة » اذ طالبوا رسميا مجلس «المبعوثان» بـ « جعل دولة الخلافة بلا دين » (٢) بل قد تجاهل الاتحاديون شأن الاسلام إذ يرون فيه وسيلة من وسائل تقهقرهم وضعف حالهم (٣) ، وهكذا أخذ الاتحاديون بمحاربة الاسلام في مفاهيمه وفي نصوصه« لدرجة أنهم أخذوا يرون في التراث الاسلامي السابق لهم مجموعة من الافكار العتيقة التي لا تصلح لهذا الزمان » (٤). وقد طرح النواب العرب في مجلس المبعوثان » عدة قضايا عربية منها قضية شراء الأراضي في فلسطين من قبل الاتحاديين وتقديمها للصهاينة ، وقضية ثورة اليمن ، وقضية ضياع طرابلس الغرب ، وبينوا موقف الحكومة السلبي تجاه هذه القضايا (٥) .

---

(١) العدد ٢٠١٦ .

(٢) ، (٣) القبلة العدد ٤:١٥

(٤) القبلة العدد ٢٠٣

(٥) راجع أعداد جريدة الأهرام ، والمؤيد والمفيد والمقتبس الصادرة خلال عام ١٩١١ . محاضر الجلسات .

* انظر كتابها : الاتجاهات الفكرية للثورة العربية الكبرى ،ص ١٩.

فازاء هذه العوامل القاهرة والازمات المتلاحقة والمحن القاسية التي كادت تؤدي بالبقية الباقية من ابناء العروبة التي ادت الى انهيار الدولة العثمانية – لم يكن مندوحة من اعلان الثورة وانقاذ البلاد من تلك الاوضاع المتداعية والاخطار المحققة .

نشاط الحركة الصهيونية :

ومن العوامل الفعالة التي زادت في نقمة العرب من سياسة الاتحاديين ولم يتعرض لها احد من المؤرخين او الكتاب العرب (الا لماما) اتساع نطاق الحركة الصهيونية وتشجيعها من قبل حكام الاتحاديين .

فقد اخذت تنكشف نوايا الصهيونية لاحرار العرب اولا فاولا ولا سيما بعد انعقاد المؤتمر اليهودي في بازل بعد ان كانت الفكرة اليهودية قد جمدت بسبب معارضة بعض الحكام الترك ، كما يرى المرحوم الأستاذ تيسير ظبيان .

ولوحظ ان زعماء الحركة الصهيونية اخذوا يتصلون برجال حزب الاتحاد والترقي في فلسطين !! وكشفت الصحف المحلية النقاط عن المخطط الخطير الذي أعده زعماء اليهود في سبيل الاستيلاء على فلسطين ويلخص هذا المخطط في انشاء مدارس يهودية في فلسطين وتعليم اللغة العبرية ، وانشاء صندوق توفير يهودي ورفع مستوى الزراع اليهود ، وتنشيط التجارة اليهودية والحصول على المساعدات المادية بشتى الطرق من مختلف الجهات.

ثم قامت ضجة في الصحف التركية والعربية على السواء ضد الحركة الصهيونية اثر البيان الرائع الذي القاه السيد شكري العسلي نائب دمشق في مجلس النواب العثماني واشار فيه الى الخطر الصهيوني في فلسطين وقد اماط اللثام عن المؤامرة الخطيرة التي تدبر في الخفاء والتي تهدف بيع ثلاثة ملايين

دونم من اراضي فلسطين وسورية الى الجمعيات الصهيونية ، وعلم ان بعض اقطاب الاتحاديين الموالي لليهود والمعروفين باسم (الدونمة) وعلى رأسهم جاويد بك وزير المالية كانوا من وراء هذه المؤامرة التي ما لبثت ان باءت بالفشل خوفا من استياء العالم الاسلامي !!

على ان العامل الرئيسي المباشر الذي عجل في اندلاع لهيب الثورة هو اقدام جمال السفاح بموافقة وتاييد زملائه الاتحاديين على اعدام النخبة المنتخبة من رجالات العرب واحرارهم والصفوة الممتازة من مثقفيهم ومفكريهم وتشريد الوف العائلات العربية الى مجاهل الاناضول كما أشرنا إلى هذا الموضوع آنفاً .

وكانت التهمة الموجهة الى هؤلاء انهم كانوا يقومون بنشاط معاد للدولة العثمانية او لمجرد انتسابهم لبعض الاحزاب والجمعيات السياسية . وقد اسر الوالي التركي في دمشق في ذلك الحين واسمه خلوصي بك الى احد اصدقائه من رجالات العرب (أن التهم التي وجهت الى اولئك الابرياء سلسلة من التزويرات والتلفيقات)[1]

« **خلاصة العلاقة بين الاتحاديين والعرب**» : الواقع ان رابطة الدين الاسلامي كانت تقرب بين العرب والاتراك في ظل السلاطين العثمانيين ، الذين اخذوا مقام الخلافة الاسلامية من آخر الخلفاء العباسيين ، وفي ظل السيادة العثمانية احتفظت بعض الاقطار في شبه الجزيرة العربية بنوع من الاستقلال الداخلي ، في اليمن ونجد والحجاز وفي اواخر القرن التاسع عشر ، اخذ ابناء سورية الطبيعية والعراق يتطلعون إلى اصلاح نظام الحكم في الدولة العثمانية ، بعد ان

---

(١) تيسير ظبيان . الزوايا المشرقة في ثورتنا المباركة، ص٢٦-٢٨ .

حل بها الضعف واستولت بعض الدول الاوروبية على اجزاء من اراضيها العربية (تونس والجزائر ومصر وعدن وغيرها) .

ولكن الدولة استمرت في السير على نظام الحكم المركزي القديم . وفوق ذلك اتخذت قرارا بالغ الخطورة (في عهد السلطان عبد الحميد الثاني) ، وهو ان تكون اللغة التركية اللغة الرسمية الوحيدة ، التي تستعمل في الدوائر الرسمية وفي المدارس الحكومية . ومع مضي الزمن شعر العرب بما ينطوي عليه هذا القرار من ظلم واجحاف ، وبأنه سيؤدي في المستقبل القريب الى تتريكهم وطمس هويتهم القومية .

وقد بلغ من استياء العرب ان الشريف حسين اعتبر ان قتل اللغة العربية قتل للاسلام نفسه ، ومن هنا اصبحت المطالبة باعتبار اللغة العربية لغة رسمية في الاقطار العربية ، على رأس مطالب العرب من الدولة العثمانية .

وفي عام ١٩٠٨ قامت جمعية الاتحاد والترقي بانقلاب ضد الحكم الفردي للسلطان عبد الحميد ، وأمام الامر الواقع وافق السلطان على اعلان الدستور وعلى الاثر جرت انتخابات نيابية في اقطار الدولة العثمانية ، ثم اجتمع مجلس المبعوثان (النواب) في العاصمة اسطنبول وكان للعرب في ذلك المجلس نواب يمثلون مختلف اقطارهم ، كما عين عدد قليل منهم في مجلس الاعيان .

استبشر العرب باعلان الدستور وبالمبادىء المثالية التي اعلنتها جمعية الاتحاد والترقي (حرية عدالة ، مساواة) ، ولكن الاتحاديين (اعضاء جمعية الاتحاد والترقي) ، اخذوا يسيرون على سياسة عنصرية محضة ، ترمي الى تشديد قبضة العنصر التركي الحاكم على بقية الشعوب الاخرى في الدولة العثمانية ، ووصف الملك عبد الله في مذكراته تطور الاوضاع قائلا : ان الامر انتهى الى ان « تحولت الحاكمية السلطانية إلى حاكمية ملية محصورة في

العنصر الذي منه السلطان ، وغدت سائر العناصر والاقاليم تبعا للعنصر الحاكم، وشرع في تتريك العناصر الاخرى لتغيير صبغتها القومية ... عند ذلك شعر العرب .. انهم على خطر الزوال ، فحدثت الثورات في بلاد الارناؤوط وفي جبل الدروز وفي الكرك .. » وفي عسير ونجد واليمن .

بعد اعلان الدستور ألفّ العرب عددا من الجمعيات التي تعمل على تعزيز ثقافتهم من جهة ، وترفع شعار اصلاح الادارة من جهة ثانية . وعندما اشتدت قبضة الاتحاديين (بعد عام ١٩١١) ، عمد العرب الى تأليف جمعيات سرية في الداخل وجمعيات علنية في الخارج ، هدفها العمل على اعلاء شأن الامة العربية ، والسعي لان يكون للعرب صوت مسموع في ادارة الدولة وفي جهاز الحكم ، وان تتمتع اقطارهم بالحكم اللامركزي ، وتكون اللغة العربية لغة التعليم والمعاملات الرسمية في بلادهم ، ومن أهم تلك الجمعيات (العربية الفتاة) و (العهد) و (اللامركزية) . وكانت هذه الأخيرة علنية في مصر .

وكان ساعد الاتحاديين قداشتد بعزل السلطان عبد الحميد ، فانفردوا بالحكم وبرز منهم ثلاثة اخذوا يسيرون في ادارة الدولة كما يشاؤون . وهؤلاء الثلاثة هم : طلعت باشا وزير الداخلية (وبعد ذلك الصدر الاعظم) ، وانور باشا وزير الحربية ، وأحمد جمال باشا وزير البحرية .

بقيت العلاقة بين العرب والاتحاديين في نطاق الشد والتجاذب حتى صيف سنة ١٩١٤ ، عندما نشبت الحرب العالمية الاولى بين عدد من دول اوروبا القوية ، وكان لنشوب تلك الحرب تأثير حاسم وكبير في تقرير مصير الدولة العثمانية وفي تقرير الشعوب التي كانت تتألف منها .

* * * * *

لم ينظر الاتحاديون بعين الاعتبار الى سلامة الحفاظ على العلاقات الودية بين الشعبين العربي والتركي ففي بداية الحرب انتدبوا احد أقطابهم أحمد جمال باشا ، للسفر الى سوريا ، وعينوه قائدا عاما للقوات العثمانية التي قرروا ان تهاجم الانكليز في مصر ، وفي شباط ١٩١٥ دفع جمال قواته للهجوم على قناة السويس ، ولكن الهجوم لم يحرز اي نجاح ، فعاد جمال الى دمشق ، ولكي يغطي على هزيمته ، فانه عمد في شهر نيسان الى اعتقال عدد من الزعماء الاحرار والشبان المثقفين ، وأحالهم الى المحكمة العسكرية بتهمة انتماء بعضهم الى أحزاب قومية ، وبأن البعض الآخر أجرى اتصالات قبل نشوب الحرب مع دولة أجنبية . وكان ذهول السوريين كبيرا حينما تم اعدام رجال القافلة الاولى من احرار العرب يوم ٢١ آب ١٩١٥ ، وفي الوقت نفسه صدرت أحكام الاعدام غيابيا على أكثر من ٧٠ شخصا من أبناء سوريا الطبيعية ، كان أكثرهم يقيم في مصر .

فرض جمال حكم الارهاب على سوريا ، فطغى وتجبر وبغى وضاقت الأرض بما رحبت ، وخاف بأسه كل عزيز وذليل (على قول الملك عبد الله) .

وفي تلك الاثناء عقد اركان جمعيتي (العربية الفتاة) و (العهد) اجتماعا في دمشق ونتيجة لمداولاتهم اوفدوا واحدا منهم إلى مكة المكرمة ، وكلفوه ابلاغ الشريف حسين ان ممثلي سوريا والعراق يسعون « لانهاض العرب من كبوتهم »، وانهم يطلبون من الشريف ان يتولى مسؤولية قيادتهم .

بعد ان أبلغ الشريف هذه الرسالة اوفد نجله فيصل الى دمشق لكي يطلع على حقيقة الوضع . وفي الاجتماعات التي عقدها فيصل مع اركان الجمعيتين ، أقنعه هؤلاء انهم يستطيعون القيام بالثورة في سوريا – بعد أن استفحل طغيان جمال – وانهم لا يريدون من الشريف الا ان يتولى زمام القيادة بحكم ما له من

هيبة ومكانة دينية وقومية ، كما ان اركان الجمعيتين وضعوا ميثاقا وطنيا لكي يتفاوض الشريف على أساسه مع بريطانيا (١).

* * * * *

ان الشريف حسين كان يعتقد بأن مصلحة العرب والأتراك واحدة ضمن الرابطة العثمانية ، وانه مسؤول عن المصلحة العليا للدولة مثله مثل غيره من كبار المسؤولين في العاصمة ، وكان معتدا بقوة وضعه في الحجاز نستدل على ذلك من رسالة بعث بها الى أخيه ناصر ، واشار فيها الى أنه يدرك نيات الاتحاديين السيئة جيدا ، وان مساعيهم ضده قد تؤدي الى « خروج الحجاز » من يد الدولة ثم طلب ، من اخيه ان يبلغ الصدر الاعظم « ان الدولة ليست محصورة في الترك بل لنا النصيب الاعظم في الشور وحق الرأي فيما يتعلق بأساسها ، ما هو لكسب شهرة أو منفعة ذاتية بل لخدمة جماعة المسلمين .

وكان ولاء الشريف حسين للدولة العثمانية في ذلك الحين صادقا ، ولكنه لم يكن ولاء العبودية بل ولاء الرجل القوي ، الذي يعتقد ان الدولة هي دولة العرب والمسلمين بقدر ما هي دولة الاتراك ، وأنه لذلك لا بد من الحفاظ على وحدتها اما الادريسي فقد اقدم الشريف على محاربته لاعتقاده انه « تابع الطليان وتحت نفوذهم » وأنه « عدو الله» .

وهكذا برز اسم الشريف حسين في الاوساط العربية والعثمانية ، وارتفع شأنه ، وذاع صيته واصبح ينظر اليه على أنه ابرز زعماء العرب واشدهم طموحا واكثرهم معرفة بمجرى الاحداث السياسية في الدولة وأقربهم فهما لطموحات العرب القومية ، ولقد أسهم في كل ذلك وجود أخيه ناصر عضوا في مجلس الاعيان وابنيه عبد الله وفيصل عضوين في مجلس المبعوثان ، ثم أن الحجاز

---

(١) للمزيد انظر سليمان موسى : الثورة العربية الكبرى ، رجال صنعوا التاريخ ، ص١٣-٢١ .

نفسه وهو البلاد المقدسة التي تضم مكة المكرمة والمدينة المنورة ، مهوى افئد المسلمين في جميع انحاء العالم ، كان يمنح اميره الهاشمي ، المتحدّر من صلب النبي محمد (ص) هيبة واعتبارا عظيمين ، أضف الى ذلك موقع الحجاز الجغرافي الذي يجعله اقرب من نجد واليمن الى استنبول ودمشق والقاهرة كما يقول مؤرخ الثورة العربية الأول الأستاذ سليمان موسى .

من الواضح أن شعور عدم الثقة كان متبادلا بين الشريف حسين وزعماء الاتحاديين ، ويظهر ان الاتحاديين فكروا اكثر من مرة بعزله ، ثم آثروا ان يتركوه وشأنه لسبب او لآخر ، ومن الواضح ايضا ان الشريف حسين لم يؤخذ مطلقا بالكلام المعسول الذي كان يسمعه منهم حينا بعد اخر ، اذ كان يعرف جيدا انهم قد يقولون شيئا وفي الوقت نفسه يفعلون عكس ما يقولون . ولكن يبدو ان صبر الاتحاديين نفد في أواخر ١٩١٣ فعينوا العميد وهيب بك ، واليا وقائدا للقوات العسكرية في الحجاز ، وفي كانون الثاني ١٩١٤ وصل وهيب إلى جده على رأس سبع كتائب مشاة ، وبمجرد وصوله أظهر الشده في اجراءاته واعلن انه سيعمل على تطبيق قانون الولايات في الحجاز وتمديد خط سكة الحديد من المدينة الى مكة ، وأخذ يتدخل في كل شيء وقد نشأ عن ذلك هياج بين أهل المدن وبينما عمدت القبائل الى قطع الطريق بين جدة ومكة ، وجرت اعتداءات على بعض قوافل التجار وعلى زورق في ميناء جدة ... اعتكف الشريف حسين في منزله بعد ان ابرق الى الصدر الاعظم انه لا يتحمل مسؤولية ما يحدث في الحجاز ، بينما أبرق وهيب الى الحكومة يتهم الشريف بتدبير الحوادث .

وازداد الوضع تأزما فقطع البدو خطوط التلغراف بين جدة ومكة وصادروا البريد ، وهاجموا مفرزة من الجند وقتلوا خمسة من افرادها ، وحاصروا النقاط العسكرية بين المدينتين . ثم تجمهر أهل مكة حول دار الحكومة ينادون بابقاء امتيازات الحجاز ، وأثناء ذلك ذهب الشريف الى مكتب الوالي وطلب منه أن يرى

التعليمات التي يحملها عن سلخ امتيازات الحجاز . حدث هذا بينما كانت الجماهير تهتف للأمير « دم دائما » وبعد يومين ادرك وهيب حراجة الوضع فذهب يعتذر للشريف ، ولكن بدون جدوى ، وبقيت الأزمة أياما اخرى الى أن وردت برقية من الصدر الأعظم للأمير بأنه لا إخلال بحقوق الإمارة وبامتيازات الحجاز فهدأت الاحوال (١)

.... هذه صفحة من صفحات تاريخ الأردن المعاصر ، هذه صفحة حق واباء هاشمي ، وقد تحدثنا فيها عن أخطار حزب الاتحاد والترقي وآثارهم السيئة الممتدة إلى اركان الدولة العثمانية ، وكيف كانوا سبباً في تقويض ، بناء هذه الدولة ، بل وكيف راقبوا نشاط مؤتمر الطلبة العرب في باريس عام ١٩١٣م، ولذا لم يقتصر خطر هؤلاء على الداخل ، بل امتدّ إلى كل حركة عربية اسلامية ظهرت في الدول الغربية !

كما لجأ هؤلاء إلى تغيير الولاة والقضاة وتعيين الموالين لهم ، وخير مثال على هذا تعيين وهيب باشا واليا على الحجاز وجمعه السلطة المدنية والعسكرية ومحاولته القضاء على الشرافة والحدّ من سلطات الشريف الهاشمي الحسين بن علي ، بل كيف بهم وهم ينزعون وزارة الاوقاف الاسلامية من وزير عربي واسنادها الى تركي بحيث لم يبق أي عربي في الوزارة ، كيف بهم وهم يعبثون بالشعائر الدينية والمقدسات الاسلامية ؟!... ولذا كانت الثورة في أرض الحجاز ، وكان الثائر القائد الحسين بن علي .

---

(١) سليمان موسى ، صور من البطولة ، ص١٩-٢١ .

« لا أتنازل عن حق واحد من حقوق البلاد ، لا أقبل الا أن تكون فلسطين لأهلها العرب . لا أقبل بالتجزئة ولا أقبل بالانتداب، ولا أسكت وفي عروقي دم عربي »

« لو أن هذا العمل الذي اعتقد فيه كل الصلاح ، لقومي وبلادي وديني ، يعترضه أحد بسوء ولو كان أحد أولادي لصلبته بيدي غير آسف عليه لأني أحب قومي وبلادي وديني أكثر من كل شيء في هذا الوجود .

إن هذه النهضة عربية ، تشمل كل عربي كائنا من كان على شرط أن يكون صادقا لوطنه مخلصا لقومه » .

الحسين بن علي

في تعليقه على خطاب الشيخ محمد رشيد رضا

صاحب جريدة المنار في منى عام ١٣٣٥ هـ

الفصل الثالث

﴿ أصول الثورة العربية ﴾

اصول الثورة العربية

يقول الدكتور ممدوح الروسان:ترجع اصول او جذور الثورة العربية الى نمو وتطور الوعي القومي العربي في الفترة ما بين (١٨٤٧- ١٩١٦) بحيث كانت الثورة بمثابة المحصلة او النتيجة لتطور وتنامي هذا الوعي . واذا كانت البدايات الاولى لهذا الوعي تمثل مرحلة الميلاد او الطفولة ، فان الثورة تمثل مرحلة البلوغ والشباب للوعي القومي العربي ان صح التعبير . فالوعي القومي العربي في تطوره خلال الفترة السابقة لم يخل من الدعوة الى قيام دولة عربية مستقلة ، بصرف النظر عن اطارها الجغرافي ، برئاسة احد اشراف مكة . وترجع اقدم دعوة في هذا المجال الى عام ١٨٥٨، فقد جاء في رسالة القنصل البريطاني في حلب الى السفير البريطاني في استانبول (١٨٥٨/٧/٣١) قوله :

« يظهر ان السكان المسلمين في شمال سوريا تدغدغ افئدتهم احلام جميلة بالانفصال عن الامبراطورية العثمانية واقامة دولة عربية برئاسة شريف من اشراف مكة » .

تكررت الدعوة لرئاسة اشراف مكة لحركة الاستقلال العربي في مناسبات تالية ، فقد دعا عبد الرحمن الكواكبي إلى عقد مؤتمر في مكة عام ١٣١٦هـ/ ١٨٩٨م برئاسة احد رجال مكة لتدارس احوال المسلمين ووضع وسائل نهضتهم ، ومؤكدا على المكانة التي يجب ان يحتلها العرب في الاسلام بفضل لغتهم وشرف نسبهم قائلا :

« إن عرب الجزيرة هم المؤهلون لاعادة مجد الاسلام لأن العناية الالهية حمتهم

من الفساد الخلقي الذي اصاب الاتراك . واضاف : ان العرب انسب الاقوام لان يكونوا مرجعا في الدين ،وقوة للمسلمين ، ولذا لايجوز الاتكال على العثمانيين في امر الخلافة ».

تطلع العرب الى الشريف حسين بن علي :

اذا كانت الانظار العربية قد اتجهت الى زعماء شبه الجزيرة العربية وبخاصة في مكة كي يتولوا زعامة العرب ، فأن انظارهم راحت تتركز على الشريف حسين بن علي بعد ان عين شريفا على الحجاز واميرا على مكة عام١٩٠٨ .

ففي عام ١٩١٣رفع خمسة وثلاثون نائبا من النواب العرب في مجلس المبعوثان العثماني مذكرة الى الشريف حسين فوضوه فيها بالتحدث باسم العرب، ورفعها طالب باشا النقيب (نقيب اشراف البصرة ، ورئيس الجمعية الاصلاحية فيها) برسالة منه جاء فيها قوله :

« نحن نعترف بغيرتكم على ديننا وامتنا ، وانّا مستعدون للقيام الى جانبكم اذا قمتم بخلع هذا النير الذي اثقل كاهل العرب لانتشالهم مما هم فيه من الظلم والعبودية » اما مذكرة النواب العرب فقد خاطبت الشريف حسين قائلة :

نحن نواب العرب في مجلس المبعوثان نقرك على امارة مكة ، ونعترف لك دون سواك بالرئاسة الدينية على جميع الاقطار العربية ، واجماعنا هذا هو بالنيابة عن اهل بلادنا نجهر به عند الحاجة ، والله يحفظك لأمتك ، ويساعدك لدفع الشر عن دينك »(١)

(١) للمزيد انظر ثورة العرب، القاهرة، ١٩١٦، ص٧٨ وما بعدها .

وعندما نشبت الحرب العالمية الاولى ، دخلتها تركيا إلى جانب المانيا بالرغم من نصيحة الشريف حسين لها بعدم دخولها إلى جانب المانيا ، فقد كان الشريف يعتقد ان العرب شركاء للاتراك في ادارة شؤون الدولة ، وان من حقهم المشاركة في اتخاذ القرار السياسي الذي يتعلق بمستقبلها ومصيرها .

في هذه الظروف الصعبة بادر وطنيو سوريا الى دعوة الشريف حسين الى تزعم الثورة ضد الاتراك ليجنبهم دسائس طلعت باشا وجمال باشا ، بصفته أبو العرب ، وزعيم الاسلام ، وأعظم أمير عربي ، وأجل نبيل . وقد وقع الرسالة التي وجهت الى الشريف حسين عدد من العسكريين العراقيين ، والسوريين أمثال ياسين الهاشمي وعلي رضا الركابي ، بالاضافة الى بعض المدنيين أمثال عبد الغني العريسي ، وقد حمل هذه الرسالة الى الشريف ، فوزي البكري بن عطا البكري في كانون الثاني سنة ١٩١٥ .

وفي لقاء لعزت باشا العابد (السكرتير الثاني في عهد السلطان عبد الحميد الثاني) مع أحد موظفي الخارجية البريطانية المستر كلارك ٤ / ١ / ١٩١٥ ، قال فيه : لا سبيل الى ان يقف العرب كتلة واحدة في وجه الاتراك ، التحرر من سيطرتهم الا حول خلافة عربية ، والمرشح الوحيد ذو الكفاءة بالأفضلية هو الشريف حسين شريف مكة ، وقد ابدى السيد علي الميرغني أكبر زعيم ديني في السودان وجهة نظر مماثلة . كما ان الامير سعيد الجزائري الذي زار مكة أثناء ولاية وهيب باشا قال للشريف :

« أنت ثاني رجل في الدولة العلية بعد الخليفة ، ومن لنا أمير غيرك اذا أصيبت الخلافة ».

كما ابدى عبد العزيز بن السعود موافقته على زعامة الشريف حسين للثورة العربية وكذلك الشريف الادريسي في عسير .وقد أشرنا إلى هؤلاء في ثنايا الدراسة.

واضح مما سبق أن الشريف حسين بن علي لم ينصّب نفسه بنفسه زعيما للعرب في ثورتهم ضد الاتراك ، ولكن العرب (أحزابا ، وجمعيات ، ونوادي ، وحكاما وشخصيات دينية وادبية أنفسهم هم الذين نصبوه زعيما لهم ، وقائدا لثورتهم وليس ابلغ في الدلالة على ذلك مما قاله فيصل في المذكرة التي قدمها الى مؤتمر الصلح في كانون ثاني ١٩١٩ :-

« لقد أصبح والدي أثناء الحرب زعيما للحركة القومية العربية نزولا عند رغبة فرعي الحركة في سوريا والعراق اللذين بعثا بنداء اليه ليتزعم الحركة....» .وكرر نفس المعنى في خطابه في المؤتمر السوري بتاريخ ٣ / ٣ / ١٩٢٠ ، قائلا : « ان والدي دخل الحرب في صفوف الحلفاء بعد أن استوثق من العرب في الجزيرة وسوريا والعراق »

ولقد اعترف الشريف حسين نفسه بتاريخ ٢٨ / ١٢ / ١٩١٥ ، في معرض رده على رسالة السيد علي الميرغني قائلا : « ان العرب هم الذين اختاروه زعيما ، وأجبروه لكي ، يتولى أمر مستقبلهم » .

فالثورة العربية كما هو واضح استمدت اصولها من مصدرين ، الاول : الوعي القومي العربي ممثل في حق العرب في ان تكون لهم دولتهم المستقلة الخاصة بهم وذلك انطلاقا من الاسلام والثاني : مرتبط بالأول ومتفرع عنه ونقصد به سوء الادارة العثمانية وبخاصة في الفترة التي سبقت الحرب واعقبت دخول تركيا لها مباشرة إلى جانب المانيا يمكن معها القول بأن طموحات العرب في الاستقلال والانفصال عن الدولة العثمانية كانت تتناسب طرديا وسياسة الارهاب والقمع التركية (١) .

---

(١) د. ممدوح الروسان : حروب الثورة العربية الكبرى ص٧-١٠ .

وبعد ان عرضنا لاصول الثورة العربية ، وتطلع العرب جميعا الى الشريف حسين بن علي وقيادته الحكيمة ، فهو لم ينصب نفسه زعيما وانما جاءته الزعامة تسعى اليه من العرب جميعا جماعات وافرادا ، أقول بعد هذا العرض الموجز لا بد من الحديث عن بدايات اليقظة العربية ، والفكر السياسي للنهضة العربية الكبرى ، ويعدّ الدكتور علي محافظة خير من تناول هذا الموضوع في كتابه القيّم « الفكر السياسي في الاردن » ، وقد اعتمدنا عليه فيما يلي ، وقدمنا لذلك بالحديث عن الحركات العربية في الاقطار المجاورة .

«بدايات اليقظة العربية الاسلامية »

على الرغم من تميز النهضة العربية الاسلامية بقيادة الشريف الهاشمي الحسين بن علي ، وعلى الرغم من أن هذه الثورة لم تمت بموت صاحبها وباعثها وانما هي حية ما حيي الهاشميون ، أقول على الرغم من هذه وتلك فإن هناك حركات مماثلة لهذه النهضة الهاشمية من حيث التوجه العام ، ولكن النهضة العربية الاسلامية – موضوع دراستنا – تتميز على غيرها من ثورات وحركات – كما اشرنا – ومن هذه الحركات : حكم آل العظم في ولاية سورية ، وحركة ظاهر عمر الزيداني في الجليل ، وحركة علي بيك الكبير في مصر ، وحركة الوهابيين في الجزيرة العربية ، وحركة محمد علي في مصر كذلك .

* * * * *

يتفق المؤرخون الغربيون على اعتبار مطلع القرن التاسع عشر بداية الانبعاث العربي الحديث . فيعزون نقطة من نقاط انطلاقه الى حملة بونابرت على مصر . انما هناك عوامل اخرى يجدر الانتباه اليها ظهرت بوادرها خلال القرن الثامن عشر على مسرح المشرق العربي وادت جميعها في اتجاهها الاساسي

الى خلق مناخ سياسي واجتماعي هيأت المنطقة الى الانفتاح والى الشعور بالهوية العربية الاسلامية والطموح الى الاستقلال الذاتي . فهذه العوامل هي داخلية في اصلها وفي مجمل تطورها ولو انها اتصلت اتصالا وثيقا بالحالة السياسية العامة التي خضعت لها السلطة العثمانية - حاكمة البلاد - في صراعها الطويل والمنهك ضد القوى المعادية لها في الغرب الاوروبي او الشرق الفارسي .

١- حكم آل العظم في ولاية سوريا وفي بلاد الشام ١٧٢٥ - ١٧٨٣ :

سيطر آل العظم على مصير البلاد رسميا منذ ولاية اسماعيل باشا على الشام سنة ١٧٢٥ وحتى اواخر القرن الثامن عشر ١٧٨٣ تاريخ وفاة محمد باشا العظم ، بصورة تكاد تكون غير منقطعة ، وقد ازدهرت البلاد ايام حكمهم ازدهارا تجاريا وعمرانيا وحضاريا ، وما زالت مدينة دمشق ومدن شامية اخرى شاهدة على ما وصلوا اليه من حضارة . وكانت ولاية سليمان باشا « ١٧٣٤ - ١٧٣٨ - و ١٧٤٠ - ١٧٤٣ » ولا سيما ولاية اسعد باشا « ١٧٤٣ - ١٧٥٧ » ـي دمشق وولاية ابناء الاسرة الاخرين في حلب وصيدا وطرابلس خلال القرن يلا على نفوذهم في الاستانة وتشعب مصالحهم في البلاد الشامية ، فخلقت ىذه الادارة حالة غير معهودة ومألوفة من الاستقرار الحكومي ذات الطابع العربي الاصيل . مما أدى الى انتعاش القوى المحلية وتبلور فكرة اللامركزية في اطار الحكم العثماني .

٢- حركة ظاهر عمر الزيداني في الجليل وسواحل سوريا الجنوبية ١٧٤٤ - ١٧٧٥ :

بدأ هذا الشيخ العربي حياته السياسية كملتزم في مدينة صيدا وتوسع نفوذه منذ الاربعينات على مقاطعات نابلس (١٧٤٤) وصفد وعكا . فبدأ يناهض الحكم العثماني وولاة الشام ويسعى الى توطيد حكمه الذاتي في سوريا الجنوبية . فلعب دورا سياسيا محليا هاما في جميع المجالات حتى اواسط السبعينات ،وعارض الامتيازات التجارية الاجنبية (ولا سيما الفرنسية منها) وشكل حزب العرب مجسما مطامحهم اللاشعورية او اللاواعية حيال حزب الباشاوات او الولاة الاتراك، وتفاوض مع الروس لا بل وتعاون معهم او حاربهم حين حاولوا ان يجعلوا في بيروت قاعدة لهم ولليونان في حربهم ضد العثمانيين واستولى بذاته على المدينة مدة من الزمن . ثم تحالف مع علي بك الكبير والي مصر عند حملته على بلاد الشام ١٧٧١ - ١٧٧٢ ألى أن أفل نجمه في اواسط السبعينات (١٧٧٥) وقتل بعد ان استرجع الاتراك نفوذهم في المنطقة ، وكان الشيخ الظاهر لا يخفي مطامعه في توطيد حكمه العربي الذاتي مناهضا السلطة العثمانية بالتعاون مع القوى المصرية المتمردة او مع القوى الاجنبية .

٣- حركة علي بيك الكبير في مصر وسياسته التوسعية في الجزيرة العربية وبلاد الشام ١٧٥٧ - ١٧٧٢ :

لمع نجم المملوك علي الكبير في مصر بعد ان اصبح شيخ البلد في القاهرة سنة ١٧٥٧ وبدأت سلطته الشخصية تترسخ في الولاية المصرية رغم المصاعب الجمة والمؤامرات الداخلية التي كانت تشل الادارة العليا في ولاية مصر . فعندما وطد سلطته سنة ١٧٦٦ أوكل الى صهرة محمد أبو الذهب قيادة جيوشه ، فاستولى على المدن المقدسة في شبه الجزيرة العربية واشرف على التجارة

المحلية ، وعلى تجارة البحر الاحمر الدولية وصك العملات باسمه سنة ١٧٦٨ . وحاول الاستيلاء على بلاد الشام سنة ١٧٧٠ متحالفا مع الشيخ ظاهر العمر ليؤسس دولة عربية توحد بين مصر والحجاز وسوريا وتسيطر على أهم الطرق التجارية والاستراتيجية بين الغرب الاوروبي والبحر المتوسط الشرقي / باب الشرق الاسيوي .

وقد استطاع الاتراك ان يجذبوا اليهم صهره محمد ابو الذهب بينما كانت جيوشه المنتصرة تتأهب لدخول مدينة دمشق سنة ١٧٧١ ، واذ دب الخلاف بين علي الكبير ومحمد ابي الذهب تمكن الاتراك من توريط الجانبين ودحرهم بمعاونة عملائهم ولا سيما الانكليز منهم ، وعلاوة على الاتراك فقد لعبت السياسة الاوروبية دورا حقيقيا ، ولو انه كان خفيا في السياسة الشرقية لم تحلل عناصرها حتى اليوم تحليلا علميا وثائقيا كاملا ، كما يرى العماد مصطفى طلاس .

٤- حركة الوهابيين في شبه الجزيرة العربية ولا سيما في الحجاز ونجد ١٧٤٥ - ١٨١٨ :

الحركة الوهابية : كان العرب في حالة تأخر روحي ومادي ، فالاسلام كان الحافز الرئيسي في دفع العرب الى بناء دولتهم الاولى وحضارتهم العظيمة ، وكان المسلمون في القرن الثامن عشر قد ابتعدوا عن روح الاسلام الاصيلة وتفشّت فيهم البدع والمعتقدات الغريبة التي حولت الاسلام في أذهانهم من حافز الى العمل الى حافز للتواكل والكسل . وقد ظهرت الوهابية في اواسط القرن الثامن عشر ونادت ان لا سبيل الى نهضة العرب الا باصلاح الدين والعودة بالاسلام الى ما كان عليه ايام الرسول (ﷺ) ، ومعنى هذه الدعوة هو ان تعود قيادة المسلمين الى أيدي العرب ، كما كان الحال من قبل ، وفي هذا تفويض

السلطة التي يقوم عليها حكم السلاطين العثمانيين من جذورها ، يضاف الى تلك ان سيطرة الوهابيين على مكة والمدينة وما أدت اليه من بث الدعوة الوهابية بين الحجاج القادمين من الولايات العربية الخاضعة للسيطرة العثمانية ، دل على أن السلطان العثماني ليس جديرا بلقب حامي الحرمين الشريفين فخفت هيبته في نظر الناس !

لم تكن هذه الحركات المحلية لتنشأ في المشرق العربي لولا ان السلطة العثمانية لم تمر طوال القرن الثامن عشر في سلسلة ازمات داخلية دولية اضعفت قواها ودحرتها اندحارا واسعا على جميع الجبهات الاوروبية في البلقان وشمالي البحر الاسود على حدودها مع الامبراطورية النمساوية ولا سيما مع الامبراطورية الروسية .

٥- محمد علي [١] : كانت سياسة محمد علي أوسع محاولة عرفها تاريخ العرب الحديث في اقامة بناء دولة عصرية . وقد استفاد محمد علي من تجارب الخلفاء العثمانيين في تكوين « الجيش الجديد» او النظام الجديد ، المقتبس من النظام الفرنسي العسكري ايام نابليون ، فأعاد تنظيم أجهزة الدولة على أسس

---

(١) محمد علي باشا الكبير ، ١٧٧٠-١٨٤٩ : هو ابن ابراهيم اغا بن علي ، مؤسس آخر دولة ملكية في مصر ، الباني الاصل ، مستعرب ولد في قولة اليونانية من اعمال الدولة العثمانية ذلك الحين.
احترف تجارة الدخان فاثرى ، وكان أميا فتعلم القراءة في سن الخامسة والاربعين ، قدم مصر وعين وكيلا لرئيس قوة من ٣٠٠ رجل لرد الغزاة الفرنسيين عن مصر . وشارك في حرب ابي قير عام ١٧٩٩. وانتصر في معركة فريزر ضد الانجليز فكانت نقطة تحول في حياته . اباد آخر المماليك في مذبحة القلعة عام ١٨١١ وانتصر على الوهابيين في الجزيرة عام ١٨١٩ ثم فتح مصر والسودان ١٨٢١ وانتصر في معركة تريب الفاصلة عام ١٨٣٩ واستلم امرة الاسطول العثماني فصارت ابواب اسطنبول مفتوحة امامه بجزعت انجلترا وروسيا فضغطوا عليه ،... ووقع معاهدة لندن عام ١٨٤١، وبذلك أصبح حكم مصر له ولذريته . قام باصلاحات كبيرة في الجيش والصناعة والاقتصاد والامن . انتزع الاراضي من الفلاحين بحيث اصبحت اراضي مصر كلها ملكا له ولعائلته ، وارهق الفلاحين بالضرائب . مات في الاسكندرية في ٢ آب ١٨٤٩ .

حديثة وساعده في هذه المهمة الكبيرة عدد من العلماء الفرنسيين الذين بقوا في مصر بعد جلاء الحملة الفرنسية ، كما استفاد من ضباط نابليون واعوانه الذين شردهم انتصار الجيوش الحليفة بعد معركة « واترلو » ، وعلى الرغم من ان مفهوم محمد علي عن الدولة كان بصورة اولية مفهوما فرديا وان حكومته كانت من طراز حكومات المستبدين المستنيرين وان الغرض من الاصلاحات الواسعة التي قام بها ، انما كانت توطيدا لنفوذه وسلطانه لا خدمة للشعب ، فقد نجح في احداث تبدلات هامة في الحياة الاجتماعية والاقتصادية والثقافية . واتجه ابنه ابراهيم الى احداث مثل هذه التبدلات في سورية .

- ان اعظم المكاسب التي نجمت عن سياسة محمد علي الاصلاحية هو الانقلاب في التعليم ولا سيما ما يتعلق بالنظام العسكري الجديد ، فبدلا من الكتاتيب وحلقات المساجد جعلت المدارس الحديثة القائمة على مناهج تتضمن تعليم العلوم الحديثة في جوانب شتى ، وقد نجم عن هذا قيام حركة ترجمة وتأليف واسعة شملت مجالات متعددة وخاصة بعد تأسيسه لمطبعة بولاق ، وقد ادى بدوره الى تطور ملحوظ في اللغة العربية قد يصل الى حد ما الى التطور الذي حققته عند بداية حركة الترجمة والتاليف في القرن الثاني للهجرة .

وهناك جانب آخر من أعمال محمد علي ينبغي الا يهمل ، وهو رغبته في انشاء امبراطوريه عربية تحل محل الخلافة العثمانية وتمتد حدودها الى الحدود التي تقف عندها اللغة العربية كما اعلن ابراهيم نجله الاكبر ، الا ان هذه المحاولة لم تنجح لاسباب عديدة : لان مضمونها القومي كان ضعيفا سواء لدى محمد علي الالباني الاصل ، او لعدم نضوج الوعي القومي لدى الشعب العربي ، وللمعارضة التي لقيها هذا المشروع من اقطاب السياسة الاوروبية في ذلك الحين، ولهذا لم تثر هذه الفكرة الا حماسة فاترة في اوساط محدودة ، وظل الولاء للسلطان المتستر بالخلافة الاسلامية أقوى أثرا .

تشكل هذه الاحداث على اختلاف نزعاتها وخصائصها بداية انطلاق الحركة العربية [1]

* * * * *

ان الفكر السياسي للثورة الكبرى هو الاساس والمنطلق لمعظم التيارات السياسية التي ظهرت في المشرق العربي وفي شرقي الاردن بخاصة . فقد كان هذا الفكر خلاصة الاتجاه القومي العام الذي ولد في الربع الاخير من القرن الماضي ونما وترعرع في مطلع القرن الحالي . ونظرا لأهمية هذا الفكر ، ولتاثيره القوى في بناء الدولة الاردنية ولدوره المميز في التكوين السياسي للقادة الهاشميين الذين تولوا قيادة الاردن ، ولهيمنته على الحياة السياسية الاردنية ، فقد رأيت أن ألخص معالمه البارزة ، ويتعذر على أي باحث او دارس للفكر السياسي في الاردن ان يلم بهذا الفكر الماما وافيا دون العودة الى جذوره ومنطلقاته الاولى .

بدأ الوعي السياسي عند العرب مع بداية نهضتهم الفكرية العامة في القرن الماضي . وساهم اتصالهم بالغرب في تعريفهم بالفكر السياسي الغربي الحديث وبما يحمل من مبادىء ومفاهيم جديدة كالحرية والديمقراطية والدستور والوطن والوطنية والامة والقومية . وقد شغل أذهانهم ، طوال ذلك ، أمران هما : اصلاح ادارة الدولة ، وعلاقتهم بالاتراك شركائهم ، وتبلورت اتجاهاتهم السياسية نحو هذين الامرين في خمسة تيارات عامة أصبحت في الربع الاخير من القرن الماضي وفي مطلع القرن الحالي واضحة المعالم وهي :

أولا : تيار يدعو الى الاستقلال الذاتي في نطاق الدولة العثمانية ، وهو التيار الذي بدأ في مصر في عهد محمد علي واستمر في عهد خلفائه

---

(١) مصطفى طلاس : الثورة العربية الكبرى ، ص٤٤-٥٠ ، ولم يثبت الباحث حملة نابليون على مصر كما اثبتها العماد طلاس ، ص٤٨ ، لعدم توائمها مع الحركات السابقة .

الى قيام الحرب العالمية الأولى : وسار في هذا التيار الباي احمد (١٨٣٧ - ١٨٥٥) في تونس ، أول الامر ، وخير الدين التونسي (١٧٨٣ - ١٨٧٧) فيما بعد . وكان الدافع لهذا التيار ضعف الدولة العثمانية وعجزها عن صد الخطر الخارجي وسعي حكام مصر وتونس الى تجنب الوقوع تحت السيطرة الغربية ، وذلك من خلال القيام بالاصلاحات الادارية والعسكرية التي تعزز مواقعهم وتقوي نفوذهم . غير ان حكام هذين القطرين العربيين وقعوا في شباك الديون الاوروبية والتدخل السافر في شؤونهم الداخلية ، الذي أفضى الى الاحتلال العسكري لهما ، وفرض الحماية الفرنسية على تونس سنة ١٨٨١ والاحتلال البريطاني لمصر في السنة التالية (١) .

ثانيا : تيار ينادي باللامركزية في ادارة الدولة العثمانية ليضمن للعرب حقوقهم في الحكم وليحافظ على لغتهم وتراثهم القومي . ويمثل هذا التيار معظم المثقفين المسلمين العرب الذين كانوا يعارضون الفساد في ادارة الدولة والاستبداد السياسي ، ويتمسكون بالاسلام اطارا لتعاونهم مع الاتراك في سبيل صد الاطماع الاستعمارية الاوروبية (٢) ، وظل هذا التيار قويا حتى أعلن الدستور العثماني سنة ١٩٠٨ ، فاستقبله العرب بحماس عظيم ، وانشأوا « جمعية الاخاء العربي العثماني » في الأستانة في ٢ ايلول ١٩٠٨ من أجل حماية الدستور والحفاظ على الدولة العثمانية واصلاح احوال الولايات العربية على أساس المساواة بين العرب والشعوب الاخرى في الدولة (٣) .

---

(١) المرجع المعتمد عليه في هذا الفصل ، علي محافظة : الفكر السياسي في الأردن ، ص ٢٩ وما بعدها .

(٢) وجيه كوثراني : الاتجاهات الاجتماعية والسياسية في جبل لبنان والمشرق العربي ، ١٨٦٠ - ١٩٢٠ ، ص٢ ، معهد الانماء العربي ١٩٧٨ ، ص ١٥٢-١٥٣

(٣) جمعية الاخاء العربي العثماني ، نص بلاغ الجمعية في مجلة العمران ، دمشق ، السنة ١٢ ، المجلد ٢ ، الجزء ٥، العدد ٢٨٢، ٣ تشرين الاول ١٩٠٨، ص٩٠-٩٣ .

وكان المتنورون من هذا التيار يصدرون عن رغبة صادقة في حل المسألة القومية في الدولة العثمانية حلا يستبعد التعاون مع الدولة الاجنبية الكبرى . ورغم تشدد « جمعية الاتحاد والترقي » التي استولت على السلطة بعد انقلاب ٢١ اذار سنة ١٩٠٩ ، في سياستها القومية التركية ، فقد ظل هؤلاء المتنورون العرب يعقدون الامال على التعاون مع الاتراك في سبيل حماية الدولة . وتألفت كتلة من النواب العرب في اذار ١٩١١ بهدف الدفاع عن حقوق ابناء أمتهم ، وانضم بعض هؤلاء النواب الى «حزب الحرية والائتلاف » المعارض لجمعية الاتحاد والترقي (الحزب الحاكم) ، ورفع شعار ادارة الدولة على قاعدة اللامركزية (١) .

وفي القاهرة أسّس المتنورون العرب الذين لجأوا اليها هربا من الاضطهاد السياسي حزبا علنيا سنة ١٩١٢ هو « حزب اللامركزية العثماني » الذي حدد هدفه ببيان محسنات الادارة اللامركزية في السلطة العثمانية للشعب العثماني المؤلف من عناصر ذات اجناس ولغات واديان وعادات مختلفة ، والمطالبة بكل الوسائل المشروعة بحكومة تؤسس على قواعد اللامركزية في جميع ولايات الدولة العثمانية (٢) .

ولما تولى حزب الحرية والائتلاف العثماني الحكم سنة ١٩١٢ ، رأت الحكومة الجديدة ان تدعو الولايات العثمانية الى جمع مجالسها العمومية لكي تضع لوائح الاصلاحات الضرورية . واستجابة لهذه الدعوة تألفت جمعية اصلاحية في بيروت ، وأخرى في البصرة وقدمتا مطالبها في الاصلاح والادارة

---

(١) سليمان موسى : الثورة العربية الكبرى ، وثائق واسانيد ، عمان ، دائرة الثقافة والفنون ، ١٩٦٦ ، ص٥٥.

(٢) المصدر نفسه ، ص ٥٧ - ٦٢ (النص الكامل لدستور الحزب)

اللامركزية إلى حكومة الآستانة ، غير أن الانقلاب العسكري الذي قام به ضباط . جمعية الاتحاد والترقي سنة ١٩١٣ ، وضع نهاية لهاتين الجمعيتين وأوقف تيار اللامركزية بصورته العلنية (١) .

ثالثا: تيار يدعو الى انشاء مملكة عربية تتمتع بالاستقلال الذاتي وترتبط بالملكة العثمانية ارتباط المجر بالنمسا في الامبراطورية النمساوية الهنغارية في تلك المدة الزمنية . وتعد هذه الدعوة خطوة متقدمة في اللامركزية العثمانية على طريق الانفصال والاستقلال التام . وتمثل هذا التيار « الجمعية القحطانية» التي تألفت سرا سنة ١٩٠٩من بعض المثقفين والضباط العرب بهدف تحويل الدولة العثمانية إلى مملكة ثنائية من العرب والاتراك ، وأن تؤلف الولايات العربية مملكة لها برلمانها وحكومتها ولغتها العربية (٢) . كما تمثل هذا التيار « جمعية العهد » التي تكونت سرا سنة ١٩١٣ من بعض الضباط العرب في الجيش العثماني ، والتي كان لها دور بارز في الثورة العربية الكبرى (٣) . وكانت « جمعية العربية الفتاة » التي تألفت سرا سنة ١٩١١ في باريس على يد بعض الطلبة العرب ثم انتقلت ادارتها الى دمشق بعد ذلك ، تنادي بهذه الدعوة حتى قيام الحرب العالمية الاولى .

---

(١) المصدر نفسه ، ص ٦٢-٦٦ (النص الكامل للائحة الاصلاحية) ، وأمين سعيد : الثورةالعربية الكبرى ج١ ، القاهرة ، مطبعة الباب الحلبي ، ١٩٣٤، ص٢٤ – ٢٥ .

(٢) المصر نفسه ، ص٧ ، وعلي محافظة · الاتجاهات الفكرية عند العرب في عصر النهضة بيروت، الاهلية للنشر والتوزيع ، ط٥ ، ١٩٨٧ ، ص١٣٩

(٣) أمين سعيد : الثورة العربية الكبرى ، ج١ ، ص٤٦، ومصطفى الشهابي : القومية العربية ، تاريخها وقوامها ومراميها ، القاهرة ، معهد الدراسات العربية العالية ، ١٩٥٩ ، ص ٨٠ .

ولما اندلعت الحرب ، غيرت الجمعية من اتجاهها ، بعد الاضطهاد والارهاب اللذين تعرضت لهما البلاد السورية ، واصبحت تنادي بالاستقلال التام عن الدولة العثمانية [1] .

رابعا : تيار يعد الدولة العثمانية دولة اسلامية ، واستمرارا للخلافة الاسلامية وحلقة متصلة بالتاريخ العربي الاسلامي ومتممة له ، ويدعو الى ضرورة التمسك بها ، وقد برز هذا التيار بوضوح في مصر بعد الاحتلال البريطاني لها ، ومثّله فيها « الحزب الوطني » بقيادة مصطفى كامل [2] . ودعا قادة هذا التيار الى عودة مصر الى حضن الدولة الام التي كانت لا تزال من الناحية الاسمية جزءا لا يتجزأ منها ، للتخلص من الاحتلال البريطاني الذي ترزح تحت نيره .

خامسا : تيار يرفض الخلافة العثمانية ويعتبرها غير شرعية ، ويدعو الى خلافة عربية قرشية ، ويمثل هذا التيار عبد الرحمن الكواكبي (١٨٤٩ – ١٩٠٢) ونجيب عازوري (ت ١٩١٦) ، فقد تناول الكواكبي في كتابه « ام القرى » الذي صدر في مصر سنة ١٣١٦ هـ موضوع الخلافة ، وألقى بذور الشك في صحة الخلافة العثمانية ، مؤكدا اعتبار النسب القرشي احد شروط الخلافة الاساسية ورد على الرواية القائلة ان الخلافة الاسلامية قد انتقلت الى العثمانيين بناء على تنازل

---

(١) أحمد قدري : مذكراتي عن الثورة العربية الكبرى ، دمشق ، مطبعة ابن زيدون ١٩٥٦ ، ص ١١–١٤ ، وفائز الغصين: مذكراتي عن الثورة العربية ، دمشق ابن زيدون ١٩٣٩ ، ص ٣٨ .

(٢) انظر : مصطفى الكامل : المسألة الشرقية ، القاهرة ، د.ت ١٨٩٨ ، ومحمد فريد · الدولة العلية العثمانية ، ص٣ ، مطبعة التقدم ، ١٩١٢ .

آخر الخلفاء العباسيين في القاهرة عنها للسلطان سليم الاول ، ودعا الكواكبي الى حق العرب في الخلافة الاسلامية .

اما نجيب عازوري ، فقد انشأ « جامعة الوطن العربي » سنة ١٨٩٦ ، بهدف تحرير الولايات العربية من الحكم العثماني ، ودعا في كتابه « يقظة الامة العربية » الصادر في باريس سنة ١٩٠٥ ، الى فصل الولايات العربية عن الدولة العثمانية ، على أن تكون الحجاز مقرا لخلافة عربية ، وان تؤلف الشام والعراق وشبه الجزيرة دولة عربية موحدة عصرية ، و« يتمتع الخليفة الديني باحترام الملك، ويملك سلطة روحية فعلية على جميع مسلمي الارض » (١)

الا ان الباحث يختلف مع الدكتور محافظة حول وجود تيار فكري سادس هو التيار القطري الانفصالي – كما يرى الدكتور محافظة – في الجزائر وتونس ومصر ولبنان ، مما يشكل تناقضا فكريا واضحا مع التيار الثالث الذي يدعو الى انشاء مملكة عربية واحدة لا تتمتع بالاستقلال الذاتي ، كما يشكل تناقضا اخر مع التيار الخامس الذي يدعو الى خلافة عربية .. وانما يمكن القول كانت هنالك دعوات فردية على يد حمدان خوجه في الجزائر ، الذي رفع شعار الجزائر للجزائريين لا للاتراك ولا للفرنسيين ، ولكن هذه الدعوة كانت في اطارها العروبي ، وما الذي يمنع من ان يعشق الانسان وطنه الاصغر في ظلال عشقه لوطنه الاكبر ، وكذا يقع الباحث في خلط آخر عند حديثة عن الدعوة القطرية في مصر على يد رفاعة الطهطاوي، وقد كانت مصر بامجادها وعروبتها وتاريخها الاسلامي غير ما دعا اليه رفاعة عن امجاد مصر القديمة الفرعونية او ما دعا اليه اديب اسحق وسليم النقاش ويعقوب صروف .... انها دعوات فردية خالصة لا تشكل اطارا فكريا محدد القوافي جاسي المظهر ، او يمكن ان نتناوله

---

(١) للمزيد انظر د. علي محافظة : الفكر السياسي في الاردن ، ص٢٨–٣١ .

كظاهرة او تيار فكري خالص مما دعا الدكتور محافظة الى اضفاء صفه الغلبة للتيارات السابقة الاولى على التيار اللاحق هذا - ان اطلقنا عليه مجازا لفظ تيار - فيقول في الصفحة التالية :

كان معظم هذه التيارات السياسية ينهل من منابع الفكر العربي الاسلامي ويصب في المحيط العربي الواسع الساعي إلى ايقاظ هذه الأمة من غفوتها ، والنهوض إلى مدارج الرقي والتقدم حتى تحتل المقام اللائق بها بين أمم العالم . كما كان يستقي من مصادر فكرية غربية ويصب في محيط الاستعمار الرامي الى استعباد هذه الامة من غفوتها ، والنهوض بها الى مدارج الرقي والتقدم حتى تحتل المقال الائق بها بين أمم العالم ، كما كان بعضها يستقي من مصادر فكرية غربية ويصب في محيط الاستعمار الرامي الى استعباد هذه الامة واستغلال خيراتها وتجزئتها وهدم كيانها وسد كل السبل المؤدية الى نهوضها ورقيها ، ولا عجب ان اندفعت المجموعة الاولى من هذه التيارات السياسية وراء الثورة العربية الكبرى ، وانضوت تحت لوائها ، بينما وقفت المجموعة الثانية منها في وجه الثورة تناصبها العداء ، وانضمت الى صفوف اعدائها . وليس من أهداف هذه الدراسة ان نتناول الافكار السياسية للتيارات التي ايدت الثورة وسارت بها ركابها ، فقد تناول دراسة هذه التيارات باحثون عديدون توسعوا في تحليل عناصرها وبيان مصادرها واستجلاء معالمها والكشف عن تطوراتها ، وانما القصد من هذه الدراسة بيان الفكر السياسي لقادة الثورة والكشف عن معالمه وخطوطه العامة ، من خلال دراسة البيانات الرسمية والبرقيات والمذكرات التي صدرت عنهم ، ومن خلال دراسة المقالات السياسية التي تضمنتها اعداد جريدة القبلة الناطقة بلسان الثورة والملكة العربية الهاشمية بين سنتي ١٩١٦ و ١٩٢٤ (١)

---

١) المرجع السابق ، ص٣٥

اما عن مقومات هذه النهضة الهاشمية المباركة فيقول الدكتور ممدوح الروسان :

تمثلت مقومات الثورة العربية في عدة امور يمكن اجمالها في الاتي :

اولا : اهداف محددة وواضحة في الوحدة والحرية والاستقلال ، والتي كانت تمثل طموحات العرب القومية في قارة آسيا في تلك المرحلة وفقا لرسالة الشريف حسين الاولى إلى مكماهون بتاريخ ١٤ / ٧ / ١٩١٥ والتي عاد وأكد عليها في محادثات جدة / أيار /١٩١٧ او في مذكرته الى ونجت المعتمد البريطاني في مصر ، آب ١٩١٨ ، مقرونا ذلك كله بالعمل على حماية الاماكن المقدسة وتأمين الحج إليها والتعهد بالسير على كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، وما يتفق مع مستحدثات الحياة الانسانية .

ثانيا : قيادة مؤهلة ومقبولة على الصعيدين العربي والدولي ، ممثلة بقيادة الشريف حسين التي باركتها وايدتها الاحزاب والجمعيات والشخصيات العربية ابتداء بمذكرة النواب العرب في مجلس المبعوثان العثماني والمرفقة برسالة طالب باشا النقيب عام ١٩١٣ ، مرورا بدعوة جمعيتي العهد والعربية الفتاة التي تنقلها فوزي البكري في كانون الثاني ١٩١٥ وميثاق دمشق الذي حمله الامير فيصل اذار ١٩١٥ ، واعترافات محمد شريف الفاروقي للدوائر البريطانية في القاهرة تشرين اول ١٩١٥ مقرونا ذلك كله بترحيب ابن السعودوالشريف الادريسي ، وأميري المحمرة والكويت والسيد علي الميرغني ، فالقيادة العربية تميزت بوشائج الرباط العائلي ، وتاثرت بقرارات كبيرها المخلصة والذكية مقرونا ذلك بشرف نسبها وعظمة تراثها الديني ، ومما زاد من مكانتها مقارنتها بالقيادة التركية التي كانت

تتألف من سلطان ضعيف متردد ، يسيطر عليه حزب عنصري يحلم باستعادة الامجاد التركية عبر المساعدة الالمانية ويتحكم به ثلاثة اشخاص ، طلعت واونور جمال ، ليسوا اتراكا ، ولا مسلمين ، تحركهم المطامع الشخصية .

ومما هو حدير بالملاحظة ان فكرة الاستعانة بقوة اوروبية لنجاح محاولات الاصلاح العربية في اطار الدولة العثمانية اولا ، ثم الانفصال او الاستقلال العربي عن الدولة العثمانية ثانيا ، كانت مطروحة على الساحة العربية قبل بروز الزعامة الهاشمية برئاسة الشريف حسين .

لقد جاء الرد العثماني على مطالب الشريف ليس مخيباً لآماله فقط ، ولكنه كان استفزازيا ايضا فاصغ الى الصدر الاعظم طلعت باشا وهو يقول للشريف : « ان التحدث في مثل ما بينتموه عن الحرب والعرب ليس من حقوقكم وان من بالشام من المجرمين سينالون الجزاء العادل وان ما بينتموه لا تكون نتيجته بحقكم سارة وعليه فسوف لا ترون نجلكم فيصل مرة اخرى قبل ان تبعثوا بالمجاهدين الى الجبهة كما وعدتم وان لم تنفذوا هذا فالنتيجة بحتكم لن تكون خيراً !!

لقد اجاب جمال باشا على هذا السؤال بقوله : دعنا نفترض تلبية الحكومة التركية لطلباتكم رغبة منها في تجنبيبكم للمتاعب في الاوقات الصعبة التي تمرون فيها ، ولكن اذا انتهت الحرب بانتصار الا تراك من يستطيع منع الحكومة من التعامل معكم بمنتهى القسوة والوحشية .

بهذا الرد التركي وصلت العلاقات العربية - التركية لى درجة القطيعة ولم يكن امام الشريف وقد قطعت الدولة العثمانية معه شعرة معاوية إلا أن يعلن الثورة على الاتراك وبخاصة بعد ان عاد الامير فيصل الى الشام بحجة قيادة

المجاهدين بحملة السويس فوجه الامير برقية الى جمال باشا يقول فيها : « ان المطالب العربية المعتدلة قد رفضتها الدولة العثمانية وبما ان الجند الذي تهيأ للجهاد سوف لا يرى عليه ان يضحي بعد مسألة العرب والاسلام ، فاذا لم تنفذ الشروط المعروضة من شريف مكة حالا فلا لزوم لبيان قطع اي علاقة بين الامة العربية والامة التركية ، وانه بعد وصول هذا الكتاب باربع وعشرين ساعة فستكون حالة الحرب قائمة بين الامتين .

يتضح مما سبق الاسباب المختلفة التي ادت الى اعلان الثورة العربية ضد الاتراك ممثلة في رغبة العرب في التحرر والاستقلال وفي رفض الاتراك لتلك المطالب المقرونة بالتمادي في سياسة القمع والارهاب بالاضافة الى ما لمسه الشريف من تاييد عربي ودولي لثورته ضد الاتراك . (١)

* * * * *

وهكذا عرضنا في الفصل الثالث من هذه الدراسة « أصول الثورة العربية » أو جذورها الرئيسية التي أدت إلى نمو وتطور الوعي القومي العربي ، ومحاولة اعادة مجد الاسلام الغابر ، وكيف تطلّع العرب إلى الشريف الهاشمي الحسين ابن علي ثائرا ومنقذا ، وقد أحسّ الحسين بركنيه وساعديه في سورية والعراق .، واعتمد عليها كما ابدت زعامات أخرى تأييدها له أذكر منها : علي الميرغني ، وسعيد الجزائري ، وعبد العزيز بن سعود ، والشريف الادريسي ، وأهم الحركات التي عاصرت نهضة الحسين بن علي ، وأشهر التيارات الفكرية في ذاك العصر ، ومقومات الثورة .

(١) د. ممدوح الروسان . حروب الثورة العربية الكبرى، ص٢٢ - ٢٦ .

الفصل الرابع

﴿ مسيرة الثورة ﴾

مهاد النهضة العربية الاسلامية

« تنبهوا واستفيقوا أيها العرب

فقد طمى الخطب حتى غاصت الركب »

بينما كان الوعي القومي ينمو لدى العرب كان الوعي القومي ينمو لدى فئة من الاتراك واذا كانت فكرة القومية لدي الشعوب الحاكمة المستبدة تدعو الى زيادة التسلط ، فقد كانت القومية التركية منذ اواسط القرن التاسع عشر رد فعل على مؤثرات الثقافة الغربية وانتفاضات شعوب البلقان القومية ضد العثمانيين وازدياد الخطر الاجنبي على الدولة العثمانية . كما كانت تهدف الى حماية ما تبقى من خطر الاستعمار الاوروبي ومن خطر الانتفاضات القومية . ووجد الزعماء الاتراك ان السبيل الصحيح الى ذلك هو اولا في حركة اسلامية عالمية بقيادة السلطان عبد الحميد وبزعامة جمال الدين الافغاني ورفاقه محمد عبده واديب اسحق وغيرهم ، ثم ما لبثوا ان فكروا في مرحلة أخرى هي : صهر الشعوب العثمانية في بوتقة تركية وتوطيد سلطة الدولة المركزية (١) .

كانت هذه الحركة الثانية تعني في المفهوم العربي ، محاولة القضاء على اللغة العربيةوطمس التاريخ العربى وابعاد العرب عن المراكز الحساسة في الدولة. وقد رافق هذه المحاولات استفزازات مثيرة للشعور القومي العربي ، كطلب استبدال اسماء الخلفاء الراشدين باسماء جنكيز خان وهولاكو ، ومقارنة جنكيز خان بالرسول العربي الكريم صلى الله عليه وسلم . إن انقلاب الحركة القومية العربية من حركة اصلاحية تدعو الى استقلال ذاتي والى حركة ثورية

---

(١) انظر جورج انطونيوس – يقظة العرب – الترجمة العربية – لبنان، ١٩٧٠ ، مرجع سابق .

تشهر السلاح في سبيل الاستقلال التام ،كان ولا شك نتيجة لسياسة التتريك التي كانت من العوامل الفعالة في هذا الانقلاب العربي الاسلامي. (١)

مسيرة الثورة :

نشبت الثورة في مكة وجدة في يوم واحد يوم السبت ١٠ حزيران ١٩١٦، ٩شعبان ١٣٣٤هـ ، وهذا اليوم هو اليوم الذي اعتبر يوما رسميا لقيام الثورة العربية نذكر هذا اليوم ونؤرخ له ولسنا مؤرخين ، ولكننا طلاب حقيقة ، وطلاب حق ،ولن نطيل في هذا الجانب إلا بالقدر الذي يخدم بحثنا وما نرمي إليه من دراسة للاتجاه الاسلامي في هذه النهضة المباركة .

وقف العرب الى جانب الاتراك العثمانيين في المرحلة الاولى ... وجندت الدولة اعدادا كبيرة بالالاف من سوريا والعراق وفلسطين ثم ارسلتهم الى جهات القتال في القوقاز وقناة السويس . وكان التدريب مستواه ضعيفا والتجهيز بالسلاح فقيرا . وبصورة عامة كانت القوات التركية في تجهيزها العسكري لا يوازي تجهيز القوات البريطانية والفرنسية المتفوقة بالعدة والعدد والعتاد . وفي القوقاز وقعت النكبة الاولى في ١٥كانون الثاني ١٩١٥و تمثلت بانهيار الجبهة التركية وفقدان ثلثي الجيش المؤلف من ٩٠ الفا وتلتها الهزيمة الثانية في (الترعة) قناة السويس في شباط – فبراير . وكانت خطة احمد جمال باشا قائد الحملة عبور القناة وطرد الانكليز من مصر وفشلت الخطة .

وبعد تلك الهزائم طلبت الحكومة العثمانية من الشريف الحسين :

١– اعلان الجهاد المقدس في بلاد الاسلام من مكة المكرمة باسم الخليفة السلطان محمد رشاد الخامس.

---

(١) انظر مصطفى طلاس : الثورة العربية ، ص٦٢ وما بعدها .

٢- اعداد قوات من المتطوعة العرب وارسالهم الى سوريا .

٣- التعاون مع الوالي وهيب بك في جمع العربان وتسليحهم .وكان جواب امير مكة في برقية للصدر الاعظم ، « نلبي ما تطلبه الدولة العلية اذا استجابت لمطالب العرب :

١-اعلان العفو عن المحكومين السياسيين العرب .

٢- منح سوريا ادارة لا مركزية وايضا العراق .

٣- اعتبار الشرافة بمكة معترف لها بحقها الموروث ...»

وهكذا نشبت الازمة بين الشريف الحسين والدولة العثمانية . وكان البريطانيون يواصلون مساعيهم لكسب العرب الى جانبهم . وعرض سير هنري مكماهون المفوض السامي البريطاني في رسالة الى الشريف الهاشمي (نيسان ١٩١٥) استعداد بريطانيا لمساعدة العرب لنيل الاستقلال . وتلاها عدة رسائل الى الشريف الذي وافق على الدخول في مفاوضات على أساس التحرير وتوحيد بلاد العرب واعلان الاستقلال . وفي كانون الثاني سنة ١٩١٦ تلقى رسالة من مكماهون يقول فيها : حكومة صاحب الجلالة البريطانية موافقة على صيغة العرض المقدم » وتلاها رسالة ثانية وفيها « تعهدت بريطانيا بتقديم المساعدات للعرب لتحرير بلادهم واجلاء القوات التركية والالمانية والاعتراف باستقلال الدولة العربية الموحدة بعد الحرب » و،نشير هنا الى ان الشريف الحسين اصر على ان تكون فلسطين ضمن الدولة العربية الموحدة وتشمل الحجاز وسوريا والعراق والاردن ولبنان وفلسطين .

واشتدت الازمة وتفاعلت بعد ان قام جمال باشا بقتل عشرات المثقفين ، واعدم شنقا في دمشق وبيروت في ٦ / ايار / مايو ١٩١٦ (٢١ شخصا) من رجال النهضة العربية ، كما زج في السجون اعدادا كبيرة من الشخصيات

السورية واللبنانية والفلسطينية والاردنية واستولى الجيش التركي على أقوات الاهالي وانتشر الجوع في البلاد بشكل رهيب حيث قضى على عشرات الالاف الذين ماتوا جوعا . وكان اشده رهبة في لبنان وسواحل سوريا وحمص وحماه . تلك كانت صورة (سفر برلك) الرهيبة مشانق ومذابح ، وامواج الجراد التي التهمت الاخضر واليابس !! (١)

* * * * *

لقد بدأ الشريف حسين يتحسس امكانيات الموقف العربي كله فارسل الى الامراء العرب في شبه الجزيرة ، ذلك ان القيام بثورة في الحجاز ضد العثمانيين يتطلب قبل كل شيء معرفة اتجاهات جيرانه العرب ، أرسل الى الأدارسة في عسير ، وآل رشيد في حايل وآل سعود في الرياض والامام يحيى بن حميد الدين في اليمن . أما اليمن فقد اعلنت ولاءها للعثمانيين ، غير ان اليمن لا يخشى جانبها ، فعليها ان تركز على احتمالات هدفها هجوم بريطاني من المحميات البريطانية في جنوب الجزيرة أو هجوم ايطالي من شرق افريقيا كذلك أعلن آل رشيد في (حايل) ولاءهم للدولة العثمانية ، ولكن مرة أخرى لا يخشى بأسهم لان الامارة السعودية تحجب خطرهم عن الحجاز - وكانت بريطانيا قد أسرعت في التفاهم مع السعودية والادارسة فعقدت مع كل منهما معاهدة ثنائية عام ١٩١٥ ضمنت بها موقف هؤلاء الودي من بريطانيا . هذا الى جانب معاهدة الحماية مع آل الصباح في الكويت في عام ١٩١٤ - وهكذا اكتشف الحسين بن علي ان الموقف في شبه الجزيرة من ناحية الامراء العرب يشجع على الثورة ، وان لم تؤد اتصالاته بهؤلاء الأمراء إلى الاقرار بقيادته

---

(١) انظر د. ابراهيم الشريقي : الثورة العربية الكبرى دوافعها ومصادرها ، ص ٢٠ - ٢١ .

لقضية العرب ، غير أن أكبر اتصال قام به الحسين وتمخض عن بعض الحلول ، كان اتصاله بالجمعيات الوطنية في سوريا .

وقبل أن نخوض في موضوع هذه الاتصالات نرى - حفاظا علي التسلسل المنطقي والزمني للاحداث - ضرورة الوقوف على سيرة جمال باشا في سوريا ابان الحرب العالمية الاولى ، لما لذلك من أثر في دفع العرب إلى الثورة .

جمال باشا في سوريا :

بعد دخول تركيا الحرب ، عزلت القائد العربي زكي الحلبي في أوائل كانون أول ١٩١٤ وعينت مكانه جمال باشا ليكون حاكما عاما على سوريا وقائدا للجيش الرابع المرابط فيها ، وقد عرف عن جمال باشا بأنه كان من غلاة الاتحاديين من حيث تشجيعه للدعوة الطورانية .وحاول في البداية أن يكسب العرب الى جانبه باتباع ما أسماه « سياسة الحلم والتسامح» ، ولكنه لم يلبث بعد وصوله الى سورية أن أقام حكما ارهابيا فعليا بما ارتكبه من تنفيذ أحكام الاعدام والنفي في البلاد فبعد إخفاق حملته لغزو السويس في شباط ١٩١٥ عاد الى سورية وأخذ ينفذ سياسة خرقاء تجاه عدد كبير من الزعماء العرب الذين حكم عليهم بالاعدام بتهمة الخيانة لأنهم كانوا يطالبون بالحكم اللامركزي . ففي ٢١ آب ١٩١٥ نفذ حكم الاعدام في أحد عشر شخصا في بيروت وتلاه اعدام كثير من المثقفين في المدن السورية . وكانت آخر قافلة من الشهداء تلك التي أعدمت في ٦ أيار ١٩١٦ . فقد أفاق الناس في ذلك اليوم على سبع مشانق في

دمشق وأربع عشرة في بيروت ، تحمل جثث أكبر زعماء النهضة العربية[١] وقرأ الناس التهم الموجهة اليهم أثرمحاكمتهم في مجلس عرفي أقيم في (عالية) بلبنان. وكانت التهم اما الانتساب الى احدى الجمعيات العربية ، اوتحرير رسائل سياسية الى قناصل دول أجنبية ، ودعوتها الى انقاذ البلد من حكم الأتراك ، لقد فسر جمال باشا هذه التهم بأنها محاولة لتمزيق الامبراطورية العثمانية . والحقيقة أن السياسة المعادية للعرب والتي اتبعها جمال باشا ، لم يقتصر تأثيرها على زيادة شقة الخلاف والتباعد بين العرب والترك فحسب ، بل ساعد على تقوية الروح الثورية في نفوس العرب . وليس من قبيل المبالغة القول أن حكم جمال باشا الجائر في سوريا كان أحد العوامل الحاسمة، التى ساعدت معظم الزعماء العرب المسلمين ، وخاصة الشريف حسين ، على اتخاذ قرار نهائي بالانفصال التام عن الدولة العثمانية .

علاقة الحسين بالجمعيات العربية :

مع بداية الحرب العالمية الاولى كان هنالك تياران سياسيان في كل من سوريا والعراق : التيار الغالب ، وهو الثورة ضد العثمانيين والتفاهم مع بعض الدول الاوروبية وتيار آخر اسلامي النزعة وهو التفاهم مع العثمانيين وتأليف جبهة اسلامية ضد الدول الاوروبية، وكانت الدولة العثمانية بأجهزة دعايتها ، وباعلان جهاد المسلمين ، يدعم الاتجاه الثاني ، ولكن من جهة أخرى ، ان سياسة الاضطهاد والعنف التي اتبعها جمال باشا في سوريا ، وتعذيبه وشنقه

(١) منهم : شفيق المؤيد العظم ، الامير عمر بن عبد القادر الجزائري ، عبد الحميد الزهراوي ، شكري العسلي، عبد الغني العريسي ، مختار بيهم ، الشيخ أحمد طباره ، أمين لطفي، عارف الشهابي ، سيف الدين الخطيب ، سعيد عقل ، جرجي حداد .

الوطنيين العرب هناك، كان يدفع الى تفوق الاتجاه الاول. وفي غمرة هذه الأحداث ، حاول زعماء الجمعيات العربية (العربية الفتاه والعهد) جمع أمرهم لاتخاذ موقف محدد لمجابهة النتائج والاحتمالات التي ستتمخض عن دخول تركيا الحرب . وانتهى القوميون العرب الى وضع هذه الخطة التي تتضمن قبول العرب الثورة على الاتراك ، بالاعتماد على بريطانيا ، شريطة أن يأمن العرب خطر الاطماع الاوروبية في البلاد العربية أما اذا أحس العرب بشيء من ذلك ، فانهم لن يترددوا في الوقوف بجانب تركيا الى نهاية الشوط ، ونبذ التحالف الاجنبي ، لا سيما وأن كثيرا من الوطنيين العرب كانوا قد بلغوا مرحلة من التفكير تساءلوا فيها اذا لم يكن من الحكمة ، الاستمرار في تحمل أعباء الحكم التركي ، الذي يعرفونه بدلا من وقوعهم تحت حكم أجنبي مختلف تماما ، ولكن أشد قوة ولن يتزحزح عن بلادهم إلابعناء ، كما هو جار وقتئذ في شمالي أفريقيا ، ومصر؟! وقد أعرب المقدم عزيز علي المصري عن هذه الرغبة بأن اتصل من مصر بزملائه أعضاء جمعية العهد ، وطلبَ منهم أن لا يقوموا بأعمال عدائية ضد تركيا ، اذ ان دخولها الحرب سيعّرض أقاليمها العربية لخطر الغزو الغربي ، وذلك إلى أن يحصلوا على ضمان وتعهد ضد هذا الخطر الجديد ، والا فان واجبهم يحتم عليهم الوقوف الى جانب تركيا ، وفي داخل الدولة العثمانية دون أن يحطموها (١) . وقد سلم هؤلاء القوميون العرب فيصل بن الحسين عند عودته إلى دمشق راجعا إلى الاستانة منهج هذه الخطة ، التي يرى زعماء العرب ان تتخذ قاعدة للاتفاق الذي سيعقد بين الحسين وبريطانيا من أجل قيام العرب بثورتهم ضد تركيا بالاعتماد على بريطانيا .

---

(١) الدكتور جلال يحيى «الثورة العربية» ص ١٤٣

أما هذه الاقتراحات والشروط فتتضمن ما يلي :

أولا – أن تعترف بريطانيا باستقلال البلاد العربية الواقعة ضمن الحدود الآتية :–

شمالا – خط يمتد من مرسين – أضنة الى ما يوازي خط العرض ٣٧ شمالا ثم على امتداد خط بيريجك – أورفه – ماردين – مديات – جزيرة ابن عمرو– العمادية الى حدود ايران شرقا – على امتداد حدود ايران الى خليج العرب جنوبا .

جنوبا – المحيط الهندي (باستثناء عدن التي يبقى وضعها الحالي كما هو).

غربا – على امتداد البحر الأحمر ثم البحر المتوسط الى مرسين.

ثانيا– الغاء جميع الامتيازات الاستثنائية التي منحت للاجانب بمقتضى الامتيازات الاجنبية .

ثالثا– عقد معاهدة دفاعية بين بريطانية العظمى والدولة العربية المستقلة .

رابعا– تقديم بريطانيا العظمى وتفضيلها على غيرها من الدول في المشروعات الاقتصادية . ويتضح من الشروط السابقة ان العرب قد اعطوا بريطانيا كل ما طلبت وكل ما كانت تبغي في هذه المنطقة ، ذلك أن البلاد العربية حتى عام ١٩١٥ كانت أهميتها بالنسبة لبريطانيا تتجلى في نقطتين أو ناحيتين هما :– الناحية الاستراتيجية والناحية الاقتصادية . وقد لاحظنا أن العرب قد طلبوا في مذكراتهم السابقة وأشاروا الى ضرورة عقد معاهدة عسكرية مع بريطانيا ، ومنح بريطانيا الأفضلية في المشاريع الاقتصادية . وبهذا تكون بريطانيا قد أمنت وحققت مصالحها وتخلصت مما يزعجها في هذه المنطقة ... عسكريا واقتصاديا، بدون أن تضطر الى الدخول في مفاوضات

ومناقشات من أجل الحصول على هذه المطالب [١]. الا أن أحد المعلقين السياسيين أضاف في هذا المجال ، بأن بريطانيا رأت في هذه الطلبات غلوا كبيرا ، وشعرت بأن الشريف (حسين بن علي) ، قد تجاوز الحد في طلباته هذه ، ذلك أن معظم ، مشيخات الخليج العربي آنذاك كانت في ظل الحماية البريطانية وكذلك الحالة بالنسبة الى مشيخات الساحل الجنوبي من الجزيرة العربية ، أما داخل الجزيرة فهناك عدد من المقاطعات التي لا يود بعضها حتما قبول سيطرة الحسين كما كان بعضهما الآخر يؤيد تركيا بصورة عملية وفعالة ، يضاف الى ذلك أن الشريف الاكبر الح الى رغبته في الاعتراف به كخليفة للمسلمين [٢].

مكانة العرب ودورهم في الماضي والحاضر والمستقبل :

أبرزت جريدة القبلة مكانة العرب بين المسلمين ، وفضائلهم ودورهم التاريخي في جمع كلمة المسلمين وبناء مجدهم وحماية شريعتهم وصيانة جامعتهم وحفظ وجودهم وقيام دولتهم . ودعت المسلمين الى مساندة العرب للنهوض بهم ، مؤكدة لهم «أن كل دولة تنشأ لهم في أي بقعة من بقاع الارض ، وفي أي زمن من الازمان ، اذا لم يكن العرب بناة أساسها ، وأركان بنائها وعمد صروحها ، ومدبري أمورها ، ومديري حركتها ، واليد العاملة فيها ، والقوة التي تركن اليها ، والروح التي تسري في مفاصلها ، والاصل الذي تتفرع عنه أغصانهاوتنمو عليه أفنانها ، فهي دولة لا تدوم ولا يحسن حالها ، ولا تسعد رعاياها ، ولا يعتز بها الاسلام ، ولا يبث هديه وارشاده بواسطتها بين الانام ، ولا تقوم بما ندب اليه العرب رب العالمين من جعلهم هداة مرشدين ،

---

(١) جورج انطونيوس ، يقظة العرب ، ص ٣٤٣ وما بعدها

(٢) حسن زيان ومحمود طوالبة: مذكرة في تاريخ العرب الحديث ص ٥١ -٥٤

وأئمة وارثين ، وزعماء معلمين ، وقادة ناصحين ، وسادة عادلين » . وأرجعت ذلك كله الى فضائل الشعب العربي التي . « لا تزال كامنة فيه كمون النار في الزناد، واستعداده الفطري لا يزال راسخا في طبيعتة رسوخ الجبال في المهاد ، وخصائصه ومميزاته واخلاقه وصفاته التي لا تنفك قائمة فيه متمكنة منه ..»(١) ومثلما أبرزت « القبلة » العرب ومكانتهم بين المسلمين ، أشادت ببني هاشم أصحاب « المجد الباذخ والشرف الشامخ .. والهمة الشماء والعزة القعساء .. رهط النبي الأعظم صلى الله عليه وسلم .. الذي هجر الراحة ، ونبذ الدعة ، وأقبل على مكافحة الخطوب ومقارعة النوائب لجمع كلمة العرب وتوطيد أركانهم ورفع منارهم ..» (٢) وقد اوضح فؤاد الخطيب لوفد الحجيج المغربي ، الذي مثل اقطار مراكش وتونس والجزائر ، ان الحركة العربية التي يقودها الشريف حسين « إنما قامت بالعرب ، ولأجل فائدة العرب ومصلحة بلاد العرب » بهدف تكوين دولة عربية مستقلة « تجدد غابر مجدهم ودائر عزهم ، وتنقذ إخوانهم العرب من براثن الاتحاديين المتغلبين » (٣) . والقى محمد رشيد رضا ، صاحب صحيفة «المنار » خطبة بين يدي الحسين بن علي في عيد الاضحى لسنة ١٣٣٤ هـ ، بيّن فيها فضل العرب على الاسلام والمسلمين وقال : « تعلمون ان الله تعالى قد جعل هذا الدين عربيا إذ أنزل القرآن الذي هو أصله وأساسه باللغة العربية على لسان النبي العربي محمد صلى الله عليه وسلم . وقد بيّن الله تعالى ذلك بقوله (وكذلك انزلناه حكما عربيا) . فهذه الآية أخص من الآيات الناطقة بانزال القرآن عربيا لانها مصرحة بأن حكم هذا الدين عربي ، مع العلم بأن كتابه

---

(١) عبد الحق الاعظمي : مكانة العرب الاسلامي ، القبلة ، مكة المكرمة ، العدد ٤ ، ٢٥ شوال ١٣٣٤هـ / آب ١٩١٦ ، وكانت جريدة القبلة تروس الاية الكريمة « وما جعلنا القبلة التي كنت عليها الا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب علي عقبيه ... » ١٤٣ / البقرة

(٢) فؤاد الخطيب . حول النصر المبين ، القبلة، مكة المكرمة، العدد ٥ ، ٢٩ شوال ١٣٣٤ هـ / ٢٩ / ٨ / ١٩١٦.

(٣) القبلة ، مكة المكرمة ، العدد ١٣ ، ذي القعدة ١٣٣٤هـ الموافق ٢٦ ايلول ١٩١٦ .

المتعبد به عربي . وهذه البلاد العربية هي مهد هذا الدين ومهبط وحيه ومشرق نوره . وكان أهلها هم السابقون الى تلقيه والاهتداء به ثم تبعهم فيه غيرهم من عرب الحجاز فسائر هذه الجزيرة العربية . ثم حمله العرب الى سائر الاقطار ونشروه فيها ، فامتد في الجيل الاول منهم حتى عم نوره الشرق والغرب ، وأروا الامم باقامة احكامه من العدل والرحمة ما لم يعرفوا ويسمعواله نظيرا » . وبين رضا أن ما أصاب المسلمين من ضعف يعود الى تمزيق وحدة العرب وتغلغل الاعاجم في الدول الاسلامية ، وان البديل الوحيد للدولة العثمانية إذا ما اصابها الانهيار هو « جزيرة العرب وما يتصل بها من البلاد العربية ، لما خص الله تعالى به هذه البقعة واهلها من الخصائص » . وأوضح أن الحسين بن علي قد أنقذ الحرمين الشريفين وما حولهما بهذه الحركة « ووضع اقوى اساس لحفظ الاستقلال الاسلامي بانشاء دولة جديدة له » . ورد الحسين على الخطباء مؤكدا أن عمله هذا فيه كل الصلاح لقومه وبلاده ودينه ، وقال : « لاني أحب قومي وبلادي وديني اكثر من أي شيء في هذا الوجود ، ولولا هذه المحبة ما نهضت هذه النهضة ولا غضبت هذه الغضبة .[1] وأبان محب الدين الخطيب الذي تولى رئاسة تحرير « القبلة » في سنواتها الاولى ، « أن المملكة العربية الهاشمية قد قامت على الاسلام والجامعة العربية » [2] وتوسعت « القبلة» في بحث الجامعة الجنسية (القومية) وعدتها « من أقوى أسباب اجتماع الامم ، ومن أمتن روابط اتحاد الشعوب » ، وبينت أنها نوعان : نوع انساني وسطي ونوع عدواني متطرف :- « إن الجامعة االقومية نوع : لا ينافي روح الدين ولا يخالف أوامره، وهو ما كان الغرض منه إيجاد التحالف والاتحاد والتآخي ، وأحياء روح

---

(١) القبلة مكة المكرمة ، العدد ١٧ ، ٥ ذي الحجة ١٣٣٤هـ الموافق ٢٦ ايلول ١٩١٦ .

(٢) محب الدين الخطيب : الاسلام والجامعة العربية ، القبلة ، مكة المكرمة ، العدد ٥٢ ، ١٩ ربيع الثاني ١٣٣٥هـ / ١٢ شباط ١٩١٧ .

التعاضد والتضامن بين أفراد الامة ، على شريطة ان لا يتجاوز ذلك الى ظلم السوي والحاق ضرر بالغير ، وهذا هو النوع المحمود الذي قامت على أساسه الدول العربية في صدر الاسلام ، تلك الدول التي لاقى العالم بأسره على اختلاف اجناسه وادياته كل راحة وهناء في عصور حكمها وازمان سيادتها . وهوالنوع الذي ندعواليه ونسعى الى تحقيقه ». أما النوع الثاني من الجامعة الجنسية فهو « ما كان الغرض منه إحياء العصبيات الباطلة ، وايجاد روح الانانية الممقوتة في الأمة ، وانماء حب الاعتداء على الغير في نفوس افرادها ، فقد جاء الدين الحنيف بالنهي عنه وبتقبيحه وذمه » . والمثال على هذا النوع من الجامعة الجنسية الجامعة الجرمانية والجامعة الطورانية . فالاولى ترمي الى « سيادة العالم والسيطرة على الكون ، واستبعاد كل أمة تحول دون الوصول الى أغراضها وتقف أمام تحقيقها » كما تهدف الى غرس عقيدة غريبة في نفوس الشعب الالماني تعده « أرقى الشعوب وأشرفها ، وأنه مصدر النبوغ والعبقرية ، ولا يدانيه في مواهبه واستعداده وذكائه شعب من الشعوب ، وبالتالي إنه الشعب المختار من الله سبحانه وتعالى لسيادة العالم والسيطرة على الكون». والجامعةالطورانية كالأولى وأشّد تطرفاً إذ ظنّ دعاتها « أن في قدرة العنصر التركي وحده النهوض بأمر الدولة والقيام بأعباء الملك .. وانه يمكنهم التغلب على تلك العقبات بتتريك العناصر العثمانية ». وقد عرف الحسين بن علي الجامعة القومية ، في خطابه في الوفود التي جاءت لتهنئته بدخول جيش فيصل دمشق فقال : « إنها جامعة التفاهم وتبادل المصالح والمنافع . « والعرب في نظره» عرب من قبل أن يكونوا مسلمين أو مسيحيين أو موسويين ، وأن العربي يمكن أن يصير مسلما اومسيحيا اوموسويا ، ولكن يستحيل عليه أن يصير جاويا أو يونانيا »[1] وعينت « القبلة » الاهداف التي ترمي اليها الجامعة العربية بأنها «لا

---

(١) ايضاحات مولانا صاحب الجلالة الهاشمية ، القبلة ، مكة المكرمة ، العدد ٢٢٠ ، ٤ محرم ١٣٣٧ هـ ، ١١/ ١٠/ ١٩١٨ .

تتجاوز إخراج العرب ، بلا تمييز ، من ظلمات الاستعباد الى نور الحرية ، والعمل على ترقيتهم ماديا وادبيا بكل واسطة مشروعة »[1] . وأبرزت « القبلة » الوسطية كصفة مميزة للجامعة العربية التي تدعو اليها ، ان « كل فضيلة وسط بين رذيلتين : فالشجاعة وسط بين الجبن والتهور ، والكرم وسط بين التقتير والاسراف ، وهكذا » . بخلاف النظريات الغربية الحديثة في الأمة وفي نشوئها وتطورها ، استمدت القبلة « نظرتها الى الأمةمن التراث الاسلامي ، فهي جسم مؤلف من أفراد يرتبطون به بروابط العقيدة والقومية ، وأعضاء ذلك الجسم هم الأفراد الذين باستقامتهم واعتدال مزاجهم يتكون اعتدال مزاج الامة وقوتها فتبدو للعيان في أجمل مظهر وابدع مثال .. ورقي الأمة متوقف على رقي افرادها كما ان انحطاطها وخذلانها ناشئان عن سقوط افرادها وانحطاطها عن درجة الكمال التي تلائم حقيقة الانسان ». واتحاد كلمة الافراد في الأمة أساس حياتها ونهوضها ، والخلاف بينهم « السبب الوحيد في هدم كيان الأمة واضمحلالها » . والاتحاد « أساس كل نجاح ، وسائق عظيم الى نيل المجد والسؤدد ، به يمس كل فرد من أفراد الأمة يغار عليها أشد من غيرته على نفسه، ويسعى لمصلحتها العمومية أكثر من سعيه لمصلحته الخصوصية ، وبذلك يكون الجميع أعضاء عاملين لاعلاء شأن الأمة والمحافظة على مركزها والجد في سبيل ما يورثها الاستغناء عن غيرها ، كي تحصل على استقلالها الحقيقي بكل معانيه» . هذه الواجبات الملقاة على الفرد تسميها « القبلة» باسمها الصحيح ، «الواجبات القومية والوطنية » : « إن للوطنية والقومية واجبات يتحتم على كل شخص غيور القيام بها كي يحقق وطنيته الصادقة وقوميته الخالصة ، فكل شخص حر يعلم أنها مستمدة من الشريعة الاسلامية التي كانت « وسطا بين الشرائع ، وقصدا بين السبل ، لا إفراط ولا تفريط » ومستمدة أيضا من الفضائل الاخلاقية

---

(١) القبلة ، مكة المكرمة ، العدد ١٨٤ ٧ شعبان ١٣٣٦هـ ، ٢٨ / ٥ / ١٩١٨ (الافتتاحية)

باعتبار لا حياة له الا بتحقيق جامعة قومية ينتمي اليها ، وبذلك يصح له ان يرتبط بوطن وعنصر حتى يتسنى له أن يحمل بين جنبيه أسمى وجدان في العالم اليوم . ذلك الوجدان الذي يحمله في ضمير ه هو الشعور الوطني والحس القومي الذي يفتخر به أعظم رجل حر في العالم اليوم ، ويضحي حياته وكل عزيز لديه في سبيل تحقيقه والدفاع عن حياضه» (١) وحاولت « القبلة » استثارة المشاعر الدينيه والعواطف القومية لدى الجنود المغاربة في الجيش الفرنسي الذي تقدم من الساحل السوري لاحتلال دمشق في تموز ١٩٢٠ ودعتهم الى التمرد على قادتهم ، وجاء فيها : « إن الواجب على الجزائريين وسواهم من مسلمي المغرب ان يمتنعوا عن قتال السوريين ، كما يقضي به عليهم الشعور الديني ، ان كانوا حقيقة مسلمين ، مهما ادى اليه امتناعهم مما يحتمل وقوعه عليهم من الحكومة الفرنسوية تجاه هذا التمرد » (٢) وقد قبل الشريف حسين بالميثاق الذي وضعه قادة جمعيتي العهد والعربية الفتاة في دمشق أساسا للتفاوض مع بريطانيا ، وتبنى هذا الميثاق وتمسك به ، ولم يقبل بتعديل بنوده او التنازل عما جاء فيه طوال حياته . وعد الحسين هذا الميثاق الذي ينص على وحدة اقطار آسيا العربية استقلالها ، تعبيرا عن إرادة عرب آسيا في الفوز « بحريتهم المطلقة ، وان سلموا مقاليد الحكم نظريا وعمليا بأيديهم » (٣) *

---

(١) القبلة ، مكة المكرمة ، العدد ٣٠٧ ، ١٧ ذي القعدة ١٣٣٧هـ / ١٤ / ٩ / ١٩١٩ (الافتتاحية)

(٢) القبلة ، مكة المكرمة ، العدد ١٣،٤٠٤ ذي القعدة ١٣٣٧هـ ٢٩/ ١١ / ١٩٢٠ (الافتتاحية) .

(٣) مذكرة الشريف حسين الاولى الى السير هنري مكماهون في ٢ رمضان ١٣٣٣ هـ / وسليمان موسى : المراسلات التاريخية م١ ، ص٣١ - ٢٣

(*) راجع علي محافظة ، الفكر السياسي في الاردن ، ص ٤٥-٤٨.

أهداف الثورة العربية القومية والاسلامية :

كل ما يطالع رسائل الشريف مع المسؤولين الانجليز واحاديثه معهم وخطبه ومنشوراته ، ، مقرونا ذلك كله بتصريحات انجاله وبخاصة الاميرين عبدالله وفيصل قبل وخلال وبعد الحرب العالمية الاولى ، كل من يطالع ذلك كله يتضح له ان ثورة الشريف حسين كانت ثورة قومية عربية اسلامية ولم تكن ثورة طائفية او عائلية .

رسائل الشريف حسين مع مكماهون مليئة بالعبارات القومية مثل : العرب بأجمعهم ، استقلال البلاد العربية ، والاقطار العربية اضافة إلى التركيز على البعد الاسلامي والاستشهاد بآيات القرآن الكريم وأحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم .

ومنذ أن بدأ الشريف كان يفكر بالثورة على الاتراك لم يكن يعتقد ان نشاطه سوف يقتصر على الحجاز ، لان الحجاز لا يكفي نفسه ولكنه يفكر بضم العراق وسوريا الى الوحدة العربية وفقا لما قاله الشيخ فؤاد الخطيب لهوجارت ١١ / ٢ / ١٩١٧ وهذا ما أكده أيضا المبعوث الفرنسي قدور بن غبريط في تقرير بعثه من مكة الى الخارجية الفرنسية في ٢ / ١٢ / ١٩١٦ وفيه أشار الى ان هدف الثورة العربية في نظر الشريف حسين يتجاوز تحرير الاماكن المقدسة الى سوريا والعراق .

كان المشاركون في الثورة سواء كانوا من رجال العشائر ، او من الضباط والمثقفين يدركون هذا الفهم القومي للثورة العربية وفي ذلك يقول لورنس : « لقد ادهشني رجال العشائر ذوو الالبسة المهلهلة باطلاعهم الواسع وادراكهم العميق للمفاهيم القومية التي يتعذر على الطبقات المثقفة هضمها ، وكي أسبر غور هؤلاء طرحت عليهم هذا السؤال : ترى ، بعد انتصار الثورة ، هل تحكم دمشق

الحجاز او تحكم الحجاز دمشق ؟ فكان الجواب : ان هذه المسألة لا تعنيهم كثيرا، فالمهم ان يتخلص العرب من المتطفلين الذين يتحكمون بهم ، والعراقيون والسوريون كانوا يتطلعون نحو الشمال راغبين في ادخال دمشق وبغداد في الثورة العربية .

فالثورة العربية لم تفرق بين العرب على اساس ديني ، فهم كما قال الشريف : عرب قبل ان يكونوا مسلمين او مسيحيين ، ولذا كانت الثورة العربية اول دعوة عملية للوحدة والاستقلال نادى بها عربي والتف حوله العرب من الاقطار العربية المختلفة و قدموا ارواحهم في سبيل مجد الامة العربية ، لقد كانت الثورة العربية دعوة في سبيل القوة والوحدة والاستقلال ، وحربا على الطائفية والاقليمية ، والضعف ، وصدق فؤاد الخطيب عندما قال :

لبيك يا أرض الجزيرة واسمعي   ما شئت من شدوي ومن انشادي
انا لا افرق بين أهلك إنهـــــم   أهلي وانت بلادهم وبـــــــلادي
ولقد برئت اليك من وطنيـــــة   عرجاء تؤثر موطن الميـــــــلاد

واذا كانت الثورة العربية من حيث السياق التاريخي مكملة ومتممة لما سبقها من حركات وثورات شهدتها الساحة العربية ضد الاتراك منذ النصف الثاني من القرن التاسع عشر الميلادي وحتى الحرب العالمية الاولى كالحركة الوهابية في نجد ، وحركة محمد علي باشا في مصر والشام ، والعرابية في مصر والمهدية في السودان كما أشرنا انفا أقول اذا كانت الثورة مكملة ومتممة لتلك الحركات والثورات الا انها اختلفت عن تلك الحركات والثورات ، فقد اتصفت تلك الحركات والثورات بالمحلية او الاقليمية ، حيث ارتبطت بقطر معين من أقطار الوطن العربي مثل نجد ، او مصر ، او السودان . كما انها عجزت عن اشراك او

مساهمة مواطنين من خارج القطر العربي الذي ظهرت فيه ، خلافا لما كان عليه الحال بالنسبة للثورة العربية في قارة آسيا كافة .

كذلك فانها لم تحل دوم مشاركة النابهين ، ورجال العشائر من العرب سواء في تحديد اهدافها ، او في صنع احداثها فجمعت في صفوفها بين السوري واللبناني ، والاردني والفلسطيني ، والمصري والعراقي ، والحجازي والنجدي ، كما لقيت تأييدا وترحابا من سلطان نجد ، وامراء عسير والمحمرة والكويت .

ومن الامور ذات الاهمية البالغة ان الشريف حسين بالنظر لمنصبه الديني كحام للاماكن المقدسة ، ولنسبه كسليل للرسول محمد (ﷺ) كان يعتبر نفسه مسؤولا عن الاسلام ومجده وسمعته وعن ارث اجداده العظام الذي لطخه الاتحاديون بالعار ، وقيامه بالثورة كان انتصارا للاسلام وانقاذا له من ظلمهم وطغيانهم ، ولقد حرص في منشور الثورة الاول على التنديد بما اقدم عليه الاتحاديون من تعدٍّ على الاسلام والمسلمين مما اضطره الى اعلان استقلال البلاد استقلالا لا تشوبه شائبة مداخلة اجنبية جاعلة غايتها ومبادئها نصرة دين الاسلام والسعي لاعلاء شأن المسلمين قائمة في كل اعمالها على أساس أحكام الشرع الشريف الذي لا يكون لنا مرجع سواه ولا مستند غيره في جميع الاحكام واصول القضاء .

فثورة الشريف حسين بن علي والحال هذه لم تكن على الخليفة والاسلام ولكنها كانت ثورة من أجل الخليفة الذي جرده الاتحاديون من سلطاته ومن أجل الاسلام الذي شوهه وعطله الاتحاديون فهي ثورة عربية اسلامية ، وكما جاء في

منشور الشريف لأهل فلسطين قوله : نحن نحارب من أجل غايتين شريفتين حفظ الدين وحرية العرب عامة » (١)

وحول منطلقات الثورة العربية الكبرى على وجه التحديد – تقول الدكتورة سهيلة الريماوي : كانت الثورة العربية اول ثورة تتصدى للاوضاع القائمة في الدولة العثمانية بالتحليل والدراسة الجادة من اجل تحقيق المنطلقات العقائدية التي قامت من اجلها وتجمل في المنطلقين الأساسيين :

١– حفظ كرامة العروبة.

٢– والعودة الى الاسلام الصحيح (٢)

وكان لا بد من حمل السلاح لتحقيق اهداف ارادة الثورة والثوار الذي تبلور في تاسيس دولة عربية مشرقية مستقلة استقلالا تاما عن الاتراك ، ولا بد من تحقيق هذه الدولة بالوسائل العسكرية والسياسية والفكرية كافة . فكانت ثورة العرب الكبرى ، ثورة موحدة وشاملة ، أعلنت في مكان واحد من الوطن العربي هو «الحجاز» بقيادة زعيم عربي اسلامي واحد هو « شريف مكة » .

وبهذه الوحدة قضت الثورة على التعددية : تعدد الثورات في انحاء الوطن العربي ، وتعدد الزعامات الأسرية والعصبية والحزبية التي ظهرت بعد انقلاب سنة ١٩٠٨ م ، وعلى التعددية الطائفية والطبقية والاقليمية ، وقضت الثورة على منطق التعدد بشكل عام ، وبذلك نجحت في سد الطرق التي تفتحها « دعوات التعدد » التي تقف سدا منيعا أمام الثورة الواحدة والقيادة الموحدة .

---

(١) د. ممدوح الروسان: حروب الثورة العربية الكبرى ، ص ١٢–١٣

(٢) لقد اكدت قرارات المؤتمر السوري سنة ١٩٢٠م – عهد فيصل – هذين المنطلقين ، كما اكدهما الدستور الاردني لسنة ١٩٥٢ ، من خلال مادتيه الاولى والثانية .

وهذه الشمولية التي حققتها ثورة التاسع من شعبان بقيادة شريف مكة الحسين بن علي (الفاروق الثاني) * اكدت مدى قومية الثورة : قومية الهدف ، وقومية الهوية ، وقومية الجيش ، وقومية القيادة ، وأكدت مدى دفاعها عن الاسلام والمسلمين ، إذ : « بنهوض العرب انما تخدم المسلمين في أنحاء الارض».

واتخذت الثورة رايتها من التراث العربي الاسلامي فالابيض لون الامويين ، والاسود لون العباسيين والاخضر لون الفاطميين والاحمر العنابي الذي يحتضن هذه الالوان على شكل مثلث هو لون الهاشميين (١) .

ان مصادرنا في استقراء الاتجاهات الفكرية للثورة العربية الكبري ، متعددة ومتناثرة في الآثار الكتابية التي خلفتها لنا الثورة ، من إعلام عربي ، وأدبيات شعرية ونثرية ، ومناشير سياسية ، تنطوي على فعاليات رجال الثورة والقائمين عليها ونشاطاتهم ومسالكهم (٢) .

ولعل ميدان الصحافة والاعلام الذي اختارته الثورة العربية الكبرى ميدانا علنيا للتعبير عن اتجاهاتها الفكرية عامة ، كحركة جديدة تجسم مسار النهضة العربية الحديثة ، هو أوسع هذه المصادر ، فكانت جريدة القبلة التي تعد بمثابة

---

* اطلق على شريف مكة الفاروق الثاني، جريدة القبلة ٢٤ : ١ .

(١) ان الوان الاقطار العربية في المشرق العربي – بلاد الشام والعراق – لا تخرج عن نطاق هذه الالوان وان اختلفت في اوضاعها .

(٢) ان هذا البحث لا يركز على الاتجاه الفكري لكل فرد على حدة ، بل هو بحث شامل يبحث في الاتجاهات الفكرية للثورة العربية الكبرى كفكر متكامل ، وهذا التزام موضوعي لما جاء في جريدة القبلة ونابع من وحدة الثورة ووحدة القيادة المسؤلة عن مسارها ، وقد توصلت بالتحليل العلمي المجرد الي الاتجاهات الفكرية المتعددة – سياسية واقتصادية وثقافية – وان كان التركيز على الفكر السياسي ، جاء بشكل طبيعي ليضم بين جوانبه الاتجاهات الفكرية الاخرى وقيام الدولة راجع د. سهيلة الريماوي ، ص٢٣ .

الجريدة الرسمية الناطقة باسم الثورة العربية الكبرى ، هي أوسع الوسائل الاعلامية التي نقلت الينا الاتجاهات الفكرية لنهضة العرب في الربع الاول من القرن العشرين ، اذ دعت الى الحوار السياسي البناء ، والى طرح الموضوعات المتعلقة بشؤون هذه الفترة ومناقشتها ، وقد صدرت القبلة في مكة المكرمة بتاريخ ١٥ شوال ١٣٣٤ هـ الموافق ١٥ آب ١٩١٦ م بوصفها جريدة دينية سياسية اجتماعية تصدر لخدمة الاسلام والعروبة ، كما روست صفحتها الاولى بالآية الكريمة ﴿ وما جعلنا القبلة التي كنت عليها إلا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه﴾ (١) واكتفت الثورة باصدار الجريدة مرتين في الاسبوع : يومي الاثنين والخميس .

وعلى الرغم من أن جريدة القبلة لم توضح في افتتاحية العدد الاول منها النهج الذي ستسير عليه الا أنها اوضحت أنها ستجند صفحاتها لشرح قضية العرب وخدمة قضايا المسلمين .

اما عدد صفحات القبلة فكان اربع صفحات ، كتبت باسلوب عربي مبين يدل على سلامة النهج وفصاحة اللسان العربي ، وابتعدت القبلة عن الكتابة بالعامية ، فاتسمت بالأسلوب الادبي الراقي ، وبساطة المظهر وبحث الموضوعات المهمة ، فاكسبها ذلك حب الجماهير والانتشار الواسع في انحاء الوطن العربي والمهجر (٢) .

---

(١) البقرة : ١٤٣

(٢) د. سهيلة الريماوي : « الاتجاهات الفكرية للثورة العربية الكبرى ، ص ٢٢-٢٤ وانظر حاشية ص١٠٥ من هذه الدراسة .

الفصل الخامس

﴿ منشور الثورة العربية الأول ﴾

منشور الثورة العربية الاول

لقد عزّ المذياع والتلفاز في زمن الثورة العربية ، كما عزت الصحافة - الى حد ما - في ذاك الزمان ، ولا بد لكل ثورة من اعلام مواجه واعلام مقنع للناس بعامة ، وقد عمد المنقذ الاعظم الى نشر سلسلة من البيانات والخطب في الصحف السيارة كما عمد الي التنقل والرحلة بين الحواضر والامصار معبراً عن الثورة ولسان حالها ، وسأثبت عددا من الخطب والمقالات من جريدة القبلة وغيرها في الجزء الثاني من هذه الدراسة .

ونظرا لاهمية منشور الثورة الاول الذي أذاعه على الناس في الخامس والعشرين من شهر شعبان ١٣٣٤هـ الموافق للسادس والعشرين من شهر حزيران ١٩١٦ ، نثبت فيما يلي اجزاء منه ، كما سنوثقه في الجزء الثاني توثيقا كاملا ، وهذا الخطاب موجه إلي جميع ابناء الأمة العربية والاسلامية ، أوضح فيه أسباب الثورة وأهدافها ، وذلك ايذانا بالاستقلال وبدء فجر جديد وقد علق على هذا المنشور الاستاذ الدكتور نقولا زيادة في كتابه « ابعاد الثورة العربية » ، كما علق على برقية فيصل بن الحسين وجواب الحسين البرقي حول دخول دمشق ، وبيان المنقذ حول سياستة في سورية

* * * * *

المنشور طويل لذلك فاننا سنكتفي بفقرات منه : يفتتح المنشور بالاية الكريمة « ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وانت خير الفاتحين » [الاعراف : ٨٩] . ثم يلي ذلك النص :

« كل من له المام بالتاريخ يعلم ان امراء مكة المكرمة هم اول من اعترف بالدولة العلية من حكام المسلمين وامرائهم ، رغبة في جمع كلمة المسلمين واحكاما لعرى جامعتهم ، لتمسك سلاطينها من آل عثمان العظام ،طاب ثراهم ، وجعل دار الخلد مثواهم ، بعروة الايمان بكتاب الله وسنة رسوله صلوات الله وسلامه عليه ، ولبناء دولتهم على الشريعة الغراء ، ولنفس تلك الغاية السامية الرفيعة ما زال الامراء المشار اليهم يحافظون عليها ... إلى أن نشأت في الدولة جمعية الاتحاد والترقي ، وتوصلت للقبض على إدارتها وجميع شؤونها بقوة الثورة . فحادوا عن صراط الدين ومنهج الشرع القويم . ومهدوا السبل للمروق منه واحتقار ائمته ، وسلبوا شوكة السلطان المعظم ما له من حق التصرف الشرعي والقانوني ايضا .

وجعلوه هو ومجلس الامة ومجلس الوكلاء منفذين للقرارات السرية لجمعتيهم الثورية . واسرفوا في اموال الدولة وحملوها الديون الفاحشة ، التي لا يخفى امر خطرها ووخامة عاقبتها على احد . اضاعوا عدة ممالك كبيرة من ممالكها ، ومزقوا شمل الامة العثمانية بمحاولة جعل شعوبها كلها تركية بالقوة القاهرة . فاوقعوا بينها وبين العنصر الذي ارادوا تسويده عليها ، وادغامها فيه، العداوة، والبغضاء ، وخصوا

العرب، ولغتهم بالاضطهاد .

ولم يكتفوا بذلك كله حتى خاضوا بالدولة والامة غمرات هذه الحرب الاوروبية الساحقة الماحقة ، فوقفوا بالدولة موقف الهلكة ، والقوا بايديهم الى التهلكة واستنزفوا باسمها ثروة الامة ، كما استنزفوا قبلها ثروة الدولة ، ثم اتخذوها ذريعة للفتك بجميع المخالفين لرأيهم في سياستهم الخرقاء ، وادارتهم الظالمة ، وللتنكيل بالعرب خاصة ، حتى ان حرم الله سبحانه وحرم رسوله الاعظم صلى الله عليه وسلم ،لم يسلما من شرهم ، فانهم عرضوهما للخوف والخراب . اما انحرافهم عن صراط الدين فلا نأخذ فيه هنا مجرد ما اشتهر عن زعمائهم من الكفر والالحاد في الصحف الاسلامية والاوروبية ، ولابما نعلم من سوء اعتقاد جمهور علماء الآستانة وغيرهم فيهم ، بل نأخذ فيه بأقوالهم وأفعالهم . فمن باب الأقوال ما نشروه في دار السلطنة من الكتب والصحف التي جاهرت بالطعن في الاسلام ، وانتقاص ما عظم الله تعالى من قدر خاتم رسله وقدر خلفائه الراشدين الكرام ، ككتاب «قوم جديد» الذي اشتهر بما فيه من الكفر والضلال والاضلال ، وتحريف نصوص الكتاب العزيز والسنة السنية، ومجلة « اجتهاد » التي شوهت اجمل سيرة في الخلق واشرفها. « ومن باب الأعمال انهم ابطلوا ما كان محتما على تلاميذ المدرسة

الحربية وغيرها، وعلى جميع العسكر من التزام الصلاة . فجعلوا الصلاة في نظامهم العسكري اختيارية غير واجبة ، توسلا بذلك الى إبطالها بالفعل ..بل شرعوا في إبطال احكام الشريعة المنصوصة في القرآن الكريم المجمع عليها المعلومة من الدين بالضرورة ... ومنه استحلالهم لقتل المسلمين والذميين بغير محاكمة شرعية ولا حكم ، اوبأحكام عرفية ما أنزل الله بها من سلطان ، واستحلال مصادرتهم وسلب أموالهم واخراجهم من ديارهم ...» وأما سلبهم ما للسلطان المعظم من الحق الشرعي ، وكذلك القانوني ،فهو ما لا يجهله أحد من أهل العاصمة ، وأهل المعرفة ، في جميع أقطار المملكة ولا من الأجانب أيضا ، حتى انه لا قدرة له على إختيار رئيس الكتاب (المابين) في سلطته الشريفة ، ولا رئيس خاصته المبجلة المنيفة ، فضلا عن اختيارالصدر الأعظم وشيخ الاسلام ، فضلا عن النظر في أمور المسلمين ومصالح العباد والبلاد. وقد اسقطوا بقايا شروط الخلافة التي يطالب بها المسلمون كافة إذيجب ان يكون لهم امام خليفة شرعي مستقل قادر على التصرف في إقامة الشرع ورفع لواء العدل «وأما اسرافهم في أموال الدولة وارهاقهم بالقروض الفاحشة ، فأمره معلوم للخاصة والعامة ، وكذلك اضاعتهم لعدة ممالك □ في اوروبة وافريقية○.. « وأما ما خصوا به العرب ولغتهم من الاضطهاد ، فهو اعظم ما جنوه على الدين والدولة من الفساد . حاولوا قتل

اللغة العربية في جميع الولايات العثمانية بابطالها من المدارس ومن الدواوين والمحاكم . واصدروا في ذلك أوامر كثيرة لقيت من مبعوثي العرب معارضات شديدة ونفروا عنها في كتبهم الجديدة والفوا لذلك الجمعيات الكثيرة . ولا يخفى ان قتل اللغة العربية قتل للاسلام نفسه .فالاسلام في الحقيقة دين عربي ، بمعنى ان كتابه انزل بالعربية وجعل متعبدا بتلاوته وتدبره ... « وقد مكنتهم فرصة اعلان الأحكام العرفيه في البلاد ، من تنفيذ كل ما يريدون في العرب ، فطفقوا يقتلون ويصلبون كبراء ونوابغ رجال النهضة العربية ، الذين اشتهروا بغيرتهم على الأمة والدولة من ارباب المعارف والأفكار وحملة الاقلام وبارعي الضباط . وآخر ما وصل الينا انهم صلبوا في الشام ٢١ رجلا في آن واحد (٦ ايار / مايو ١٩١٦) ... وأنه ليصعب على كثير من ذوي القلوب القاسية ازهاق مثل هذا العدد الكثير من الانفس لأجل الانتقام ، ولو كانت من الدواب او بهيمة الانعام. وانما يقتلون امثال هؤلاء جهرا ويصلبونهم في الشوارع العامة صلبا ، حتى لا يطمح عربي بان يقول ان لغتنا لغة الاسلام ، فيجب على الدولة الاسلامية الكبرى مساعدتنا على حفظها ، وان لنا في المملكة حقوقا شرعية وقانونية يجب علينا المطالبة بها . واما من يقتلون رميا بالرصاص بعلل عسكرية ، ومن يقتلون اغتيالا في السجون والشوارع ، فلا سبيل الى العلم باخبارهم حالا ..

« وأمــا نصـيـب الـحــجــاز وسكان الـحـرمـين الشـريـفين من هذه الارزاء ، فلو سكتنا على مـا كـان من بوادره وأوائله ، لـطغى ، مـداه ،حـتـى لايـعلم الا الله اين سـيكون حـده . سـاقـوا الـينا الألوف الكـثـيـرة من جنودهـم المنظمـة ، مـسـتكملة الأسلحـة والذخائر ، وهم يعلمون كما نعلم ان الحجاز لا يهاجمه احد من الدول المحـاربة حتى يحـتـاج الى قـوة مدافـعة ، وانهم في اشـد الحـاجـة لـهؤلاء الجنود في مـيـادين القـتـال ،فلـم يبق الا انـهم يريدون ان يفعلوا في الـحجاز ما فعلوه بسوريا والـعراق ، ليتم لهم القضـاء على الأمة العربية في عـقر دارها ، وموطن منعـتـها وعـزتـهـا وفـخـارهـا ، ويذيقـوا هذا الـحـرم الذي جـعلـه الله آمنا تجبى اليه ثمرات كل شيء ، ما اذاقوا جنة الدنيا (الشام) من الجوع والخوف ، وسلبوا ما من الله عليه وامتن به على سكانه في كـتـابه الـعـزيز فكان وجـود هذه الـجنود سـبـبـا لمنع ورود الأقـوات على الثـغـور الـحـجـازية وعليـهـا مدار مـعـيـشة البـلاد ، وسببا لمنع ورود الحـجاج عليها ، ولا كسب لأهلها إلا منهم ...

فيا أيـها الأخوان المسلمون :

إننا قد وصلنا الى حـال من الـخطر لم يسـبق لـهـا في الاسـلام نظير – كان لنا دول عزيزة قوية افضلها دول اسلافنا الـعربية ، وقد ورثـتـهـا هذه الدولة الـعـثـمانـيـة . فكنا نحن العـرب احرص الناس على حياتها على كونها هي التي خذلت اللغة العربية ،

وانتحلت لنفسها منصب الخلافة دون الدول التركية والكردية قبلها . وكنا نحن ، امراء مكة وشرفاءها ، اخلص زعماء العرب وغيرهم لها ، على حرمانها بلادنا ، مهبط الوحي والعرفان ، من علوم الدين والدنيا . كل ذلك حرصا منا ومن العرب كافة على ان يكون للاسلام دولة قوية تحفظ استقلالها وتنقذ شرعه ولو في الجملة . وقد صار آخر هذه الدولة الى جمعية اغتصبت آل عثمان ملكهم بقوة الثورة ، وجعلته في ايدي زعانف ليس لأكثرهم في الشعب التركي الاسلامي اصل راسخ، ولا في الاسلام علم صحيح وعمل صالح ، كأنور باشا وجمال باشا وطلعت بك . فكان من سوء تصرفهم فيها وفينا ما اجملناه لكم في هذا المنشور . وقد كانت مقاومة اخواننا الترك لهم اشد من مقاومة العرب . واما نحن فكنا كلما سمعنا او رأينا شيئا من هجماتهم على الاسلام ، ندفعه بالتأويل ، الى ان اعيانا التأويل . وكلما علمنا بجناية على الدولة او العرب نقول لعله ذنب عارض يرجعون عنه بعد قليل ، ولا نستحل مقاومتهم لأجله ، لئلا يترتب عليه صدع في الدولة ، ويزيد له ما يريدون من التفرقة بين العرب والترك ...

ولما رأيناهم عرضوا استقلال هذه الدولة التي نحرص عليها الى الزوال ، ولم يبقوا على كرامة الدين ولا احكام الشرع ، ولا على استقلال السلطان ، ولم يبق من سبب نتحمل لأجله منهم الخسف والهوان . فلما وصل الينا سيل طغيانهم في حرم ربنا

الذي اكرمنا بخدمة بيته واقامة دينه ، وحرم جدنا ورسولنا عليه الصلاة والسلام ، الذي نحفظ من حديثه الصحيح « اذا ذلت العرب ذل الاسلام » اضطررنا الى مقاومة بغيهم من اسلم الطرق ، وهي حصر جنودهم في معاقلها ، من غير ان نبادئهم القتال ، فمن سلّم ، سلم ومن قاتلها كانت جنايته على نفسه . فما كان من حاميتهم بمكة الا ان فعلت ما يعد برهانا على ما تكن صدورهم للدين والعرب ، وهو رميهم للبيت العتيق ... بقنبلتين من قنابل مدافعهم... عندما علموا بقيام البلاد مطالبة باستقلالها . ولما كان حماية الحجاز من هذا البغي والعدوان ، واقامة ما فرضه الله فيه من شعائر الاسلام ووقاية العرب والبلاد العربية من عاقبة الخطر الذي استهدفت له الدولة الاسلامية العثمانية ، بسوء تصرف هذه الجمعية الباغية – كل ذلك لا يتم تداركه الابالاستقلال التام ، وقطع كل صلة بكل هؤلاء المتغلبين من السفاكين للدماء ، الناهبين للأموال ، فقد هبت البلاد بتوفيق الله تعالى للنهوض بأمر استقلالها ، بعد ان ضربت على ايدي عمال الاتحاديين ورجال حامياتها ، فاستقلت فعلا ، وانفصلت عن البلاد التي لم تزل تئن تحت وطاة سلطة المتغلبين من الاتحاديين أنفصالا تاما مطلقا ، بكل معاني الاستقلال الذي لا تشوبه شائبة مداخلة اجنبية ، ولا تحكم بينهم وبين جميع من يدخل في حوزة استقلالها من المخالفين ، قائمة في كل أعمالها على أساس احكام الشرع الشريف الذي لا يكون لنا مرجع سواه ، ولا مستند الا إيّاه في جميع الأحكام واصول القضاء وفروعه مع استعدادها لقبول

مـا ينطبق على اصـول الديـن ويلائم شـعـائره مـن انواع فنون الترقي الحديث وأسباب النهضة الصحيحة ، باذلة كل ما في الجهد والطاقة لأعزاز العلم وتعميمه بين الناس على اختلاف الطبقات وعلى حسب الحاجة والاستعداد . هذا ما قمنا به لأداء الواجب الديني علينا ، راجين من اخـواننا المسلمين في مشارق الارض ومغـاربها ، ان يؤدوا كذلك ما يرونه واجبا لنا عليهم ، من احكـام روابط الاسـلام والتناصح على البـر والتـقـوى . وليعلموا اننا قمنا بما قمنا به ونحن نعتقد اعتقادا راسخا انه افضل خدمة للاسلام ، اذا لم تتحقق به اكبر اماني المسلمين الصادقين حتى الترك منهم ، فانه لا ضـرر فيـه يوازي عشر معشار الضـرر في تركـه . وستظهر لهم الأيام حقيقة ذلك ، فليصبر وا ان الله مع الصابرين . وبالله وبحبه وبحب رسول الله نتوسل ، ان يتولانا بالتوفيق ويمدنابالهداية الى ما فيه خير الاسلام والمسلمين ، والاعتماد على الله العلي الكبير ، وهو حسبنا ونعم المصير. (١)

شريف مكة وأميرها

الحسين بن علي

* * * * *

مع اننا لم ننقل المنشور بكامله ، فان الذي وضعناه امام القراء

---

(١) انظر النص الكامل لهذا المنشور في الجزء الثاني من هذه الدراسة .

كاف لأن يدلنا على الأمور التي حملت الحسين بن علي على إعلان الاستقلال . وأول هذه ان شريف مكة كان يعنى بأمرين رئيسيين هما : الدفاع عن الاسلام واستقلال العرب . والأمران كان سببهما (اوكانت اسبابهما) تصرف الاتحاديين قولا وعملا نحو الاسلام ، إذ تخلوا عن أسسه ومبادئه ، وموقفهم – حكومة وكتابا – من العرب من حيث الاستهانه بهم . وفي هذين الامرين معا نرى الحسين الذي يرى الاسلام والقومية العربية (ممثلة بالعرب) عنصرين مندمجين معا ، بحيث يصعب التفريق بينهما ، ولو ان التركيز على الاسلام كان اشد واوضح . وثاني هذه الامور اهتمام الحسين بالمظالم التي لحقت بشعوب الدولة الآسيوية . فهو يرى أن الترك كانوا ينقمون على الاتحاديين ايضا . وكان الترك ينقمون بوصفهم مسلمين ، لكن العرب كانوا ينقمون باعتبارهم عربا ومسلمين.والحسين يوضح هذا بما لا يقبل الشك .(١) وثمة امر ثالث حري بالتوقف عنده وهو اشارة الحسين اشارة واضحة الى ان دخول تركية / الاتحاديين الحرب كان عاملا مهما في القيام ضدهم . والاشارة هنا ليست واضحة تماما من حيث التفاصيل . ولكن الحسين اصدر منشورا ثانيا بتاريخ ٢١ ذي القعدة سنة ١٣٣٤ (٢٠ايلول/ سبتمبر١٩١٦) تعرّض فيه لقضية دخول الحرب فقال فيه : « من المعلوم ان عقلاء المسلمين وذوي البصيرة من ساكني الممالك العثمانية وسائر اقطار الدنيا غير راضين عن دخول الدولة العثمانية في الحرب الحاضرة ، ولأسباب جوهرية اجمعوا

---

(١) انظر في الفصل الثاني من هذه الدراسة « الاتحاديون والعرب ».

عليها: منها ان الدولة العثمانية قريبة عهد الخروج من الحرب الايطالية اولا والحرب البلقانية ثانيا ، وقد اصاب جيوشها وخزائنها وكل مرافقها وعامة تشكيلاتها من الضعف والضياع والفناء ما لا يخفى تأثيره على ثروة الدولة خاصة وثروة المملكة عامة . حتى كان الجندي لا يكاد يصل الى قريته او مكان عمله ليحصل على ما يسد به رمقه ورمق اولاده وسائر اهل بيته - الاويكون قد دعي الى التجنيد مرة ثانية ، وهكذا شأن الصانع والحمال والمحتطب . وهناك سبب آخر يورده الحسين في منشوره الثاني المذكور فيما يتعلق بالحرب العالمية (الأولى) وهو ان الاتحاديين انحازوا الى الفريق « الغلط» وهويوضح هذا في المنشور المذكور بقوله : « وهناك اسباب » تتعلق بالجهة التي انحازت الحكومة الاتحادية الى الحرب معها ضد الفريق الآخر من الدول المشتبكة في الحرب . فإن الدولة العثمانية دولة اسلامية وبلادها مترامية الاطراف كثيرة السواحل ، فكانت السياسة التي سار عليها سلاطين آل عثمان العظام من قديم الزمان تحسين الصلات والعلاقات مع الدول التي يسكن ممالكها القسم الأعظم من المسلمين ، والتي لا تزال صاحبة الأرجحية في البحار .فلما دخلت الحكومة الاتحادية في الحرب ضد هذه الدول منحازة الى فريق آخر كثير الطمع واسع الجشع ، لضيق بلاده عن ساكنيها - تشاءم من ذلك اهل النظر والرؤية من المسلمين ، لعلمهم بما يكون من نتائجه السيئة قبل حدوثها ويضيف شريف مكة المكرمة واميرها قوله : « ولقد كنت من جملة هؤلاء عندما سئلت تلغرافيا عن رأيي في هذه الحرب ، فأجبت بما اقتضاه واجب النصح . وهذا مما اتخذه دليلا على اخلاصي لهذه الدولة ، وحرصي على سلامتها وصيانة بيضة الاسلام »والأمر الرابع

الحري بالاهتمام هو ان الحسين كان حريصا على استقلال امارة الحجاز . والمعروف ان الحسين ولي امور مكة سنة ١٩٠٨، وقد أدرك الاتحاديون » ان الرجل لن يقبل ان يكون مجرد اداة في ايديهم، ولذلك اختلف مع الوالي التركي الذي ادرك ان الحسين يريد ان يكون « امير مكة » فعلا . ويبدو ان الاتحاديين كانوا يهيئون للحسين بن علي فرصة لعزله عن امارة مكة المكرمة . وآخر ما يجب ان يذكران عمل الحسين لم يوجه لا ضد الخليفة ولا ضد العثمانيين ، ولكنها كانت ضد الاتحاديين ، الذين أساءوا الى الخليفة والخلافة والقواعد الاسلامية . ولننقل هنا ملاحظة للدكتور زين نور الدين زين عن الشريف حسين وقراره بالقيام بالثورة . يقول زين : « ولم يكن الشريف بحاجة الى ان يقنعه او يؤثر فيه احد للقيام بالثورة العربية . فان القرار النهائي كان قراره ، وهو بذلك يجب ان يعتبر العامل الرئيسي للثورة. ونحسب انه بين ما شرح قبلا وبين سطور هذا المنشور نجد ما يفسر لنا ثورة الحسين بن علي – ثورة العرب الكبرى .

وقبل ان ننتقل الى المرحلة التالية من أخبار الثورة العربية الكبرى، نود ان نستبق الأحداث قليلا فنشير الى أرادة سنية ملوكية، صدرت في ٧ شعبان ١٣٣٥ (أي بعد سنة من اطلاق الرصاصة الأولى) عينت فيها الراية الهاشمية بحيث تتكون من الألوان الثلاثة المتوازية الأسود فالاخضر فالابيض ، ويشمل الألوان الثلاثة المذكورة مثلث ذو لون احمر عنابي [١] . وورد في الأدارة نفسها تفسير لاختيار الألوان : الاسود رمز راية « العقاب» وهي راية النبي صلى الله عليه وسلم المشهورة . وقد اتخذ بنو العباس السواد شعارا لهم . واللون

---

(١) انظر « الراية الهاشمية » في ملاحق هذه الدراسة.

الاخضر، بين السواد والبياض ، هو الشعار الذي اشتهر عن اهل البيت عليهم السلام منذ احقاب طويلة . والبياض كان شعار العرب في دور من ادوارهم . وأما اللون الأحمر الذي شمل هذه الرموز التاريخية بشكل مثلث فهو لون راية الأسرة المالكة الكريمة من عهد جدها أبي نمي . وقد اشير الى هذا المنشور ، بأنه ارادة ملكية سنية لأن الحسين بن علي كان قد اعلن ملكا على البلاد العربية واصبح لقبه الكامل : «شريف مكة المكرمة وملك البلاد العربية »، وقد أشرنا لألوان العلم الهاشمي آنفاً .

وقد تنوعت ردود الفعل للثورة واختلفت البلاد والجماعات فقد ايدها بعض حكام الجزيرة ، لكن كان ثمة تحفظ بالنسبة لعدد منها واذا كان في مصر دوائر موالية « لتركية » فقد امتعضت هذه الدوائر من قيامها ، ولعل أكبر تأييد للثورة كان ما عرفته بلاد الشام وارض الرافدين . وقد رأى الكثيرون من زعماء المسلمين ، خاصة خارج المنطقة العربية ، اضعافا لتركية وتهاونا في نصرة الاسلام . اما الحكومة التركية فقد شددت الخناق على سورية وزادت الارهاب عنفا ولم تسمح لانباء الثورة ان تنتشر داخل بلادها صحيحة . وكان هذا امراً طبيعياً .

ولم يكن غريبا ان تعلن الحكومة الاتحادية تنحية الشريف حسـ عن منصبه لكن الثورة كانت ناجحة في الشهور الاولى ، إلى حد مثل هذا الامر لم تعلق عليه أية أهمية !

سارت الثورة سيرا حسنا في الاشهر الاولى ، وحتى وجود حامي

قوية في المدينة المنورة ، التي استعصت على جيش الثورة لم يؤثر في سير الأمور كثيراً . ولذا نودي بالملك حسين ملكاً على البلاد العربية (٢تشرين الثاني نوفمبر ١٩١٦) ولو ان ذلك لم يرق للحلفاء الذين اعترضوا على العمل (وقد اعترف الحلفاء به ملكا على الحجاز في مطلع السنة التالية (كانون الثاني / يناير ١٩١٧) ، ولكنهم لم يعترفوا بالمنقذ الاعظم ملكاً على البلاد العربية، كما عرضنا في هذا الموضوع .

والمهم ان يتذكر الواحد منا اصداء الثورة كما ظهرت في الشعر يومها كما يقول الدكتور ناصر الدين الأسد مع دوي الرصاص كانت تدوي في طول البلاد وعرضها القصائد والخطب »(١) .

وكان أول من نظم من الشعر تحية للثورة وابتهاجا بها ، الشيخ فؤاد الخطيب، وكان يحرر بجريدة القبلة بعد اعلان الثورة ، وكما كان الشاعر العربي الكبير فؤاد الخطيب شاعر الثورة ، كانت جريدة القبلة - ايضا - جريدة الثورة وسنثبت في الجزء الثاني من هذه الدراسة عدة خطب ومقالات من هذه الجريدة .*

---

(١) أبعاد الثورة العربية الكبرى ، مرجع سابق ص٥٠-٥٤

* لم يثبت الدكتور نقولا زيادة هذه القصيدة، في دراسته « أبعاد الثورة العربية الكبرى » ونظرا لاهمية هذ القصيدة قمت باثباتها كاملة اتماما للفائدة /الباحث .

يقول الشاعر الكبير فؤاد الخطيب مخاطبا الحسين بن علي :

حيّ الشريف وحيّ البيت والعلمـــا　　وانهض فمثلك يرعى العهد والذممـــا

يا صاحب الهمة الشماء انت لهـــا　　ان كان غيرك يرضى الأين والسأمـــا

واسمع قصائد ثارت من مكامنهـــا　　ان شئتها شهبا ، او شئتها رجمـــا

من شاعر عربي غير ذي عــــوج　　قدبارك الله منه النفس والكلمـــا

* * * * *

بالله يا دار قسطنطين ان نطقـــت　　فيك الرسوم وثار البحر ملتطمـــا

واقتص منك قضاء الله ثانيـــة　　شر القصاص وامضى فيك ما حكمـــا

أنحو على أمة كانت لهم عضـــدا　　في النائبات وردءا يدفع النقمـــا

وقد سكت فلم أبس ببـــادرة　　جاشت اليّ كأني ما رزقت فمـــا

وكيف أقعد عن ثأر والدبهـــم　　ندب العجائز جلس الدار مهتضمـــا

هيهات اكتب منذ اليوم مرثيـــة　　إلا إذا كان حد السيف لي قلمـــا

لمن يكن عن أباة الضيم في صمـم　　فليسمع اليوم صوتا يحسم الصممـــا

لقد تكلم صوت النار مرتفـــعا　　من الحجاز فشق البيد والأكمـــا

* * * * *

يا ابن النبي وأنت اليوم ناصـــــره قد عاد متصلا ما كان منفصمــــا
والتف حولك ابطال غطـــارفـــة شم الانوف يرون الموت مغتنمــــا
فاصدم بهم حدثان الدهر مخترقـــا سدا من الترك ان تعرض له انهدمـا
وابتر بسيفك عضوا لا حياة لـــــه لولاه لم يكن الاسلام متهمــــــا
ان كان قد ورث المجد المـدلّ بـــه عجبا ، فلم يرث الاخلاق والشيما
اين المفاخر بل أين المكارم بـــــل اين الحضارة : أمست كلها عدمــــا
وقد تكون على الأيام وارفـــــة في المشرقين تظل السهل والعلمـــا
وكيف يصدر خير من بزنطيـــــة والشر يمسك بالانفاس محتكمــــا

* * * * *

يا من الح علينا في ملامتـــــــه بعض الملام وجرب مثلنا الالمـــــــا
لو كان يسمع الشكوى كصاحبهـــا مضنى ، لما ضجّ بالزعم الذي زعمــــا

* * * * *

ايه بني العرب الأحرار إن لكـــــم فجرا أطلّ على الاكوان مبتسمـــــا
يستقبل الناس من الفاســـــه أرج ما هب في الشرق حتى أنشر الرممـــا
تلك الحياة التي كانت محجبـــــة في الغيب لا سأما تخشى ولا سقمـــا
سارت مع الدهر من بدو ومن حضـــر حتى استتبت فكانت نهضة عممـــا
من ذلك البيت ، من تلك البطاح على تلك الطريق ، مشت اجدادكم قدمـــا
من كل اروع وثاب اذا انتسبـــت بيض الصوارم كان الصارم الخذمـــا
وانقضّ من عدواء الدار منصلتـــا والفل في غمرات الموت مقتحمـــا
لستم بنيهم ولستم من سلالتهـــم ان لم يكن سعيكم من سعيهم أممـــا
الى الشام آلى أرض العراق الـــى أقصى الجزيرة : سيروا واحملوا العلما

* * * * *

والقصيدة الثانية مطلعها تساؤل عن المضارب ، اذ يقول :

لمن المضارب في ظلال الوادي
ريا الرحاب تغص بالوراد

ويجيب عن تساؤله بقوله:

الله اكبر تلك امة يعـــرب
نفرت من الاغوار والانجاد
طوت المراحل والاسنة شرع
والبيض متلعة من الأغماد
ومشت تدك البغي ، مشية واثق
بالله والتاريخ والاجداد

ولعل الابيات التالية من اجود ما نظم في الوحدة العربية :

انا لا افرّق بين اهلك انهـــــــم
أهلي ، وانت بلادهم وبـــــلادي

ولقد برئت اليك من وطنيـــــــة
ليست تجاوز موطن المـــــيلاد

فلكل ربع من ربوعك حـــــرمة
وهوى تغلغل في صميم فـؤادي

كم ضجعة بالقاع في غلس الدجى
بين الرمال ، العفر وهي وسادي

ادركت اذ ادركتها معنى الكـــرى
وسكينة الارواح في الاجســـاد(١)

* * * * *

وكان للزركلي شعر رائق في الثورة ، اذ يقول :

أبى السيف الا انتقاما لهــــــا
وخاف على الضيم خسرانهـــا

(١)استشهدنا بأبيات من هذه القصيدة فيما سبق .

آثار بني هاشم في الحجـــاز

وانطق في الترب حسانهـــــــا

دعوا بالخيول ، واهل النصـــو

ل تشرع للروع مرانهــــــــا

كتائب هبت تلبي الدعــــا

ة تطوي القفار وكثبانهـــــــا

برمح يرنّ وعضب يئــــــن

ينبّه في الترك وسنانهــــــــا

هو الثأر أدركه الثائــــرون

اشجى (فروقا) وسلطانهــــا

اطلّت ترفرف فوق الجموع

تحيي من الغيب أوطانهــــــا

* * * * *

وهناك قصيدة طويلة نظمها ابو الفضل الوليد (الياس طعمة) في المهجر ، سماها « صدى الاجيال » ، وهي واحدة من قصائد عدة له ، وقد جاء فيها قوله :

الله اكبر إن السيف عريـــــان

لكي تحرر اقوام واوطـــان

بشرى العراق وبشرى الشام جارتها

ففي الجزيرة ثورات لها شان

جزيرة العرب قد هبت عواصفهـا

فلن يقوم بها للعجم بنيـــان

دالت من الظلم والفحشاء دولتهم

وطالما قوض الاركان طغيان

أبناء يعرب هبوا بعد رقدتهـــم

وقد تعاون عدنان وقحطان

ويعتبر الدكتور الاسد قصيدة « شريف مكة » لرشيد ايوب من اجمل ما قاله شعراء المهجر :

من أقاصي الارض نهديك السلام   مع نسيم السحـــر

يا شريفا، كلما ناح الحمـــــام   فوق غصن الشجـر

أيها الناشر أعلام الأمـــــان   في ربوع الحـــرم

يا نصير الحق يا ثبت الجنـــان   يا كريم الشيـــم

ومنها :

خضتها حرباً على الباغي تــدور بكماة أسد
وتركت الترك أصحاب الفجور عبرة للأبد

وتشير الدكتورة خيرية قاسمية الى تعثر الثورة بعد ان فقدت عنصر المفاجأة ، لكن المساعدات العسكرية والمالية توالت على الحسين من الحكومة البريطانية ، وانضم إلى الجيش العربي عدد من الضباط الانكليز المدربين كخبراء على تعليم فنون القتال ، والمهم ايضا انه كان « قد انضم للثورة العديد من الضباط العرب الموجودين في معسكرات الاسر في مصر والهند وشكلوا نواة الجيش النظامي الى جانب القوات غير النظامية » ، من هؤلاء الضباط مثلا جعفر العسكري ونوري السعيد .

كانت الجيوش العربية الثلاثة يقودها أبناء الحسين : علي وعبدالله وفيصل ، ومنذ مطلع كانون الثاني / يناير من سنة ١٩١٧ زال ما كان قد لوحظ في الثورة من تعثر ، وعاد الى العمل والحياة والنشاط ، وبلغت القوة التي تشكل الجيش الشمالي ، بقيادة فيصل ، الوجه وهو أقصى ميناء في شمال الحجاز . وهناك ، بعد احتلاله ، عقدت اتفاقات ذات اهمية مع عودة ابو تايه زعيم الحويطات ونوري الشعلان ، زعيم الرولة .

في تموز / يوليو ١٩١٧ احتل جيش الثورة العقبة . وكان هذا ايذانا بالتقدم نحو الهدف الاكبر وهو الاردن وسورية ، واحتلال العقبة وضع في ايدي العرب وحلفائهم قاعدة مهمة للاتصال بمصر من اجل التموين ونقل العتاد ، وقد حاول الاتراك استعادتها لكن محاولاتهم

ذهبت ادراج الرياح .

وقد لخصت الدكتورة خيرية قاسمية الاحداث على النحو التالي:

«وضع اللنبي في ايلول / سبتمبر ١٩١٨ خطة هجوم نهائي على طول الجبهة بحيث ينتهي بالاستيلاء على دمشق . وعهد إلى القوات العربية بمهمة قطع المواصلات ، فيحمي بذلك جناح القوات البريطانية الايمن ويشغل القوات التركية في شرق الاردن ، ويمنعها من ارسال الامدادات الى فلسطين . وبعد احتلال درعا بدأ تراجع الجيش الرابع التركي وكانت القوات العربية النظامية ورجال القبائل تتعقبه . وانهارت الجبهة التركية في نهاية ايلول / سبتمبر ، ولم يتمكنوا فيما بعد من تأليف جبهة جديدة في دمشق .

« وأخذت القوات البريطانية القادمة من جبال الجليل [في شمال فلسطين] والقوات العربية الى الشرق منها تزحفان في خطين متوازيين في عملية سباق تشكل دمشق نقطته النهائية .

« وفي مساء ٣٠ ايلول / سبتمبر كانت القوات جميعها قد احاطت بدمشق ، ودخلت فرق من القوات العربية غير النظامية إلى دمشق لنقل الاخبار إلى السكان ، والدعوة لاقامة حكومة عربية ، وكان ذلك قد تم قبل وصول الرسل ، كما دخلت في نفس الليلة فرقة من الخيالة عبر شوارع المدينة ، وهي تتعقب الترك المنسحبين عن طرق حلب شمالا .»

ويبدو من الدراسات التي تمت حول الموضوع ان الجيش العربي دخل دمشق اولا ، اي قبل القوات البريطانية .

لم تحدث معارك ذات بال بعد سقوط دمشق ، فالجيش العربي

كان له دور في السير نحو حلب داخليا ، فيما كانت قوات الحلفاء تتبع الطريق الساحلي الى شمال سورية . وفي ٣٠ تشرين الاول / اكتوبر سنة ١٩١٨ وقعت هدنة (مدروس) بين تركية والحلفاء ، وكان ذلك نهاية الاعمال العسكرية في بلاد الشام .

وتعلق الدكتورة قاسمية على أحداث الثورة العسكرية بالنسبة لسورية بقولها : « ورغم ان قسما كبيرا من حوادث الثورة قد جرى وراء الحدود السورية ، الا ان السوريين قد لعبوا دورا كبيرا في احداث الثورة ، فشارك الضباط والجنود ووجهاء البلاد والموظفون والمثقفون في حملات الجيش العربي ، وجرت اتصالات مع شيوخ القبائل في الصحراء لضمان موالاتهم للثورة والمشاركة فيها بعد أن حالت موانع كثيرة من قيام ثورة فعلية ..... في سوريا . وبعض من بقي من كبار العسكريين في الجيش العثماني كان على اتصال بفيصل من اجل الاعداد للثورة ، وقام السوريون في مصر والمهجر بنشاط كبير للدعاية للثورة عن طريق الصحف والمجلات والمساعدات المالية » .

وقد اثار احتلال جيش الثورة لدمشق العواطف الجياشة ، فعبرت عن سرورها شعراً . فمن ذلك قصيدة لجميل صدقي الزهاوي سماها «النائحة» لانه رثى فيها الشهداء ، يقول :

الى أن اتى بالفتح جيش «عرمرم» مدافعه تنكى العدا وتهول

هنالك أهل الشام صاحوا وكبروا وكبر اعلام بها وسهول

وكان لاخذ الثأر قد ثار ضيغم له في مغار الغابتين شبول

«حسين» بما قد جاء قد سر جده وان «حسينا» للنبي وكيل

أغر كريم الأصل من فرع هاشم فطاب له فرع وطاب أصـــول
فأعظم بملك سل للذب سيفـــه وأرهف بسيف ليس فيه نكول(١)

وسمى خليل مردم بك قصيدته «الفتح العربي» قال :

مالي أرى القوم بعد الحزن في طــرب
هل عاد سالف مجد العرب للعرب
نعم ، والا فما للكون مبتســـــــم
من بعد ما أخذته سورة الغضـــــب
وما لاهل الهدى والحق في صعـــــد
وما لشرذمة الضلال في صبـــب
وقام بالأمر من كان الأحق بـــــــه
نجل النبي الحسين الطاهر النسب

ويقول:

يا صاحب الجيش والقهار يعضـــــده
مدرعا بمواضي السادة النجـــب
لك الهنا بدمشق الشام اذ بـــــــرزت
تستقبل الجيش في اثوابها القشـــب
خذ سمت لبنان فالشكوى لقد عظمت
وسر لبيروت ثم اخلص الى حلب

(١) وانظر قصيدة جميل صدقي الزهاوي «أنين المفارق» من كتاب «دراسات في الثورة العربية» ، ذكرى مرور نصف قرن، ١٩٦٦ ، ص ٤٨ .

لا زال يخفق في ارباعنا علم

مربع اللون نفذيه بكل أب

واتماما للحديث عن الثورة نضع امام القراء ثلاث وثائق هي : برقية فيصل الى الحسين عن دخول دمشق ، وجواب الملك حسين البرقي ، والبيان الذي اصدره الملك حسين عقب ذلك يوضح فيه سياسته نحو سورية .

ارسل فيصل البرقية التالية الى والده يعلمه فيها دخول الجيش العربي الى دمشق :

« مكة المكرمة – لحضور مولاي امير المؤمنين نصره الله آمين»

« أزف لعليائكم بشائر النصر بفتح سورية ، والدخول الى قاعدتها (دمشق الشام) بتاريخ ٢٤ ذي الحجة سنة ١٣٣٦ ، وركز العلم العربي فوق دائرة حكومتكم العربية المستقلة.

« وقد بايعني جميع أهل سورية باسم جلالتكم ، ورفعوا أكف الضراعة للباري جل وعلا أن يؤيد وينصر كلمتكم ، ويرفع منار توليتكم ، ويجعل الفوز مقرونا بعلمكم المنصور .

« دمشق الشام في ٢٧ ذي الحجة سنة ١٣٣٦ / فيصل »

فرد عليه الملك حسين بالبرقية التالي نصها :

« أسأله تعالى أن يجعله عملا خالصا لوجهه ، وسببا للخير والصلاح فبلغهم سلامي وتحياتي . وحيث انك تعلم ان القصد الأساسي هو انقاذهم فبعد انهم حملّوني هذا العبء الثقيل ، فلا بد ان

يعينوني واياكم على ما فيه راحة البلاد وسعادتها ورفاهها ، ونظرا لمضاعفة حسن ظنهم بنا ، وقد اصبحنا واياهم كما ترى ، فلا تحتاج إلى وصية عليهم ، وهم وداعتك – بلا تفريق – الى ان يمن الله علي بخدمتهم ان شاء اله مباشرة ، والله يحفظك يا بني واياهم من كل سوء ويديم علينا جميعا توفيقاته الاحدية .

« مكة المكرمة مساء ٢ محرم سنة ١٣٣٧ »

اما الوثيقة الثالثة فهي اطول من اي من هاتين البرقيتين ، وقد وضعت في ٨ تشرين الاول / اكتوبر ١٩١٨ ، اي بعد دخول دمشق بنحو اسبوع ، وفيها يوضح الملك حسين سياسته تجاه سورية ، وهذا هو نص الوثيقة :

« انكم يا ابنائي كلكم مسلمون ، وإن من العقائد الاسلامية ان الامور كلها مقدرة في سابق علم الله ، فلا يحدث في الكون الا ما سبقت به المشيئة الالهية من الازل ، على الطراز والوجه المحتم وفي الوقت والساعة المعينة فكل ما حدث ويحدث من الامور قد اعد لاوقات معدودة في اماكن محدودة ، ولقد علمتم الغاية الأساسية لنهضتنا التي هي ايضا من المقدرات التي قضت بها المشيئة الصمدانية من الأزل إحياء للبلاد ورحمة بالعباد ، فاستخرنا الله تعالى في انفاذ النية الخالصة لوجهه الكريم ، غير طالبين الا رضاه ، ولو اردنا راحة النفس ومتاع الدنيا لكان لنا من ذلك ما يكفينا بكل سعة فرجحنا السعي لنصرة قومنا وانقاذ اوطاننا وارضاء ربنا ، وها هم التجار الذين بين ظهرانيكم يتذكرون انه عندما ضرب نطاق الحصر البحري على سواحل البحر الابيض المتوسط ساءني ان يقع بنو قومي السوريون

في ضنك العيش ، فصرحت للتجار باسعاف تلك الديار على قدر الوسع ، وقد حصل ذلك بالفعل ، وانني أؤكد لكم ، يا ابنائي انه لا فرق عندي بين أحد من بني قومي مهما اختلفت اوطانهم ونحلهم ، فهم جميعا في نظري بمنزلة الاشخاص المقيمين معي في هذا المنزل وتحت هذا السقف . وان خروج المتغلبة من تلك الديار قد احدث لي وظيفتين جديدتين احداهما اتخاذ كل الوسائل النافعة لعمران البلاد ، والثانية السهر على راحة اهلها وسعادتها ، ولقد قلت امس لفيصل في الجواب على برقيته الواردة من دمشق انه مادام السوريون قد حملوني هذا العبء الثقيل ، فقد وجب عليهم ان يعينوني على ما فيه راحة البلاد وسعادتها ورفاهيتها ، ولا سيما وهم ابناؤها واعرف الناس بما يلزم لها من الحاجيات ، وهم الاجدر بتولي امورها على اسلوب العرف فيها. وان للعرف المنزلة الثانية في نظر الشرع ، حيث قال الله تعالى « خذ العفو وأمر بالمعروف وأعرض عن الجاهلين » ومن حق العرف ان تكون له هذه المنزلة في نظر الشرع ، لان الوقوف على عرف الامم من أكبر اسباب النجاح في تحصيل سعادتها ، وان العلم بعرف جهة من الجهات احسن ثمرة من التبحر في العلوم النظرية من غير معرفة بوجوب تطبيقها وطرق الاستفادة العملية من قواعدها وفروعها ، ولا شك أن أبناء البلاد العربية أعرف بعرف بلادهم ، ولذلك قلت أنهم الاجدر بتولي امورها ، وإني اذا ذكرت ابناء سوريا فلا افرق بين أحد منهم بمذهب أو بغيره ، بل كلهم في نظري سواء ، لأن وحدة القومية هي جامعة التفاهم وتبادل المصالح والمنافع .

فاذا كان احد قد اساء منهم هذه الحقيقة أو تفهمها ، فيكون قد اساء الى الحقيقة والى العرب الذين اثبت تاريخهم ان اختلاف الدين لا

يمكن ان يكون سببا لهضم حق او لحط من كرامة او لغير ذلك من مطالب الحياة الاجتماعية الهنيئة ، وهل فيكم من لا يعرف ان النبي صلى الله عليه وسلم ، قد اجاز لليهودي ان يقتص منه مع ان الاسلام كان في ذلك الوقت في عنفوان قوته ، والصحابة من حوله ، صلى الله عليه وسلم يفتدونه بارواحهم ، فلم يكن كل ذلك ليكون سببا يمنع اليهودي من طلب حقه بكل صراحة ، رغم ما استعمله من الخشونة في الطلب . فالبلاد يا ابنائي هي لاهلها يتمتعون بكل حقوقها ، ويجنون من كل ثمراتها ، فلا يفرق بينهم في الحقوق والواجبات ، والاخذ بوسائل الكسب والتمتع بالثمرات ، اي سبب من الاسباب ، مادام كل فرد منهم يعرف الحق فلا يتعدى حدوده ، ويقوم بالواجب ولوازمه فلا يتوانى عنه . لقد كان القصد من هذه النهضة ارضاء الله تعالى ، وإعطاء القومية العربية حقها من الخدمة بانقاذ بنيها ، وحفظ اوطانها ، وان آذعان العرب لقوميتهم من اخص مآثرهم واقدم سجاياهم . فهم من عشاق الاستقلال القومي من قبل ومن بعد ... هذا وان الواجب الذي يترتب علينا وعليكم بعد تمام واجب الانقاذ هو بذل الهمة وتوجيه المساعي إلى اعمار البلاد وانعاشها واحياء موتاها . والله الموفق (١)

(١) د. نقولا زيادة : أبعاد الثورة العربية الكبرى ، ص ٥٧ – ٦٤ وانظر ما كتبه الدكتور ناصر الدين الاسد حول أدبيات الثورة العربية الكبرى في كتاب « دراسات في الثورة العربية الكبرى » ، عمان ١٩٦٦ ، ص٤٢–٦١، وقد اعتمد عليه الدكتور نقولا زيادة، كما اعتمدنا عليه في هذه الدراسة .

« الفصل السادس »

﴿الاتجاه الإسلامى في ثورة الشريف الهاشمي﴾

١ - مفهوم الاستقلال في فكر الثورة من خلال منشوراتها :

ان من مقومات الدولة استقلالها واحترامها للحرية وقد طرحت الثورة العربية مفهوم الاستقلال ، ووصول العرب الى التحرر وممارستهم الحرية في أكثر أدبياتها ، وبينت أن النهضة العربية قامت من أجل إعادة الحياة للأمة العربية والوصول بها الى مستوى الأمم الحية ، وحتى لا ينتهي وجودهم تحت ضربات الأمم الجاهلة الحاقدة على العروبة منذ أيام جنكيز خان وتيمور وهولاكو وغيرهم ، ولذلك فإن العرب يقاتلون متطوعين غير مكرهين ولغاية شريفة سامية [١] هي الاستقلال العربي ، وتحقيق فكرة الحرية للعرب « التي حرم على العرب لفظها » ودعت الثورة الى التأني والاطلاع على تجارب الدول العربية الكبرى التي قدمت عبر التاريخ البشري الكثير من المقومات الحضارية والتقدم للبشرية بعامة ، وللدول العربية الإسلامية بخاصة ، وفي مقدمة هذه القيم « الاستقلال ، والحرية » .. فالعرب لم يخضعوا لحاكم غير عربي في الجاهلية « ولم يفقدوا استقلالهم » على مدى العصور ، وأن فكرة الاستقلال قد سيطرت على العرب منذ القدم لأن « الأمة العربية مطبوعة على الحرية »[٢] . أما في العصر الحديث « فقد مات في سبيلها الكثيرون من الوطنيين » واستبدت فكرة الاستقلال بك

---

(١) القبلة ، العدد ٦: ١ .

(٢) المرجع نفسه ، اعتماداً على الدكتورة سهيلة الريماوي، مرجع سابق، ص٥٧ وما بعدها .

نشـاط السكان وحمـاسـهم باعتبـارها « الامنيـة التي طالما انتظروهـا » ولعل القـبلة تجيب على تسـأول المتسـائلـين حـول خـضـوع العـرب للدولة العثمانية فتؤكد في مواقع كثيرة منها أن العرب وإن كانوا خضعوا لدولة آل عثمان ، فإن خضوعهم كان خضـوع الحليف الحليفة .[١] وقد دعت الثـورة لاسـتقـلال العـرب التـام وقطع كل صلة بـهـؤلاء المتـقلبين السـفاكين منذ المنشـور الأول للثورة [٢] ، وهبت البـلاد للنهـوض بأمـر استقلالها بعد أن ضـربت على ايدي عمال الاتحاديين ،« استقلالا تـامـا مطلقا بكل معاني الاستقلال الذي لا تشوبه شائبة أو مداخلة اجنبية » وتصر الثورة على الاستقلال المطلق ، (أي الاستقلال الذي لا يخضـع لأي دولة أجنبيـة)، والاسـتـقـلال التـام (أي غيـر الناقص). أمـا مـا خص علاقة الثورة بالدول الأجنبية وسيطرتها على البلاد العربية ، فإن جـريدة القـبلة تؤكـد في مـواقع كـثيـرة منهـا اسـتـقلاليـة العـرب ، وأن الأجانب لا يتمـتعـون بأي نفوذ في الأقطار العربيـة ، وليس لـهم صلة بالمرافق العـامـة ، أو سيطرة على استـقـلال البـلاد ، وتؤكـد أننا « أمـة مسـتـقلة في جميـع الشـؤون الداخليـة والخـارجيـة ، كـغـيـرنا من الأمـم الحرة الحية ، فقد قامت الحـرب بالسيوف الهاشمية والجيوش العربية

---

(١) حول مفهوم الاستقلال راجع جريدة القبلة : العدد الأول والعدد ١٩ والعدد ٢١ .

(٢) لقد نشرت جريدة القبلة كل ما صدر عن الثورة في مناشير عدا المنشور الأول فهو موجود في كتاب امين سعيد ، الثورة العربية الكبرى وانظر هذا المنشور في ملاحق هذه الدراسة .

فكان ذلك مدعاة الاهتمام والإكبار » [1] . وكان لا بد من أن ترد الثورة على ادعاءات المغرضين التي تدور في فلك نقض الاستقلال العربي والخضوع التام للأجانب . وترفض الثورة ذلك بقولها : « لقد أخرجنا الترك من أرضنا لأنهم عدونا أجانب عنهم ، ولأنهم عبثوا بتقاليدنا التاريخية والدينية ، فكيف نسعى الى الرضى بسيادة هذا وذاك من الأمم الأخرى» وتؤكد لهؤلاء المغرضين : وها نحن نعلن للجميع : أجل نحن الذين شرعنا في النهضة وهيأنا أسبابها وأضرمنا نارها فلم يشاركنا في ذلك أجنبي قط ، وكل مافي الأمر أننا فاوضناغيرنا في عدم التدخل في شؤوننا وبسط يد المساعدة السياسية الينا مع قدر الطاقة ، لاشتراك المصالح الحيوية بيننا ، وأفهمناهم أننا عقدنا النية على صياغة الاستقلال وأن مخالفتنا لهم قائمة على دعامة الاستقلال الصريح ، والتقدم القائم على تأكيد الحرية والاقتصاد في البلد المستقل، أما الحرية فهي أن يعيش الانسان في بلد مستقل ليس فيه استبداد ، وأن يختار قوله وفعله دون أن يعترضه مانع ظالم » [2] . ثم تعدد الثورة أنواع الحرية فهي : « حرية الكلام ، والخطابة والتعلم والمطبوعات ، وحرية المباحثات العلمية ، والأمن على الأرواح ، وحري

---

(١) القبلة ، العدد ١٥ : ١ .

(٢) القبلة ، العدد ١٧ :١ .

العبادة ، والأمن على الشرف والعرض ... » وتبرز الثورة في أعداد كثيرة من القبلة كيف أنها أقامت المدارس العلمية ، وحافظت على الكتب القيمة ، وأتاحت فرص الكتابة والحوار على صفحات جريدة القبلة – الجريدة الرسمية – فأصبح المسلمون والعرب يكتبون في جريدة القبلة سواء كانوا في المهجر أم في الوطن العربي (١) .

٢– الثورة العربية الكبرى والوحدة العربية :

« ان هذه امتكم أمة واحدة (٢) » هذا ما جاء به القرآن الكريم على لسان النبي العربي محمد بن عبد الله (ﷺ) الذي وحد الامة العربية منذ خمسة عشر قرنا لأول مرة في تاريخها .. وقام الاسلام على سواعد العرب وتم نشر الرسالة السماوية في مشرق الارض ومغربها في أقل من قرن واحد وسطعت شمس العرب على العالم أجمع .. كل ذلك ما كان ليتم لولم تتوحد الامة العربية في دولة واحدة ولذلك فلا غرو اذا اعتبر المناضلون كافة أن هدف الوحدة العربية يجب أن يسبق الأهداف الأخرى مهما كان شأنها .. كما يقول العماد مصطفى طلاس في كتابه « الثورة العربية الكبرى » . فعندما يتوحد العرب يكون الخير

(١) انظر جريدة القبلة ، العدد ٩٢ والعدد ١٠٩ وغيرهما وفي هذين العددين كتابات وقصائد وردت من عرب المهجر، وقد اثبتنا جانباً منها في هذه الدراسة .

* د. . سهيلة الريماوي : الاتجاهات الفكرية للثورة العربية الكبري ص ٥٧– ٥٩

(٢) سورة الانبياء ، الآية : ٩٢ .

كل الخير لأمتنا العظيمة .. وعندما يتفرقون أيدي سبأ يكون الشر والكوارث والنكبات !! ومن هنا جاء اهتمام الشريف حسين بن علي قائد الثورة العربية الكبرى بقضية الوحدة .. واعتبرها الهدف الذي يجب أن يعقب هدف التحرير من نير الأتراك لأنه لا يمكن أن تقوم الوحدة وجنود الاعداء يسرحون ويمرحون في ربوعنا !! واذا تصفحنا الرسائل التي بعث بها الشريف حسين الى مكماهون ، نرى أن صورة الدولة العربية المتحدة المستقلة تطغى على غيرها من الموضوعات ..
لقد شدد الشريف حسين على القول أن الاتفاق مع الحكومة البريطانية يضمن النقاط التالية :

١- تتعهد بريطانيا بتشكيل حكومة عربية مستقلة بكل معاني الاستقلال في داخلها وخارجها ، وتكون حدودها شرقا بحر فارس وغربا بحر القلزم بحر القلزم (البحر الاحمر) والحدود المصرية والبحر الابيض المتوسط وشمالا ولاية حلب والموصل الشمالية الى نهر الفرات ودجلة ومصبها في بحر فارس ، ما عدا مستعمرة عدن ، فأنها خارجة عن هذه الحدود ، وتتعهد هذه الحكومة برعاية المعاهدات والمقاولات التي أجرتها بريطانيا العظمى مع أي شخص كان من العرب في داخل هذه الحدود ، بانها تحل محلو في رعاية وصيانة تلك الحقوق وتلك الاتفاقيات مع أربابه

أميرا كان أو فردا من الأفراد .

٢- تتعهد بريطانيا العظمى بالمحافظة على هذه الحكومة وصيانتها من أي مداخلة كانت بأي صورة كانت في داخليتها ، وسلامة حدودها البرية والبحرية من أي تعد كان ، وبأي شكل يكون ، حتى ولو وقع اضطراب داخلي من دسائس الاعداء أو من حسد بعض الامراء ، فهي سوف تساعد الحكومة المذكورة مادة ومعنى على دفع ذلك الاضطراب في حين اندفاعه . وهذه المساعدة في الثورات الداخلية تكون مدتها محدودة أي حتى يتم للحكومة العربية المذكورة تشكيلاتها المادية .

٣- تكون البصرة تحت اشغال العظمة البريطانية لحينما يتم للحكومة الجديدة المذكورة تشكيلاتها المادية . ويعين من جانب تلك العظمة مبلغ من النقود يراعى فيه حالة احتياج الحكومة العربية التي هي في حكمها قاصرة في حضن بريطانيا . وتلك المبالغ تكون في مقابلة تلك الاشغال .

٤- تتعهد بريطانيا العظمى بالقيام بكل ما تحتاجه الحكومة العربية من الاسلحة ومهماتها والذخائر والنقود مدة الحرب .

٥- تتعهد بريطانيا العظمى بقطع الخط من (مرسين) أو ما هو مناسب من النقاط في تلك المنطقة لتخفيف وطأة الحرب عن البلاد لعدم استعدادها .

وقال الشريف في رسالته : إنه قام بالثورة على أساس هذه المبادىء وإنه يود أن يعلم فيما اذا كانت الحكومة البريطانية تعتزم الوفاء بتعهداتها ، وأعطى الشريف أسبابا ثلاثة تكمن وراء اصراره على تحقيق مبادىء الاتفاق :

آ- المحافظة على كيان العالم الاسلامي ، بعد زوال الامبراطورية العثمانية .

ب- أن لا تتهم بريطانيا بأنها أغرت العرب للثورة على أبناء دينهم ثم تخلت عنهم ونكثت عهدها معهم .

ج- أن لا يتهم الشريف بالتواطؤ مع بريطانيا على عدم تحقيق الأهداف التي ثار العرب من أجلها .

إن ما يهمنا في هذا المجال هو أن الملك حسين قام بالثورة وهو يعتقد اعتقادا جازما أن الوحدة العربية ستكون من جملة نتائجها

فكيف كان تصور الملك حسين لبناء تلك الوحدة ؟ (١) ان الوثائق التي بين أيدينا تدل على أن الملك حسين كان يتصور وحدة بين الاقطار العربية المتعددة ترتبط مع بعضها البعض بروابط تشبه روابط الوحدة بين الولايات الامريكية المتحدة ، بحيث يتمتع كل قطر بالاستقلال المحلي بينما تتولى الحكومة المركزية السياسة الخارجية والدفاع والعلاقات الاقتصادية مع الدول الاخرى .

وكانت المناداة بالشريف حسين في ١ تشرين الثاني ١٩١٦ ملكا على البلاد العربية ، أول خطوة عملية لاضفاء صفة الشرعية على قضية الوحدة والاستقلال وكما رأينا في الفصول السابقة أن الدول العظمى آنذاك لم تتلق هذه المبادرة الكريمة بقبول حسن لغاية في نفسها ولذلك لم تعترف حكومات بريطانيا وفرنسا وروسيا بالحسين (ملكا على الحجاز فقط) الا بعد أربعين يوما « ان حكومة جلالته ومعها حكومتا فرنسا وروسيا، مع أنهما تعتبران سموكم الرأس الأسمى للشعوب العربية في ثورتها ضد مساويء الحكم التركي ، ومع سرورها بالاعتراف اعترافا واقعيا بأن سموكم الحاكم الشرعي والمستقل للحجاز – الاأنها لا تستطيع الاعتراف باللقب (الذي

---

(١) راجع سليمان موسى : « المراسلات التاريخية ١٩١٤-١٩١٩»
المجلد الثاني – رقم ١٧٠- ص – ٢١٠ -٢١١ .
وانظر يوسف أبو داهود   الثورة والنفي ، ص ١٨١ -١٩٥

اعلنتموه) والذي يمكن أن يثير التفرقة بين العرب في الوقت الحاضر ، ومن ثم يعيق التسوية السياسية النهائية لقضايا الجزيرة العربية على أسس مرضية ... ذلك أن التسوية النهائية يجب أن تتم بموافقة الزعماء العرب الآخرين ، وهي موافقة لا دليل عليها في الوقت الراهن، وهي تسوية يجب أن تتبع أن لا تسبق النصر في ميدان الحرب » .

وترغب حكومة جلالته أن تلفت انتباه سموكم الى النقاط التالية : « تلاحظ الحكومة البريطانية أن اللقب الذي اتخذتموه سيادتكم يقوم على اساس قومي وليس على اساس الاقطار ، وهي تسجل ما صدر عنكم من أن ابن سعود والسيد الادريسي يحكمان بلديهما ، وانه لا رغبة لسموكم في التدخل في شوونها . وتلاحظ حكومة جلالته أنكم تركتم قضية الخلافة للعالم الاسلامي ، ليقرر فيما بعد من الذي يحتل هذا المنصب الخطير . وهي تتفق مع هذه الخطة الحكيمة . ولا تستطيع الدول المسيحية التي لها رعايا يعدون بالملايين من المسلمين ، ان تضع نفسها في موضع المتهم أمام هؤلاء الرعايا ، اذا بدا لهم أنها تعاضد هذا الخليفة ضد الخليفة الآخر ، بل ان معاضدة كهذه ستلحق الضرر بكم في انظار العالم الاسلامي وقد [1] أشرنا لهذا الجانب في ثنايا هذه الدراسة ، وأعدناه هنا لأهميته وارتباطه مع موضوع الوحدة العربية والاسلامية.

---

(١) راجع سليمان موسى :« المراسلات التاريخية ١٩١٤ - ١٩١٨ »رقم ٦٠ ص ٩٣ - ٩٤ .

وقد أوضح الشيخ فؤاد الخطيب لهوجارث في ١١شباط ١٩١٧ أن الملك لم يخطر له أبدا عندما أعلن الثورة أن نشاطه سيقتصر على الحجاز .. لأن الحجاز لا يكفي نفسه .. وأن الملك يعتقد أنه لا بد من ضم العراق وسورية الى الوحدة ، وقال : إن فلسطين « جزء ثابت من المملكة العربية » وأوضح الشيخ فؤاد تصور الملك حسين للحكم الذاتي فقال: إن الملك يرغب بأن يحكم كل قطر عربي نفسه بنفسه تحت سيادته ، وأن الامام يحيى وابن سعود والزعماء الكبار في البادية السورية يحكم كل واحد منطقته وكذلك المناطق السورية « ولبنان قلب سورية » ونفهم من تلك الأقوال أن الملك حسين كان ينوي أن يجعل دمشق عاصمة الدول العربية الموحدة .(١)

وكتب ونجت الى بلفور أن الملك حسين يستهدف انشاء كتلة عربية تضم شبه الجزيرة وسورية والعراق ، وأن يتزعم تلك الكتلة رئيسا اسميا لها وخليفة للمسلمين وهو يقصد من ذلك ارضاء المطامع العاطفية للقوميين العرب « إن هدفه الذي يرمي الى تحقيقه هو وضع سس لاتحاد دول عربية وأن يوطد حق العرب التقليدي في تسلُّم خلافة (٢) . وقد طبق الملك حسين سياسة الاستقلال الذاتي عمليا

(١) تقرير من هوجارث بعنوان « مستقبل الحركة العربية » بتاريخ ١٢ شباط ١٩١٧ . F.O . 882/12.

(٢) تقرير رقم ١٢٩ بتاريخ ٢٢ حزيران ١٩١٨ (F.O . 341 / 338)

بالنسبة الى سورية فقد أبرق لفيصل في اليوم الثاني من دخوله الى دمشق قائلا : يجب أن يحكم السوريون بلادهم حسب العرف والتقاليد السائدة بينهم وأردف بعد ذلك قائلا : « ان أبناء البلاد أعرف بعرف بلادهم .. واني اذا ذكرت أبناء سورية فلا افرق بين أحد منهم بمذهب أو غيره ، بل كلهم في نظري سواء..... ، لأن وحدة القومية هي جامعة التفاهم وتبادل المصالح والمنافع . وطالما قلت أن العرب عرب قبل أن يكونوا مسلمين أو مسيحيين ، فالبلاد لأهلها يتمتعون بكل حقوقها ، ويجنون من كل ثمراتها ، فلا يفرق بينهم في الحقوق والواجبات والأخذ بوسائل الكسب والتمتع بالثمرات أي سبب من الأسباب[1] » . وفي ٢١ تشرين الثاني ١٩١٨ بعث الملك حسين الى المعتمد البريطاني بنص مشروعه الذي يراه أساسا لانشاء الوحدة العربية ، وقد أوضح في هذا المشروع نوع العلاقة التي كان يرى أن تقوم بينه وبين كل امارة من الامارات العربية . ومع أن الملك حسين كان يعتبر نفسه أجد الزعماء العرب بتولي رئاسة الدولة العربية الموحدة الا أنه كتب للمعتمد البريطاني يقول : « ان هدفه الأكبر والوحيد هو تحقيق وحدة عربية تحت رئاسة زعيم واحد وانه اذا تم تحقيق هذا الهدف فهو مستعد لأن يقبل[2] . مع ان المصاعب في وجه الوحدة العربية ما لبث أن ازدادت

---

(١) راجع جريدة القبلة ، تصريح الملك حسين : العدد (٨٢٢) تشرين الثاني ١٩١٨.

(٢) من ولسون الى ونجت رسالة مؤرخه في ٢٣ كانون الاول عام ١٩١٨

F. O. 626 /63 .

وتعقدت بعد اتفاق سايكس – بيكو ووعد بلفور ، ولذلك رأينا كيف واجه الملك فيصل في باريس ولندن تآمر الحلفاء وغدرهم . وعندما أعلن فيصل استقلال سورية في ٨ آذار ١٩٢٠نتيجه لقرار المؤتمر السوري وتلى ذلك اعلان استقلال العراق فإن الملك حسين لم يكن راضيا في قرارة نفسه عن هذا التصرف الذي اعتبره في ذلك الحين ردة انفصالية وحجر عثرة في طريق الوحدة العربية الشاملة وقد شارك الملك حسين – في هذا الرأي –عدد كبير من العاملين في الحقل القومي آنذاك ..

كانت محاولة الشريف حسين ومن معه من القوميين العرب لانشاء دولة عربية واحدة للعرب الآسيويين أول محاولة من نوعها في تاريخ العرب الحديث .. ولكن لماذا أخفقت هذه المحاولة ؟ .. لماذا لم تحقق ولو جزءا مما قامت في الأصل لتحقيقه ؟ .. يقول العماد مصطفى طلاس في الاجابة عن هذا السؤال : **الواقع أن ذلك يعود لسببين :**

الأول : ذاتي ويخص العرب أنفسهم.

والثاني : خارجي ، ويخص بريطانيا وفرنسا والدول الأخرى ، وسنتحدث في هذا المجال عن السبب الأول لأن السبب الثاني سيأتي الكلام عنه تاليا . يقول أحمد جمال : « وكانت في أخلاق العرب نقطة ضعف كبرى اذ لا يكاد أحدهم يصبح ذا حظوة أو يكون مقدما على

غيره حتى تشتعل نار الغيرة في صدور الآخرين فيعمدون الى أعمال التهيج ضده [1] . فالزعماء العرب يومذاك كانوا الصورة الانموذج للزعماء العرب اليوم مع فارق بسيط في الشكل وليس في الجوهر!!

كانت العصبية القبلية هي العصبية الغالبة ولم يكن الوعي القومي قد انتشر وأخذ أبعاده لكي تحل العصبية القومية محل العصبية القبلية ومن هنا نرى أن الشريف حسين وابن سعود وابن الرشيد والامام يحيي والادريسي .. لم يكن في واقع الامر كل منهم سوى زعيم قبلي كبير يقف على رأس هرم من القبائل الكبيرة والصغيرة .. الفرق الكبير والوحيد هنا هو أن الشريف حسين تبنى هدف المثقفين والمفكرين العرب – الذين لم يكن لهم حول أو طول – وأخذ يعمل بكل ما يملك من قوة منصبه الديني وزعامته التقليدية على قبائل الحجاز من أجل تحقيق هذا الهدف ولكن الزعماء الكبار المحيطين بالحجاز لم يروا في موقف الحسين الا جانب العصبية القبلية ، ولم يكن الحسين في نظرهم سوى رجل شديد الطموح يود بوسائل متعددة أن يبسط نفوذه وزعامته على أقطار خارج زعامته التقليدية في الحجاز .. ولو أن هؤلاء الزعماء عاضدوا الشريف حسين بدلا من أن يقفوا في وجهه وتركوه يفاوض الدول العظمى باسمهم جميعا ويتصدى للسلطة

---

(١) مذكرات جمال باشا ص – ٣٥٥ .

العثمانية باسمهم جميعا لكان موقف الامة العربية اليوم غير الصورة التي نراها الآن .. لأن العرب عندما يكونوا قوة واحدة فالحلفاء لن يكونوا قادرين على فرض الانتداب على سورية والعراق وعلى تمزيق الامة العربية الى كيانات مصطنعة هزيلة .. كما أن الصهيونية لم تكن قادرة على زرع اسرائيل في قلب وطننا العربي العزيز !!(١)

* * * * *

لقد آمنت الثورة العربية الكبرى بالوحدة كما آمنت بالانتماء إلى هذه الأمة الواحدة ، وضمت بين دفتيها المسلم والمسيحي على حد سواء ، فالحركة العربية قامت على اساس أن كل من آمن ببلاد العرب وطنا وبالعرب جميعا – مسلمين ومسيحيين – اخوانا يعتبر عربيا بغض النظر عن دينه أو مذهبه ، وقد تجلت في هذا المفهوم فكرة التسامح الديني التي عرف بها العرب مع أهل الذمة ، وحول هذا الفهم يقول الأستاذ سليمان موسى «إن مذكرة الشريف حسين الاولى ، وهي التي تضمنت برنامج العمل العربي في اصله وفصله ، ابتدأت ديباجتها بعبارة حاسمة تقرر ان « العرب بأجمعهم دون استثناء قد قرروا في

---

(١) انظر مصطفى طلاس : الثورة العربية الكبرى ، ص ٦١٠ – ٦١٨ .

الاعوام الاخيرة ان يعيشوا وان يفوزوا بحريتهم المطلقة » . ثم وضعت تلك المذكرة حدود البلاد العربية ، على اعتبار ان سكانها جميعا من العرب . وعندما كتب مكماهون يقول أن هناك اجزاء من بلاد الشام الواقعة في الجهة الغربية لولايات دمشق الشام وحمص وحماة وحلب ، لا يمكن ان يقال انها عربية محضة » رد عليه الشريف بعبارات ثابتة قاطعة لا تحتمل التأويل :

« وأما ولايتي حلب وبيروت وساحلهما فهي ولايات عربية محضة ، ولا فرق بين العربي المسيحي والمسلم ، فانهما ابنا جد واحد . وستقوم فيهم منا معاشر المسلمين ما سلكه أمير المؤمنين عمر بن الخطاب من أحكام الدين الاسلامي ومن تبعه من الخلفاء بأن يعاملوا المسيحيين كمعاملتهم لانفسهم بقوله : «لهم ما لنا وعليهم ما علينا »، علاوة على امتيازاتهم المذهبية وبما تراه المصلحة العامة وتحكم به » . وأكد الشريف على هذا المعنى في رسالة تالية بقوله انه : « يستحيل امكان: أي تساهل يكسب فرنسا او سواها شبراً من أراضي تلك الجهات »(١)
وعلى الرغم من ان المنشور الذي اذاعه الشريف حسين بعد قيام الثورة باسبوعين ، كان موجها الى « جميع اخوانه المسلمين » من أجل بسط الاسباب التي دفعته الى القيام في وجه الدولة العثمانية – دولة الخلافة

---

(١) خطاب فيصل ، المراسلات التاريخية ، المجلد الثاني ، عمان ١٩٧٥ ؛ صفحة ٥١ .

الاسلامية ، فإنه تضمن موازنة دقيقة بين العروبة والاسلام ، عندما اكد ان مصلحتهما متلازمة ؛ ثم مضى يوضح ما ارتكبه الاتحاديون بحق الاسلام من إعتداءات ومخالفات ؛ والمنشور في أساسه يهدف الى القول انه لا يحق لشعب ان يحكم شعبا آخر بدعوى الدين ؛ فقد اشارإلى أن الاتحاديين خصوا العرب ولغتهم بالاضطهاد ، وان ذلك كان أعظم ما جنوه على الدين والدولة من الفساد » ، بل مضى الى القول إن قتل اللغة العربية قتل للاسلام نفسه ، فالاسلام في الحقيقة دين عربي بمعنى ان كتابه أنزل باللغة العربية وجعل متعبدا بتلاوته وتدبره وفهمه ، لا بمعنى انه خاص بالعرب ؛ فمن المعلوم من الدين بالضرورة انه عام لجميع الأمم ، وقد قال الله في سورة الرعد: «وكذلك أنزلناه حكما عربيا » ، ثم اشار الى اعدام « نوابغ رجال النهضة العربية « والى ان ذلك تم قصداً حتى لا يطمح عربي بأن يقول بعدهم : ان لغتنا لغة الاسلام . وتساءل بعد هذا « اي مسلم بل أي بشر يرضى ، بمثل هذا الظلم والخسف » ؟ وعندما تحدث عما أصاب الحجاز قال إن الاتحاديين كانوا يريدون أن يفعلوا في الحجاز ...، ما فعلوا في سوريا والعراق ، ليتم لهم القضاء على الأمة العربية في عقر دارها . ثم استشهد بالحديث الشريف : « اذا ذلت العرب ذل الاسلام».

وبعد ذلك بسنوات قال الحسين في خطاب له : إن هذه النهضة عربية ، تشمل كل عربي ، كائناً من كان ، على شرط ان يكون صادقاً لوطنه مخلصاً لقومه .

وتضمن خطاب فيصل امام مؤتمر السلام يوم ٦ شباط ١٩١٩ ، العبارات التالية:

« ان الاختلافات الدينية مبالغ فيه ، وقد كان الجيش العربي مؤلفاً من جميع الاديان وكان يسعى لتحرير البلاد ، وأول عمل ستقوم به حكومتنا هو تأييد الالتحام بين العقائد خدمة للمباديء الوطنية (١) .

وفي سوريا عمل فيصل على تطبيق مبدأ المساواة والتآخي ، ومضى في ذلك شوطا واسعا ففي الوزارتين اللتين تألفتا بعد اعلان الملكية كان هناك عضوان مسيحيان (فارس الخوري ويوسف الحكيم) من بين هيئة الوزارة المؤلفة من تسعة أعضاء يمثلون مختلف الطوائف (وفيهم شقيق بطريرك الموارنة)، توصل الى اتفاق مع الحكومة السورية حول استقلال لبنان ، ورفض الانتداب الفرنسي ولكن الفرنسيين عرفو بالامر فعمدوا الى اعتقال اعضاء المجلس ثم حكموا عليهم بالنفي

---

(١) مذكرات رستم حيدر ، تحقيق نجدة فتحي صفوة ، الدار العربية للموسوعات بير ١٩٨٨ ، الصفحات ٥٥٧، ٥٧٠– ٥٧١ . يومية ٢٢/ ١/ ١٩٢٠ ، ويومية ٨/ ٢ / ٩٢٠ ومحمد رستم حيدر من مؤسسي العربية الفتاة ، ومن أفذاذ العرب في العصر الحديث / ر سليمان موسى .

وأصدروا قرارا بالغاء المجلس . وفي يوميات محمد رستم حيدر ، عبارت ذات معنى عميق حول الدين والقومية والتنبيه الى الحدود بينهما: «.. يجب ان تقوى الشخصية في أمة عاشت قرونا تحت الحكم الاجنبي ، وذلك بتنفيرها من الاجانب .. السوري يود لو يرجع التركي الى بلاده ، وهو يراه أقرب للحكم من مواطنه ومجانسه العربي، فيقول : نتكلم لسانه وندين بدينه ، ألفناه ، وتزوجنا منه وتزوج منا واختلط بنا ، فويل له ، هو يرى التركي أقرب اليه من الذي ولد على فطرته ولغته ودينه وأخلاقه .... وعينه لا تزال تطمح نحو الغير كأنه لا يرى الكفاءة في نفسه بل يحتقر ذاته ، اذ لا ذات له ، ويل أبيه ما أضعف نفسه وما اسهل انقياده ... فلنحذر من روحهم الأجنبية ولنرب النشء الجديد على حب الحكم الذاتي ومفاخر الاجداد .. لنؤيد التقرب مع الترك في السياسة الخارجية ، واما داخلا فيجب ان نقتل هذه العواطف ، ونحيي الشعور الوطني حياة أبدية ، الاتراك كانوا تهلكة على العرب المسلمين خاصة، والاجانب تهلكة على المسيحيين العرب خاصة ، فلا سبيل للحياة الجامعة الوطنية الا بتوليد العاطفة الوطنية ؛ الوطن للمسلم والمسيحي معا (١) .

---

(١) انظر المرجع السابق، ص٥٧٠ وما بعدها .

ويوضح حيدر في يومية أخرى نظريته حول الضرر الذي ألحقته الدول المسيحية الاجنبية بالمسيحيين العرب فيقول :

« ...... في بلادنا لا بد للمسيحي ان يرجع يوما ويعترف بفضل مواطنه وأخيه المسلم . المسيحي كان قبلا يتقرب من الفرنسوي لانه كان ينظر اليه كحام له تجاه ظلم الاتراك ، والفرنسي كان يتلطف بالمعاملة لانه كان أجنبيا وتاجرا يتاجر بالماديات والمعنويات ؛ ولذلك كان يحسن الحديث والتعامل مع الوطنيين وكان هؤلاء يظنون ذلك سجية طبيعية فيهم فيعشقونهم . أما الآن وقد أحس الفرنسوي بأنه سيد البلاد أصبح المسيحي بنظره خرقة بالية ، وكيف يعتبره ويعلي من قدره ؟ ألعلمه وهو يعتقد فيه الجهل المطبق ولو كان من اكبر العلماء ، أليس شرقيا في نظره ؟ لا شيء يروق في اعين الفرنسي من المسيحي، فبينما هذا يعامله أجمل معاملة ويكرمه فيحسب الفرنسوي ان ذلك واجب عليه ودين محتم أداؤه ... ليعلم انّه عزيز بقومه ، محترم بأبناء وطنه ، لأن أسرته غنية قديمة ، وأما في نظر الأجنبي فهو ذنب ذنب !!

وبتبني مبدأ المساوة بين العرب ، ترتفع النهضة العربية الى مستوى أخلاقي عظيم ، بل انها تتفوق في ذلك على مدنيات أمم عظمى في اوروبا وامريكا ، ولنذكر في هذا الصدد ان التمييز الديني ما يزال قائما في اوروبا وأمريكا حتى يومنا هذا . ويأتي في طليعة الانجازات

أن الثـورة العـربية أعطت العرب الحق فـي تقرير مـصير بلادهـم على المسـتـوى المحلي والمسـتوى العـالمي . فـقـد مـرت قـرون وبلاد العـرب مستباحة للأقوى من الغزاة الغرباء . لنذكر كيف انتقل العرب وانتقلت بلادهـم في عـام١٥١٦م من أيدي المـماليك ألى أيدي الأتراك العثمانيين نتيـجة لمعركة مرج دابق . ولو انتصر سلطان المماليك في تلك المعركة ، لبقيت بلاد العرب تحت حكمهم ردحا آخر من الزمن الى ان يأتي من يقهرهم ويحل محلهم سيدا فوق رؤوس العرب،و لم يكن للعرب أي تأثير في تقرير مصير بلادهم أو في هوية الحاكم الذي يسود عليهم . ولكن الثـورة العـربيـة جاءت تبـدل هذا الواقـع وتقـضـي عليـه . وكـان نشـوب الثورة في ظروف الحرب العالمية حدثا ذا قيمة دولية ، فالعرب أسـهموا في المجـهـود الحـربي لدول الحلفـاء ، ودول الحلفـاء اعـتـرفت بـهـم امـة محاربة . ونتيجه لاعتراف دول الحلفاء اشترك العرب في مؤتمر السلام مع دول الحلفاء الأخرى . (١)

(١) سليمان موسى : انجازات الثورة العربية الكبرى ، ص ٩٧-٩٩

٣- « الاتجاه الاسلامي في ثورة الشريف الهاشمي »

تتميز دراسة الدكتورة سهيلة الريماوي باعتمادها المباشر على جريدة القبلة ، كما اعتمد الباحث على جريدة « الجزيرة» في اعداده لرسالة الماجستير ، أما جريدة القبلة فهي جريدة الثورة الاولى ، وعلى الرغم من قراءة عشرات الأعداد من هذه الجريدة على « المايكروفيلم » في مكتبة الجامعة الاردنية ، إلا انني اكتفي بدراسة الدكتورة الريماوي، اضافة إلى بعض الاشارات التالية من كتاب الدكتور علي محافظة «الاتجاهات الفكرية عند العرب في عصر النهضة .»

الاتجاهات الفكرية للثورة العربية الكبرى من خلال جريدة القبلة :

تطرح الثورة اتجاهاتها الفكرية في كل عدد من أعداد جريدة القبلة ، ولعل مقالات « الافتتاحية » أبرز ما يحدد الاتجاهات الفكرية للثورة العربية الكبرى في جريدة القبلة ، وقد كتبت بأقلام عدد من المفكرين العرب، ويمكن أن نوجز هذه الاتجاهات على الشكل التالي:

أولا- الثورة ثورة إسلامية : تسعى لنصرة الإسلام وتحسين حال المسلمين .

ثانيا- الثورة ثورة قومية : تسعى لتحقيق العدالة لأبناء القوميات بعامة والعرب بخاصة ، والنهوض بالامة العربية الى

مصاف الأمم الحية ، كي تمتلك حقوقها القومية ، التي هي حقوق طبيعية للأمة يمكن إجمالها في أن تكون لها دولتها الحرة المستقلة .

ثالثا : – الثورة ثورة توفيقية : بمعنى أنها لا ترى تضاربا بين العروبة والاسلام ، وأنها في اتجاهاتها للنهوض بالعرب إنما تخدم الاسلام عامة كما أشرنا في مقدمة هذه الدراسة.

أولا – الاتجاه الإسلامي في فكرة الثورة :

«الدائرة الاسلامية»: أظهرت المقالات المتعددة ، والأدبيات المنشورة في جريدة القبلة على مدار أعدادها ، وضوحا فكريا للاتجاه الديني ، يبرز من خلاله أن الثورة ثورة إسلامية مؤمنة ، قامت غيرة على الدين ، ومن أجل إصلاحه والعودة به الى الإيمان الصافي والواعي ، ولذلك تؤكد الثورة النقاط الاتية :

*** رفض استغلال الدين :**

إذ يستنكر الاتجاه الفكري الإسلامي للثورة العربية ما قام به الاتحاديون « الذين عملوا جاهدين على تغيير الدين الاسلامي » وتدعم

الثورة هذا المفهوم دعما بينا عندما تدلنا على محاولة الاتحاديين تغيير الدين من خلال ممارستهم وغاياتهم التي يوجد لدينا مثال عليها في كتابهم (القوم الجديد) الذي صدر في استانبول سنة ١٣٣١هـ ، ويتحدث أصحابه عن مرتكزات جديدة للدين الإسلامي ، تستغل في مصالحهم العنصرية والسياسية ، وتتدخل في أركان الإسلام الخمسة التي حولها (القوم الجديد) من الصلاة والصوم والزكاة والحج والشهادة الى أركان أخرى استخرجوها على الشكل التالي: الفعل ، والأخلاق الحسنة ، والجهاد بالحرب والمال والبدن ، ، والاتحاد والاتفاق تحت لواء السلطة التركية لتحصيل لوازم الحرب ، وكلمة الشهادة (١) .

فإذا كان الاتحاديون قد تجرأوا على تغيير أركان الإسلام وأنكروا التوحيد كجوهر للدين – لأن فكرة التوحيد تتركز أساسا في رفض الخضوع الا لله ، كما أنها تؤكد تساوي الناس أمام الله عز وجل – كان لا بد للثورة من رفض كل اتجاه يحاول أن يجعل من الدين ركيزة أو أساسا للحكم الفاسد أو استغلال الانسان وإن : « سكوت المسلمين عن أعمال هؤلاء القوم هوالذي جعلهم يتمادون في الجرأة على الاسلام

(١) القبلة ، العدد ٣ : ١ .

الى حد أنهم يغيرون أركانه التى سارعليها المسلمون منذ أربعة عشر قرنا »[١] .

فكان لا بد من الثورة على هذه الطوارىء التي طرأت على الدين ، ومن الثورة على هذا الاسلام الرسمي (للحكومة)لأنه إسلام آخر ، ودين آخر يختلف عن الدين الذي يتميز به أسلافنا ، كما تمادى الاتحاديون في التجني على التراث الاسلامي وأمهات الكتب الاسلامية من خلال الحلقات الدراسية التي يقوم بها الشيخ عبيد الله في جامع (أيا صوفيا)، كقوله مثلا : إن كتب علماء المسلمين « اسلافنا العظام » إنما هي كتب عتيقة لا تصلح لهذا الزمان ، وان ما فيها من حقائق الشرع الشريف – التي هي في نظرهم عقائد (القوم العتيق) – ليس مما ينبغي للاتحاديين وهم (القوم الجديد) أن يتقيدوا به [٢] فالاتحاديون لا يذكرون ، ولا يعرفون الاسلام الا بقدر ما يمكنهم استغلاله لمآربهم الخاصة ، فهم :« لا يعرفون الاسلام ولا يذكرون الدين إلا عند جمع التبرعات وابتزاز أموال الناس »[٣] . وكان لا بد من

---

(١) القبلة ، العدد : ٣ : ٢ راجع النص بكامله في هذا العدد حول شعبة دروس الشيخ عبيد الله في جامع أيا صوفيا باسم (قوم جديد) وقد صدر كتاب (قوم جديد) في أستانبول، وكان قد نشر قسم كبير منه في جريدة القبلة > في أعدادها الاولى ، وأكثر محتويات هذا الكتاب عبارة عن دروس ألقاها الشيخ عبيد الله إمام جامع أيا صوفيا باستانبول .

(٢) القبلة ، ٣: ١ .

(٣) القبلة ، العدد ١ : ٢ .

أن نسألهم « أين الخلافة وأين شروطها ، فالكتب الشرعية موجودة بين أيدي المسلمين ، وقد استفاضت كتب المذاهب الفقهية في مبحث الخلافة وشروطها والإمامة وأحكامها ، ولم يجرؤ أحد على تحويل أركان الدين و أو يشذ أحد علماء الإسلام الأولين أو فقهائه عن تعاليم الدين الحنيف (١) . وقد استغل الاتحاديون خطبة الجمعة لأحياء أسماء عظماء الترك ، وطالبوا بالدعوة لهم على المنابر ، فقال رجل الدين الاتحادي ، عبيد الله ، خطيب جامع (أيا صوفيا): « يا لها من جهالة، إنكم أيها الاتراك تعلقون في جوامعكم اسماء خلفاء العرب أي : أبي بكر وعمر وعثمان وعلي ، بدلا من أسماء أسلافكم ؟ » وتشير جريدة القبلة الى أن الخطيب كان ينزل درجة من درجات المنبر عندما يذكر اسم الخليفة .(٢) وقد رفضت الثورة العربية الكبرى كل هذه المظاهر لاستغلال الدين الحنيف ، ورفضت جعله ديناً خاصاً بقوم دون قوم، ورفضت تطوير الدين بحيث يناسب زمن « القوم الجديد» الذي يختلف -حسب رأيهم – عن زمن « القوم العتيق » ، وصممت الثورة على أن تعيد للدين رونقه ، وتخلصه من مثل هذه الشوائب والاستغلالات العنصرية .(٣)

---

(١) القبلة ، العدد ١٧ : ٢ .

(٢) القبلة ، العدد ٤ : ٢ – ٣ .

(٣) د. سهيلة الريماوي: الاتجاهات الفكرية للثورة العربية الكبرى ، ص٢٥-٢٨

التقدم والإسلام صنوان لا يفترقان : تسجل الثورة بوضوح وصراحة موقفا فكريا إسلاميا ملخصه أن التقدم والرقي من ناحية والاسلام من ناحية اخرى صنوان لا يفترقان ، وتقف في مواجهة الاتحاديين وما يمثله هؤلاء من افكار تحاول النيل من الاسلام ، بحجة ما يسمى بالمدنية والتقدم ، ولذلك كان لا بد للثورة من أن تعري هؤلاء الناس ، ليعرف كل من يقرأ العربية أنهم يتزيون بغير زيهم ، ويدعون الاسلام وهم يسعون للقضاء عليه ، وأن أعضاء جمعية الاتحاد والترقي هم أولئك المغرورون الطائشون الذين يظهرون أن الترقي والحضارة لا يكونان الا بأضعاف الدين وترك شعائره ، لذلك رأينا أن همتهم منصرفة الى هذه الجهة (١) . وتجدر الإشارة الى أن أهم أسباب التقدم في شتى المجالات هو ازدهار العلم والتعليم ، فالعلم والتعليم في الاسلام من الفرائض الأساسية ، وتدبر الكون يهدي القلوب الى خالقها ، وكل هذا يؤدي الى نمو المعرفة والاكتشاف ، وهذا مما يدفع عجلة التقدم الى الأمام .

إن هذه الثورة لم تكن تهدف قتال العثمانيين ٠(الأتراك) وانما كانت – كما أكدت مقالاتها في جريدة القبلة – « لمحاربة«حزب طاغ ضرب الله على سمعه وختم على قلبه ، فهو خليط من الجهالات وراكب

(١) القبلة ، العدد ١ وانظر فصل «الاتحاديون والعرب» من هذه الدراسة.

عشوات ، ومن ذا الذي يجادلهم في مقاتلة الشر ومحاربة الفساد »(١)، لقد قبل العرب وغيرهم من الأمم الاسلامية ، واستقبلوا بالترحاب رجال الدولة العثمانية لتخليصهم من جور المماليك وظلمهم ، وقبلوا انتقال الخلافة لأول مرة من العرب الى غيرهم ، أملا في أن يكون للانضواء تحت لواء الدولة العثمانية أثره في استمرار نهضة الاسلام وقوته ، وإن الأمم التي أسلمت قيادتهاللحكومة العثمانية في الزمن الماضي إنما كان ذلك برضائها واختيارها لوحدة الدين أو كان بعامل الجوار وحياة الإنصاف ، يوم كانت مقاليدها في يد رجال يقيمون ميزان العدل والحق ويسعون لتقدم البلاد ورقيها (٢) . وقد اضطرت الامة العربية – عندما أصبح الحكم في يد جماعات طائشة – الى أن تقوم ضد هذه الشرذمة ، وترفض أن يبقى أمرها في «يد لوثت الارض بقذارتها ، وكلمت القلوب بجرائمها وفظائعها » (٣) لتعيد في البلاد حضارة الأمويين والعباسيين وأمثالهم . وعلى الرغم من هذا الوضوح الذي أشرنا اليه في البعد الفكري الإسلامي للثورة فان ذلك لم يمنع مسلمي القوميات الأخرى وبعض مسلمي العرب في الشمال الإفريقي

---

(١) القبلة ، العدد ٢ .

(٢) القبلة ، العدد ١:١٣ .

(٣) القبلة ، العدد ٤:١٥ .

في الدول التي كانت ترزح تحت نير الاستعمار الغربي » من توجيه انتقادات الى هذه الحركة ، متسائلة عن ضرورة قيامها ومطالبتها بالانفصال عن الدولة العثمانية ، فتشير جريدة القبلة الى مخاوف الشريف من هذه النقطة كما جاء في خطابه أمام الوفد المغربي من أنه يخشى « أن يسيء أحد من المسلمين الظن بهذه النهضة لعدم وقوفهم على حقيقتها ، فيفسر ها بغير الواقع »(١) ، ولكن يشير الى أن أقوال أعضاء الوفد السديدة قد طمأنته من هذه الناحية ، وأن حقيقة هذه النهضة لن تخفى على كل من يريد أن يتفهمها بوضوح مهما حاول أعداء الحق إخفاءها ، ويؤكد شريف مكة ذلك بقوله : « فالغضب للحق والغيرة على سلامة البلاد وأهلها هو الذي حملني على الجهاد بالنفس والولد والقوم لصيانة كل ما يزيدنا قربا من رحمة الله ورضاه مما أمرنا الله باتباعه وأوصانا سلفنا الصالحُ بالتزامه »(٢) ، وتبقى الحضارة التي واكبت الاسلام قائمة . *

---

(١) القبلة ، العدد ١٤.

(٢) القبلة ، العدد ١٤:٣ .

* الاتجاهات الفكرية للثورة العربية الكبرى ، مرجع سابق ، ص ٢٨ – ٣١ .

حرص الحسين بن علي ، عندما قام بالثورة على الاتراك ، على إعلان تمسكه بالخلافة الاسلامية وإظهاراخلاصه وولائه للسلطان العثماني . وقد أكد ذلك في برقيته الى السلطان محمد رشاد في ١٢تموز ١٩١٦، أي بعد بدء الثورة باثنين وثلاثين يوما(١) . كان الشريف شديد الحساسية نحو الرأي العام الاسلامي ، راغبا في كسبه الى جانبه وإلى جانب حركته الناشئة . غير أنه لما رأى الهزائم تلحق بالدولة العثمانية وبحلفائها ، شعر أن السلطان العثماني أصبح أسير الاتحاديين ، لا حول له ولا قوة ، أعلن في الخامس من آذار ١٩١٧، ١٠ جمادى الأولى ١٣٣٥هـ طي اسم السلطان من خطبة الجمعة ... (٢) . ولكن هذا القرار لم ينفذ الا في ١٨ كانون الاول « ديسمبر » سنة ١٩١٧ . وفي أعقاب ذلك ، أخذ بعض الكتاب والمفكرين العرب والمسلمين ينادون بحق العرب في الخلافة ولا سيما حق آل البيت وسيدهم الحسين بن علي . وحسبنا مثالا ما جاء في افتتاحية « القبلة » الصادرة في ١٧ تشرين الاول « اكتوبر » ١٩١٧(٣) وهو نداء من مصر نقتطف منه ما يلي : « عجبا يا قوم !كيف يحرم ابن رسول

---

(١) سليمان موسى : المراسلات التاريخية، م١، ص٧٩ ، والقبلة، مكة المكرمة، العدد ٥٨، ١١ جمادي الاول ١٣٣٥هـ/٦/٣/١٩١٧.

(٢) القبلة، مكة المكرمة، العدد ١٤٧، ١٤ ربيع الثاني ١٣٣٦هـ / ٨ / ١٢ / ١٩١٧ .

(٣) القبلة، مكة المكرمة، العدد ١٢١، الاول من محرم ١٣٣٦هـ / ١٧ / ١٠ / ١٩١٧

الله من عرش جده ؟ بل كيف تحرم العرب من صولجان الملك والزعامة ، وقد قال حبيب الخلق : (الائمة من قريش) ؟ بل كيف يحرم بني هاشم من حقوق آبائهم وأجدادهم وقد قال فيهم مسلمة بن هلال العبدي : إنهم قوم بنور الخلافة يشرقون وبلسان النبوة ينطقون ؟ *

موقف الحلفاء من الخلافة الهاشمية

لقد كانت الثورة العربية الكبرى ثورة تبغي الاستقلال والتحرر لكل العرب . وحول هذا الفهم يقول المرحوم الملك عبد الله : وقد اجمع الرأي على اعلان الاستقلال العربي وعلى مبايعة المنقذ الأعظم ملكا على كافة العرب بقرار والحاح مني انضم إلى فيه عزيز علي باشا المصري الذي كان رأسا للأركان الحربية ثم اخواننا في الجهاد وهم : الشيخ فؤاد الخطيب والشيخ كامل القصاب والشيخ محب الدين الخطيب والسيد عارف الداعوق . والسيد عارف الدرويش . وقد جرى عرض الأمر على المنقذ الأعظم فتأبى وامتنع فدخلت على جلالته وقلت مع الاحترام العظيم لجلالته ان قرارنا حتم وانه ان لم يقبل سنترك العمل باجمعنا فقبل رحمه الله وكان منا من أمر البيعة وعدم

---

* د. علي محافظة : الفكر السياسي في الاردن ، ص٥٧ .

ارتياح ممثلي الحلفاء بهذا الشكل . لكن الحلفاء في الوقت الذي كانوا يتظاهرون فيه مع الشريف حسين في ثورته التحررية كانوا في الوقت ذاته يتآمرون على الثورة ويكيدون لها بالخفاء وذلك من خلال المواقف التالية :

اولا – اعترافهم بالاستقلال العربي والمملكة العربية في الحجاز فقط بدعوى ان البلاد العربية الأخرى لا زالت تحت يد الاعداء (١) .

ثانيا– تحريضهم للوهابيين واغراءهم بالهجوم على الحجاز.

يقول المرحوم الملك عبد الله (٢) : فان فكرة ازالة صاحب الثورة والدي المرحوم كانت قديمة وكانت الطريقة البريطانية في التمكين لابن سعود غاية في الاتقان فقد سبق وتعهدت بريطانيا بأن لا تدع ابن سعود ولا سواه من الامراء العرب الذين لهم صلات بحكومة الهند ان يقفوا ضد الثورة العربية حتى تتم وانه لا ينبغي لصاحب الثورة ان يضمهم او يلحقهم بالثورة العربية لأنهم تابعون لحكومة الهند غير ان بريطانيا أعلنت حيادها عندما صال ابن سعود فيما بعد على الحجاز

---

(١) الاثار الكاملة / ١٨ .

(٢) الاثار الكاملة / ١٤٠ .

والزمت العراق وشرقي الأردن بذلك الحياد الزاما وفي هذه الاشارة اليسيرة لميول لورنس وما تكشفت عنه .

ثالثا : تآمرهم على البلاد العربية وتقسيمها بين بريطانيا وفرنسا الى مناطق نفوذ عكس ما وعدوا به المنقذ الأعظم رحمه الله .

رابعا : اعطاء وعد بلفور لليهود عام ١٩١٧ والتزامهم باقامه دولة لليهود في فلسطين ... وبعد فماذا كانت النتيجة ؟ اذا عرفنا الدوافع الكامنة وراء الثورة والأسباب الموجبة لها ورصدنا الأهداف التي سعت اليها والمقاصد التي رنت الى تحقيقها وهي اصلاح الاوضاع السائدة واقامة خلافة اسلامية ورأينا الحالة التي آلت اليها الأمور أدركنا أن الثورة العربية الكبرى لم تحقق اهدافها بعد ولم تصل الى غايتها وذلك بسبب الظروف التي أحيطت بها والمكائد التي حيكت ضدها . ونحن على يقين من ان الثورة العربية الكبرى اذا بقيت على اهدافها لا بد أن تصل بعون الله الى ما أرادت من اقامة خلافة اسلامية تجمع العرب وتعيد اليهم مجدهم وتنطلق بهم من جديد قادة للدنيا وسادة للعالم كي تنعم البشرية برحمة الاسلام وأمنه وسلامه ، واننا لنلحظ من خلال تتبعنا لمسيرة قادة الثورة أنهم على الرغم من الظروف التي احاطت بهم بقوا على العهد لم يحيدوا ولم يبدلوا ، فان هذا البلد قد منَّ الله عليه باقامة المملكة الهاشمية التي أسسها الملك الشهيد عبد الله وهو

احد قادة الثورة العربية فما ان وطأت قدمه ارض الأردن حتى عمل جاهدا على تأسيس المملكة مستوحيا من مبادىء الثورة العربية الكبرى فانشأ جيشا اسماه الجيش المصطفوي، وقد رفده بنخبة من طلبة العلم الشرعي ، واقام سلطة تشريعية تمثل الشعب وتنوب عنه وارسى قواعد الأمن والعدل من خلال سلطة قضائية تبوأت أعلى المراكز في الدولة فقد كان قاضي القضاة يعتبر الرجل الثاني في الحكومة بعد رئيس الوزراء مما يؤكد قولنا بأن الثورة العربية الكبرى سوف تصل بعون الله الى اهدافها وما ذلك على الله بعزيز ما دامت الشعلة بيد اشبال من بني هاشم تحت قيادة جلالة الملك المعظم حفظه الله .

وعلى هذا الجيل ان يتابع مسيرة الاجداد في اقامة الخلافة الاسلامية القرشية الراشدة التي قضى في سبيلها جيل الثورة ورضى بالاذى والتشريد فبها تنتظم الصفوف وتتحد الجهود وتحقق الأمة شخصيتها المستقلة وتعود طليعة خير للأمة الاسلامية كلها كما كانت من قبل وكما أرادها الله عز وجل وصدق الله العظيم اذ يقول عن القرآن الكريم : « وانه لذكر لك ولقومك وسوف تسألون » [1] .

---

(١) الشيخ محمود البخيت : الثورة العربية الكبرى من منظور اسلامي ، ص٨٤-٨٥ .

وبعد أن طرحت الثورة اتجاهها الفكري الاسلامي ، من خلال الدائرة الاسلامية ، وطرحت اتجاهها الفكري القومي من خلال الدائرة القومية ، وضحت أن الدائرة الإسلامية تتألف من أقوام ، ووجهت نظرها الى الأمة العربية لتظهر خصائصها القومية المميزة ، وتبين دور العرب القومي المتميز على مر العصور ، كما رأينا ، في حركة النهوض بالإسلام وبالأمة الإسلامية ، ويظهر أن الاتجاه الفكري العام للثورة يتوصل الى النتيجة التي مفادها كما ترى الدكتورة سهيلة الريماوي :

أن خليفة المسلمين لا بد أن يكون عربيا قرشيا ، وأن سلطات الخليفة وصلاحيات السلاطين تكون رابطا دينيا أكثر منه رابطا سياسيا ، وهذا الاتجاه في فكر الثورة مستمد من الاتجاهات الفكرية التي طرحت في أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين ، ممثلة بأفكار الكواكبي ورشيد رضا ومحب الدين الخطيب وغيرهم ؛ إذ إن هذا الحل يبقي على الخلافة كجامعة إسلامية ، ويعطي للشعوب نصيبا غير قليل من الاستقلال الذاتي ، كما يسلب الخليفة كل الصلاحيات تقريبا ، بصورة ، يتضح فيها ، أن هذه الفكرة تستهدف منع استبداد الخليفة بالمركزية في الحقوق السياسية والإدارية للشعوب التي تتكون منها الامبراطورية . وقد أكدت الثورة فكرة أن يكون الخليفة عربيا قرشيا ، بعد أن شرحت بالتفصل مساوىء سياسة التتريك ، ومناهج الإساءة التي اتبعها الأتراك في مخاطبة الأمة

العربية ، وهذه الإساءات التي أصابت مقومات وجود الأمة العربية وكرامتها ، كأمة تعتز بها الثورة ، وتؤكد ميزاتها بين أمم الدولة العثمانية ، فطرحتها وناقشتها من خلال إعلامها ،بل وفي جميع أبياتها ، وملخصها أن العرب هم حملة رسالة الاسلام الناطقون بالضاد لغة القرآن، وبيّنت الثورة أن الشريف « أبو نمي » عندما سلم السلطان سليم مقاليد الحرمين الشريفين كان باختياره ورغبة منه في وحيد الجامعة الاسلامية [1] ، وأن العرب : « بمقتضى أحكام دينهم لا يستنكفون عن مؤاخاه كل من يعتنق دينهم ولو كان من غير جنسهم وله تعالى : ﴿إنما المؤمنون إخوة﴾ [2] ولذلك لم يكن العرب ولا غيرهم ينكرون على آل عثمان ما هم فيه من المحافظة على الدين الإسلامي واحترامهم الأماكن المقدسة طيلة هذه المدة ، وهذا من أخص واجبات الخلافة الإسلامية » [3] . حتى خرج الاتحاديون على الخليفة العثماني بينوا للناس أن أمر الخلافة الآن خارج عن محوره ، ومخالف للشريعة الاسلامية ، وأن الشّرع الشريف يأمر بالشورى ولا ينافي الدستور الحديث ، وهذا بعكس الخلافة الحاضرة - أي حكم

---

(١) القبلة، العدد ٩: ٢.

(٢) الحجرات : ١٠ .

(٣) القبلة، العدد ٩ : ٢ .

السلطان عبد الحميد - القائمة على أساس الحكم المطلق ، المناقض لما كانت عليه خلافة الراشدين من اتباع خطة الشورى التي يحصل بها العدل بين أفراد الأمة والمساواة بين عناصرها . وهذا الأمر يسهل - في رأي الثورة - عقد اتحاد اسلامي تضامني تعاوني ينظر في قواعد اتحاد الألمان ، وكذلك الايطاليين ، الذين ثاروا على الدولة المسيحية التي تحكمهم « فقد كانتا على دين واحد ، وهو الدين المسيحي الكاثوليكي ، وكلتاهما كان يخضع للبابا المعدود خليفة للمسيح عليه السلام ، وكان الخروج عليه يعد كفرا وضلالا ، الا أن شدة الظلم التي أخذت بأعناق الطليان من استبداد النمسا وعدم معاملتها لهم بمقتضى الإخاء الديني والشرع الانساني ، جعلتهم لا يرون بدا من النهوض لجمع كلمتهم والمناضلة عن حقوقهم قبل أن تسبقهم الدول الاوروبية المعادية للنمسا فتستولي عليهم » (١) . ولقد كان الاتجاه الفكرى (الإسلامي- القومي) الذي طرح في القرن التاسع عشر ، والاتجاه الفكري (الإسلامي - القومي) للثورة العربية الكبرى ، ينبعان من منطلقات عقائدية واحدة ، تتبلور في إعادة عزة العرب ومجدهم ، وإعادة الخلافة للعرب من قريش ، وحسم مسألة الخلط بين الوحدة الدينية الإسلامية ، والوحدة القومية العربية ، حيث تجعل من الأولى جامعة إسلامية ، ومن الأخرى دولة سياسية (وهو تفريق قائم

---

(١) القبلة، العدد ٧ : ١ .

حتى الآن حول السؤال : وحدة عربية أم وحدة إسلامية ؟) وقد شرح ذلك محب الدين الخطيب - أحد رواد هذا الفكر المتأثر بفكر الكواكبي - في جريدة القبلة وكان يشغل منصب رئاسة التحرير فيها ، كما كانت هذه الاراء هي آراء وأفكار أعضاء الجمعيات العربية السياسية السرية منها والعلنية مثل جمعية العربية الفتاة وأعضاء حزب اللامركزية ، وحزب العهد . وتؤكد ظروف الثورة تقرب أعضاء هذه الجمعيات من الشريف حسين بن علي ، كما تؤكد حقيقة تقارب والتقاء وجهة نظر الشريف وأعضاء هذه الجمعيات .(١) وأكبر دليل على ذلك ، أنه عندما بويع الشريف (الحسين بن علي) ملكا للعرب بتاريخ ٢ محرم سنة ١٣٣٤ قَبِل ذلك ، على أن يعمل بكتاب الله وسنة رسوله ، وفتح أبواب إعادة صناعة التاريخ أمام العرب على المستويين العربي والإسلامي بشكل طبيعي ، وأصبح من البديهي إعادة الخلافة الإسلامية للعرب من قريش - وهو مطلب بمفكري القرن التاسع عشر - غير أن شريف مكة قَبِل المبايعة السياسية ، بينما ترك أمر البيعة بالخلافة حتى تتضح الأمور بين العرب والمسلمين بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى ، وحتى لا يقال : « إن نهضة ساكني الحجاز في البادية والحضر يقصد بها الخروج على الخلافة الإسلامية » (٢) ورفض مفجر

---

(١) القبلة، العدد ٩:٢ .

(٢) راجع الدكتورة سهيلة الريماوي، الحياة الحزبية في سوريا من ١٩٠٨ - ١٩٢٠م .

الثورة ومن التف حوله من أحرار العرب أن يعيدوا الدور الذي قام به الاتحاديون في مواجهة الخلافة ، واكتفت الثورة بتأسيس الدولة العربية القومية تحت شعار « نحن عرب قبل عيسى وموسى ومحمد »[1] وهكذا أوضحت الثورة أن فكرها السياسي يعي بشكل واضح الفرق بين الدائرتين :

-**الدائرة العربية** : ومنطقها منطق الوحدة القومية السياسية .

-**الدائرة الاسلامية** : ومنطقها منطق الجامعة الدينية الإسلامية .

ولم تهمل الثورة قضية الخلافة الاسلامية ، بل أرجأتها الى ما بعد نهاية الحرب كما أشرت ، ولكن المتتبع للاتجاه الفكري الإسلامي ، الذي وضحته الثورة في جريدة القبلة ، يلمس مشروع وضع دستور للخلافة أو الجامعة الدينية الاسلامية ، نشرت مواده .... في أعداد« القبلة» من حين لآخر ويمكن أن نبلور هذه المواد في النقاط التالية :

١- إقامة خليفة عربي قرشي ، مستجمع للشرائط في مكة وذلك بعد نهاية الحرب .

٢- ترتبط بيعة الخليفة بشرائط مخصوصة ملائمة للشرع بناء على أنه اذا تعدى الخليفة شرطا منها ترتفع بيعته .

---

(١) القبلة، العدد الصادر بتاريخ ٢ ربيع الاول سنة ١٣٣٦ هـــ : ٢

٣- انتخاب الخليفة يكون منوطا بهيئة الشورى العامة ، ويبلغ الخليفة قرارت الشورى ويراقب تنفيذها .

٤- إن الخليفة لا يتدخل في شيء من الشؤون السياسية والإدارية.

٥- يُصدّق الخليفة على تولية الحكام والمسؤولين التي تجري احتراما للشرع على حسب أصولهم القديمة » [١] .

* * * * *

لما قرر السلطان العثماني المخلوع محمد وحيد الدين مغادرة الاستانة في تشرين الثاني سنة ١٩٢٢، دعاه الملك حسين للاقامة في الحجاز مع حاشيته وأفراد أسرته [٢] فشكره السلطان على الدعوة ، ووعده بالقدوم الى مكة المكرمة [٣] . وقام السلطان بزيارة العاصمة الحجازية في ٢١ كانون الثاني يناير، ١٩٢٣ ، فاستقبله الملك حسين استقبالا رسميا حافلا . وبعد إقامة قصيرة في الحجاز توجه السلطان الى مصر للاقامة فيها . وكانت جريدة « القبلة » تنقل الى قرائها

---

(١) د. سهيلة الريماوي : الاتجاهات الفكرية للثورة العربية من خلال جريدة القبلة، مرجع سابق ، ص ٦٢ -٦٦ .

(٢) القبلة، مكة المكرمة، العدد ٦٣٩، ١٨ ربيع الثاني ١٣٤١هـ / ٢٧ / ١١ / ١٩٢٢ .

(٣) القبلة، مكة المكرمة العدد ٦٤٠ ، ١١ ربيع الثاني ١٣٤١هـ / ٣٠ / ١١ / ١٩٢٢ .

كثيرا مما تنشره الصحف العربية والاسلامية حول موضوع الخلافة ، وتعقب على ذلك دوما بأن « الحجاز لا يخرج عما يجمع عليه المسلمون بشأنها [1] . وفي الخامس من شعبان ١٣٤٢ هـ الموافق ١١ أذار «مارس » ١٩٢٤ صدر منشور باسم « الخليفة الاعظم جلالة امير المؤمنين الحسين بن علي » جاء فيه: إن اقدام حكومة انقرة على الغاء منصب الخلافة الاسلامية هو الذي جعل «أولي الرأي والحل والعقد من علماء الدين المبين في الحرمين الشريفين والمسجد الاقصى وما جاورها من البلدان والامصار يفاجئوننا ويلزموننا بيعتهم بالأمامة الكبرى والخلافة العظمى حرصا على اقامة شعائر الدين وصيانة الشرع المبين» . وأوضح المنشور ان من دوافع الحسين لقبول منصب الخلافة كون «المملكة الهاشمية والقطعة الحجازية مهد الإسلام ، ومحل ظهوره ومطلع نوره . وكانت مصونة بعنايته تعالى من كل شائبة في حالتها السابقة والحاضرة ، ولا سيما العمل فيها باحكام كتاب الله وسنة رسوله .. وانطباق حكم البيعة المشروعة من المبايع له انطباقا لا يتصور حصوله في أي مملكة اخرى في الوقت الحاضر » . وأكد المنشور ان غاية الحسين الوحيدة من قبول الخلافة « هي خدمة الاسلام وقومي أبناء الجزيرة خصوصا والمسلمين عموما » ... وقد أثار

---

(١) بلاغ صادر عن الديوان العالي الهاشمي الملوكي ، القبلة، العدد ٧٦٢، ٦ رجب (٢٣) ١٣٤٢هـ / ١١ / ٢ / ١٩٢٤ .

هذا الحدث السياسي الكبير ردود فعل عديدة ومتباينة في جميع انحاء العالم الاسلامي . وتنطع لهذا المنصب الخطير من ليس أهل له في العديد من بلاد العرب والمسلمين الاخرى . واشتد الخلاف حول ضرورة الخلافة ومدى حاجة المسلمين اليها .(١)

ويتساءل بلال حسن التل فيقول : هل كانت الثورة ضد الخلافة ، وهل فكروا بالانفصال ؟ .... ويجيب عن هذين السؤالين فيقول في كتابه « الأردن محاولة للفهم » : لقد كان من التهم الرئيسية التي شوهت وجه الثورة ، انها كانت ثورة ضد الخلافة ، شقت صفوف المسلمين . والمتتبع لتطورات حركة اليقظة العربية ، واحداث الثورة ، يخرج بنتيجة معاكسة لذلك كله .. فالعرب أصلا لم يفكروا بالخروج على الدولة العثمانية بل لقد عملوا على عكس ذلك تماما ..فقد حاولوا اصلاح أوضاع الدولة ، وتقويتها والحفاظ على وحدتها ، حتى اللحظة الاخيرة ... حيث وجدوا انفسهم ممثلين بالشريف حسين بن علي ، امام الفناء المؤكد للعنصر العربي .. وللخلافة الاسلامية ، فثاروا ،لاعلى الخلافة ، بل على اعدائها .. وحافظوا حتى اثناء العمليات العسكرية للثورة ..على ولائهم للخليفة وأعلنوا أن ثورتهم عملية تصحيح لمسار الخلافة وحفاظا على هيبة الاسلام . كل هذا يظهر واضحا ، من خلال تتبع مسار اليقظة العربية .

---

(١) د. علي محافظة : الفكر السياسي في الاردن، ص ٥٨ – ٥٩ .

لقد كانت المطالب العربية تتركز منذ البداية ، على الاصلاح الداخلي المعتمد على اللامركزية مع التمسك بوحدة الدولة العثمانية والخلافة الاسلامية، كل ذلك ظهر واضحا ، في برامج الجمعيات العربية التي قامت تنافح ، في سبيل القضية العربية ، فقد جاء في القانون الاساسي ، لجمعية الاخاء العربي العثماني التي ظهرت في الاستانة ، سنة ١٩٠٨م ما نصه :

« اما مقصد جمعية الاخاء العربي العثماني ، فهو معاونة جمعية الاتحاد والترقي ، في سبيل المحافظة على احكام القانون الاساسي (الدستور) ، وجمع كلمة الملل المختلفة العثمانية ، بدون تفريق في الجنس والمذاهب ، وتمكين الرابطة الجامعية بينهم ، وذلك لاجل خدمة الدولة العثمانية ، واصلاح الشؤون المختلفة .. ثم السعي لاعلاء شأن الامة العربية » (١)

ثم عرض بعد ذلك ، وسائل نهوض الامة العربية في ظل الخلافة وجاء بعد جمعية الإخاء العربي العثماني ،المنتدى الأدبي ،الذي ورث الجمعية السالفة الذكر وعمل على احياء الثقافة العربية . كما ان اشد الجمعيات العربية تطرفا في حمل الفكرة العربية ، واكثرها اثرا في سير اليقظة «جمعية العربية الفتاة» التي برز عدد من افرادها في

---

(١) أمين سعيد، الثورة العربية الكبرى، المجلد الاول ص٧ .

الثورة العربية الكبرى ، وكان من اعضائها الامير فيصل بن الحسين نفسه ، قد اتخذت قرارا فحواه : (إن غاية العرب هي الاستقلال ، حفاظا على كيان البلاد العربية ، لاعداء الترك ، اما اذا كانت البلاد عرضة لخطر الاستعمار الاوروبي ، فالجمعية تعمل مع احرار العرب ، للدفاع عن البلاد العربية ، جنبا الى جنب مع الترك) . واذا انتقلنا من جمعية العربية للفتاة ، الى جمعية العهد ... وهي الجمعية التي تمثل الجانب العسكري ، لليقظة العربية ... والتي كان الاتحاديون يخافونها ، لانها تضم في صفوفها ضباط العرب في الجيش العثماني .. نجد ان برنامج الجمعية هو :

«١- ان جمعية العهد جمعية سرية ، انشئت في الآستانة وغايتها السعي للاستقلال الداخلي لبلاد العرب ، على ان تظل متحدة مع حكومة الاستانة اتحاد المجر مع النمسا .

٢- ترى جمعية العهد ، ضرورة بقاء الخلافة الاسلامية ، وديعة مقدسة بأيدى آل عثمان .

٣- لما كانت الجمعية تعتقد ان الاستانة رأس الشرق ، وان الشرق لا يعيش اذا اقتطعتها دولة اجنبية ، فهي تعنى عناية خاصة بالدفاع عنها ، وتعمل للمحافظة على سلامتها .

٤- لما كان الترك يؤلفون منذ ٦٠٠ سنة ، المخافر الامامية للشرق امـام الغـرب ، فـعلى العـرب ان يعـملوا للحـصـول على مـا يؤهلهم، لان يكونوا القوى الاحتياطية الصالحة لهذه المخافر.

٥- على رجال العهد ان يفرغوا قصارى جهدهم ، في انماء المزايا المحمودة وبث الدعوة للتمسك بالاخلاق الفاضلة ، فالامة لا تحـتفظ بكيـانها السـيـاسي والقـومي ، مـا لم تكن مـجـهـزة بالاخلاق الصالحة القويمة » (١)

وفي قراءتنا للمادتين الثانية والرابعة من النظام الاساسي ، لحزب اللامركزية العثماني ، نجد ما يلي :

المادة الثانية :

القصد من تأليف هذا الحزب ، بيان محسنات الادارة اللامركزية في السلطنة العثمانية ، للشعب العثماني ، المؤلف من عناصر ذات اجناس ولغـات وعـادات واديان مـخـتلفـة ، والمطالبـة بكل الوسـائل المشروعة .. بحكومة تؤسس على قواعد اللامركزية ، في جميع ولايات الدولة العثمانية .

---

(١) المرجع السابق، ص٤٦، ٤٧ .

المادة الرابعة :

إن الدخول في حزب اللامركزية مباح لكل عثماني ، بلغ العشرين من العمر ، على شرط ان يكون اولا : من المتحققين بجميع الحقوق المدنية ، ثانيا : غير محكوم عليه بحكم مخل بالشرف ، ثالثا : غير مشتهر بسوء السيرة»... [١] وإن المتتبع لبرامج الجمعيات العربية الرئيسية، يلاحظ ، انها جميعا .. كانت تصر على التمسك بوحدة الدولة وبالخلافة : وانها كانت تطالب بالاصلاح .. وحركة تسعى للانفصال عن دولة ، لا تعمل على اصلاحها. لآن في الاصلاح تجديدا لدماء هذه الدولة ، وقوة لها ، وبالتالي قضاء على أي محاولة للانفصال عنها .

مؤتمر باريس

لقد كانت تظاهرة الحركة العربية الكبرى ، هي مؤتمر باريس .. ذلك المؤتمر الذي التقى فيه رواد الحركة العربية ومن برنامجه وقراراته يتضح ان الحركة العربية ، لم تفكر بالانفصال عن جسم الدولة وأنها تطالب بالإصلاح فقط . فالنقاط التي ناقشها المؤتمر هي:

---

(١) المرجع السابق ص ١٥ .

١- الحياة الوطنية ومناهضة الاحتلال .

٢- حقوق العرب في المملكة العثمانية .

٣-ضرورة الاصلاح على قاعدة اللامركزية .

٤- المهاجرة من سوريا والى سوريا .

وكانت قرارات هذا المؤتمر ، تطالب باصلاح اوضاع الدولة العثمانية ، ولم يرد فيها اي اشارة للانفصال عن الدولة ، بل ان خطباء المؤتمر نفوا نفيا صريحا ، اي تفكير بالانفصال . فهذا عبد الغني العريسي ،يقول في خطابه الجامع المانع الذي القاه في المؤتمر : (اما ما يتعلق بالسلطنة ، فاننا نصرح امام العالم الاوروبي ، باننا لا نفكر فيه ما دام الدستور جاريا على معنى الدستور ، ولا تتطرق الينا فكرة الانفصال عن هذه السلطنة . ما دامت حقوقنا فيها مرعية محفوظة فارتباطنا بالدولة يتراوح اذن بين ضمان هذه الحقوق ، فان كثر فكثر ، وان قل فقل ..(١)

وقال اسكندر عمون في المؤتمر : (توهم بعض انصار النظام المركزي .. من اخواننا الترك ، ان الغرض من النهضة العربية الانفصال عن الدولة ، وهو أمر بعيد عن الصحة ، فان الامة العربية ،

---

(١) جبل الفداء ص١٠٩ .

لا تريد الا استبدال شكل الحكم الفاسد، بالحكم الذي يرجي منه وحده الصلاح والنجاح لنا ولهم ، وهو الحكم على قاعدة اللامركزية ، ولو كانت الهيئة الحاكمة اليوم ، من صميم قريش ، لكان موقفنا معها نفس موقفنا هذا ..(١)

وقال الشيخ احمد طبارة في اجتماعات المؤتمر :(نحن اذا طلبنا الاصلاح ، فاننا نطلب هذه الحياة السياسية الشريفة ، ونطلب الاصلاح لنكون العنصر الاقوى ، كما اننا العدد الأوفى في جسم دولتنا العثمانية ... ولا نرضى عن دولتنا العثمانية بديلا، ولا برهان على ذلك ... اقطع من طلبنا للاصلاح ، الذي به حياتنا وحياتها معا... ولو كنا نبغي الانفصال عنها كما يرجف المرجفون ، لتركنا الحال تجرى على ما نرى من سيء الى اسوأ ، وهي بطبيعتها سائرة في طريق الاضمحلال ، فليقل عنا القائلون ما شاءوا ان يقولوا ، فان التاريخ لا يظلم احدا ... وهو يسجل لكل انسان عمله : ان خيرا فخير وان شرا فشرا (٢).

ولقد اكد المشاركون في مؤتمر باريس ، تمسكهم بالدولة العثمانية ، عندما زاروا وزير الخارجية الفرنسي : (اننا اذا كنا نستحق هذا الاكرام، بصفتنا أبناء دولة صديقة لفرنسا من قديم الزمان ، فاننا

---

(١) المرجع السابق ص ١١٦ ، ١١٧ .

(٢) لمرجع السابق ص ١١٥ .

نستحقه ايضا بصفتنا سكان بلاد ، ما زالت فرنسا تظهر نحوها كل عطف وتودد ، واننا اعتمادا على هذا وذاك ، نعتقد ان فرنسا وكل اوروبا ، تمدان لنا يد المعونة في تحقيق الاصلاح الذي وعدتنا دولتنا العثمانية في اجرائه ، وان الاتحاد والاخاء المستحكمين بين المسلمين والمسيحيين من جهة، وبين السوريين واللبنانيين من جهة ثانية، هما اعظم برهان على ارتقائنا وكفاءتنا ، لادارة اعمالنا مع استعانتنا بتجاريب اوروبا، واستظلالنا بظل الراية العثمانية (١).

وقال أحمد بيهم ... مخاطبا الوزير الفرنسي : (إنا نحترم فرنسا ، ولكن لا نرضى ان تكون اكثر من ... معضدة لنا في شؤوننا ، بشرط ان نظل عثمانيين .

وبعد هذا الاجتماع ، ادرك الوزير الفرنسي خطر الحركة العربية ، على اطماع بلاده في سوريا ، بعد أن أظهرت تمسكها بالدولة العثمانية ... فكتب الى قنصل فرنسا : " ولقد تحقق لدينا من تصريح الوفد الذي زارنا ، باسم المؤتمر العربي ... ان هذه الحركة قد انقلبت علينا . فاظهروا انفسكم انكم تساعدونها ، لاكتساب ثقة الشعب واسعوا في الخفاء لقتلها "(٢).

---

(١) الثورةالعربية لامين سعيد المجلد الاول ص ٣٠ .

(٢) المرجع السابق ص٣٠ ، ٣١ .

لم يكتف العرب بالقرارات ولا البيانات ، لتأكيد تمسكهم بالدولة العثمانية . بل لقد قرنوا القول بالعمل .. فناصروا الاتحاديين ، وعملوا معهم من اجل الاصلاح اوضاع الدولة، وقد كان ذلك في البدء .

بل لقد كانوا هم الذين ثبتوا حكم الاتحاديين ، عندما قامت الثورة المضادة لهم سنة ١٩٠٩ ، فزحف الضابط العربي محمود شوكت من سالونيك إلى الاستانة ، وقضى على الثورة المضادة ، وثبت حكم الاتحاديين ، ولقد فرح العرب فرحا منقطع النظير ، يوم اعلن الدستور.. حتى لقد ذهب الفرح ببعض نصارى العرب ، الى المطالبة بالغاء اللغة العربية .. كما فعل شبلي شميل وسليمان البستاني . وفتح العرب لجمعية الاتحاد والترقي ، فروعا في الولايات العربية وأقبل على الانضمام إليها عدد من كبار قادة الحركة العربية ، .. من امثال عبد الرحمن شهبندر ، وياسين الهاشمي ، وعزيز علي المصري وطالب النقيب . ووضع موسيقار عربي ، لحن النشيد الوطني الذي وضعه الشاعر التركي .. توفيق فكرت ، وترجمه الى العربية معروف الرصافي، ومن مظاهر الفرح .. أن عرب المهجر الارجنتين ، قد افتتحوا اكتتابا عاما لشراء سفينة حربية ، واهدائها للبحرية العثمانية

وفي بيروت شكلت قوة من الحرس الوطني ، لمساعدة الجيش العثماني عند الضرورة . بل لقد ذهب العرب الى أبعد من ذلك، فثاروا على الجمعية السورية . عندما طالبت بالاستقلال الاداري لسوريا .

ولقد انعكست الفرحة العربية بالدستور والعهد الجديد ، على الآثار الادبية والفكرية . فاصدر العرب صحفا في اوروبا ، للدعاية العثمانية وجاشت مشاعر الشعراء والادباء تمجد الامبراطورية العثمانية . ان كل ما تقدم يدل دلالة واضحة ، على ان الانفصال لم يكن مطلبا عربيا بل لقد كان هم العرب ، اصلاح اوضاع الامبراطورية العثمانية التي كانوا يعتبرونها امبراطوريتهم ، وكانوا يصرون على التمسك بوحدتها . باختصار كانت الحركة العربية ، تمثل جناح المعارضة ضد فساد الادارة ، كما يحدث في اي دولة حديثة اليوم تؤمن بالاحزاب (١) .

لقد تساءل الباحث – كما تساءل غيره من الباحثين – هل كانت الثورة العربية ضد دولة الخلافة، وقد أجبنا عن هذا السؤال ودرنا في ظلاله ، واثبتنا بصورة موضوعية حرص أمير مكة المغفور له الحسين ابن علي ، على الوحدة ، وأنه لم يفكر بالخروج على الدولة العلية ، بل حاول اصلاح أوضاعها وما شاب مسيرتها ... وقد عرضنا في هذا الجانب رأي بلال حسن التل وهو يوجز ما طرحه الأستاذ أمين سعيد في دراسته « الثورة العربية الكبرى » وتناولنا – ازاء هذا – جمعية الاخاء العربي، والمنتدي الأدبي، وجمعية العربية الفتاة ، وجمعية العهد، كما عرضنا أهم النقاط التي ناقشها مؤتمر باريس وأهم قراراته .

---

(١) بلال التل : الاردن محاولة للفهم ، ص ٤٩ – ٥٥ .

أسباب سكوت المسلمين على خلافة بني عثمان

من المعلوم ان البلاد العربية دخلت ابتداء تحت سلطان العثمانيين بعد معركة مرج دابق سنة ٩٢٢هـ الموافق ١٥١٦م بعد أن هزم السلطان سليم الاول قانصوه الغوري المملوكي . وقد رضي المسلمون بخلافة بني عثمان للاسباب التالية :

أولا : لقول الرسول (ص)« أوصيكم بتقوى الله عز وجل والسمع والطاعة وإن تأمر عليكم عبد » وفي الحديث الصحيح « اسمعوا واطيعوا وان استعمل عليكم عبد حبشي كأن راسه زبيبة » وفي صحيح مسلم عن أبي ذر رضي الله عنه قال : «ان خليلي ﷺ أوصاني أن اسمع واطيع ولو كان عبدا حبشيا مجدع الاطراف » .

ثانيا : لما نص عليه الفقهاء من جواز امامة المتغلب وذلك حرصا منهم على مصلحة الامة الاسلامية وعملا على جمع كلمتها وعدم تفرقها وضياعها وقد سبقت الاشارة الى ذلك .

ثالثا : لان بني عثمان قد اقاموا دولة اسلامية تحتكم الى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وقد كان المذهب السائد في خلافتهم المذهب الحنفي كما هو الحال في زمن الخلافة العباسية من قبل .

يقول الملك الشهيد رحمه الله لوالي الطائف بعد سقوطها : لو انكم ابقيتم سلطة الخلافة المطلقة لما تغيرنا عليكم !

خدمات العثمانيين للاسلام

مما لا شك فيه ان العثمانيين قد خدموا الاسلام وذلك من خلال الامور التالية :

اولا : بناء دولة اسلامية قوية كانت شوكة في حلق الدول الكافرة حمت البلاد الاسلامية من اطماعهم .

ثانيا : الخدمات الجليلة للحرمين الشريفين في مكة والمدينة من بناء وتحسين وانفاق على العمارة وتحسين احوال السكان وخدمة الحجيج وتيسير امورهم وتأمين الطرق الى بيت الله الحرام .

ثالثا : دفاعهم عن البلاد الاسلامية ووقوفهم في وجه الدول المعادية للاسلام التي اعترفت بنفوذ الاسلام وعدم التمكين للصهيونية العالمية من احتلال فلسطين ولا زالت علائم الاسلام التي تركها العثمانيون ماثلة حتى اليوم في بلاد المغرب .

رابعا : انشاء التكايا والرباطات لطلبة العلم والانفاق عليهم وتهيئة الفرصة لهم لطلب العلم والاجتهاد فيه.

خامسا : الفتوحات العظمى التي قاموا بها كفتح القسطنطينية وجزائر اليونان ودول البلقان وجزيرة رودس وقبرص وكثير من البلدان ودخولها تحت الحكم الاسلامي ودخول الشعوب بعد ذلك في الاسلام ، وكان لها دور في خدمة الاسلام والصمود في وجه اعدائه .

سادسا : احترامهم وتقديرهم للبيت الهاشمي واعترافهم بامارته على الحجاز منذ أن بايع الشريف ابو نمى السلطان سليم الاول وقد كان منصب شريف مكة يعتبر المنصب الثالث بعد الخليفة وولي العهد .

موقف الاشراف في مكة من الخلفاء العثمانيين

ان من يقرأ في التاريخ الاسلامي يلحظ المودة والعلاقة الطيبة التي كانت بين سلاطين بني عثمان وبين أشراف مكة ولن نبعد كثيرا فان اصدق من يحدثنا عن تلك العلاقة الطيبة كتاب «الآثار الكاملة» للملك الشهيد عبد الله بن الحسين رحمه الله فقد قال : (١)

«وإنه ليصح القول بأن السلطان عبد الحميد كان آخر سلاطين المسلمين علواً ورفعة وأشبه ما حصل بعد خلعه للمسلمين بما حصل للمسلمين عندما وثب أهل الكوفة وأهل مصر على أمير المؤمنين عثمان ابن عفان ، فإن كان عثمان هو الباب الذي كسر بين الفتنة وبين الناس، فان عبد الحميد كان الباب الثاني الذي كسر في العصر الاخير وقال رحمه الله ». (٢)

« ... ولقد زعم الناس ان عبد الحميد كان ظالما ، لقد كذب الناس ، والله لم يكن بظالم ولكنه الحذر المتحوط ، ولقد عرف بعد أن ذهب أنه لم يقتل احدا ولم ينفذ حكم اعدام في محكوم ابداً الا مرة واحدة والبقية كانوا يتركون في السجن حتى يدركهم الموت وأما الذين ينفون عن بلادهم إلى اسطنبول أومن اسطنبول الى الخارج فهم اولئك الذين

---

(١) الآثار الكاملة/ ٥٢ .

(٢) الاثار الكاملة / ٥٠- ٥١ .

عرض عليه انهم أهل خلاف عليه أو على سلطانه فيخرجهم الى مكان لا يعرفون فيه فيقي دولته بذلك التدبير الفتن ولئن احصى الناس ما وقع بعده من صلب وتشريد وادارات عرفية وصولات في الشام واليمن من الحكومات الاتحادية لعلم ان ظلم عبد الحميد بالنسبة الى أفعالهم كان عدلا محضاً » . وقد أشرنا لهذه العلاقة في بدايات هذه الدراسة .

ويدل على صدق المودة بين الطرفين ما قاله المرحوم الشريف حسين للسلطان عبد الحميد عندما ذهب مودعا له .

« ان لذاتكم الملوكية،في البلاد العربية الفئة التي اذا تحيزتم لها كان لكم ما تريدون من حفظ الدولة والملك ومتى شعرتم جلالتكم بذلك فأول بلد من بلاد العرب تقوم بالواجب المفروض هو الحجاز وان النبي (ﷺ) قال : المدينة خير لهم لو كانوا يعلمون » ولو فعلتم جلالتكم ذلك وجلبتم آل بيتكم معكم لجبيت لكم الأموال ولاخضعت رقاب العصاة لأنكم تكونون حين ذاك فوق متناول ايديهم » قال فاغرورقت عيناه واجاب : اشكرك ، أشكرك بارك الله فيك ولكن الوقت لم يحن » .

وكان أشراف مكة ينظرون الى الخلافة العثمانية نظرة فخر واعتزاز :

قال المرحوم الملك عبد الله : لقد كان الانقلاب الجمهوري مطمع انظار الشباب الترك من عهد مدحت باشا، وخفي عليهم أن السلطنة العثمانية لم تصل في حدودها شرقا وغربا وشمالا وجنوبا الا بعد أن انتحلت صفة الخلافة..، الست ترى انهم اليوم أقوى منهم بالأمس واكثر منهم نظاما وتجديدا ولكن أين شهرتهم بالأمس وتأثيرهم يوم كان سلطانهم أمير المؤمنين وخليفة رسول رب العالمين »؟! كما يقول الشيخ محمود البخيت .

ويدل على ذلك ما رد به المرحوم الملك عبد الله على اللورد كيتشنر حيث قال له : ان الشريف في العرف موظف ومن حق السلطان تغييره وهو لا يعارض في ذلك ان وقع » .

ولقد ذكر الملك عبد الله ان الشريف حسين رفض بادىء الامر اعلان الثورة على العثمانيين ابان الحرب العالمية الاولى حيث قال : انا على غير استعداد البتة في الوقت الحاضر للمطالبة بحق العرب » .

ومما يجدر ذكره ان المرحوم الشريف حسين لم يعلن نفسه ملكاً على العرب الا بعد الغاء الخلافة عام ١٩٢٤ وبالحاح من علماء ووجهاء

---

(١) الاثار الكاملة / ٥٤ .

العرب الذين رأوا أن من مقتضى الاصلاح الذي يؤمن الجميع بوجوبه نقل الخلافة من العثمانيين الى الهاشميين القرشيين .

موقف العثمانيين من أشراف مكة

ذكرنا سابقا ان السلطان سليم الأول كان يكّن لأهل مكة كل محبة واخلاص وذكر زيني دحلان أنه أول من أجرى لأهل الحرمين صدقة الحب وكان من حسن صنيع السلاطين العثمانيين ان من تولى امارة البيت الحرام يأتيه التوقيع الشريف من السلطان باقراره على امارته ، مع اعتراف واضح من العثمانيين باحقية الاشراف في امارة مكة ومن أراد الاطلاع على ذلك فليرجع الى كتاب زيني دحلان امراء البلد الحرام ففيه تفصيل كاف، وقد اعتمدنا على هذا السفر النفيس في حديثنا عن نسب الشريف الهاشمي الحسين بن علي .

ويذكر المرحوم الملك عبد الله أنه قبل سفرالشريف حسين رحمه الله ليتسلم امارة مكة اختلى به السلطان عبد الحميد وقال له : اسأل الله ان يجازي من حال بيني وبين الاستفادة من مواهبك الهاشمية وانني لست بالامين على الدولة والملك من هذه الفئة المتغلبة.

وجاء في الآثار الكاملة ان السلطان عبد الحميد قد وضع بيده وسام الافتخار على صدر الشريف حسين (١).

الاتجاه الفكري التوفيقي بين الدائرتين : الإسلامية والقومية *

تعود منابع هذا الاتجاه الى المفكرين الرواد في القرن التاسع عشر ممثلة في فكر الكواكبي ورشيد رضا وغيرهما ، وعندما دعا السلطان عبد الحميد الى الجامعة الإسلامية أيد هؤلاء فكرة قيام الجامعة ، ونحن لا نرى أي تناقض في هذا التأييد لأن المفكرين الذين ينبع تفكيرهم من قاعدة دينية ومنطلق إسلامي شامل ، مثل محمد عبده والأفغاني والتونسي وابن الضياف وغيرهم ، والمفكرين الذين ينبع تفكيرهم من قاعدة دينية وانطلاق قومي مثل الكواكبي والنديم ورشيد رضا وغيرهم ، فإننا نجدهم يؤكدون جميعا حقيقة التفاعل بين الأساس الديني والمنطلق القومي ، فالدين الاسلامي يعطي العرب مكانة خاصة بين المسلمين بسبب نزول القرآن في أرضهم وبلغتهم ولأنهم حملوا أمانة نشر الدين والدفاع عنه ، وإن المنبع التشريعي الرئيسي لهؤلاء المصلحين كان الدين الاسلامي وتشريعه، ويؤكد لنا

---

(١) الشيخ محمود البخيت . الثورة العربية الكبرى من منظور اسلامي ، ص ٧٥- ٨٠ / مشارك في دراسة النهضة العربية الكبرى .

* لقد احتج الانجليز علي تسمية شريف مكة ملكا على العرب، وكان هذا أول خلاف بين العرب والانجليز .

هذا الاتجاه الفكري أن لا تناقض بين العروبة والإسلام ، وقد أظهرت الثورة العربية الكبرى هذا الاتجاه الفكري بصورة جلية ، وطرحته على صفحات جريدة القبلة لتبين بوضوح أن العلاقة وطيدة بينهما ، فبالاسلام كان دور العرب في التاريخ ، وبالعرب كان عز الإسلام ، وإن النهضة العربية اليوم نهضة وطنية قومية وعربية [١].

ويبرز هذا الاتجاه بشكل واضح من خلال المناشير التي أصدرها الشريف حسين بن علي مفجر الثورة ، ففي المنشور الأول اشارة واضحة الى أن قتل اللغة العربية ومنع التدريس بها في المدارس هو قتل للإسلام نفسه ، وأن أفضل دول الاسلام هي دول اسلافنا العربية ، وأن الخلافة في الأصل عربية ، وأن قوة الإسلام وامتداد هذه القوة لا يتم الا من خلال بقاء العرب أقوياء ، وهكذا تربط الثورة بين عز العرب وعز الإسلام ، فغاية الثورة أن يعود عز العرب للعرب ، وترجع سلامة الدين للمسلمين [٢].

وتؤكد الثورة أنه « اذا رغب المسلمون في بقاء جامعتهم ، وحياة امتهم ، ورفع كلمتهم وحماية شريعتهم وحفظ وجودهم وصيانة حقوقهم، وأن يقام لهم وزن بين الأمم وتقوم لهم ومنهم دولة مهابة

(١) القبلة، العدد ٢٠:٢ .

(٢) القبلة ، العدد ٦ : ١ .

عـزيرة بين الدول ، وأن يحـافظوا على الوديعـة التي أودعت لديـهم ، والأمانة التي بعد أن عرضت على السماء والأرض فـأبين أن يحملنها ، عرضت عليهم ، وهي وديعة التوحيد وأمانة الإيمان بالعلي المجيد ، وأن يتمموا ما بدأوا به من إصلاح البشر إصلاحا يجمع لهم بين خيري الدنيا والآخرة وسعادتي الروح والجسم ، إذا أرادوا هذا ورغبوا في ذلك ، فالواجب على عامتهم وخاصتهم وقريبهم وبعيدهم ، عربيهم وعجميهم أن يقوموا بإحياء البلاد العربية بكل وسائل الحياة ، وتقوية الأمة العربية بجميع أنواع القوى » (١)

ولذلك انضوى تحت لواء الثورة كل عربي مسلم « ومن ذا الذي يمنعهم ؟ » فإن العاملين في الحركة العربية عرب يخدمون العرب ، ومسلمون يسعون للعودة الى الشريعة (٢) ، وتوجه الثورة نداء حارا الى العرب والمسلمين «انصروا دينكم وجنسكم والتفوا حول الراية العربية المنصوبة في الحجاز ، حتى اذا وضعت الحرب أوزارها كنتم ركن الدنيا وعضد الدين كما كان أسلافكم في العالمين » (٣) ، وبذلك يعيد العرب للأذهان ذكرى الأجداد ، في شد أواصر الأخاء العربي . وتؤكد

---

(١) القبلة، العد ٤:١ .

(٢) القبلة ، العدد ٦ : ١ .

(٣) القبلة، العدد ٩ : ١ .

الثورة أن هذا الدين الحنيف لم يفرق بين المسلم وغيره الا في أمور خاصة ، لا تأثير لها على الجامعة العربية في شيء [1] ، و كان حقاً على الأمير العربي المسلم شريف مكة بعد هذا كله أن يقول : « أما أنا فأريد لأمتي الحياة ، وأريد نصرة الإسلام » [2] وتبين الثورة أن هذا التوافق العربي الاسلامي لم يكن وليد الساعة، وأنه يمتد عبر التاريخ ، وان الله سبحانه وتعالى باركه ، وأنزل الدين الاسلامي على العرب وعلى النبي العربي، وفي الأرض العربية وباللغة العربية لتصل - هذه الثورة - الى نتيجة هي أن كل دولة تنشأ في أي بقعة من بقاع الارض وفي أي زمن من الأزمان ، اذا لم يكن العرب « بناة أساسها وأركان بنائها وعمد صروحها ، فهي دولة لا تدوم» [3] ، ووجهت نداءها قائلة : «ولقد حان للمسلمين أن ينفصلوا عن يهود سالونيك وأذناب الروملي وعبيد الألمان ، لينقذوا أنفسهم من الربا الذي حرمه الله وحلله الاتحاديون » [4] وتستشهد الثورة بالتاريخ الذي عرف فئات تظاهرت بالاسلام للقضاء عليه ، وأن كثيرا من الأعاجم تصدوا لسلوك هذه السبيل الوعرة ، فلم يجدوا وسيلة لتغيير شأن الاسلام أقرب لهم من

---

(١) القبلة، العدد ٣٧ : ٢ .

(٢) القبلة، العدد ٢ : ٤ .

(٣) القبلة ، العدد ٩ : ٢ .

(٤) القبلة، العدد ، ١:١٠ .

الضرب على نغمة تصغير شأن العرب ولغتهم ، لأن النبي صلى الله عليه وسلم عربي والقرآن الكريم عربي ، والعلوم الإسلامية عربية ، والمدينه الاسلامية عربية ، وهم لمّا خافوا أن يسبوا الاسلام، استعاضوا عن ذلك بسب العرب . وهذا الفريق من الأعاجم يسمونه في كتب التاريخ والأدب باسم « الشعوبية » .

وتقارن الثورة بين الاتحاديين والشعوبيين لتصل الى النتيجة التالية : « الاتحاديون من هؤلاء الكفار الذين يحاربون الاسلام بمحاربتهم للعرب » (١) فقد قال عبيد الله في جامع (أيا صوفيا) للأتراك : « لا تتعلموا لغة القرآن ، بل يكفي أن تترجموا كتاب الله للتركية ، وأن تسمعوا خطبة الجمعة بالتركية » (٢) . وتحدثنا عن إمام وخطيب جامع (أيا صوفيا) هذا في فصل سابق .

بعد أن بينت الثورة أن مقتضيات الدين والقومية والانسانية حتمت مجيئها كما ورد في منشورها الثالث ، (٣) توصلت الى نتيجة فكرية طرحتها على صفحات القبلة ملخصها : أن الأمم خالدة بخلود النوع الأنساني ، لأن الإنسان خليفة الله في الأرض ، وعليه تقع تبعة الحفاظ على النوع الانساني والمجتمع بشكل عام ، وأن الله سخر للانسان ما

---

(١) القبلة، العدد ٤ : ٤ .

(٢) القبلة، العدد ٦ : ١-٢ .

(٣) القبلة، العدد ٢٤ : ١ .

بين الارض والسمـاء وما تحت الثرى ، قـال سبحانه وتعالى : ﴿ وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون ﴾ (١) ، وهذه دعوة للعمل في مواجهة رفض صريح للتذلل والخضوع ، ورفض الواقع المرير الذي وصلت الأمة اليه ، وتوجد استشهادات كثيرة أوردتها القبلة تدور حول هذا المعنى تضمنها بحث الدكتورة سهيلة الريماوي الذي اعتمدنا عليه في هذه الدراسة في غير موقع .

وأشارت الثورة ، بل أكدت ، أنها تنادي بالجهاد لخدمة الجامعة الإسلامية من جهة ، ولخدمة الجامعة الإنسانية من جهة أخرى ، وأن القومية التي تطرحها كأحد ركائزها الفكرية ، هي قومية إنسانية - أي أنها ليست قومية عنصرية متصلبة - إنما هي قومية تتناسب مع المنطلق الديني الاسلامي للثورة، ونتأكد من ذلك عندما نعي أن الثورة ترى بهذا المفهوم أن الدين ضرورة إنسانية اجتماعية تاريخية شديدة الصلة بطبيعة الانسان من حيث كونها طبيعة تتنازعها نوازع الخير والشر في وقت واحد ، فيكون الدين بعامة ، والدين الاسلامي بخاصة ، ضرورة تحمي نوازع الخير وترجحها على نوازع الشر في الأنسان : «لأن نوازع الشر في الإنسان لا يلطفها الا معرفة الله والايمان به »(٢).

---

(١) التوبة ١٠٥ .

(٢) القبلة، العدد ١٢ : ١ .

في حين خرج الاتحاديون عن الدين ، لأن الدين يأمر بمكارم الأخلاق وينهى عن الظلم والبغي ، وعندما اعلنوا الجهاد ، لم يتحرك لقولهم أحد ، بل قابلهم المسلمون ولسان حالهم يقول : ارجعوا أيها الاتحاديون الى جبال أورال واطلبوا النصر من «القوم الجديد» الذي أردتم بعثه ، فإن الاسلام ليبرأ منكم . (١)

إن اتجاه النهضة الفكري قد وازى بين الدائرة الاسلامية، والدائرة القومية، وأحسب أن الشريف الهاشمي قد نهل من معين مفكري عصره كما نهل من معين الاسلام الثر ، وبرز هذا الاتجاه واضحاً من خلال منشورات الشريف حسين وكتاباته ، بل وكتابات أبنائه ، وأكدت الثورة أنه إذا رغب المسلمون في بقاء جامعتهم ، وحياة امتهم، وحماية شريعتهم... وأن يقام لهم وزن بين الأمم ... فعليهم باحياء البلاد العربية وتقوية الأمة العربية والعودة إلى منابع الدين الحنيف ، كما عرضنا في الفصل السادس وما سبقه .

---

(١) د. سهيلة الريماوي : الاتجاهات الفكرية ، مرجع سابق ، ص ٦٧ – ٧٣ بتصرف .

« لا أتنازل عن مبدأ واحد من المبادىء التي هي أركان النهضة العربية، لا أقبل إلا أن تكون فلسطين لأهلها العرب ، لا أقبل بالتجزئة ولا أقبل بالانتدابات ولن اوّقع المعاهدة اذا رفضت مطالبي ».

من كتاب أمين الريحاني : تاريخ نجد الحديث ، بيروت ١٩٢٨، ص٢٩٣.

« لا يمكن أن يذهب شبر من أراضي فلسطين وأنا وأولادي أحياء على وجه الأرض، فأنّا نحافظ على أصغر قرية في فلسطين محافظتنا على بيت اللّه الحرام، ونريق في سبيل ذلك آخر قطرة من دمائنا ».

من خطاب المنقذ الأعظم

جريدة القبلة، عدد ٤٣٢، الصادر بتاريخ ١٩٢٣/١٠/٢٩ — ١٠ ذي الحجة ١٣٤٢هـ.

«الفصل السابع»

﴿جهاد الحسين بن علي وانجاله في سبيل فلسطين﴾

« جهاد الحسين بن علي وانجاله في سبيل فلسطين»

يقول الدكتور غازي ربابعة : «لقد وضعت الحرب العالمية الأولى أوزارها ، وظهر غدر الحلفاء ووقف المجاهد الاول ، الحسين بن علي ، يطالب الدول الحليفة بوعودها الممثلة بوحدة الامة العربية وعروبة فلسطين يحتج على الانتداب ، ويقول إنه بدعة استعمارية جديدة ، وإن الانتداب على البلاد العربية لا يتفق مع العهود التي قطعت لها، ومع أماني شعوبها في التحرر والاستقلال . ويذكر عبد الله بن الحسين أن لورنس زار أباه ، فوصل في أواخر شهر آب (اغسطس) ١٩٢١ ، وفي اعتقاده انه سيجد الملك الشيخ اكثر لينا وتسامحا بعد ان تولى ولداه عرشين عربيين واستقل هو بعرش الحجاز ، معتقدا ان بريطانيا قد وفت بالتزاماتها للعرب . وكان لورنس يحمل معه من لندن مشروع معاهدة بين الحكومة البريطانية والحسين بن علي ،فعرضها عليه وطلب منه توقيعها ، وكانت هذه المعاهدة تضمن لملك الحجاز الحماية والمساعدة مقابل اعترافه بالانتداب على العراق وفلسطين وشرق الاردن، وقد سمّى الانتداب في المعاهدة مركزا خاصا لبريطانيا . ولما اطلع الملك حسين على هذا المشروع قال : « ولكني لا اجد فيه شيئا عن فلسطين وعروبتها » ، ثم اقترح بأن تكون فلسطين مستقلة وداخلة في الوحدة العربية ، فأعتذر لورنس بعدم إمكان ذلك في الوقت الحاضر

مؤكدا أنه لا يدخل في دائرة اختصاصه ، واعتذر الملك عن التوقيع وخاطب لورنس في كثير من الغيظ والجفاء ، مصرا على تنفيذ العهود المقطوعة للعرب بحذافيرها قائلا : « إن العرب وضعوا قضية بلادهم أمانة في عنقي فليس في وسعي الحياد عن طلب حريتهم » . واتفقت كلمة الحاشية التي كانت تحيط بالملك في خلال المباحثات ، على وجوب قبول المشروع وتوقيعه خشية مكر الانجليز وغدرهم فلا يتآمرون على الدولة ولا يوقعون بها ، وكان لورنس قد حذر المحيطين بالملك من مغبة الرفض، وما سيجّر على الحسين من متاعب وخيمة ، ولكن الحسين لم يكن يعرف المساومة في حقوق الوطن، فأخفقت محاولاتهم رغم الالحاح الشديد عليه بالقبول ، فقد أصر على الرفض ، ولما اشتد الضغط عليه ارتقى سلم الدار التي كان ينزل فيها في (جدة) الى السطح، وولى وجهه شطر البيت الحرام ، وأقسم بربه الا يوقعه ، ثم انزوى لوحده لا يكلم احدا ولا يخاطب احدا، ويقول (بنو يشان) : إن الحسين قد أهان لورنس في هذه المقابلة وشتمه وشهر عصاه في وجهه مهددا بالقائه من أعلى سلم القصر !

عاد لورنس الى لندن يائسا مخفقا، وكان ذلك آخر عهده في التدخل بالشؤون العربية ، وكان صمود الحسين في رفضه التنازل عن حقوق العرب جديرا بالاعجاب لا سيما وأن موقفه هذا كان معناه فقدان تأييد بريطانيا ومساعدتها له ، ويقول فيلبي : « لم تجد الرشوة

والوعيد في زحزحة الرجل العجوز عن موقفه المعارض لسياستنا بصورة عامة في جميع المنطقة ، وفي النهاية أحسّ لورنس باليأس فغادر جده بعد أن أوصى الحكومة البريطانية بقطع المعونة المالية عن الحجاز والتخلي عن الحسين ليقتطف ثمار عناده وصلابته » .

ويقول فيلبي ايضا : « ان الملك حسين رفض رفضا باتا أن يعترف بسياسة الوطن القومي لليهود في فلسطين بأي شكل كان ، وهو الأمر الذي كان الانجليز يسعون لتحقيقه من المعاهدة » .

وفي ٢٩ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٢٢ (١٣٤١هـ) أصدر المجلس الوطني في تركيا الحديثة قرارا باعلان الجمهورية التركية الحديثة وانتخب مصطفى كمال رئيسا لها ، وكانت الرغبة متجهة نحو الاحتفاظ مؤقتاً بالخلافة، فأختير عبد المجيد ابن السلطان عبد العزيز لهذا المنصب بعد أن جرد من جميع السلطات التي كانت له .وقد اثار ذلك استياء المسلمين في مختلف أنحاء العالم، ورأى الامير عبد الله بن الحسين أن الوقت مناسب لخطب الخلافة لوالده الحسين ، باعتبارها حقا من حقوقه ، ولعدم جواز بقاء المسلمين اكثر من ثلاثة ايام بلا إمام ، كما يفهم من وصية عمر بن الخطاب لأهل شورى البيعة من بعده .

ودعا الامير عبد الله والده الى زيارة عمان ، فقدم اليها في ١٨ كانون الثاني (يناير) سنة ١٩٢٣ / ١٣٤٢هـ) ثم انتقل منها الى

الشونة وخطب جلالته في الوفود العربية الملتفة حوله فقال : « لا اتنازل عن حق واحد من حقوق البلاد ، لا أقبل الا ان تكون فلسطين لأهلها العرب ، لا أقبل بالتجزئة ، ولا بالانتداب وفي عروقي دم عربي، ولن اتوقف عن مطالبة الحكومة البريطانية بالوفاء بالعهود التي قطعتها للعرب واذا رفضت الحكومة البريطانية التعديل الذي أطلبه فاني أرفض أن أوقع المعاهدة قبل أخذ رأي الامة » .

على هذا النحو كان جلالته يبث في الوفود العربية التي تقاطرت من كل حدب وصوب ، روح الوطنية والتضحية ، ويحثها على مقاومة الاستعمار والتعلق بقوميتها ووحدتها ، فخشى الانجليز ان يؤدي في الاردن الى قيام اضطرابات معادية لهم في فلسطين ، فأوفد المندوب السامي رسولا خاصا هو السيد اليك كركبرايد الى الملك حسين ليطلب منه بلطف ان يعود الى الحجاز، فغادر عمان بصحبة الاميرين علي وعبد الله .

ولما عقد مؤتمر لوزان لحل المشاكل المعلقة بين تركيا ودول الحلفاء ابرق الملك حسين الى ناجي الأصيل في لندن للسفر الى لوزان ومقابلة وزير الخارجية البريطانية وعهدت اليه باطلاع الملك حسين عليه وابداء رأيه فيه ، فأبدى الملك على المشروع بعض التحفظات ، وأعاده مع مندوبه الى لندن لاتمام المباحثات بشأنه مع وزارة الخارجية . أما

تحفظات الحسين فقد نوه عنها في البيان الذي أذاعه بهذا الشأن في مكة خلال موسم الحج ، وجاء فيه : « يهمني من جميع الاقطار العربية ما يهمني من أمر بيت الله الحرام ، وقد عرضت علي الحكومة البريطانية معاهدة وجدت في بعض موادها ما لا يتفق والعهود المقطوعة لي ، فعدلتها تعديلا هاما ، نص على استقلال فلسطين استقلالا تاما ومطلقا يخول الفلسطينين إدارة بلادهم بأنفسهم واختيارهم طريقة الحكم التي يريدونها ، وبذلك جعلت وعد بلفور في حكم انه لم يصدر وقضي عليه ، وفوق ذلك فقد طلبت في التعديل انه بعد توقيع المعاهدة يؤمر المندوب السامي لفلسطين ان يصرح ، بحضور مندوب من قبلي وأمام ممثلي عرب فلسطين ، باستقلال الاقطار الفلسطينية استقلالا تاما، ودخولها صراحة في الوحدة العربية، طبقا للعهود البريطانية المقطوعة لي .

وأؤكد لكم أنه اذا لم تقبل الحكومة البريطانية التعديلات التي طلبتها ، فلا يمكن أن أوقع المعاهدة، بل أرفضها رفضاً باتاً وكونوا على ثقة بأنه لا يمكن ان يذهب شبر من أراضي فلسطين وأنا وأولادي أحياء على وجه الارض ، فاننا نحافظ على اصغر قرية في فلسطين محافظتنا على بيت الله الحرام ، ونريق في سبيل ذلك أخر نقطة من دمائنا ، على كل حال فانني بعد انتهاء امر المعاهدة سأحضر بنفسي الى اطراف تلك البلاد ، فاذا ورد جواب لندن على مطالبتي بالايجاب

فأني استشيركم فيما يجب عمله، واشير معكم على ما تتفقون عليه، وكونوا على ثقة بأني آنظر الى اهل فلسطين نظرتي الى أولادي ، ولا أفرق في ذلك بين مسلم ومسيحي ويهودي وطني ، ومن يرجع عن الصهيونية في اطماعها البلفورية ، واشهد الله على ذلك وهو حسبي ونعم الوكيل » (١).

والى جانب هذا البيان أوفد الحسين بن علي الشيخ عباس المالكي أحد علماء مكة الى القدس ليؤكد لعرب فلسطين تمسكه بالحقوق العربية وأنه سيحضر بنفسه للالتقاء بهم، وما لبث الملك حسين ان وصل الى عمان واجتمع فيها بوفد من زعماء فلسطين برئاسة موسى كاظم الحسيني وعضوية امين التميمي وحافظ طوقان وشكري تاجي وعوني عبد الهادي ، وصرح جلالته أنه لا يعاهد عهدا ولا يبرم قرارا بشأن فلسطين قبل ان يأخذ رأيهم وينال موافقتهم ، وقال لهم إنه سينزل على إرادتهم ويتبع قراراتهم شريطة ان لا يخرج عن دائرة الحكمة والروية واقترح عليهم ان يضعوا ميثاقا وطنيا يضمنونه خلاصة مطالبهم وأمانيهم ليعمل على تحقيقها .

(١) اعتمدنا في هذه النصوص المنقولة على ما كتبه الدكتور غازى ربابعه: « الهاشميون والقضية الفلسطينية »؛وسليمان موسى:" الحسين بن علي " و " لورنس والعرب " .

ويقول جورج انطونيوس :

« كان الملك حسين على صلة وثيقة بعرب فلسطين وكان متحفظا من صدق مخاوفهم من المستقبل وعمقها ، فأنفق جهودا ضاعت سدى » ، وهو يحاول ان يقنع الحكومة البريطانية بقلة جدوى ما تحاوله حين تسعى لتحقيق تلك المخاوف بتحفظات قاصرة ، ومضى الحسين في صلابة استنزفت صبر وزارة الخارجية البريطانية ، يحتج في رسالة تلو الرسالة بأن دافعه ليس فرديا أنانيا وأن موقفه انما يمليه عليه اعتقاده بأن لا سلام في فلسطين للبريطانيين واليهود والعرب ما دام لدى العرب ما يدفعهم الى الظن بأن غاية الصهيونية القصوى إنشاء دولة يهودية في وطنهم وعلى حساب أمانيهم القومية ، وطلب أن تقدم الحكومة البريطانية ضمانا صريحا لكل حقوق العرب المشروعة لا كالذي جاء غامضا في نص وعد بلفور ، بل بعبارة التأكيد الموجب التي قدمت اليه في كانون الثاني (يناير) ١٩١٨ عن طريق القائد هوغارت» .

وحدث خلال ذلك ان استقالت وزارة المحافظين ، وتألفت وزارة جديدة من العمال ، فاستبشر أقطاب الحركة الصهيونية لانهم كانوا يلاقون من الهيئات الاشتراكية مزيدا من التأييد، وعاد الدكتور ناجي الاصيل الى لندن – وكان الملك الحسين موجودا فيها – حاملا اليه النص النهائي للمشروع ، ولكن الملك أبى الا ان يدخل عليه تحفظات

جديدة ويعيده الى لندن مصرا على ادخال هذه التحفظات في صلب المشروع، كما يشير كتاب « الهاشميون والقضية الفلسطينية» الذي اعتمدنا عليه في هذا الفصل.

وتعلق نجلاء عز الدين على هذا الموقف الصلب بقولها : « وقد أبى الحسين ان يصل الى اتفاق ، وأصر أن تفي بريطانيا بالعهود التي قطعتها له، وكان بصورة خاصة ، متشددا في موقفه من فلسطين ، ولم يجانبه الصواب حين فهم أنها تدخل في نطاق آلدولة العربية المستقلة التي نص عليها الاتفاق الذي عقد بينه وبين بريطانيا ، وكان من حق الحجاز بوصفه أحد الدول المتحالفة ان ينضم إلى عصبة الامم ، ولكن لم يتح له الدخول فيها، لان الحسين ابى ان يوافق على ميثاق العصبة الذي نص على الانتدابات الانجليزية والفرنسية للبلاد العربية ، وعلى انشاء الوطن القومي اليهودي في فلسطين » .

قال حافظ وهبه : « وكان موقفه من فلسطين وتصريحاته المتعددة من أهم المسائل التي عرقلت المفاوضات بينه وبين الانجليز، وكانت عقيدة الملك حسين ان فلسطين هي جزء من المملكة العربية التي وعد بتشكيلها، وأن وعد بلفور باطل لمخالفته للعهود والمواثيق المقطوعة له من بريطانيا » ، وهذا يشير بوضوح الى أهمية فلسطين وخصوصيتها عند الشريف الهاشمي الحسين بن علي .

ويصور المؤرخ الانجليزي جورج كيرك هذا الموقف من وجهة نظره فيقول : « إن هذا الملك مع تقدمه في السن ما لبث ان آثر تمسكه بآرائه الاعتبارية على القيادة للحكمة التي توحي بها الخبرة الدنيوية وانساق الى مخاصمة بريطانيا ، وكانت أهم الاعتبارات لديه في تلك النكبة السياسية التي لحقت بعرب فلسطين من جراء تصريح بلفور والوصاية ، وما لم يمكن الوصول معه الى تسوية في هذا الشأن وانتهى الامر الى فقده تأييد بريطانيا ومعونتها » .

وكان هذا الموقف الصلب الذي ادى الى تحطيم الحسين والقذف به من العرش الى المنفى من أصلب المواقف الوطنية في التاريخ ، وكان مصدر الهام لكثير من المناضلين في سبيل وحدة العرب وعروبة فلسطين (١) **وحول جهاد الحسين بن علي في سبيل فلسطين يقول الاستاذ سليمان موسى** :

« أما بشأن فلسطين ، فقد اعتقد الشريف انها لم تستثن من منطقة الاستقلال العربي . وقد كان ذلك الاعتقاد طبيعيا ومنطقيا ، على أساس أن فلسطين كانت داخلة ضمن منطقة الدولة المستقلة الموحدة التي طالب ان تعترف بريطانيا بها بموجب مذكرته الاولى التي بعث بها إلى مكماهون ، وعلى أساس أن مكماهون حصر استثناءاته بمنطقتين

(١) د. غازي ربابعه : الهاشميون والقضية الفلسطينية ، ص ١١- ١٥ ، وانظر يوسف أبو داهود : الثورة والنفي ، ص ٢١١ - ٢١٧ .

هما ولاية البصرة وولاية بغداد لمصلحة بريطانيا والساحل السوري الشمالي (اي جبل لبنان) لمصلحة فرنسا ، وقول الشريف في إحدى رسائله انه : « يستحيل أمكان أي تساهل يكسب فرنسا ، أو سواها شبرا من اراضي تلك الجهات » هو قول واضح يدل على تمسكه بمطالبه الأولى ، ولو كانت بريطانيا تريد استثناء فلسطين من منطقة الاستقلال العربي ، لذكرت ذلك بوضوح مثلما ذكرت بغداد والبصرة والساحل السوري . ويسلم الدبلوماسي البريطاني السير ريتشارد الن بقوة وجهة نظر العرب في دحض حجة حكومته التي كانت تدعي أن فلسطين استثنيت على أساس أنها داخلة في عبارة « واجزاء من بلاد الشام الواقعة في الجهة الغربية لولايات دمشق الشام وحمص وحماة وحلب ... » ، إذ يقول : إن فلسطين لا تقع إلى الغرب بل إلى الجنوب من دمشق والمدن الأخرى المذكورة في التحفظ ، وعلينا أن نذكر أن رسائل مكماهون نصت في موضع آخر أن المناطق المتحفظ عليها تقع ضمن ولايتي حلب وبيروت.

هذا مع العلم ان ولاية بيروت لم تكن تشمل اهم جزء من فلسطين الا وهو سنجق القدس المستقل . ولو كان هناك استثناء لتوجب ان يذكر اسم ذلك السنجق بالذات .

عندما بلغت أنباء صدور وعد بلفور مسامع العرب ، طلب الشريف ايضاحا ، فأوفدت الحكومة البريطانية الأستاذ(هوجارث) ليبلغه رسالة

ترمي الى تبديد مخاوفه ، وتحمل له التأكيد بأن تحقيق الوعد لليهود في فلسطين يجب ان لا يتعارض « مع حرية الاهلين الحاليين من الناحيتين الاقتصادية والسياسية » . ولا بد ان الحكومة البريطانية عند تقديم تلك الرسالة كانت تضع نصب عينيها ان وعد بلفور تعهد بالمحافظة على حقوق العرب الدينية والمدنية في فلسطين . ويزيد من قناعتنا بأن استثناء فلسطين من منطقة الاستقلال العربي لم يكن وارادا يومذاك في اذهان الساسة الانكليز ،إن مذكرة مكماهون إلى وزارة الخارجية بشأن رسالته الأكثر أهمية إلى الشريف ، المؤرخة في ٢٤ تشرين الأول ١٩١٥، تضمنت قوله البالغ أقصى حدود الوضوح من أنه كان «حاسما في إستثناء مرسين واسكندرونه... ، وتلك المناطق الواقعة على السواحل الشمالية لسورية ، التي لا يمكن القول انها عربية ، وحيث – تم الاعتراف بالمصالح الفرنسية ».

وبعد مضي خمسة اشهر ، نرى الاستاذ(هوجارث) – رئيس المكتب العربي في القاهرة وكبير الاختصاصيين في الشؤون العربية بين معاوني مكماهون – يكتب مذكرة بعنوان (المسألة العربية) ، ويعرض فيها بالتفصيل الى ما تم الاتفاق عليه في مراسلات الحسين – مكماهون بين الشريف وبريطانيا ، وما لم يتم الاتفاق عليه . وفي هذه المذكرة يعلن (هورجارث)إن المنطقة التي استثنتها بريطانيا في سورية تمتد من خط العرض ٣٣ جنوبا الى خط العرض ٣٧ شمالا ،

الى الغرب من مدن دمشق وحمص وحماة وحلب ،أي من مدينة صور الى مدينة اسكندرونة ، وهذا لعمري قول فاصل لا مجال للطعن فيه او لتأويله ، على أساس، مبدأ «إذا ورد النص بطل الاجتهاد» ! كما يقول الأستاذ سليمان موسى .

وبالاضافة الى ... هناك وثيقتان اعدتهما دائرة الاستخبارات السياسية في وزارة الخارجية البريطانية ، في شهر تشرين الثاني ١٩١٨ ، لتكونا تحت تصرف الوفد البريطاني في مؤتمر السلام، وقد اوردت المذكرة الاولى فيما يتعلق بفلسطين «إلى الغرب من نهر الاردن» العبارة القاطعة التالية : « لقد تعهدنا للملك حسين بأن هذه المنطقة ستكون عربية مستقلة » .أما المذكرة الثانية فقد قررت بدورها انه «فيما يتعلق بفلسطين ، فان حكومة جلالته تعهدت ... بادماجها ضمن حدود منطقة الاستقلال العربي .

حتى اللورد (كرزون) نفسه (وهو من ابرز الوزراء البريطانيين يومذاك) اعتبر ان التعهد العام الذي تضمنته رسالة مكماهون المؤرخة في ٢٤ تشرين الاول ١٩١٥ تشتمل على فلسطين من جملة المناطق التي اكدت الحكومة البريطانية للملك حسين بانها « سوف تكون عربية ومستقلة» (١)

---

(١) انظر كتابه : صفحات مطوية ... مرجع سابق ، ص ٢٢ – ٢٣ ، وانظر د. ممدوح الروسان : فلسطين في مراسلات الحسين / مكماهون ١٩١٥ – ١٩٣٩ ، عمان ط١ ، ١٩٩٠ ، ص ٢٣ – ٣٧ .

أما عن دور الملك عبد الله بن الحسين من أجل فلسطين وكيف تمسك بخط والده العربي الاسلامي يقول الاستاذ الدكتور ابراهيم الشريقي :

وقفة مع الملك عبد الله بن الحسين:

هناك حقائق ووقائع مدونة في ملفات الوثائق والدراسات المخصصة لا عادة كتابة التاريخ العربي المعاصر وتنقية ماأدخل عليه خلال المرحلة الممتدة من الاربعينات إلى أوائل الثمانينيات من تشوية وتحريف.

ونستخلص من ملفات الوثائق والدراسات السياسية والتاريخية ما يلي:

كان الملك عبداله متمسكا بالخط القومي الذي رسمه والده الشريف الحسين واتخذه قاعدة للثورة العربية التي فجرها للتحرير وقيام الدولة العربية المستقلة. وفي رسائل الشريف للحكومة البريطانية وممثليها تبرز الحدود الطبييعية للدولة والمناطق التي تضمها ومنها فلسطين التي تعتبر جزءا من سوريا الطبيعية . ورفض الشريف التسوية التي اقترحتها الحكومة البريطانية عام١٩٢١ وهي التوقيع على معاهدة تنص على اعتراف الملك الحسين بانتداب بريطانيا على العراق وفلسطين. وبسبب معارضته لسياسة بريطانيا قطعت عنه

المعونة المالية التي كانت تقدمها، ورغم ما تعرض له من ضغوط وخلافها فقد ظل العاهل الهاشمي على موقفه وقال للمعتمد البريطاني (فيلبي) لن اوقع على أية معاهدة إلا اذا اعترفت بريطانيا باستقلال العرب.

وفي الاجتماع الذي عقد في القدس- ٢٨ آذار مارس ١٩٢١ بين (ونستن تشرتشل) وزير المستعمرات، والامير عبد الله تناول الحديث مواضيع هامة تتعلق بالمنطقة العربية ومنها فلسطين. وقال تشرتشل: إن سياسة بريطانيا ازاء المنطقة تتجاوب مع القرارات التي اتخذها الحلفاء. ومهمتنا حل مشاكل المنطقة ومساعدتها . وبموجب صك الانتداب تتولى بريطانيا ادارة شؤون فلسطين. وان وعد بلفور وافقت عليه الحكومة البريطانية على ان لا يغير مفهوم الحقوق المدنية والدينية للطوائف غير اليهودية المقيمة في فلسطين وموضوع بحث وعد بلفور يترك للمندوب السامي البريطاني هربرت صموئيل. وردّ الامير عبد الله فقال : العرب يرفضون وعد بلفور ومتمسكون بعروبة فلسطين . والحل الممكن ان يكون للاردن وفلسطين ادارة واحدة (حكومة) يتولاها أمير عربي . ورفض تشرتشل الاقتراح وقال :إن صك الانتداب يخول

---

(١) الوثائق البريطانية ، محضر اجتماع تشرشل - الامير عبد الله في القدس .
وانظر سليمان موسى: تأسيس الإمارة الأردنية.

بريطانيا ادارة فلسطين مباشرة لأن لها وضع خاص، وسوف نلتزم بالمحافظة على حقوق السكان غير اليهود !!

أما شرقي الاردن فتوحد مناطقها ويتولى شؤونها الامير . وطلب تشرشل من الامير عبد الله الموافقة على اقتراحه هذا. وبحث الأمير الاقتراح في اجتماع عقده مع اخوانه وجهاء العرب الذين كانوا بصحبته وهم : عوني عبد الهادي ومظهر ارسلان ورشيد طليع وامين التميمي وغالب الشعلان واحمد مريود . ووافقوا عليه وفي اليوم التالي (٢٩ آذار)أبلغ الامير عبد الله تشرشل قبول ما عرضه عليه. وكان ذلك الخطوة الأولى لبناء صرح الحكم العربي الوطني في شرقي الاردن.

مواقف تاريخية للدفاع عن فلسطين :

كان الملك عبد الله يدرك أبعاد الخطر الصهيوني على المنطقة العربية ، وقاومه بما كان يملكه من امكانيات محدودة وبالوسائل المختلفة من اتصالات ومحادثات مع المسؤولين البريطانيين ولقاءات مع اخوانه زعماء العرب.

وكانت الهجرة اليهودية التي تدفقت على فلسطين تشكل خطرا على كيان شعبها العربي . وقد طالب الملك عبد الله الحكومة البريطانية ان تعالج المشكلة بجدية وتضع حدا لها .

وفي رسائله للمندوب السامي البريطاني السير تشانسلور الاولى تاريخ ١٥ تشرين الاول ١٩٢٩ والثانية ١٢ تشرين الاول ١٩٣٠ والثالثة ٢٥ تموز ١٩٣٤ يقول فيها : العرب في فلسطين يرون انفسهم يغزون في كل يوم. وانهم في خطر الزوال من هؤلاء الدخلاء الذين كشفوا عن نواياهم واطماعهم. وان ظواهر الحال تدل على أن اليهود يعملون لجعل فلسطين كلها وطنا قوميا. وينبغي ان تنظروا معي الى ما يخبئه المستقبل من مشاكل يستعصي حلها اذا استمر الوضع على هذا المنوال .

وفي رسائله الى السير آرثور ويكهوب المفوض السامي البريطاني، الأولى تاريخ ٢٢ ايار ١٩٣٦ والثانية ١٦ حزيران ١٩٣٦ والثالثة ١٠ تموز ١٩٣٦ يقول فيها : الشعب العربي يرى وطنه فلسطين ينتزع منه قطعة قطعة . وشبرا وشبرا .. وكان ينتظر من الحكومة البريطانية حل مشكلته التي أزدادت تعقيدا وتفاقم خطر الهجرة اليهودية المتزايدة . وقد عيل صبر شعب فلسطين ووصل الى حالة اليأس . وإن صراخ الشعب الفلسطيني يدوي في الوطن العربي حيث يثير المشاعر ..،، وهنا في شرقي الأردن يتحرك الشعب تجاوبا مع الوضع الاليم والحالة النفسية ووطأتها على عرب فلسطين ، وان الموقف يزداد خطورة ، ولا سبيل لوقف حملات الاستفزاز والاضطرابات وخطرها على السلام في المنطقة الا اذا عالجت الحكومة البريطانية القضية الفلسطينية بالحكمة والعدل .

وفي عام ١٩٣٦ انتفض شعب فلسطين وثار على الظلم والكبت والقهر .واشتعلت الثورة القومية وتحت رايتها تشكلت كتائب الجهاد من عرب فلسطين والاردن وسوريا والعراق ولبنان . وخشيت بريطانيا على مصالحها ومركزها في المشرق العربي فاتصلت بالملوك والزعماء العرب لوضع حد للصراع الدامي في فلسطين ، وأشير هنا الى موقف الملك عبد الله (الامير انذاك) الذي تميز بالحزم. وطالب الحكومة البريطانية في رسائله واتصالاته مع المفوض السامي (ويكهوب) المدونة في ملف الوثائق البريطانية، كما ننقله من الدكتور ابراهيم الشريقي :

١- وقف الهجرة اليهودية التي تفاقم خطرها.

٢- الالتزام بحماية مصالح الشعب الفلسطيني وحقوقه.

٣- الكف عن التعقيبات وملاحقة العرب.

٤- العفو عن حملة السلاح. مع العلم ان عرب فلسطين لم يحملوا السلاح لمحاربة بريطانيا وانما للدفاع عن وطنهم المهدد بالضياع.

وارسلت الحكومة البريطانية لجنة (بيل) لدراسة الوضع في فلسطين. واقترحت في تقريرها عام ١٩٣٧ تقسيم فلسطين الى دولتين (عربية ويهودية)، فرفض العرب مشروع لجنة بيل ، وقامت مظاهرات

في عمان ودمشق وبغداد وبيروت، واشتدت المقاومة العربية، ووقعت اصطدامات دامية بين العرب والمنظمات اليهودية المتطرفة.

وازداد الخطر بازدياد الهجرة اليهودية التي لم تتوقف ، وارتفع عدد اليهود في فلسطين الى حوالي ستمائة الف مع العلم أن عددهم قبل الانتداب البريطاني لم يكن يتجاوز ٦٣ الفا والذي شجع الهجرة اليهودية هذه وقد اعتبرها الاستاذ الشريقي غزوا منظما – ما يلي :

١– التسهيلات التي كانت سلطات الانتداب البريطاني تمنحها لليهود الوافدين.

٢– المساعدات المالية التي كانت تقدمها الجمعيات والمؤسسات الصهيونية واليهودية في اوروبا واميركا للصندوق القومي اليهودي المخصص للاستيطان.

٣– الأراضي التي كانت تحصل عليها الوكالة اليهودية من سلطات الانتداب ، والاراضي التي اشترتها بطرق الاغراء من العرب ، وحتى عام ١٩٣٨ تملك اليهود (٩٤ الف هكتار) معظمها في المناطق الساحلية .

الدعوة لانقاذ شعب فلسطين وأسباب فشلها :

لقد ظهر جليا في الثلاثينات ان الهجرة اليهودية بأعدادها الكبيرة التي تحولت الى غزو فلسطين كما رسمت خطته الحركة الصهيونية التي اعتمدت لتحقيق انشاء الوطن القومي اليهودي على أربع دعائم :

١- الاتفاق مع بريطانيا المعروف باسم وعد بلفور.

٢- الاتفاق بين وايزمن ولينين زعيم الثورة البلشفية التي اطاحت بدولة روسيا القيصرية.

٣- استخدام المؤسسات والشركات اليهودية في اميركا للضغط على حكومة الرئيس ويلسن للتخلي لبريطانيا عن الدور الذي كان مقررا أن تقوم به في الشرق وهو وضع فلسطين تحت انتداب اميركا باعتبارها دولة غير استعمارية!!

٤- الاموال التي جمعت من المؤسسات اليهودية والبنوك والاثرياء للصندوق القومي اليهودي المخصص للاستيطان وبلغت ارقامه في العشرينات ٣ ملايين ليرة ذهبية وارتفعت في الثلاثينات الى ٧ ملايين.

واعتمدت الحركة الوطنية في فلسطين للتخلص من خطر الصهيونية على الشقيقات العربيات والبلاد الاسلامية ، ولكن ذلك الاعتماد لم يكن سلاحا فعالا يعتمد عليه في الثلاثينات لأن البلاد العربية كانت تحت سيطرة الاستعمار وكل منها يعمل قادته في محيطه المحلي لتحرير بلده من الحكم الاجنبي. فسوريا كانت بقيادة الكتلة الوطنية تصارع للتخلص من سيطرة فرنسا، ومصر بقيادة حزب الوفد تصارع للتخلص من بريطانيا، والعراق يقاوم للتخلص من النفوذ البريطاني. (١)

(١) انظر د. ابراهيم الشريقي : الثورة العربية الكبرى دوافعها وحصارها ، ص ٥٧ - ٦٠، والصفحات التي تليها ...

« الفصل الثامن »

﴿ الاردن يحمل لواء الثورة العربية الكبرى ﴾

* نهج الثورة في الولاء لعامة المسلمين والدعوة الى الشورى :

لقد بيّنت الثورة أن الولاء في الدين الاسلامي لعامة المسلمين ، وليس لطبقة خاصة من العلماء والمثقفين والمنافقين والانتهازيين الذين يصرون على تشويش الدين والدنيا على عامة الناس باسم الاسلام الرسمي ، الذي يمثله الاتحاديون ، فإن داء المسلمين الدفين « دخول ديننا تحت ولاية العلماء الرسميين » ، وبعبارة اخرى تحت ولاية الجهلة وإن هؤلاء المتعممين في البلاد العثمانية كانوا قد اتخذوا لانفسهم قانونا سموه (طريق العلماء) ... ، وقد تحول هؤلاء بالنفاق والانتهاز الى أدوات تتبادل مع الفئات الحاكمة المنافع وألقاب التعظيم، وتشترك معهم في فرض أوضاع على الشعب باسم الدين ، والدين – في حقيقته – منها براء!

كما تقول الدكتورة سهيلة الريماوي : والعلماء في رأي الثورة ، غير العلماء الرسميين ، فقد كرم الله سبحانه وتعالى العلم والعلماء ، في آياته البيّنات ، وكانت الدعوة للقراءة أول آيات كتاب الله { اقرأ باسم ربك الذي خلق } (١) ، وقد حافظ المؤمنون المسلمون من رجال الثورة على كتاب الله ، وأمهات الكتب ، فمنعوا ترجمة الكتاب لأغراض – خاصة ، وأقاموا خزائن الكتب للحفاظ على كتب السنة وغيرها ، وتقدم (القبلة) مثلاً لما قام به رجال الثورة من العناية بدار الكتب ، الموجودة في مكة ، وجعلها موقوفة لاستفادة الخاص والعام والمهاجرين من هذه الكتب ، كما هو الحال في دور الكتب الموجودة بمصر والشام والعراق

---

(١) العلق : ١ .

وغيرها من الاقطار الاسلامية ، وبذلك اضافوا صفحة جديدة في تاريخ خدمة العلم والعناية بدور الكتب، الى ما قام به اسلافهم من الأمويين والعباسيين ، وغيرهم ، بينما أضاف الاتحاديون صفحة تكمل ما قام به هولاكو وأجداده عندما أقدموا على إضرام النار في خزائن الكتب القديمة الخاصة بقصور الأشراف والمكتبات العامة ، فاحترقت بذلك الوف من نفائس الكتب الخطية التي يندر وجودها في مكان آخر (١).

وتتكر الثورة على رجال الدين الرسميين محاولة ترجمة القرآن وفقاً لمصالحهم وشهواتهم وانحرافهم عن الفهم الصحيح للآيات القرانية وتحريفها عن معناها الأصلي كما فعل هؤلاء بسورة العصر :

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ والعصر إن الإنسان لفي خسر، إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر﴾ (٢) . صدق الله العظيم

فقد فسروا الآية الأولى منها : « اذا جاء وقت العصر يكون الإنسان في حالة سيئة بسبب الجهد والتعب اللذين يحصلان له طول النهار (٣) ، هذا ما فعله الشيخ عبيد الله الذي يدّرس بجامع (أيا صوفيا) ... وتتساءل (القبلة) بقولها «لسنا ندري كيف وصلت الجرأة على الله تعالى بشيخ يضع على رأسه عمامة،

(١) القبلة، العدد ٨ : ٣ .

(٢) العصر : ١ – ٣ .

(٣) القبلة ، العدد ٧ : ٣ .

ويجلس في مسجد من أكبر مساجد المسلمين في تركيا أن يفسر الآيات القرآنية على هواه ، ولم يكتف بسورة واحدة بل إنه فسر أيضا الآية الأولى من سورة العاديات وهي قوله تعالى ﴿ والعاديات ضبحا ﴾ (١) ، بقوله :

« إن أوروبا وكل العالم الألماني يعرفون حكومة الترك المستقلة بأنها حكومة قوم شجاع غيور، وأن خيل الجيش التركي التي نزلت في تقديسها آية ﴿والعاديات ضبحا﴾ هي أعظم شرفا وحرمة بأضعاف مضاعفة ممن تقدسونهم من الأشراف والرؤساء الذين ليسوا من جنسكم » ، وهكذا لم يسلم من صاحب « قوم جديد » أي انسان عالم ولاصالح ولا الملائكة في السموات العلى(٢) . ويرى رجال الدين من جماعة «القوم الجديد» أن الكتب الفقهية الموجودة في أيدي المسلمين الذين هم في نظرهم « القوم العتيق » إنما هي كتب نفاق وشقاق لا يجوز العمل بها ، وأن من يعتقد ان الصلاة والصوم والحج والزكاة وكلمة الشهادة من أركان الدين ، فهو من المرتدين ، ويستندون في قولهم الى الآية الكريمة : ﴿ يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه﴾ (٣) وتفسر هذه الآية الطبقة الخاصة من رجال الدين الاتحادي ان العرب هم من ارتدوا عن الدين الاسلامي ، وأن الأتراك هم « القوم الجديد » ﴿ الذين يحبهم الله ويحبونه﴾!!! ، وقد اعتمدنا في نقل هذه الاقتباسات من كتاب الدكتورة سهيلة الريماوي آنف الذكر .

---

(١) العاديات : ١ .

(٢) لتفصيل ذلك راجع الجريدة القبلة ، العدد لسابع : ٣ بعنوان : حصان التركي في مذهب «توم جديد » .

(٣) المائدة : ٥٤ وراجع ، القبلة ، العدد ٨ : ١ – ٢ .

(*) فلسفتها الفكرية القائمة على الشورى :

لقد كانت قاعدة الشورى هي إحدى المرتكزات الاساسية التي اقيمت عليها فلسفة الثورة الفكرية والسياسية حيث كان الاتصال جاريا مع جميع حركات الفكر والرأي في بلاد الشام والعراق بواسطة الامير فيصل الذي كان ينقل الى اعضاء هذه الجمعيات افكار والده كما كان ينقل الى والده افكار واتجاهات هذه الحركات. وكان الاتصال جارياً بين شريف مكة والزعماء المحليين في مختلف مناطق شبه الجزيرة العربية ومصر والسودان يستطلع آراءهم ويبادلهم الرأي والمشورة بواسطة مبعوثين يحملون رسائله اليهم ويعودون برسائلهم اليه . ولم يكن غائباً عن السياسة الدولية بل كان يمسك بقطبي الصراع في المنطقة (تركيا وبريطانيا) حيث كان الامير عبد الله هو الذي يتولى هذه المهمة المزدوجة (١) .

* * * * *

أكدت الدائرة الاسلامية في فكر الثورة العربية الكبرى بعدا فكريا شاملا لطموح المسلمين كافة ومطالبهم وهو الشورى ، من منطلق أنها وسيلة من أهم وسائل الإصلاح الاجتماعي، والسياسي ، ولذلك تقول الثورة : « إن هذه النهضة المباركة، التي انضوينا اليها ولبينا دعوتها لاتختص بشخص دون آخر، أو بفئة دون غيرها، ولكنها خدمة إسلامية محضة » (٢)

(١) قاسم محمد صالح : في رحاب الثورة العربية الكبرى ، ص ٦٥ .

(٢) القبلة ، العدد ٦ .

فاذا تساءلنا عن الوسائل التي تؤدي الى تطبيق الشورى في رأي مفكري الثورة أجابت بأن :

أ) « كل مسلم في الوجود له الحق الصريح في الاشتراك فيها » (١)

ب) وتحدد الثورة طرق هذا الاشتراك بالنواحي التالية : « بالرأي والعمل ، سواء وافق القائمين في الأمر أم خالفهم» (٢)

إننا نجد في هذا النص ، الاتجاه الاسلامي في فكر الثورة بصورة واضحة، وعدم اقتصارها على مصلحة فئة أو أشخاص دون غيرهم ، كما نجد في طيات هذا القول عودة صريحة لما أرساه الإسلام من حرية التعبيرعن الرأي ودعوة كل مسلم غيور الى الاشتراك في هذه الثورة ، بالرأي والعمل سواء وافق « هذا الاشتراك » القائمين على الثورة ام خالفهم، وبذلك تؤكد الثورة وترسي دعائم نظام الشورى الاسلامية أو ما سمي حديثا « بالديمقراطية» ولا تزال الديمقراطية حتى الان تشغل مكانة في حياتنا السياسية ، بل لعلها من أبرز المسائل التي تشغل بال المفكرين العقائديين والمنظرين ، ولا أزعم أن فكر الثورة العربية الكبرى قد دعا الى الديمقراطية بمفهومها الحديث ، بل إنه دعا الى الشورى بوصفها مبدأ معروفا في التراث الاسلامي ، وخاصة أن أحرار العرب كانوا يتمثلون بتطبيق الشورى بعد الاستبداد العثماني ومحاولة إبعاد العرب

(١) القبلة ، العدد ٦.

(٢) القبلة ، العدد ٦ .

بشتى الوسائل عن إدارة البلاد، وقد أعلنت الثورة عن شموليتها لتضم جميع أبناء الأمة العربية من حجازيين وشاميين ومصريين وعراقيين، وقد أدى هذا الواقع الجديد - القومي أو الشمولي دوره في استقطاب جماهير الأمة العربية حول الثورة - كما تدل أدبياتها بشكل خاص ، وتراثها الذي وصل الينا بشكل عام، كما تقول الدكتورة سهيلة الريماوي .

وقد فرح العرب العثمانيون باعلان الدستور « ولم يكن ذلك إلا لاعتقادهم بأن زمن الإصلاح قد دنا » ، فشارك العرب بالانتخابات، وأخذ الرأي، ليستعيدوا مجد آبائهم وأجدادهم ، غير أن الانتخابات التي قام بها الاتحاديون كانت تجرى بقوة الحكومة ، فلا ينتخب العربي عن العرب بمعرفة العرب، بل ينتخب من تريده الحكومة بالقوة، وكثيرا ما كانوا يحطمون صناديق الانتخاب ويمزقون الاوراق ليعينوا النواب تعيينا (١) ، وهكذا قضى الاتحاديون على الدستور وعلى الشورى التي كان يأمل العرب بتطبيقها ، وقد قام أحرار العرب بمراجعة أمورهم على جميع مستوياتهم ، وقرروا أن التمسك بمبدأ الشورى وأخذ الرأي والحوار البناء هو الذي يقود الى الرأي السليم ، ولهذا فتحت الثورة العربية الكبرى صفحات جريدة القبلة للحوار البناء والنقد الذاتي، وفتحت الأبواب لمرحلة تاريخية جديدة في مسيرة الأمة العربية ، ودفعت الاتجاهات الفكرية للثورة نحو التراث الفكري

---

(١) القبلة، العدد : ٢:١، راجع حول الانتخابات : حقي العظم، حقائق عن الانتخابات النيابية في العراق وسوريا .

الإسلامي، كما دفعت الممارسات السياسية القومية نحو وحدة الهدف وتحقيق الدولة العربية الواحدة (١) .

وبعد أن عرضنا نهج الثورة في الولاء لعامة المسلمين والدعوة الى الشورى وذلك اعتمادا على جريدة الثورة جريدة « القبلة » ، وكانت دراسة الدكتورة سهيلة الريماوي » الاتجاهات الفكرية للثورة العربية » خير معين في هذا الجانب أقول بعد هذا العرض الموجز لابد للباحث من تناول دور الاردن في حمل لواء الثورة العربية، هذا البلد الصغير بحجمه الكبير بفعله هو وراث هذه النهضة الامين على أهدافها ورسالتها وأصولها ، .. المعبر عن لسانها وأمجادها ... وقد اعتمدت في ابراز هذا الجانب على آراء ثلاثة باحثين تناولوا سيرة هذه الثورة هم : الاستاذ بلال حسن التل ، والدكتور علي محافظة ، والدكتور ابراهيم الشريقي ، وقد قدمت لهذا الموضوع بالحديث عن نهج الثورة في الولاء لعامة المسلمين ، وذلك حتى لا تفهم خصوصية الاردن تجاه الثورة على غير معناها .

---

(١) د. سهيلة الريماوي : الاتجاهات الفكرية للثورة العربية من خلال جريدة ، القبلة ، ص٣٣ – ٣٨ .

الاردن يحمل لواء الثورة العربية

الاردن هو الشعلة الخالدة للثورة العربية الكبرى التي قادها شريف مكة الحسين بن علي وانجاله بالاتفاق مع زعماء العرب في الشام والعراق . والاردن اليوم هو الحقيقة المادية الوحيدة الباقية من هذه الثورة لذلك فإنه يعتبر نفسه وارث هذه الثورة الامين على رسالتها . من هذا المنطلق أثّرت الثورة تأثيرا كبيرا في سياسة الاردن منذ قيامه كدولة مستقلة في سلسلة الدول التي قامت في المنطقة بعد الحرب العالمية .

لقد ظلت الثورة العربية ضاغطا فعالا في السياسة الاردنية لعدة أسباب منها ان الاردنيين يعتبرون الثورة جزءا من تاريخهم بل لقد كانت الثورة القالب الكبير الذي انصب فيه التاريخ الاردني المعاصر ليس لان الاردنيين لعبوا في الثورة ذلك الدور الضخم الذي أثر تأثيرا جذريا على سير الاحداث فيها وخاصة فيما يتعلق بعملياتها العسكرية بل لان الاردنيين هم الذين رفعوا لواء الثورة بعد ان تكشفت النوايا والاطماع وتفرق الصحب والاحباء هنا وهناك فتصدى الاردنيون للواء قبل ان يهوي على الارض وابقوه عالياً بعد ان حولوا ارضهم الى قاعدة ومنطلق لكل ثوار العرب في سوريا وفلسطين والعراق وهم هم الاردنيون الذين سلموا هذا اللواء لابن زعيم الثورة واحد قادتها العسكريين البارزين عبد الله بن الحسين ليشيد على أرضهم دولة عربية لعبت على مدار التاريخ العربي المعاصر دورا ضخما كانت فيه تمثل جانب العقلانية والواقعية في منطقة

سيطرت عليها العواطف وسيرتها الغوغائية حقبا متلاحقة ، كما يذهب الأستاذ بلال التل .

لقد ضغطت الثورة العربية الكبرى على السياسة الاردنية ووجهتها في كثير من المواقف الفاصلة لان الاردن الذي ورث لواء الثورة ورث ايضا ارتباطات الثورة والاتهامات الموجهة للثورة والخلافات حولها مثلما ورث فكر الثورة الذي منح الاردن ذلك الوجه العربي الذي حافظ على قوميته المبنية على أساس من عقيدة الاسلام فكانت مأساة الاردنيين انهم ظلوا عربا في زمن ضاعت فيه العروبة في ثنايا الايديولوجيات الوافدة وظلوا وحدويين في حقبة من التاريخ انتصرت فيها الاقليميات ومن هنا كان ذلك الظلم الكبير الذي لحق بالمسيرة الشعبية الاردنية لانها مسيرة استعصت على افهام الكثيرين، ولأن فكرها ومنطلقاتها تختلف عن فكر ومنطلقات الآخرين. وفي هذا الفصل سنحاول معرفة مدى تأثير الثورة العربية الكبرى كضاغط على سير السياسة الاردنية .

* * * * *

لا بّد لنا من التاكيد على ان شرقي الاردن باعتباره جزءا من بلاد الشام اولا والمنطقة العربية ثانيا كان دائم التاثر بكل ما يجري فوق الارض العربية لانه كان همزة الوصل بين اجزائها فهو الذي يصل فلسطين بالعراق ويصل سوريا بالجزيرة العربية وهو الممر الحضاري والقصبة التي كان يتنفس منها المد العربي من الجزيرة الى سائر الانحاء العربية في الشام والعراق وغيرهما من الاقطار

قبل الاسلام وبعده .

من هذا الفهم التاريخي لدور شرقي الاردن نستطيع ان نفهم كيف بدأت علاقة هذا الجزء العربي بالدولة العثمانية . لقد وقع شرق الاردن بيد العثمانيين عندما وقعت بلاد الشام بأيديهم . ومثلما تميزت علاقة العثمانيين بالولايات الخاضعة لحكمهم بالقوة والفتور حسب موقع الولاية قربا او بعدا من مركز الدولة وحسب الاحداث التي تجري في تلك الولاية ومدى تأثيرها على مركز الدولة كذلك كان الحال بالنسبة لعلاقة شرقي الاردن بالدولة العثمانية . فقد سيطر العثمانيون على شرقي الاردن حوالي عام ١٥١٦م عندما سيطروا على بلاد الشام فكانت أهمية الاردن بالنسبة لهم تكمن في انه طريق الحج لذلك اقتصر التواجد العثماني في هذه المنطقة من الامبراطورية العثمانية على بناء القلاع وحفر الابار لتيسير مهمة قوافل الحجاج وفيما عدا ذلك كان التواجد العثماني تواجدا اسميا ليس اكثر ، الامر الذي ادى إلى تقهقر الامور في هذه المنطقة من البلاد وسيطرت الفوضى عليها وقد أدى ذلك كله الى تحولها شيئا فشيئا الى قفار قاحلة يعاني سكانها الضنك والقسوة.

ورغم هذا الواقع السيء الذي عاشته شرقي الاردن فان الدولة لم تحاول التدخل لاصلاح الامر ولم تفعل اكثر من ان تعقد الاتفاقات مع شيوخ القبائل تدفع لهم بموجبها الخاوات لحماية قوافل الحجيج ورغم ان الاردنيين في تعاملهم مع الدولة كثيرا ما كانوا هم الجانب الاقوى فان اوضاع بلادهم لم تعجبهم لذلك

فقد قاموا بسلسلة من الثورات ضد السياسة العثمانية في بلادهم، فكنت ترى ثائرا اردنيا في حقبة من حقب التاريخ العثماني في هذه المنطقة ضد الاتراك وكمعظم ثورات الشعوب في التاريخ كانت الضرائب هي التي تجعل الناس يتحسسون ظلم الدولة فيثورون وكذلك كانت الضرائب هي المحرك لكل الثوار الاردنيين،... تلك الضرائب التي تعددت اصنافها واشكالها حتى سحقت تحت ثقلها المواطن العربي في هذه الرقعة، ويذكر لورنس اوليفانت الذي زار المنطقة سنة ١٨٧٩م ان مقاطعة عجلون وحدها رغم ان عدد سكانها لم يكن يتجاوز عشرين الف نسمة كانت تدفع سبعة الاف ليرة كضريبة سنوية . وقد كانت الدولة تفرض سبعة انواع من الضرائب فاذا اخذنا بعين الاعتبار الطريقة التي كانت تحصل بها الضريبة وهي طريقة « التلزيم» عرفنا مدى الضنك الذي عاناه سكان المنطقة ، وعرفنا لماذا ثار هؤلاء في تلك السلسلة الطويلة من الثورات فليس الشيخ (قبلان) [١] في القرن التاسع عشر اول الثوار وليس اخرهم « شيخ سوف»[٢] الزعيم الثوري في منطقة جرش الذي رفض دفع الضرائب للعثمانيين عندما اشتطوا بفرضها وثار على الحكومة وفرض سيطرته على المنطقة كل هذه

(١) الشيخ قبلان احد اشهر شيوخ العدوان في القرن التاسع عشر وقد كان يحمل لواء الثورة ضد السلطة العثمانية وقتل عددا من جنودها وقد كان يتمتع بنفوذ واسع في البلاد / اشرنا الى هذه الثورة انفاً .

(٢) شيخ سوف المقصود هنا هو حسن بركات الذي تمرد على العثمانيين وقد كان باستطاعته ان يجمع تحت لوائه ١٤٠٠ مقاتل من ابناء المنطقة يقول عنه الرحالة لورنس اوليفانت انه كان ذا طبيعة ثورية وانه أقوى زعيم في المنطقة رفض دفع الضرائب للعثمانيين وكان يفرض على الاجانب الذين يزورون منطقة جرش رسوماً معنية مقابل تزويدهم بالحرس والادلاء / أشرنا الى هذه الثورة آنفاً كذلك.

ثورات لم يسجلها التاريخ بتفاصيلها مثلما سجل تفاصيل ثورتي الشوبك والكرك في مطلع القرن العشرين . الشوبك التي ثارت سنة ١٩٠٥م عندما حاول رجال الحامية تسخير نساء اهلها لنقل الماء للجند من الينابيع فثار الرجال وطردوا الجنود من القلعة وتحصنوا فيها ولكن الدولة غدرت بهم وفتك عسكرها بأهل الشوبك .

اما ثورة الكرك فقد كانت جارفة شملت كل المنطقة وشاركت بها الطفيلة ومعان وجعلت الدولة تفكر جديا بامور المنطقة وتحاول التفاهم مع سكانها كما عملت على التخلص من قائدها الشيخ قدر المجالي عندما دست له السم فمات.

ان كل الظروف التي عاشها شرقي الاردن كانت تضعه في حالة الصدام المستمر مع السلطة العثمانية هذا الصدام الذي تبلور بالمشاركة الفعلية في الثورة العربية الكبرى التي وجد بها الاردنيون الاطار الكبير الذي يستطيعون من خلاله تصحيح اوضاعهم ولذلك نستطيع القول بان الثورة العربية لم تفرض على الاردنيين بل كانت تعبيرا عن حقيقتهم فلقد كانت الظروف مهيأة ليشارك الاردنيون مشاركة فعالة في ثورة العرب التي اعلنها شريف مكة وهم اصحاب التاريخ الطويل في مجابهة مظالم الإدارة التركية مثلما كانوا على علم بكل ما يجري في المنطقة العربية والعالم من احداث.

ان كل الظروف التي كانت قائمة في منطقة شرقي الاردن كانت تدفع بهذه المنطقة لتكون العمق الاستراتيجي للثورة فأهلها على اتصال بكل ما يجري في

المنطقة العربية من احداث وعلاقتهم بالدولة الحاكمة في حالة صدام مستمر تصل بهم الى درجة عدم الاعتراف بها ، فالرحالة (جراي هل) الذي زار الكرك سنة ١٨٩٠م يقول فيما كتبه ان اهلها لا يهتمون بالحكومة التركية ولم تكن هي لتجرؤ على التدخل بشؤونهم بل أنه يقول أنه عندما سلم شيخ الكرك رسالة القنصل البريطاني اليه اجابه الشيخ بانه لا يعير اي اهتمام للقنصل او لملكة الانجليز او للسلطان وهو نفسه جراي هل الذي نقل قول قائمقام عجلون العثماني عندما زاره سنة ١٨٩٠م ان سكان المنطقة يميلون الى خلق المتاعب وانه ارسل قسما كبيرا منهم الى سجن دمشق .

هذه هي الاجواء التي كان يعيشها الاردنيون في الفترة التي كان احرار العرب يعدون بها للثورة فليس من المستغرب اذن ان يذهب عوده ابو تايه الى معسكر فيصل في الوجه ويعلن انضمامه لثورة العرب وهو الذي كان في حالة حرب مع الاتراك منذ سنوات طويلة .

لقد ادخل انضمام الاردنيين للثورة العربية الكبرى ممثلين بعودة ابو تايه في البداية وبكل القبائل الاردنية بعد ذلك ادخل الثورة طورا جديدا كان اول علاماته انْ حوّل الثورة من مجرد عصيان محلي في الحجاز تحاصره قوات الاتراك في أماكن عديدة وتجبر قواته على التراجع واتخاذ المواقع الدفاعية الى ثورة ذات مضمون شعبي وهذا ما سنراه في السطور التالية (١) .

---

(١) بلال حسن التل : الاردن محاولة للفهم ، ص ٦ - ١٠ .

المشاركة الاردنية :

واقع الامر لم يشارك أهل شرقي الاردن في النهضة الفكرية العربية التي نمت بذورها الاولى في مصر وبلاد الشام في بدايات القرن التاسع عشر، وازهرت في اواخره، ثم أينعت ثمارها في مطلع القرن العشرين . فقد عاش اهل هذه المنطقة في حالة من التخلف والجهل نتجت عن الفوضى وعدم الاستقرار في الداخل والعزلة والاهمال اللذين تعرضوا لهما من جانب الدولة العثمانية. فحياة البداوة ، وعدم استقرار الفلاحين في القرى بصورة دائمة ، وفقدان الامن حالت كلها دون نشوء المدن في هذه المنطقة ، وحالت بالتالي دون ظهور فئة من المثقفين تعنى بالقضايا الفكرية العامة وتهتم بشؤون الوطن والمواطن والدولة والامة (١) .وكان هم السكان الأول تأمين لقمة العيش، وتوفير الامن والحماية، اللازمين للنفس والمال والعيال ، وكان الوعي السياسي بينهم في أضعف حدوده.

وكان الشريف حسين بن علي قد بعث ببلاغ عام الى القبائل البدوية والحضرية في شمال الحجاز في ٢٠ ربيع الاول ١٣٣٥هـ (١٥ كانون الثاني/يناير ١٩١٧) يذكرهم بما جاء في منشورة الثورة الاول والثاني ، ويعلمهم بقدوم نجله الامير فيصل قائدا لقوات الثورة الزاحفة نحو الشمال ، ويحثهم على

---

(١) منشور الخليفة أمير المؤمنين الحسين بن علي ، القبلة ، مكة المكرمة، العدد ٧٧٥ ، ٢١ شعبان ١٣٤٢ هـ / ٢٧ / ٣ / ١٩٢٤ .

الانضمام لصفوفها وطرد الاتراك من البلاد (١) غير أن الاستجابة لهذا البلاغ كانت ضعيفة ، أول الأمر.

ولعبت حنكة الامير فيصل ، وجهود معاونيه من الاشراف والقادة العسكريين، والاموال التي أغدقها على هؤلاء الشيوخ والوجهاء ، والانتصارات التي حققها جيش الثورة دورا اساسيا في كسب ولائهم له وتخليهم عن الولاء للاتراك. وكان انضمام عودة أبو تايه ، شيخ قبيلة الحويطات ، الى جيش فيصل قبل دخوله الى الاراضي الاردنية ، ومشاركة عشائر الحويطات وبني عطية والرولة والشرارات في العمليات العسكرية التي دارت حول العقبة ومعان مثالا يحتذى للقبائل البدوية الاخرى في شرقي الاردن ، ولا سيما بني صخر والسرحان والسردية والشعلان أما العشائر المستقرة في القرى او المقيمة حولها فقد اعلنت تأييدها للثورة وولاءها للامير فيصل بعد انسحاب القوات العثمانية وحلول قوات الثورة محلها، وانضم بضعة آلاف منهم الى جيش الثورة(٢) . وكان عودة ابو تايه ، بفطرته البدوية، قد أقسم يمين الولاء للامير فيصل ، وآمن بعدالة القضية التي يحارب من اجلها قبل دخول قوات الثورة الى الاراضي الاردنية . فها هو يوجه انذارا الى متصرف الكرك التركي ويدعوه الى مغادرة الارض العربية « لاننا نريدها لنا » (٣)

أما أبرز الضباط الأردنيين الذين انضموا الى الجيش العربي الشمالي*،

---

(١) عودة القسوس : مذكرات ، ص ٨٥ – ٨٨ . ومنيب الماضي وسليمان موسى : تاريخ الاردن في القرن العشرين ، عمان ١٩٥٩ ، ص٥٤ .

(٢) Arab Bureau, Arab Bulletin No 78, Cairo , 11.2.1918, P. 35 and No. 82, Cairo, 17.3.1918, P. 88.

(٣) Arab Bureau, Arab Bulletin, No. 57, Cairo, 24.7.1917, P. 310 .

* د. علي محافظة، المرجع السابق ، ص٦٠ وما بعدها .

جيش الثورة الذي كان يقوده الامير فيصل ، فهم : علي خلقي الشرايري ومحمد علي العجلوني وتوفيق النجداوي وأديب وهبه ، وقد لعب هؤلاء دورا مهما في الحياة السياسية في عهد الامارة ، وقد جاء انعقاد المؤتمر السوري العام بمناسبة قدوم لجنة التحقيق الامريكية (لجنة كنج - كراين King - Grane Commission) التي ألفها الاربعة الكبار في باريس (رؤساء حكومات بريطانيا وفرنسا وايطاليا ورئيس الولايات المتحدة الامريكية) للنظر في مطالب السوريين والعراقيين . وقد اتخذ المؤتمر المذكور قرارات طالبت بالاستقلال السياسي التام لسوريا في حدودها الجغرافية الممتدة من جبال طوروس شمالا الى رفح والخط الممتد من الجوف الى العقبة جنوبا ، ومن الفرات والخابور في الخط الممتد الشرقي أبو كمال الى شرقي الجوف شرقا الى البحر الابيض المتوسط غربا ، وتكوين حكومة ملكية ديمقراطية دستورية مدنية على مبادئ اللامركزية الواسعة مع حماية الاقليات، على رأسها الامير فيصل بن الحسين ، والقبول بوصاية عصبة الامم على صورة مساعدة اقتصادية وادراية لا تمس الاستقلال التام ، وأن تتولى الولايات المتحدة الامريكية هذه الوصاية فإذا رفضت قبلوا ببريطانيا بديلا عنها ، ورفض وعد بلفور وكل تجزئة للبلاد السورية[1].

(١) وجيه علم الدين: العهود المتعلقة بالوطن العربي ١٩٠٨ - ١٩٢٢، بيروت، دار الكتاب الجديد، ١٩٦٥، ص١٢٤ - ١٢٦ ، وحسن الحكيم : الوثائق التاريخية المتعلقة بالقضية السورية في العهدين الفيصلي والانتداب الفرنسي ١٩١٥-١٩٤٦، بيروت ، دار الصياد ١٩٧٤، ص ١٢٠ - ١١١ .

ولما بدأت القوات العسكرية البريطانية بالانسحاب من سوريا في النصف الثاني من ايلول « سبتمبر » ١٩١٩ ، لتفسح المجال للقوات الفرنسية المرابطة في الساحل السوري للحلول محلها، بناء على الاتفاق الذي تم بين لويد جورج Lo-kyd George رئيس وزراء بريطانيا وجورج كليمنصو George Cle-men ceau رئيس وزراء فرنسا في ١٣ ايلول « سبتمبر » [١] . وتواترت الاشاعات عن تقسيم بلاد الشام بين فرنسا وبريطانيا ، وشعر اهالي شرقي الاردن بقلق عظيم حول مصير بلادهم ، وخشوا ان يقعوا تحت الاحتلال الاجنبي، وعبروا عن قلقهم وخوفهم ببرقيات احتجاج الى ممثلي الدول الحليفة في منطقتهم ، وأعلنوا عن إرادتهم في المطالبة بالاستقلال التام المطلق ، وعن استعدادهم للدفاع عن هذا الاستقلال بالمهج والارواح . كما اعلنوا رفضهم للهجرة اليهودية الى فلسطين ، وأعربوا عن أملهم في ان تنصفهم الدول الحليفة ، وأن تفي بالعهود والوعود التي قطعتها للعرب أثناء الحرب العالمية الاولى » [٢]

---

(١) حسن الحكيم : الوثائق التاريخية ، ص٥٩–٦٠ (نص الاتفاق).

(٢) برقية شيوخ عجلون الى مؤتمر الصلح في باريس، وبرقية نواف الفايز من شيوخ بني صخر الى ضابط الاتصال البريطاني في السلط، وبرقية شيوخ البلقاء وبرقية شيوخ الطفيلة في جريدة العاصمة، دمشق، العدد ٧٧تاريخ٧/١١/١٩١٩، والعدد ٨١ تاريخ ٢٤/١٢/١٩١٩، العدد ٨٨ تاريخ ٢٩/١٢//١٩١٩ .

* اعتماداً على د. محافظة : الفكر السياسي في الاردن مرجع سابق، ص٦١ – ٦٣ .

واجتمع شيوخ البلقاء والكرك في عمان في منتصف كانون الاول « ديسمبر» ١٩١٩ وألفوا لجنة للدفاع الوطني برئاسة مثقال الفايز ، وشرعوا بجمع التبرعات واعداد المتطوعين للدفاع عن البلاد » (١)

وشارك الاردنيون في المؤتمر السوري العام الذي عقد في دمشق بين ٦ و ٨ آذار « مارس » ١٩٢٠ ، وقد اتخذ المؤتمر قرارات خطيرة كان القصد منها فرض الامر الواقع على الدول الحليفة ولا سيما بريطانيا وفرنسا للاعتراف باستقلال سوريا الطبيعية ووحدتها ، وأكدت قرارات المؤتمر « استقلال البلاد السورية بحدودها الطبيعية استقلالا تاما لا شائبة فيه على الاساس المدني النيابي ، وحفظ حقوق الاقلية ، ورفض مزاعم الصهاينة في جعل فلسطين وطنا قوميا لليهود أو محل هجرة لهم » وأعلن المؤتمرون اختيار الامير فيصل بن الحسين ملكا دستوريا على سوريا « وانتهاء الحكومات الاحتلالية العسكرية في البلاد ، على أن تقوم مقامها حكومة ملكية نيابية مسؤولة تجاه هذا المجلس (المؤتمر السوري العام) على أن تدار البلاد على طريقة اللامركزية الادارية ، وأن تراعي أماني اللبنانيين الوطنية في كيفية ادارة مقاطعات لبنان ضمن حدوده المعروفة قبل الحرب العامة» ، وسوّغ المؤتمر قراراته هذه بالاستناد الى الثورة العربية التي قامت لتحرير العرب من حكم الاتراك ، والى الحق الشرعي والطبيعي لهم في الحياة، وشاركتهم في هذه الحرب الى جانب الحلفاء ، والوعود التي قطعها الحلفاء العرب اثناء هذه الحرب (٢) . وبايع الاعضاء الاردنيون في

(١) جريدة العاصمة ، دمشق، العدد ٨٨ تاريخ ١٩١٩/١٢/٢٩ .

(٢) حسن الحكيم : الوثائق التاريخية ، ص١٤٠-١٤٣ .

المؤتمر ، مع بقية اعضاء المؤتمر ، الامير فيصل بن الحسين بالملك في احتفال رسمي في دار البلدية بدمشق ، فكان ذالك تعبيرا عن الارادة الشعبية في الاقطار السورية [1] وألف المؤتمر لجنة لوضع دستور للبلاد فأعدته وصادق عليه المؤتمر في ١٣ تموز « يوليو» ١٩٢٠ . ونص الدستور على أن تكون سوريا ملكية دستورية وراثية في الاسرة الهاشمية ، وأن تدار البلاد على أساس اللامركزية ، مع وجود مجلس نواب منتخب بالاقتراع السري على درجتين ، ومجلس شيوخ منتخب من قبل مجلس النواب الذي يتولى السلطة التشريعية . كما نص الدستور على استقلال السلطة القضائية واحترام الحريات المدنية والدينية وحرية التعبير[2] .

* * * * *

واقع الثورة قبل انضمام الاردنيين

إن الثورة – أية ثورة – بحاجة الى التخطيط والادارة وحسن القيادة ، كما هي بحاجة الى الاستعداد والبذل والتضحية ، وقد لاقت الثورة العربية الكبرى في شخص المنقذ الأعظم الشريف الهاشمي سمات القائد الملهم ، والموجه الراشد ، ... كما لاقت الدعم والتأييد من الأهلين في الحجاز والمناطق المجاورة في البدء ، ثم انتشرت الدعوة الهاشمية وكان ما كان من أمرها وأثرها العظيم

(١) خيرية قاسمية: الحكومة العربية في دمشق بين ١٩١٨و١٩٢٠، القاهرة، دار المعارف بمصر١٩٧١، ص١٦٥–١٦٦ .

(٢) المصدر نفسه ، ص٢٩١، ٣٠٩ / راجع د. علي محافظة: الفكر السياسي في الاردن ص٥٩–٦٤.

في شتى الامصار العربية ... كما كانت هذه الثورة الاساس والركن الركين لمعظم التيارات السياسية المعاصرة في العالم العربي والاسلامي – كما أشرنا آنفا – وقد تناول الأستاذ بلال حسن التل واقع الثورة قبل انضمام الاردنيين ، ثم انضمامهم الى صفوف الثورة تاليا منذ اللحظة الأولى التي وصل بها الشريف ناصر مع الشيخ عوده أبوتايه ، وكان الاردنيون ذراعا قويا للثورة ، وقد اعتمد الاستاذ التل على مؤلفات الاستاذ المؤرخ سليمان موسى (١)

ولمعرفة الدور الكبير الذي لعبه الاردنيون في تغيير مسار الثورة وتوجيهها الوجه العسكري الفعال لا بد لنا من أن نعرف واقع الثورة في الحجاز ومدى ما حققته من أهداف. فلقد ادت عوامل كثيرة الى الاسراع في اعلان الثورة قبل أن تدّعم استعداداتها العسكرية وبرامجها العملية ولقد بدا واضحا منذ اللحظة الاولى مدى ما تعانيه الثورة من نقص التخطيط والتحكم بالتوقيت فالثورة التي لم تعلن رسميا الا في التاسع من شعبان عندما اطلق الشريف حسين الرصاص من بندقيتة باتجاه الحامية التركية في مكة وكانت قد بدأت مواجهتها الفعلية في منطقة المدينة مع الاتراك في الثامن من شعبان .. نحن هنا لا نقول بأن الثورة في الحجاز كانت في حالة تراجعات دائمة بل كانت مع الاتراك في حالة سجال تتقدم حينا وتتراجع حينا اخر ولكنها لم تدخل معهم في معركة فاصلة قط وظل الاتراك في الحجاز حتى استسلموا بعد ان قويت الثورة في الاردن وحققت

---

(١) من هذه الكتب التي اعتمد عليها أذكر : «تاريخ الاردن في القرن العشرين» والحرب في الاردن، وغربيون في بلادنا، وفي ربوع الاردن من مشاهدات الرحالة .

انتصاراتها المشهورة لقد ظلت الثورة في خطر دائم يهددها بالسحق التام نتيجة للتفوق العسكري لخصومها ولتعاون اعدائها الداخليين مع الاتراك في نفس الوقت الذي تقاعس فيه حلفاؤها بمدها بما يحسم الأمور لصالحها (١) .

الاردنيون ينضمون الى الثورة

استقر الامير فيصل في الوجه على البحر الاحمر، ووضع الثورة في الحجاز لم يكن قد تبلور بعد والاعداء يحيطون بها من كل جانب ، وفي الوجه اخذ الامير يرنو بأمل الى الشمال ويحلم في ان ينقل الثورة الى هناك ، وفي ذلك توسيع لقاعدتها اولا واتصال مع حلفائها الذين كانت تعول عليهم في امدادها بالسلاح والمال كما ان في امتداد الثورة الى الشمال ايضا فرصة لتلتقي مع مفكريها من احرار العرب المتفرقين هنا وهناك بعد بطش جمال السفاح وتضييق الخناق عليهم وفي خروج الثورة من الحجاز تنفي عنها صفتها الاقليمية وتأخذ طابعها الحقيقي في انها ثورة إسلامية عربية عامة كما تتخلص من النظرة الرسمية اليها على انها عصيان كما كان الاتراك يشيعون حتى ان الانجليز لم يكونوا ينظرون الى شريف مكة إلا على انه زعيم الشعوب العربية الثائرة . كل هذه فوائد ستتحقق للثورة اذا امتدت للشمال وكان فيصل يبحث عن الوسيلة لذلك .

---

(١) للمزيد حول واقع الثورة قبل انضمام الاردنيين: انظر بلال التل: الاردن محاولة للفهم، ص١١-٢٤، وانظر العماد مصطفى طلاس : الثورة العربية الكبرى ، ص٣٧٣ وما بعدها حيث تناول تحرير بلاد الشام ، وتحرير الاردن خاصة .

وذات يوم وصل الى معسكر فيصل واحد من رجالات الشمال إنه موفد الشيخ عودة ابو تاية الثائر الاردني الى فيصل الثائر الحجازي لكي تلتحم الثورتان وتصبحا ثورة عربية كبرى ثم جاء عودة ابو تاية الى معسكر فيصل يعلن انضمام الاردنيين لعرب الحجاز واصبح عصيان الحجاز ثورة عربية كبرى ابتدأت على وجه التاريخ، ... ذلك التواجد الذي رسخ يوم انساحت جيوش الفتح المحمدي تعرب البلاد وتنشر عدالة السماء .

لقد كان انضمام الاردنيين بوصول عودة أبو تايه الى معسكر فيصل تعضيدا حقيقيا وفعالا للثورة ويصف جيمس موريس في كتابه «الملوك الهاشميون» وصول عودة ابو تايه الى معسكر فيصل قائلا "ففي ذات يوم وصل الى معسكر الشريف في الوجه محاطا بحرس من البدو الاشداء عودة أبو تايه شيخ الحويطات وأحد كبار شيوخ البادية المعروفين والمذكور صورة صادقة لما يتخيله كل بريطاني عن محارب الصحراء بكبريائه وشدة احتماله وجرأته المنقطعة النظير وسمعته الداوية كمحارب قاس لا يرحم ... وكان ابو تايه يسيطر على الروابي التي تقع الى الشمال الغربي من العقبة" (١) .

من اللحظة التي انضم فيها الاردنيون الى الثورة اخذت تلك الثورة طابعها العربي العام ودخلت في سلسلة من الانتصارات المتوالية التي انتهت بالقضاء المبرم على التواجد التركي في البلاد العربية بل لقد دخل الجيش العربي المنطلق

---

(١) "الملوك الهاشميون" / جيمس موريس ، ص ٥٥ وانظر الصفحات التالية .

من صحاري الاردن وسهوله في سباق شديد مع جيوش الحلفاء للوصول الى دمشق ايذانا بتجديد دور العرب التاريخي . ونحن هنا لا نريد الدخول في تفاصيل كل المعارك التي خاضها الاردنيون من اجل الثورة وحققت بها الثورة وجودها كقوة فعالة في الاحداث الجسام التي كانت تجري على ساحة العالم ولكننا سنأخذ بعض المعارك الرئيسية لنبرهن على ان الاردنيين هم الذين اعطوا الثورة وجهها لعربي أولا باخراجها من اطار الحجاز حيث ينظر اليها على انها مجرد عصيان محلي، فانضمام الاردنيين خلصّها من هذا الوجه الاقليمي وفتح لها الطريق الى دمشق ثم ان انضمام الاردنيين اعطى الثورة مضمونها الشعبي بعد ان كانت في الحجاز مجرد حركة يقوم بها شريف مكة وبعض انصاره ويطبق عليها اعداؤها الداخليون من العرب مع اعدائها الخارجيين من الترك من كل مكان . أما عندما انضم الأردنيون فقد تغيرت الصورة اذ ان الثورة في الاردن تحولت الى ثورة شعب كامل واصبحت تتحرك على ارض مأمونة ليس لها فيها الا عدو واحد هو الذي قامت ضده اصلا وبذلك نستطيع القول ان الثورة لم تكتسب مضمونها الشعبي الا بعد ان انتقلت الى الساحة الاردنية ونستطيع القول ايضا بأن الاردنيين هم أول شعب عربي قام في العصور الحديثة لا لاجل استقلاله الاقليمي بل من اجل استقلاله القومي . فقد كان الثائر الأردني يدافع عن سوريا والعراق وفلسطين مثلما كان يدافع عن سهول الاردن وصحاريه . أما الامر الآخر الذي اكتسبته الثورة من دخول الاردنيين صفوفها فهو تحويلها الى قوة احتلالية متحركة تعمل على تحرير الرقعة العربية وبناء الدولة المستقلة فيها

وهذا هو الهدف الذي كان يخطط له احرار العرب وبدأ تنفيذه مع دخول قوات الثورة الى العقبة (١).

الاردنيون يحركون الثورة على ارضهم

يقول بلال حسن التل : إن الاردنيين أعطوا الثورة العربية الكبرى مضمونها الشعبي وليس ادل على ذلك من ان جيوش الثورة لم تكن تخطو خطوة واحدة قبل ان تضمن ولاء سكان المنطقة المنوي التحرك بها، بل غالبا ما كان هؤلاء السكان هم الذين يدعون رجال الثورة الى منطقتهم ويمهدون لهم السبيل، ففي الطفيلة مثلا كان السكان هم الذين دعوا جيش الثورة لاحتلالها فقد ارسل شيخ مشايخها ذياب العوران ابنه عبد السلام الى القويره حيث اعلن الأمير فيصل ان الطفيلة ترحب بالقوات العربية ثم اجتمع الشيخ ذياب نفسه بالأمير زيد بن الحسين حيث وضعا ترتيبات الاستيلاء على الطفيلة ولما زحفت القوات العربية باتجاه الطفيلة خرج أهلها لمقاومة القادمين ظانين أن هؤلاء ليسوا أكثر من غزاة تشهدهم ايام الصراع بين البدوي والفلاح ولكنهم اوقفوا المقاومة فور ان أخبرهم الشيخ ذياب بحقيقة مقاصد القوة القادمة فانضموا الى الثورة واصبحوا من جنودها الاوفياء .

ان المتتبع لعمليات الثورة العسكرية في الاراضي الاردنية يعرف تماما كيف حولها الاردنيون الى ثورة شعبية ؛ فالثورة لم تلق مقاومة من الاردنيين بل على

(١) الأردن محاولة للفهم، مرجع سابق، ص٢٥ وما بعدها .

العكس من ذلك كان الاردنيون يتواصون بالانضمام اليها وكانوا هم انفسهم رسل قادة الثورة الى كل المناطق الاردنية يدعونها بالانضمام إلى الثورة التي لم تكن قواتها لتفعل شيئا قبل ان تأمن ولاء السكان بل ومبادرتهم إلى دعوة هذه القوات إلى مناطقهم في كثير من الاحيان.

«لقد تغير الامر بالنسبة للاتراك عندما امتدت الثورة الى شرقي الاردن اذ وجدوا انفسهم أمام ثورة شعبية تشتبك معهم في كل مكان فهذه جريدة الثورة تعلن في ٩ تموز سنة ١٩١٧م بأن الحويطات قد ثاروا على الترك واشتبكوا معهم في الغويلة وأماكن اخرى وان سكان المنطقة ينضمون الى لواء الثورة ومن باب تواصي الاردنيين لبعضهم في الانضمام للثورة ما كتبه زيد الى فيصل بأن الشيخ حمد بن جازي بعث الى شيوخ الكرك يستحثهم الانضمام إلى الثورة ، ولقد كانت قوافل الاردنيين ترد يوميا إلى معسكرات الثورة فهذا زيد يكتب لفيصل في ٢٤ شباط ١٩١٨ ليخبره بان بني عطية والبطوش والصرايرة والقضاه والنعيمات والخريشة والطراونه والمجالية قد انضموا الى الثورة كما انضم اليها فيما بعد اللياثنة والشوابكة والمناعين والرشايده والعمارين ، وبذلك تخلصت الثورة من فقرها البشري ولم تعد تحسب حساب الكم في عددها كما قال زيد لفيصل « ليس لدينا الا ما هو معلوم لديكم من عدد واما العدد فكثير »

لقد اخذ الاردنيون ينضمون الى الثورة منذ اللحظة الاولى التي وصل بها الشريف ناصر مع عودة ابو تايه الى البلاد فتوافد عليه شيوخ البلاد من شمالها

وجنوبها يبايعون الثورة كممثلين لمناطقهم مضمونها الشعبي بل انه مجرد ان وصلت اول سرايا الثورة إلى قريات الملح انضم اليها الحويطات والشرارات وبدأوا العمليات الحربية ضد الاتراك كما كتب بذلك فيصل الذي كان ما يزال في الوجه يخبر اباه ، بل ان اول الاعمال التي قام بها عوده ابو تايه بعد عودته من الوجه الاتصال بنوري الشعلان طالبا منه مناصرة الثورة .

لقد ابلى الاردنيون بلاءً منقطع النظير في حروب الثورة كما رأينا في الطفيلة حيث ظهرت صور البطولة تفوق تصور العقل كما كتب الأمير زيد بل ان الشريف حسين قائد الثورة يعجب بالبطولات التي يبديها الاردنيون فيخصص لذياب العوران وسحيمان بن جازي وحمد بن جازي واتباعهم المرتبات والسيوف والالبسة الخاصة ، وهذا زيد ينقل الى اخيه فيصل صورا من بطولات طراد وحتمل وابن نويرس من بني صخر ، لقد صهرت الثورة كل الاردنيين في اطارٍ كبير من الحب الجارف للوطن بلوروه في صور من البطولة والتضحية والفناء في قضية العرب الكبرى .

ومثلما كان الاردنيون ذراعا عسكريا قويا للثورة كذلك كانوا ذراعا اداريا متينا لها فما أن يطرد الاتراك من رقعة حتى يسارع الزعماء الاردنيون الى تثبيت الأمن وتقوية دعائم الثورة فيها فهذا حمد بن جازي يرافق الشريف علي ابن عريد ومعهما العسكر ووكيل قائمقام لضبط الطفيلة بعد انسحاب الاتراك منها كنموذج من التعاون الاداري مع الثورة .

لقد ادرك قادة الثورة أهمية مناصرة الاهالي لهم ولذلك فقد استعانوا بزعمائهم في كل الامور وخاصة فيما يتعلق بالحشودات والتحركات العسكرية فهذا فيصل يطلب من زيد الاستعانة بالشيخ ذياب العوران لحشد المقاتلين ثم يطلب منه ايضا استشارة « صديق الروح » عوده ابو تايه في كل شيء وان لا يخفي عنه شيئا قط وهو يحثه على الاحتفاظ بولاء الاهالي لانهم ظهير الثورة ونصيرها .

لقد ادرك الاتراك خطر انضمام الاهالي في شرق الاردن الى الثورة العربية فحاولوا بكل الوسائل الحيلولة بين الثورة والناس واستخدموا من اجل ذلك كل المغريات فدعت الادارة العثمانية زعماء البلاد الى دمشق واغرقت عليهم الاموال والالقاب والاوسمة ، ولما لم تفلح هذه الوسائل لجأ الاتراك الى العنف فاعتقلوا عددا من شيوخ البلاد ونفوا عدد آخر وكانوا يقومون بالغارات على القرى ينهبونها ليمنعوا اهلها من الانضمام الى الثورة مثل ذلك ما قاموا به ضد عرب الشيخ نواف بن فايز حيث نهبوا كل ما في قريتهم وكانت طائرات الالمان تقذف المنشورات على الاهالي تدعو فيها الناس للرجوع عن الثورة ولكن ذلك كله لم ينفع امام تعطش الاردنيين لنصرة الثورة.(١)

* * * * *

(١) المرجع السابق، ص٣٠ ، ٣١ .

قلنا ان انضمام الاردنيين الى الثورة العربية الكبرى حولها إلى قوة احتلالية متحركة مهمتها تحرير الارض ولقد اخرّنا الحديث عن فتح العقبة لنرى مدى الاهمية الاستراتيجية لانضمام الاردنيين للثورة اذ ان فتح العقبة كان اهم ضربة من حيث استراتيجية الحرب وجهها العرب للاتراك فقد كانت العقبة مركزا استراتيجيا هاما بالنسبة للجيوش المشاركة في الحرب وقد قامت عدة محاولات من قبل الفرنسيين والانجليز لاحتلال العقبة ولكنها فشلت وقد استخدمها الاتراك قاعدة لغرس الالغام في البحر الاحمر وكان الحلفاء يخشون ان يحولها الالمان الى قاعدة للغواصات،... ومن العقبة كان بامكان الاتراك السيطرة على القبائل المقيمة في شمال الجزيرة كل هذه النقاط الاستراتيجية للعقبة سخرها عوده ابو تايه لخدمة الثورة بعد أن حقق ما عجز عن تحقيقه الانجليز والفرنسيون من احتلال العقبة حيث اتفق مع فيصل منذ وصوله إلى الوجه على فتح العقبة ووضع خطته لذلك وقد انجز هذه المهمة العظيمة بسرعة فائقة حتى لقد كان الزحف الى العقبة قمة أحداث الثورة ففي اقل من عشرة أيام من الاشتباكات مع الترك كانت الوية الثورة تخفق فوق هذا الحصن الاستراتيجي الهام وتجعل من دمشق مكانا لا يبعد عن جيش الثورة اكثر من ٦٠٠ ميل . لقد فوجيء الترك بهجوم عودة أبو تايه واحتلاله للعقبة من حيث لم يكونوا يتوقعون ، ودخل ابو تاية بفرسانه الاردنيين العقبة ودخلت معهم ثورة العرب مرحلة جديدة... وهذا الواقع يحدد ضخامة الدور الذي قام به الاردنيون ومدى التضحيات التي بذلوها من أجل النهضة العربية الاسلامية (١) .

---

(١) انظر بلال حسن التل : الاردن محاولة لفهم، ص٢٥-٣٣

الفصل التاسع

﴿ الثورة العربية الكبرى والمجتمع الدولي ﴾

«الثورة العربية الكبرى والمجتمع الدولي»

يعتبر اخراج القضية العربية الى حيز الوجود على ميدان السياسة العالمية أحد المنجزات الكبيرة التي حققتها الثورة العربية الكبرى . لقد عالج العرب قبل الثورة قضاياهم وكتبوا الكثير في شأن مصيرهم وفي علاقة الاتراك بالسلطنة العثمانية ، ولكن ذلك كله كان خارج ميدان السياسة الدولية وغير معترف به من قبل اية قوة كبرى ... فقد كانت معظم الاقطار العربية خاضعة للامبراطورية العثمانية كجزء لا يتجزأ من ممتلكاتها ... او مرتبطة مع بريطانيا بمعاهدة خاصة ، او محكومة مباشرة كمستعمرة أو تنوء تحت حكم أجنبي مباشر وتحسب جزءا من الدولة الحاكمة (حالة الجزائر قبل الاستقلال) وجاء اعلان الثورة يكرس شرعية المطالب العربية وحقها في تقرير المصير واقامة دولة عربية تشمل أكثر المناطق التي كانت تخضع للدولة العثمانية (١) ...

وعلى الرغم من المرارة التي لاقاها قادة الثورة العربية من المجتمع الدولي وبصورة خاصة من الدول العظمى في ذلك الحين بريطانيا وفرنسا وأمريكا وايطاليا لأن هذه الدول كانت تتصرف وفقا لمصلحتها وأطماعها وفي السياسة كما يقول دزرائيلي : « توجد مصلحة دائمة ولا توجد سياسة دائمة» فان النتائج التي تمخضت عنها الثورة العربية هي أفضل بكثير من الأوضاع التي كانت سائدة قبلها لأنه لا أحد يتصور حجم الكارثة التي ستحيق بالامة العربية لو ظلت

(١) الدكتور نبيه أمين فارس: الثورة العربية الكبرى في الميزان / في الكتاب المشترك، دراسات في الثورة العربية الكبرى عمان ١٩٦٧م ص ٢١١ وما بعدها .

والعماد مصطفى طلاس : الثورة العربية الكبرى، مرجع سابق ، ص٦٢٣ .

رازحة تحت نير الحكم التركي حتى الآن ... وهذا بحد ذاته مؤشر ايجابي الى جانب الثورة ... وسنحاول في هذه السطور القليلة ان نبين دور كل دولة عظمى من الثورة العربية الكبرى لأن في شرح هذه الادوار والمواقف دروس وعبر للاجيال القادمة حتى تكون عيونها مفتوحة عند التعامل مع غير العرب أنّى كانت مشاربهم وعقائدهم ، كما يقول العماد مصطفى طلاس .

١- الثورة العربية الكبرى وانكلترا:

كانت بريطانيا تهدف من اشعال نار الثورة العربية الكبرى الى تحقيق غايتين اساسيتين : سياسية وعسكرية .

الأولى سياسية: وقد تحققت بمجرد اعلان الثورة إذ أعطت بريطانيا وحلفاءها المبرر الذي كانوا بحاجة اليه لتقديمه الى ملايين المسلمين الذين يحكمونهم ، فها هو حفيد الرسول وأمير مكة المكرمة يعلن بأن القابضين على زمام الحكم في دولة بني عثمان قد انحرفوا عن الصراط المستقيم ، إن الثورة العربية جعلت كفة الحلفاء في أنظار المسلمين تتساوى مع كفة الالمان : واذا كان الالمان يجدون الخليفة والاتراك في صفهم فان الحلفاء اخذوا بدورهم يجدون الشريف والعرب الى جانبهم .

الواقع أن بريطانيا كانت مصممة على الغدر بالثورة وقائدها منذ المباحثات الأولية بين الطرفين وأن من يقرأ رسائل مكماهون الى الشريف حسين يدرك اي انسان منافق ومخاتل هذا المكماهون!

فمن اتفاق سايكس – بيكو الى وعد بلفور الى اتفاق سان – ريمو الى انزال العلم العربي في بيروت الى تسليم سورية الى الفرنسيين والانسحاب قبل أن يتم بناء القوات المسلحة في سورية .. الخ ، كل هذه الاعمال الخسيسة صدرت عن بريطانيا وفي تاريخ علاقاتها مع العرب لا يمكن ان نرى فيها سوى العلقم والمرارة والخبث وسوء الطوية .

* * * * *

وكما نعلم فان الاتصالات قد بدأت بين العرب والانجليز قبل اعلان الحرب العالمية الاولى ، عندما اشتد الصراع مع حكومة الاتحاد والترقي التي كانت مصممة على الفتك بالشريف حسين وابنائه والقضاء على استقلال الحجاز النوعي .

وكانت بداية الاتصالات تلك التي قام بها الامير عبد الله بن الحسين في أوائل شباط ١٩١٤ ، وهو في طريقه إلى الآستانة لعرض قضية والده مع الوالي الجديد وهيب باشا ، على الحكومة العثمانية ، حيث تقابل في القاهرة ، وفي قصر الخديوي عباس حلمي مع المعتمد البريطاني اللورد كتشنر ، بحضور السكرتير الشرقي في دار المعتمد البريطاني رونالد ستورز ، وحاول الامير عبدالله ان يسبر أغوار الانجليز ، ويستطلع مدى استعدادهم لمساعدة والده الشريف حسين في حال اعلانه الثورة على الاتراك.

ولكن رغم ادراك البريطانيين أهمية البلاد العربية الاستراتيجية ، بحيث كانوا يولونها اهتماما بالغا ، ورغم علمهم انهم مقبلون على الحرب مع المانيا وان الشرق العربي سيكون احد ميادين هذا الصراع المرتقب ، لان تركيا ستدخل الحرب لا محالة الى جانب المانيا ،فان الانجليز لم يبدوا موافقتهم على مساعدة العرب على الثورة ضد الاتراك ، نظرا للعلاقات الودية التي ما تزال قائمة في ذلك الوقت بين البلدين لذلك لم يحصل الامير عبد الله من كتشنر في تلك المقابلة، ولا من ستورز في المقابلة الثانية في نيسان ١٩١٤ على أجوبة شافية .

ولكن عندما اعلنت تركيا دخولها الحرب ضد الحلفاء ، ورأى البريطانيون الخطر الذي يهدد مصالحهم المتنوعة في المنطقة العربية ، اخذ الخبراء البريطانيون يصرفون كل همهم الى منع حصول اي تحالف بين العرب والاتراك أولا ، ثم الى استمالة العرب الى جانب البريطانيين ، واثارتهم على منع الاتراك ثانيا وأصبحت بريطانيا تقدر اهمية موقف العرب بالنسبة لها ، وكان ستورز أول من رأى وجوب استغلال التوتر السائد بين الشريف والاتراك ، فبعث في ايلول وتشرين الثاني سنة ١٩١٤ رسالتين الى الامير عبدالله يعرض فيهما تقديم المساعدات اللازمة للعرب من اجل الثورة على الاتراك ونيل استقلالهم ثم تلقي الامير عبد الله في شهر كانون الثاني سنة ١٩١٥ رسالة من رونالد ستورز حملها السيد اليزار ، خلاصتها : « ان بريطانيا العظمى اصبحت في حل من الروابط التقليدية التي تربطها بالدولة العثمانية ، التي تحالفت مع المانيا ، واذا

كنتم وسمو والدكم ما زلتم على الرأي الاول ، وهو العمل لتحقيق استقلال بلاد العرب ، فان الحكومة البريطانية على استعداد لامداد الحركة العربية بكل ما تحتاجه من مساعدات غير ان الشريف حسين لم يكن حتى ذلك الوقت يفكر جديا في القيام بحركة ضد الدولة العثمانية ، آملا أن يتمكن من حل الخلافات عن طريق التفاهم مع الحكومة المركزية لذلك فقد رفض هذا العرض البريطاني الذي تقدم به ستورز ، بقوله : (لسنا على استعداد بالوقت الحاضر للمطالبة بحق العرب ، ونحن ملتزمون بالمحافظة على علاقاتنا مع الدولة العثمانية التي لا بد ان تستجيب لمطالب العرب ، وهنا في الحجاز لا يوجد اي خلاف مع الاتراك حالياً ، وكنا لا نريد قطعا ان تدخل الدولة العثمانية الاسلامية صديقة بريطانيا العظمى الحرب الى جانب المانيا ، أما الان فقد اصبحت الامبراطورية في حالة حرب ، والمصير لا يعلمه الا الله) (١) .

ثمة مسألة أخرى ، أو بالاحرى موقف قومي قام به الشريف حسين أبان صلاته مع انكلترا .. هذا الموقف هو عدم التورط في التوقيع على أية وثيقة مع الحكومة البريطانية تشكل مساسا بتاريخه القومي وقد لاقى وجه ربه منفيا في قبرص ورفض بإباء وشمم كافة المغريات البريطانية من اجل ان يقبل بالانتداب البريطاني على فلسطين والانتداب الفرنسي على سورية ولبنان ، فلتكن هذه المأثرة التي استنها الحسين بن علي درسا لجميع القادة العرب حتى لا يتورطوا

---

(١) د. حكمت قريحات: الموقف الاولي من الثورة العربية الكبرى، ص ١٢٨ – ١٢٩ .

وانظر سليمان موسى: المراسلات التاريخية: ج١.

في التوقيع على اية ورقة او وثيقة يمكن ان تسيء الى تاريخهم الوطني كما يقول مصطفى طلاس .

٢- الثورة العربية الكبرى وفرنسا :

كانت فرنسا تضمر الكره للثورة العربية منذ قيامها ، وذلك ان الصراع على مناطق النفوذ لم يكن قد حل بعد بالاضافة الى أن المراسلات والاتفاقات قبيل نشوب الثورة قد تمت كلها بين الشريف حسين وبريطانيا فقط ... الأمر الذي جعل فرنسا تشعر بحساسية خاصة تجاه الثورة العربية الكبرى وقادتها

هذا ومن جهة ثانية فان فرنسا كانت تعتبر في مطلع القرن العشرين من الدول الاستعمارية الأولى في العالم اي بعد بريطانيا مباشرة وكان لها اطماع في المنطقة العربية ، ولذلك فان اطماعها تتعارض مع الهدف الاول للثورة العربية ... ونعني بذلك موضوع الوحدة العربية ومن هذا المنطلق لم تقدم فرنسا للثورة العربية الكبرى الا النذر اليسير سواء من الضباط الفنيين او من العتاد القتالي وقد ذكر الجنرال بريموند في كتابه : (الحجاز في الحرب العالمية) « إن القوة الفرنسية التي أرسلت للاشتراك في القتال مع العرب كانت تتالف من ١١٠ ضابطا و ٣٥٦ جنديا و ١٠ مدافع و٦ رشاشات و٤٧ بندقية وقد وزعت هذه القوة على جيوش الأمراء: علي وعبد الله وفيصل وفي آذار ١٩١٨ عززت المفرزة الفرنسية في جيش فيصل ببطارية مدفع ٦٥ مم (١)

(١) الجنرال بريموند : الحجاز في الحرب العالمية ، ص٢٢٦

ومن استعراض الارقام المذكورة من قبل هذا الضابط الفرنسي ندرك أن إسهام فرنسا في مساعدة الثورة كان ضئيلا للغاية كما أنه كان رمزياً .

ولم يكتم هنري بوانكاريه رئيس الجمهورية الفرنسية آنذاك عواطفه تجاه الوحدة العربية فقال بحقد المستعمر : « انني لا أريد أبدا أن يتحقق هذا الأمل»!

إلا أن حقد فرنسا على الثورة العربية لم يظهر على حقيقته الا عندما بدأ الجيش الشمالي بقيادة الامير فيصل بتحرير درعا والتقدم باتجاه دمشق عند ذلك جن جنون الحلفاء وخاصة فرنسا وتتالت البرقيات على مقر قيادة الجنرال اللنبي وكلها تعزف على نغم واحد مؤاده : « اخنقوا حركة فيصل في مهدها . أوقفوا السيل العربي .. تذكروا اتفاقية سايكس - بيكو (١) » .

أما بقية الأعمال القبيحة الأخرى فقد استعرضناها في حينها سواء من حيث عدم احترامها لفيصل بعد أن وضعت الحرب أوزارها أو باحتلالها سورية وارغام فيصل على مغادرتها .

وحول العلاقة العربية الفرنسية يقول الدكتور حكمت فريحات :

(*) بعد اعلان الثورة العربية ظلت فرنسا تتنكر لها ، وتأبطت لها الشر ، واضمرت لها العداء بسبب التخوفات الآنفة الذكر ، غير انها رأت فيما بعد ان

---

(١) زين نور الدين زين، الصراع الدولي في الشرق الاوسط ، ص:٧٩ .

مصلحتها الحالية تفرض عليها اعلان تأييدها للثورة ، وتقديم المساعدة لها ولو ظاهريا ، ومع ذلك فان فرنسا لم تعلن اعترافها بالثورة الا بعد ان تلقت طلبا رسميا من بريطانيا بوساطة سفيرها في باريس في الثاني من ايلول سنة ١٩١٦م بعد ان كانت قد عقدت اتفاقية سايكس -بيكو، التي ضمنت لها مصالحها في سوريا ، وبعد ان شعرت ان الشريف حسين قد يدفعه تأخر اعتراف الحلفاء بالثورة الى التراجع عن تحالفه معهم ، ويعقد صلحا مع الاتراك!

وازاء هذه المعطيات المتناقضة التي تفرض على فرنسا اتخاذ مواقف متناقضة من الثورة، بحيث انها من جهة تجد نفسها مضطرة لعدم الاعتراف بالثورة ودعمها وتأييدها ، ومن جهة ثانية فانها مضطرة لاعلان الاعتراف بالثور وتقديم الدعم والتأييد لها ، فأنها اتخذت موقفا «غير حازم وغير واضح » اذ انه اشترطت لمساعدتها الثورة ان تحول دون تطورها الى شكل قد يضر بمصالح فرنسا واطماعها في سوريا وعليه فقد رأت ان تعمل على دعم الثورة وتقويته داخل الحجاز ، وعدم السماح لها بالتقدم نحو الشمال باتجاه دمشق !

بناء على هذة الاعتبارات وافقت فرنسا على ايفاد بعثتين الى الحجاز الاولى سياسية بقيادة سي (قدور بن غبريط) - مسلم جزائري من تلمسان - مهمتها تقديم التهاني للشريف حسين ، وحمل الهدايا ورعاية شؤون الحجا المسلمين من رعايا فرنسا في بلدان افريقيا الشمالية ، والثانية عسكرية بقياد الكولونيل بريمون لتمثيل فرنسا لدى الشريف حسين وتقديم المساعده المادي

والعسكرية للثورة وعلى أثر أعلان فرنسا عن ارسال هاتين البعثتين ، وقفت الصحافة موقف المؤيد للثورة ، فقد كتبت جريدة الزمن (Le Temps) الفرنسية تقول (لقد استعادت ارض الحجاز المقدسة استقلالها وتبادل الامير حسين الشريف الاكبر ، الرسائل البرقية مع رئيس الجمهورية ، وهي توازي الاعتراف بهذه الحكومة الاسلامية الجديدة ، صديقة فرنسا) .

ورغم الحفاوة العظيمة التي استقبل بها الشريف حسين اعضاء البعثة السياسية ورغم برقيات التهاني والمجاملات بين الشريف حسين ورئيس الجمهورية الفرنسية التي تنم عن رغبة الطرفين في الوصول الى تفاهم تام ، وعلى صداقة تقليدية ، فقد حدثت عدة خلافات ومنازعات سياسية وعسكرية بين الشريف حسين وفرنسا ، وكان بعض هذه المشاكل ناجم عن اعتبارات خاصة بفرنسا ، مثل الخلاف حول مستقبل سوريا ، وبعضها ناجم عن اعتبارات متعلقة بموقف واستراتيجية دول الحلفاء مثل موقفها من احتلال المدينة او الدفاع عن رابغ ، كذلك فإن هذه المشاكل بعضها ذو صبغة سياسية ، وبعضها الآخر ذو صبغة عسكرية . (١)

أما عن الرؤية الاستراتيجية الفرنسية فيقول:

تقوم الرؤية الاستراتيجية الفرنسية تجاه القضايا السياسية والعسكرية في منطقة الشرق على أسس وآراء نجملها فيما يلي :

(١) د. حكمت فريحات. الموقف الدولي من الثورة العربية الكبرى ، ص ١٤٠- ١٤١ .

١- المصالح الفرنسية في سوريا والمعروفة باسم « الامتيازات » والتي كانت في شتى الميادين : الاقتصادية ، والثقافية ، والدينية ، والتي لم يكن لديها أدنى استعداد للتخلي عنها لأنها أصبحت تعتبرها حقوقا مكتسبة .

٢- اشتداد التنافس الاستعماري الاوروبي لاقتسام ولايات الدولة العثمانية، فروسيا كانت تطالب بمد نفوذها الى فلسطين بحجة حماية المسيحيين الارثوذكس وألمانيا حصلت على امتيازات كثيرة في الدولة العثمانية ، وبريطانيا تريد السيطرة على منطقة الهلال الخصيب بعد أن كانت قد حصلت على امتيازات في مصر وقناة السويس ... ، فكانت فرنسا تريد ان تبسط هي الاخرى نفوذها في المنطقة ، وعدم السماح لتلك الدول بالانفراد فيها !

٣- خوف فرنسا من ان الثورة ستحول دون استقرارها في سوريا ولبنان.

٤- خوف فرنسا من تأثير الثورة العربية على عرب شمال أفريقيا : في تونس والجزائر والمغرب ، فتفتح عيونهم ، وترفع من مستوى مداركهم، فتدفعهم للاقتداء باخوانهم عرب المشرق في اعلان الثورة لتحرير بلدانهم .

٥- خوف فرنسا من تعزيز الثورة العربية لمبدأ الوحدة العربية ، واعلاء شأنها ، فتشجع الشعوب العربية ، وتقودهم الى الاتحاد أو الوحدة ، مما سيخلق عراقيل وصعوبات امام دول الحلفاء في تطبيق سياسة اقتسام المناطق المكتسبة في الدولة العثمانية.

٦-خوف فرنسا من انفراد بريطانيا بدعم الثورة العربية ، وكسب ودها ، مما يكسبها مكانة مرموقة لدى الشعوب العربية ، خاصة وانها كانت تشعر بالخطر البريطاني يهدد نفوذها .

٧- دخول تركيا الحرب الى جانب ألمانيا ، ورغبة فرنسا في اشغال الجيوش التركية على الجبهة الشرقية ، مما يوفر على دول الحلفاء ارسال القوات والمعدات العسكرية اللازمة من دول الحلفاء لمحاربة هذه الجيوش ، في أرضٍ تجهلها تماما .

٨- تعطيل مهمة مفرزة اليمن العسكرية الالمانية التي كانت تشكل خطرا كبيرا على الحلفاء ، بحيث أن الكولونيل بريمون رئيس البعثة العسكرية الفرنسية في الحجاز ... ، إذ لو نجحت هذه المفرزة في مهمتها لسدت البحر الاحمر ، وفتحت المحيط الهندي أمام العمليات الحربية الالمانية .

٩-احباط دعوة السلطان العثماني للجهاد المقدس ، الذي كان من شأنه ان يؤلب قلوب المسلمين في المستعمرات الفرنسية ويثيرهم ضدها ، على انها تحارب الخلافة الاسلامية [١] .

٣— الثورة العربية الكبرى وروسيا :

كانت روسيا من دول الحلفاء في بداية الحرب العالمية الاولى وكانت الحكومة القيصرية على اطلاع تام على اتفاق سايكس بيكو بواسطة الكتب المتبادلة .. وبعد قيام ثورة اكتوبر الاشتراكية في عام ١٩١٧خرجت روسيا من الحرب . وقد كشف النقاب لأول مرة عن وجود معاهدات سرية في شهر تشرين الثاني ١٩١٧ عندما عثر عليها في ملفات وزارة الخارجية ا لروسية وقد أصدر تروتسكي بوصفة وزيرا للخارجية آنذاك أمرا بنشرها .. وقد قال تروتسكي في اجتماع اللجنةالتنفيذية المركزية للسوفييت في بتروغراد – لينين غراد – : «...ان جميع المعاهدات السرية هي الآن في متناول يدي ، وهذه الوثائق ، التي ثبت أن بنودها تنطوي على لؤم يفوق ما كنا نتوقعه ، ستنشر قريبا .. اننا سنكنس جميع هذه الوثائق السرية ونرمي بها في سلة المهملات [٢] » . ولا شك في أن الشريف

---

(١) المرجع السابق، ص ١٣٨ .

(٢) نشرت جريدتا (الازفستيا) و (البرافدا) نصوص هذه الوثائق السرية بكاملها في عدديها الصادرين في ت٢ ، ١٩١٧ ، وقد وصلت نسخة من هذين العددين الى جريدة المانشستر غارديان البريطانية التي قامت بدورها في ١٢ك١ ١٩١٧ بتقديم ترجمة انكليزية للنص الروسي لهذه المعاهدات السرية .

راجع سليمان موسى : الوثائق التاريخية المذكورة سابقا الجزء الاول ص٦٧ رقم ١٠٠ – ١٠١ ص ١٥١ – ١٥٣ . ورقم ٢٠٥ص٢٣٧ – ٢٤٢ وخاصة ص ٢٣٩ .

حسين وقادة الثورة اطلعوا على هذه الوثائق كما مر معنا واحتجوا عليها ولكن لم يكن بمقدورهم الانسحاب من الحرب لأنهم خاسرون في كلا الحالين اضافة الى ذلك فان روسيا كانت تلملم جراحها ولم تكن لديها أية امكانية لمساندة الثورات الشعبية الا بالكلام والعواطف .. ولذلك لم تتمكن روسيا من مدّ يد المساعدة للثورة ونجحت بريطانيا وفرنسا في فرض سياستها على بلاد الشام والعراق.

ابرق الامير عبد الله بن الحسين الذي تولى وزارة الخارجية في الحكومة العربية التي تشكلت، الى وزراء خارجية دول الحلفاء والدول المحايدة بالحدث التاريخي . وكان أول رد من روسيا القيصرية برقية اعتراف من وزير الخارجية (ستورمر) بالاستقلال وتقديم تحيات القيصر نيقولا الثاني الى جلالة الحسين الشريف الهاشمي وحكومته وهو أول اعتراف من دولة عظمى باستقلال البلاد العربية بملكية جلالة الحسين الشريف الهاشمي ملكا على العرب . وابلغت برقية وزير الخارجية روسيا الى المعتمد البريطاني في جدة الكولونيل ولسن والمعتمد الفرنسي الكولونيل بريمون وقالا للامير عبد الله : كان عليكم ان تستشيروا حلفاءكم قبل ان تقدموا على اعلان الاستقلال . وموضوع الاعتراف الذي ترغبونه يدرس في لندن وباريس . وقال لهما الامير عبد الله : نحن نقاتل لاستعادة حقنا القومي ، فمن ساعدنا ويساعدنا فهو صديقنا ... واذا رأيتم اننا على خطأ فأنتم تضمرون لنا غير ما تعلنون . وانني انتظر رد حكوماتكم .(١)

(١) تقرير المعتمد الفرنسي بريمون الى وزراء الخارجية ١٩١٦/١١/٨ ، وانظر د. ابراهيم الشريقي: الثورة العربية الكبرى مرجع سابق، ص٢٦ .

٤- الثورة العربية الكبرى والولايات المتحدة الامريكية :

لم يكن للولايات المتحدة الامريكية اهتمام بالسياسة الدولية ، وخاصة في منطقة الشرق العربي ، ولم يكن لها مصالح تدعي المطالبة بنفوذ سياسي من اجل حمايتها اللهم اذا استثنينا بعض المصالح الدينية والثقافية في لبنان ، متمثلة بمدارس الارساليات التبشيرية البروتستنتية ، ولهذا فانها عندما نشبت الحرب العالمية الاولى بين الدول المتنافسة على التوسع الاستعماري ، وقفت الولايات المتحدة موقف الحياد منها ولم تعلن دخولها الحرب الابعد مرور ما يقرب من العامين على بدئها فعندما رأت بشائر النصر تلوح في افق دول الحلفاء اعلنت دخول الحرب الى جانبهم ضد المانيا وتركيا وذلك في شهر نيسان ١٩١٧م ولم يتح لها مجال للقيام بأعمال عسكرية مهمة وحاسمة (١) .

دخلت امريكا الحرب العالمية الاولى إلى جانب الحلفاء عندما أخذت بشائر النصر تلوح في الافق، ولما لم يتح لها القيام بأي دور عسكري يذكر فان أهميتها كانت لا تعادل حجمها المادي في مؤتمر السلم الذي عقد في باريس بعد أن وضعت الحرب أوزارها .

* * * * *

في الخطاب الذي القاه الرئيس الامريكي ولسن في مجلس الشيوخ في ٢٢ كانون الثاني ١٩١٧ قال « لا يمكن للسلام أن يدوم ولا ينبغي له ان يدوم ، اذا لم يمكن سلما قائما على المبدأ الذي يقول بأن الحكومات تستمد كل سلطاتها

(١) د. حكمت فريحات : الموقف الدولي من الثورة العربية، ص١٢٣وما بعدها .

الشرعية من رضى الشعب الذي تحكمه ، وأنه ليس هناك من حق يجيز تسليم شعب إلى سلطة أخرى .. كأنه متاع .اني أقترح قيام حكومة تقوم على اساس رضي الشعب وقبوله [1] . وبالاضافة الى نقاطه الأربع عشرة التي أعلنها في ١٨ كانون الثاني ١٩١٨ قال الرئيس ولسون في خطاب له في مجلس الشيوخ بتاريخ ١١ شباط ١٩١٨ما يلي: « لن يكون هناك ضم أراض ، ولا هبات ، ولا الحاق ضرر بقصد العقاب .. ان تقرير المصير ليس عبارة جوفاء . ان تقرير المصير مبدأ الزامي على السياسيين تطبيقه منذ الآن ويجب أن لا يتغاضوا عنه ، واذا فعلوا فخطورة الأمر تقع على كواهلهم .. ان كل تسوية اقليمية لها علاقة بهذه الحرب ينبغي ان تتم لصالح السكان المعنيين ومنفعتهم لا تتم كجزء من تعديل اقليمي ، أو كتوفيق بين المطالب المتضاربة التي تطالب بها الدول المتنافسة [2] »

لا شك أن كلام الرئيس ولسون جميل للغاية وعندما يقرأه الانسان يشعر أنه صادر عن فيلسوف صادق النظرة وليس عن رئيس دولة . وقد حاول الأمير فيصل أن يستفيد من موقف الرئيس ولسون في مؤتمر الصلح ولكن على ما يبدو أن كلام رئيس الولايات المتحدة الأمريكية كان في ذلك الوقت - ممنوعا من الصرف - هكذا لم يتح للثورة العربية أي دعم يذكر من الولايات المتحدة الامريكية باستثناء الدعوات الصالحة والكلام المعسول .

---

(١) راجع الاوراق المتعلقة بالعلاقات الخارجية الامريكية عام ١٩١٤ الملحق رقم (١) ، طلاس مرجع سابق .

(٢) مصطفى طلاس : الثورة العربية الكبرى ، ص٦٢٩ - ٦٣٠ ، وجون مايراد كينز : التبعات الاقتصادية للسلام ، لندن، ١٩١٩ ، ص ٥٤ - ٥٨ .

٥- الثورة العربية الكبرى وألمانيا :

دخلت المانيا في عقد اتفاقات ومعاهدات صداقة وتعاون مع الدولة العثمانية في اواخر القرن التاسع عشر وأوئل القرن العشرين ، وقد اصبح لها نفوذ واسع، وحصلت على امتيازات كثيرة ومتنوعة في الدولة العثمانية ، كان أهمها امتياز مد خط سكة حديد بغداد وفروع له وارتبطت الدولتان بمعاهدة دفاع مشترك ، فلما أعلنت المانيا الحرب على دول الحلفاء ، اضطرت تركيا لتنفيذ التزامها بالمعاهدة ، واعلنت دخولها الحرب الى جانب المانيا ، واصبحتا تشكلان محور دول المركز . ونظرا لعلاقة التحالف هذه فقد كان صدى الثورة العربية في المانيا أليماً للغاية واعتبرت القيادة الالمانية العليا الثورة في الحجاز خطراً على الخطة الاستراتيجية العسكرية التي وضعتها مع أنور باشا وزير الحربية التركي للعمليات الحربية في الجبهة الشرقية ضد الحلفاء ، ذلك ان الالمان كانوا يعلقون أعذب الامال على الرابطة الروحية التي تربط الشعوب العربية بالسلطان العثماني بحكم رابطة الاسلام ، وكانت تعتقد ان جميع المسلمين في مشارق الارض ومغاربها سيقفون صفا واحدا الى جانب تركيا وبالتالي إلى جانب ألمانيا ، وقد صرح بعض القادة الالمان في دمشق بخيبة أملهم بقولهم : « إننا لم نستمل الترك ، ولم نبذل لهم ما بذلناه ولم نتّحمل ما تحملناه إلا لأن الخلافة الاسلامية فيهم ولانهم موضع احترام مسلمي العالم بسببها ، أما وقد أضاعوا وفقدوا هذه الميزة بخروج الشريف عليها ، وهو أكبر زعيم مسلم ، وسليل أعظم بيت في الاسلام ، فالألمان سيعيدون النظر في مواقفهم ، ويسعون للتخلص من الترك ».

وقد اعتبر جمال باشا قائد الجيوش العثمانية في سوريا هو المسؤول الأول عن قيام العرب بثورتهم ضد الاتراك وانحيازهم الى جانب الحلفاء ، لذلك فان الامبراطور غليوم الثاني طلب من السلطان العثماني محمد رشاد في رسالة وجهها له في ١٧ تموز ١٩١٦ م أن ينسحب جمال باشا من سوريا ، وأن يعين بدلا منه حاكم جديد لتهدئة الوضع المتردي فيها ، وان يعين ضابط عربي نائباً له لكي يكسب ثقة العرب ، والعمل على التفاهم مع شريف مكة ومحاولة ارضائه في محاولة لحمله على التراجع عن تحالفه مع الانجلين، لان ثورتهم ستؤثر سلبا على سير عملياتنا الحربية ضد الحلفاء في منطقة الشرق .

وقد منعت الحكومة الالمانية الصحف من نشر أخبار الثورة العربية ، وطلبت من الحكومة التركية موافاتها ببيانات تفصيلية عن هذه الثوره . (١)

٦- الثورة العربية والحركة الصهيونية:

ربما يعتقد البعض أن قادة الثورة العربية الكبرى لم تكن لديهم رؤية واضحة مستقبلية عن خطورة الحركة الصهيونية .. والواقع أننا نقع في خطأ كبير آذا كنا نعتقد أن ما حققته اسرائيل كان بفضل تخطيط وتنظيم الحركة الصهيونية .. أنا لا أريد في هذه العجالة أن أقلل من أهمية الحركة الصهيونية وخطورتها على وطننا العربي ولكن أريد أن أقول : أن تحميل الأشياء فوق ما

(١) د. حكمت فريحات: الموقف الدولي من الثورة العربية الكبرى ، ص ١٢٥ – ١٢٦ وانظرد. علي محافظة : موقف فرنسا والمانيا وايطاليا ، ص٥٨ وما بعدها ، وحسن الخولي : سياسة الاستعمار والصهيونية ، ص٢٠٧ وانظر ص ١١٠ وما بعدها .

تحتمل هو الخطأ بعينه .. وبكلمة واحدة : إن الصهيونية كانت تعني قبل عام ١٩٤٨ انكلترا وهي تعنى بعد ١٩٤٨ الولايات المتحدة الأمريكية وقد اتضح للعالم أجمع أن الصهيونية كانت عاجزة عن دعم اسرائيل في حرب تشرين المجيدة ولولا الولايات المتحدة الأمريكية لانهدمت دولة اسرائيل على رؤوس مؤسسيها .. هذا من جهة ومن جهة ثانية لم يكن اليهود في مطلع القرن العشرين يشكلون عرقا متميزا نازياً كما يحاولون الآن بل كانوا أرباب تجارة همهم الوحيد الربح المادي ..... كما يذهب العماد مصطفى طلاس (١).

* * * * *

وهكذا رأينا نظرة الدول العظمى في تلك الفترة تجاه هذه الثورة الوليدة ، وهذه النهضة المباركة ، طالعنا بايجاز موقف بريطانيا وفرنسا ، وروسيا ، وامريكا ، والمانيا ،... كما أشرنا إلى خطر الصهاينة تجاه الثورة ، ورأينا كيف كانت تتصرف هذه الدول وفقا لمصالحها وأطماعها ، ووفقا لايجاد الوطن القومي لليهود ... إنهم يعرفون أهمية هذه الثورة ودورها في وحدة الأمة العربية والاسلامية ، ولذا كانت هذه المواقف العلنية والسرية تجاهها ، بل كانت محاولات احباطها وتغيير وجهتها التى نشأت من أجلها وناضلت ، وفي سبيل هذه الثورة

---

(١) تحدثنا بشيء من التفصيل عن هذا الجانب ، انظر : «جهاد الحسين بن علي في سبيل فلسطين» من هذه الدراسة .

* راجع العماد مصطفى طلاس : الثورة العربية الكبرى ، مرجع سابق ص٦٢٣–٦٣٠

فقد جلالة المنقذ الاعظم أمير المؤمنين الحسين بن علي ملكه وعرشه ونفي من وطنه !!

٢- دور الاردن في معركة مصير المشرق العربي :

الجدير بنا معرفته ان الاردن وليد الثورة العربية الكبرى التي هي الاولى في التاريخ الحديث قامت على اسمى المبادىء القومية . وقد ظهر الاردن على الخريطة السياسية - كدولة ذات كيان- عام ١٩٢١ وفي هذا التاريخ أقام الملك عبد الله بن الحسين الامير انذاك - اليد اليمنى لوالده الحسين صرح دولة تسستمد وجودها من مقوماتها الذاتية والوحدة الوطنية . وفي عام ١٩٢٣ اعلن الاستقلال وتلاه صدور اول دستور للبلاد عام ١٩٢٨ وبعد الحرب العالمية الثانية الغي الانتداب البريطاني عام ١٩٤٦واعلن تأسيس المملكة الاردنية الهاشمية .

والاردن بموقعه الجغرافي يشكل منطقة استراتيجية هامة في الشرق الادنى . وقد مر بمراحل تاريخية . وبحكم موقعه الجغرافي وانتمائه العربي فقد التزم بخط قومي يستمد من رسالة امة العرب وميثاق الجامعة العربية الذي وقعته الدول العربية السبع في القاهرة عام ١٩٤٦ وهي مصر والعراق وسوريا والاردن ولبنان والسعودية واليمن .

وتكشف الوثائق التاريخية الدور الذي لعبه الاردن خلال نصف قرن في المنطقة العربية حيث قاوم المد الصهيوني بما يملكه من امكانيات ، ودافع عن القضايا العربية وفي المقدمة القضية الفلسطينية التي هي قضية العرب الاولى .

دعم الاردن لتحرير سوريا

والجدير ذكره ان الملك عبد الله دعم الشقيقة سوريا للتخلص من سيطرة فرنسا . وتشير الوثائق الفرنسية الى دعم الاردن بالمال والسلاح للثورة السورية في جبل الدروز التي تزعمها سلطان باشا الاطرش عام ١٩٢٥ . ويقول الجنرال (ميشو) الذي قاد الحملة الفرنسية في عدة تقارير (ملف العمليات العسكرية) : المسلحون الدروز يتلقون المساعدات من الاردن الذي عليه يعتمد الدروز في تزويدهم بالسلاح والذخائر . وامير الاردن عبد الله بن الملك الحسين يعتبره السوريون نصيرهم لتحرير سوريا من الوجود الفرنسي . وهزمت الحملة العسكرية الفرنسية في المزرعة التي تبعد عن السويداء عشرة كيلو مترات . وكانت ضربة شديدة الوطأة على مركز فرنسا في سوريا ولبنان . ويقول الجنرال (اندريا) الذي تولى الفرقة الاولى في حرب جبل الدروز في تقاريره ١٩٢٦-١٩٢٧ اتخذ سلطان باشا الاطرش قائد الثورة ومعه عادل ارسلان ورشيد طليع والدكتور شهبندر (الازرق) في الاردن مركزا لادارة العمليات في الجبل وتجميع الاسلحة وتوزيعها على الثورات وفي قصر الملك عبد الله يلقون الترحيب والدعم... والحركات المسلحة ضد فرنسا في جبل الدروز وحوران والغوطة يقودها الجماعة المطالبة باخراج فرنسا من سوريا لضمها مع الاردن والعراق . وطلبت الحكومة الفرنسية رسميا في مذكرة الى وزارة الخارجية البريطانية ٤ نيسان ١٩٢٦ التدخل لدى الملك عبدالله – الأمير انذاك – لوقف المساعدات عن الثوار واخراج سلطان باشا الاطرش وجماعته من الاردن . وتلقى المفوض السامي البريطاني

في القدس تعليمات من حكومته لبحث الموضوع مع الملك عبدالله . وقال العاهل الهاشمي : والدي الملك الحسين رفع علم الثورة لتحرير بلاد العرب وتوحيدها . والشعب السوري يريد حريته والتخلص من سيطرة فرنسا التي لولاها لكانت الوحدة العربية تحققت . والدعم لتحرير سوريا نعتبره واجبا قوميا تمليه علينا عروبتنا . وان وجود سلطان باشا الاطرش واخوانه في الاردن ... فهم في بلدهم ولن يخرجوا منها ... ونرفض طلب فرنسا !!!

تلك الثورة في جبل الدروز نمت بذورها في اوساط الشعب في الجبل وفي انحاء سوريا منذ ان خرج الملك فيصل بن الحسين من دمشق . واستولت فرنسا على سوريا عام ١٩٢٠ . وفي تموز ١٩٢٥ تفجرت الثورة وقادها سلطان باشا الاطرش الزعيم الوطني واستمرت مشتعلة حتى حزيران عام ١٩٢٧ واستخدمت فرنسا لاخمادها قوات كبيرة مزودة بمختلف الاسلحة والطائرات . وتدخلت بريطانيا في آخر المطاف بناء على طلب الحكومة الفرنسية .

وعقد اجتماع بين ضباط من الفرنسيين والبريطانيين في درعا القريبة من الحدود الاردنية واتفق على ان يعود اللاجئون الدروز في مخيم الازرق وفي فلسطين الى الجبل بأمان ، وأن يعامل الذين حملوا السلاح معاملة انسانية ولا يتخذ بحقهم اي اجراء . واطلق على ذلك الاجتماع (تضامن بريطاني – فرنسي) لاستتباب الأمن ومنع وقوع حوادث وحماية الحدود المشتركة .

ولم يتوقف الدعم لسوريا . وتكشف الوثائق الجهود التي بذلها الملك عبدالله ودعمه للانتفاضات التي قامت في سوريا ١٩٣٦ و١٩٣٩ و١٩٤٥ للتخلص من الحكم الفرنسي [١] وكان على اتصال وثيق مع الزعماء الوطنيين ..، والى عمان يأتون للبحث مع العاهل الهاشمي اوضاع البلاد والاجراءات التي يجب اتخاذها لدعم الحركة الوطنية التحررية .

وقبل ان تدخل القوات البريطانية والفرنسية الحرة سوريا لطرد الالمان والفرنسيين (جماعة حكومة فيشي) في صيف ١٩٤١ استقبل الملك عبد الله (الامير آنذاك) الجنرال كاترو ممثل الجنرال ديغول رئيس فرنسا الحرة في عمان (١٥ نيسان) حيث جرت محادثات سرية بينهما حول الوضع في سوريا والحملة العسكرية المعدة للدخول الى سوريا . . وقال العاهل الهاشمي للجنرال كاترو: لقد حان الوقت لفتح صفحة جديدة لتوثيق العلاقات بين العرب وفرنسا ، والعرب اشتركوا مع الحلفاء في الحرب العالمية الاولى ليحصلوا على الاستقلال ولكن ذلك لم يتحقق وفرض الحلفاء على بلاد العرب الانتداب . واليوم تدور الحرب العالمية الثانية بضراوة وربما تكون اعنف واطول مدى من الحرب الاولى . ولتكسب فرنسا الحرة صداقة الشعب السوري وتوثيق العلاقات معه ينبغي ان يمنح ما يريده الا وهو الاستقلال . ورد الجنرال كاترو فقال : اعرف سوريا وسبق وخدمت فيها قبل سنوات مضت ، ولي اصدقاء ومعارف ، والسياسة التي ستمارسها

---

(١) ملف الرسائل ، زعماء سوريا والملك عبد الله .

فرنسا الحرة بقيادة الجنرال ديغول تنبع من المبادىء التي نؤمن بها وهي حرية الشعوب . وبعد ان دخلت القوات البريطانية والفرنسية الحرة سوريا واخرجت قوات حكومة فيشي دعا الجنرال كاترو زعماء سوريا الى عقد اجتماع استثنائي بدمشق (ايلول - سبتمبر ١٩٤١) واعلن باسم حكومة فرنسا الحرة انتهاء الانتداب واستقلال سوريا وتولي الشيخ تاج الدين الحسيني رئاسة الجمهورية .

بيان الملك عبد الله الى اهل الشام

كان الملك عبد الله متمسكا بالاهداف التي قامت لاجلها الثورة العربية الكبرى التي اعلنها والده الشريف الحسين عام ١٩١٦ وهي التحرير وتوحيد بلاد العرب واستقلالها . ومن ملف الوثائق السياسية والتاريخية نستخلص ما ورد في بيان الملك عبد الله الى اهل الشام (٣ ربيع - الثاني ١٣٦٢ - ٨ نيسان ١٩٤٣) : يا اهل الشام - حاضرة وبادية ومن خليج العقبة الى البحر الابيض المتوسط الى اعلى الفرات : ان العرب لم يكونوا في نهضتهم المثلى وثورتهم الكبرى دعاة فتنة او طماعية ، بل دعاة حق وحرية وسيادة قومية . وقد انتهت الحرب العالمية الاولى وللعرب حق جلي كتب بدماء الشهداء تحت اعلام البطولة والوفاء . وكان من نتائج الثورة في الحرب ان استقلت المملكة العراقية واستقل الحجاز الشريف ونجد واليمن ، ولم يبق على وضع ممزق وشمل مفرق سوى الديار الشامية ، نفكر بجمع شملها وتحقيق مثلها وتجهر ابدا انها بحدودها

الطبيعية وطن واحد تجمعه الوحدة القومية والجغرافية والتاريخية . وان الدعوة الى اتحاد الاقطار العربية هي اليوم قول فصل . واننا ندعو الى عقد مؤتمر عربي رسمي يذلل الصعاب ويهيئ الاقتراب ، وهي دعوة لتحقيق الأماني القومية – ووضع ميثاق اتحاد بلاد الشام لتتمكن سوريا الكبرى من وقوف امثل الى جانب اتحاد عربي عام . (١)

هذا بايجاز هو الموقف الدولي من ثورة العرب الكبرى، عرضنا فيه موقف بريطانيا وفرنسا وروسيا وامريكا وألمانيا واسرائيل، وذلك اعتماداً على دراسة العماد مصطفى طلاس، والدكتور حكمت فريحات، والدكتور ابراهيم الشريقي ... وغيرهم ، كما تناولنا دور الأردن في معركة مصير المشرق العربي ، ودعم الأردن لتحرير سوريا .

---

(١) للمزيد انظر د. ابراهيم الشريقي : الثورة العربية الكبرى ، مرجع سابق، ص٥٣-٥٦، وانظر د. سهيلة الريماوي: التجربة الفيصلية في بلاد الشام ص١١-١٧ ، ود. علي محافظة : العلاقات الاردنية البريطانية ص ١٩ – ٢١ .

الفصل العاشر

﴿ نتائج الثورة العربية الكبرى وأهـــم منجـــزاتهـــا ﴾

نتائج الثورة العربية الكبرى وأهم منجزاتها :

لقد أثرت الثورة العربية تأثيرا كبيرا على السياسة الأردنية ، وكانت نتائجها جد عظيمة ، ويلاحظ من سير الدراسة السابقة أننا لم نكتب تاريخا بقدر ما أردنا ابراز الجانب السياسي والفكري لهذه النهضة ، وحول هذا الفهم يقول بلال حسن التل : «لم نكن نؤرخ للثورة . فليس هذا قصدنا من هذا الكتاب . ولكننا وضعنا خطوطا عريضة ، لنستخلص منها كيف أثّرت الثورة فيما بعد على السياسة الاردنية .. ذلك التأثير الذي ظهر واضحا في الحس التاريخي ، الذي اتسمت به المسيرة الاردنية الوراثة للثورة الكبرى .. وهو الحسّ الذي أحيته لدى العرب ثورة الحسين بن علي ، وكان واضحا في كل توجهات الثورة وأعمالها . انها تريد احياء الدور العربي في التاريخ المعاصر . من هنا نستطيع فهم اصرار المسيرة الاردنية ، على ربط كل اعمالها بالتاريخ . واضفاء الامتداد التاريخي لها ، وربطها بالجذور القومية للامة حتى اصبح (التاريخ) .. العقيدة الاردنية المعاصرة التي تظهر جلية ، في اقوال وافعال ومواقف القيادة الهاشمية وتجسيدها اروع تجسيد ، تجاه القدس والاصرار على عروبتها واسلامها معا !» ومن هنا جاء اهتمام الشريف الهاشمي الحفيد الحسين بن طلال بالقدس ومقدساتها واوقافها ، وجاء اصرار القيادة الهاشمية على الولاية الدينية لبيت المقدس على الرغم من الاحتلال الجاثم فوق صدره . وقد بذل الأردن الغالي والنفيس من اجل فلسطين ، وقدم قوافل الشهداء تترى على هذه الأرض المباركة![1]

---

(١) انظر سليمان موسى : أيام لا تنسى ، الاردن في حرب ١٩٤٨ ، عمان، ١٩٨٢، حول هذا الموضوع، وقد رصد فيه الأستاذ سليمان أسماء الشهداء الاردنيين على ثرى فلسطين .

على أن أهم الآثار التي تركتها الثورة على المسيرة الاردنية ، هو الأثر الفكري وللعديد من الأسباب ، اعلنت الثورة قبل ان تتم استعدادتها وبرامجها ، وانشغلت فيما بعد الثورة بأزماتها السياسية ، فانصرف هم قادة الثورة والناس إلى حل هذه المشكلات ، الامر الذي ادى الى تضخم الدور السياسي، وطغيانه على كل جوانب الحياة الاخرى، ولقد ورث الاردن فيما بعد هذه المشكلة، فكان انصرافه لحل مشاكله السياسية، سببا في تحويله الى مؤسسة سياسية ضخمة .. ليس لغير السياسة مكان فيها ، ولقد ادى هذا الامر الى ان تفقد المسيرة الاردنية، رؤيتها الفكرية الواضحة، وبرامجها الاجتماعية المفصلة .. وان ظلت تحتفظ بالاطار الكبير للفكر العربي، المبنى على الاسلام . ولكنه اطار ظل بحاجة الى التفصيل الحياتي الذي يلائم واقع الناس وتوجهاتهم الفكرية .

وفقدان الفكر الاجتماعي ، نتيجة لطغيان الفكر السياسي في المسيرة الاردنية ، سببَ لها العديد من المشاكل .. اذ ابقى الساحة الاردنية خالية من الفكر المرتبط بالشارع .. في عالم تحكمه الايدلوجيات ، فاصبح الانسان الاردني عرضة لكل الافكار الواردة، يجربها ثم ينبذها . من هنا نجد ضرورة الاسراع في تنظير المسيرة الاردنية ، وبلورة القاعدة الفكرية لها ، حتى تنصب في اطارها كل المنجزات المدنية التي حققها الاردن، والتي تفوق الكثير من امكانياته (١) .

* * * * *

(١) انظر بلال التل : الاردن محاولة للفهم ، ص ٧٦ – ٧٧ .

أما عن نتائج الثورة المباشرة وغير المباشرة ، فيمكن ايجازها بما يلي :

استنتاجات عن الموقف الدولي من الثورة العربية :

لقد غدر الحلفاء بزعيم الثورة العربية وعملوا على سرقة منجزاتها وقد كانت بريطانيا خاصة ودول الحلفاء عامة مصممة على الغدر بالعرب ، وفي تاريخ العلاقات بين بريطانيا والعرب لا يمكن أن ترى فيها سوي العلقم والمرارة والخبث وسوء الطوية ، فقد تلاحقت صور الغدر والنفاق من دول الحلفاء تجاه العرب منذ مراسلات الحسين – مكماهون ، فمعاهدة سايكس –بيكو ، فوعد بلفور ، ثم سان ريمو ، ثم انزال العلم العربي الى استلام الفرنسيين لسوريا كما عرضنا في فصول سابقة .

ويمكن أن نستخلص من الموقف الدولي من الثورة العربية الكبرى الاستنتاجات التالية :

١– لقد كانت مصالح الدول الاوروبية في منطقة الشرق ، التي أصبحت تعتبرها حقوقا مكتسبة لا يمكن التفريط بها ، هي الموجه الحقيقي لسياسة تلك الدول تجاه الثورة العربية ، ففي الوقت الذي ترى هذه الدول أن مصالحها تفرض عليها مساعدة الثورة العربية الكبرى ، وفي نفس الوقت كانت ترى عدم السماح للثورة بالتطور الى شكل قد يضر بمصالحها في المنطقة !!

٢-ان التنافس الاستعماري بين تلك الدول هو الذي كان يدفعها لمساعدة الثورة العربية ففرنسا أعلنت مساعدتها للثورة وتأييدها لها خوفا من انفراد بريطانيا بالحظوة عند العرب ، وبريطانيا رأت ضرورة مساعدة الثورة في محاولة لتأمين طرق مواصلاتها في الخليج والعراق .

٣- كان موقف دول الحلفاء من الثورة العربية يتسم بالعداء في حقيقته وباطنه، وان كان في ظاهره يتسم بالتأييد ، يظهر ذلك من الرسالة التي بعثها وزير خارجية فرنسا المسيو بيشون لقناصله في أراضي الدولة العثمانية الداعية الى التظاهر بتأييدها ، والعمل في الخفاء للقضاء عليها !!

٤- لقد اتسمت سياسة دول الحلفاء بالغدر والنفاق ، يتضح ذلك من كثرة الوعود والاتفاقات التي كانت تقطعها للعرب ، والاتفاقات والوعود التي كانوا يعقدونها بشكل متناقض تماما مع الأولى ، واكبر دليل على ذلك النظر في بنود مراسلات الحسين - مكماهون ، واتفاقية سايكس - بيكو ، ووعد بلفور ، وتصريح هوجارث ... الخ .

٥- لم تكن دول الحلفاء جادة في تقديم المساعدات للثورة وان كل ما كانت تقوم به هو امدادها بالمساعدات التي تحافظ على استمراريتها في أشغال القوات التركية فقط .دون أن تسمح لها بتحقيق الانتصار الحاسم في أقصر الطرق .

٦- لقد كان موقف الحلفاء من الثورة سلبيا أكثر منه ايجابيا ، يظهر ذلك من عدم اعترافها بمنشور الثورة الا بعد تشويهه وبتره ، ومن عدم اعترافها بالمملكة ، وعرقلة مهمة الأمير فيصل في تمثيل العرب والتحدث باسمهم في مؤتمر السلم العالمي سنة ١٩١٩ .

٧- لقد كانت المساعدات والانجازات التي حققتها الثورة العربية للحلفاء أكبر بكثير من المساعدات التي قدمها الحلفاء للثورة . فبينما لم تتجاوز نسبة مساعدات بريطانيا للثورة ال ٣٪ من نفقاتها فقد كانت القوات التركية التي تحاربها الثورة اكثر من القوات التي تحارب الانجليز والفرنسيين على الجبهة الشرقية !

٨- كانت دول الحلفاء تحاول أن تنسق بين سياستها في مستعمراتها في شمال افريقيا ومصر والهند ، فهي تساعد قيام الثورة ايمانا منها ان ذلك سيمزق وحدة الدولة العثمانية ، وحتى لا يكون هناك خطر من جانب ولاء المسلمين في مصر والشمال الافريقي وسوريا ، وفي الوقت نفسه تحول بين هذه الثورة وبين أن تحقق نتائج ايجابية خصوصا في سوريا العربية .

٩- كان هذا الموقف لدول الحلفاء نتيجة لعدة عوامل متضاربة ، وهي : الخوف على مصالحها كل منها في منطقة نفوذها ، ورغبتها في اشغال الجيوش التركية التي دخلت الحرب ضدها ، وخوفها من تطور

الثورة العربية ، ففرضت عليها هذه العوامل اتخاذ موقف يقضى بمساعدة الثورة الى الحدّ الذي تشغل معه القوات التركية ، بشرط أن لا تشكل خطرا على مصالحها في المنطقة . (١)

* * * * *

إن اول منجزات الثورة العربية الكبرى كان ابراز القضية العربية الى حيز الوجود في ميدان السياسة العالمي وانتزاع اعتراف الدول الكبرى بها - كما اشرنا - لقد عالج العرب قبل الثورة العربية الكبرى قضايا الوطن العربي وكتبوا الكثير في شأن مصيره وفي علاقة العرب بالاتراك في السلطنة العثمانية ، ولكن ذلك كله كان خارج ميدان السياسة الدولي وغير معترف به من أية دولة . فقد كانت معظم الاقطار العربية ، كما نعلم ، خاضعة للدولة العثمانية كقسم لا يتجزأ من ممتلكاتها ، او مرتبطة مع بريطانيا بمعاهدة خاصة ، أو محكومة كمستعمرة ، أو كشبه مستعمرة تدعى تأدبا محمية أو تنوء تحت حكم اجنبي مباشر وتحسب قسما من رقعة الدولة الحاكمة . وجاء اعلان الثورة يكرس شرعية المطالب العربية وحقها في تقرير المصير واقامة دولة عربية تشمل أكثر المناطق التي كانت تخضع للدولة العلية . وثاني منجزات الثورة منبثق من اولها ، اذ جاء تكريس شرعية المطالب العربية بعثاً عمليا للفكرة العربية ووجهها الاسلامي بعد أن كانت حديثاً في المجالس والأندية السرية ، وأخذت الفكرة

(١) د. حكمت فريحات: الموقف الدولي من الثورة العربية الكبرى، ص ١٦٨- ١٦٩ .

العربية تتبلور حتى اصبحت عقيدة حية متطورة تتفاعل مع الاحداث وتكتسب الخبرة والقوة والمضاء ووضوح الصورة .

وثالثها اعادة وحدة العرب الروحية وخلق تاريخ قومي لم يكن له وجود أو شبه وجود منذ سقوط الخلافة العباسية في منتصف القرن الثالث عشر للميلاد عندما تداعت تلك الوحدة وتفتتت الى وحدات قطرية هيمنت على اكثرها عناصر غير عربية ، وكان من جراء ذلك ان اصبح تاريخ العرب تاريخ أسرٍ متنافسة وأقطار متصارعة لم توحد البتة الا تحت حكم العثمانيين الذين حكموا العرب باسم الدين وحاولوا في اواخر عهدهم أن يذوبوهم في بوتقة الطورانية بعد أن أخفقوا في صهرهم في البوتقة العثمانية ، واستقرت الفكرة العربية بعد الثورة العربية الكبرى وأصبحت شعار كل قطر واسرة وكل ملك ورئيس دولة ، يتبارى الجميع في ادعائها واعلانها وتمجيدها ، وحتى التخفي وراءها واستغلالها لاكتساب الشعبية ونشر النفوذ . أما أعظم منجزات الثورة شأناً وأبعدها أثرا فكان قيامها على يد أمير عربي مسلم ، آمن بعروبته كما آمن باسلامه ، واراد أن يستعيد للعرب حقا مغتصبا في تقرير المصير وفي المساهمة مساهمة حرة ، في بعث التراث العربي الاسلامي والسيادة العربية ، في البلاد العربية ، فلم يتردد في اعلا ن الثورة حتى في وجه الخليفة السلطان ، وكانت ثورته هذه ، اول ثورة ضد الخلافة العثمانية استهدفت الوحدة ، وشهر فيها شريف مكة سيفاً عربياً مسلماً في وجه الظلم والاستبداد (١)

(١) د. حسن ريان ومحمود طوالبه: مذكرة في تاريخ العرب الحديث ، ص٧١ .

وتعد الوحدة العربية من اهم مباديء الثورة العربية الكبرى التي ضحى من اجلها جلالة المغفور له الشريف الحسين بن علي ، دفع من اجل الايمان بها والدفاع عنها عرشه وسلطانه . ولم تكن الوحدة عنده شعارا ينادي به وغرضا استراتيجيا ووسيلة لغايات اخرى ، بل كانت مبدأ التزم به وأساساً رئيساً من أسس النهضة العربية الحديثة لم يحد عنه قيد أنملة.

ونرى الشريف حسين قد جعل البند الاول في مذكر ته الاولى التي وجهها الى الحكومة البريطانية في ١٤ تموز ١٩١٥ ، ينص على تحقيق الوحدة العربية في الشطر الاسيوي في الاقطار العربية ، والحدود التي وضعها الحسين تضمنت في داخلها اقطار سورية الطبيعية والعراق وشبه الجزيرة العربية ، وقد يسأل سائل عن اسباب اكتفاء الحسين بالاقطار الاسيوية دون الاقطار الافريقية من العالم العربي والجواب على هذا هو : إن الفكرة العربية كما نفهمها اليوم لم تكن قد تبلورت في الاقطار الافريقية ، ولم يكن هناك سوى قليل من اسباب الاتصال القومي بين العرب في اسيا والعرب في افريقيا اضف الى ذلك ان الاقطار العربية في افريقيا كانت حينذاك قد انفصلت باجمعها عن الامبراطورية العثمانية ووضعت تحت الاستعمار الفرنسي والايطالي والبريطاني قطراً بعد قطر !!

وقد تشربت نفس الامير عبد الله بمشاعر الوحدة العربية والاعتزاز بعروبته منذ كان صغيرا يعيش في استانبول بين اناس يعتزون بلغتهم التركية ويفتخرون بانتمائهم الى جنسهم فكان دائم الايمان بها والمنادي بتطبيقها وكانت اقواله تؤيدها افعاله فقد جاء من الحجاز ليقود الجيش العربي لطرد الفرنسيين من سوريا ويعيد إليها وجهها الهاشمي ولما استّقر به الأمر إلى الجزء الجنوبي من سوريا جعل مملكته موئلاً للمجاهدين السوريين وملاذا لاحرارهم والنازحين منهم ونقطة انطلاق للنضال القومي والزحف الوطني رغم معارضة السلطة المنتدبة . وقد افصح عن مشاعره نحو سوريا في مذكراته بقوله :

« .... ولشد ما ارقني التفكير في امر هذا الجزء الحساس من الوطن العربي ، فسوريا في اعتقادي هي سوريا الصحيحة ، سوريا الكبرى ، ديار الشام المعروفة في التاريخ .... وليست سوريا التي تعارف الناس عليها اليوم بمثل ما خطط المستعمر وجعلها هذا الجزء من سوريا – جزءها الشمالي فقط ... » ولا شك في ان الصفحات القليلة هذه لا تكفي لبيان موقفه الوحدوي وسأشير الى بعض قوة جوانب هذا الموقف في الوثائق المرفقة في ملاحق هذه الدراسة.

١– الزحف الى سوريا : حينما احتلت القوات الفرنسية سوريا ١٩٢٠ ، وسقطت الحكومة العربية فيها ، لبى الامير عبد الله نداء الواجب ، واستجاب الى دعوة احرار العرب في سوريا والاردن وتحرك على رأس قوة من الاشراف والمتطوعين الى معان في شهر تشرين الثاني سنة ١٩٢٠ لنجدة الحركة الوطنية الملتهبة في سوريا .

٢- اتخاذه الراية التي كانت ترفرف فوق ربوع سوريا في العهد الفيصلي راية رسمية للاردن .

٣- استعانته برجالات سوريا من مدنيين وعسكريين في اقامة دولة الاردن ، ويكفي دليلا ان اول رئيس وزراء للاردن كان المرحوم رشيد طليع وهو من رجالات سوريا المعروفين .

٤- رسائله المتواصلة الى ملوك العرب ورؤسائهم وزعمائهم وقادة الرأي فيهم يدعوهم الى تحقيق الوحدة او الاتحاد مع سوريا .

٥- مذكراته المتوالية الى بريطانية والدول الكبرى لرفع الجور عن سوريا وانهاء الاستعمار الفرنسي فيها والمطالبة بتأييد وحدتها وسيادتها .

٦- اتصالاته الشخصية والرسمية مع مختلف الجماعات والاحزاب ورجالات البلاد لتحقيق هذا المبدأ .

٧- فتح ابواب الاردن لاستقبال الوافديين اليها من احرار سوريا الشمالية والجنوبية وتوفير اسباب الراحة لهم وحمايتهم من مطاردة سلطات الاحتلال .

ولا شك ان هذه اللمحات المختصرة من مواقف الملك عبد الله بن الحسين القومية لدليل واضح على صدق ما كان يؤمن به من افكار وطموحات لبني امته يؤكدها صدق افعاله . (١)

لقد ركزت هذه الدراسة على الوجه العربي الاسلامي للثورة الهاشمية أما على الصعيد العربي القومي ، فان ثورة الحسين بن علي ، قد جسمت اليقظة العربية ، وحولتها من مجرد احلام .. الى واقع ملموس . ودفعت بالقضية العربية الى الساحة العالمية ، وبيدها ورقة غنية ، ارتكز عليها كل نضالها من اجل الاستقلال فيما بعد .. ذلك النضال الذي قاده في كل قطر .. رجال تتلمذوا في مدرسة الثورة ، فمن تلاميذها في سوريا . عبد الرحمن شهبندر .. والشيخ كامل القصاب ، وخالد الحكيم ، واسكندر عمون ، والشهابي ، والقوتلي ، ونبيه العظم، وخير الدين الزركلي ، وفخري البارودي ، وهاشم الاتاسي ، وهنانو، والجابري ، ومن العراق : ياسين الهاشمي ، وتحسين العسكري ، ومولود مخلص ، وطه الهاشمي ، وتوفيق السويدي ، واسماعيل نامق ، وثابت عبد النور... وغيرهم .

كما تتلمذ في مدرسة الثورة : رضا الصلح ، وعادل ارسلان ، ورياض الصلح ، ورشيد طليع ، وسعيد عمون ، وعوني عبد الهادي . وهكذا نجد ان الثورة احيت لدى العرب شعورهم وأحاسيسهم وأسمى أمانيهم في الوحدة

---

(١) محمد علي ذياب : عبد الله بن الحسين مؤسس المملكة – ص٤٤–٤٧ ، وانظر وحدة الضفتين في المرجع نفسه ص٤٩ وما بعدها . (١)وانظر دراستي: صحيفة الجزيرة الاردنية ١٩٣٩ – ١٩٥٤م ، ص ٣٥ وما بعدها .

العربية والاسلامية ، وقد أعادت هذه المدرسة الهاشمية للتاريخ دوره العربي المشرق .. .. [1]

هذه نتائج الثورة العربية وأهم منجزاتها على الصعيدين المحلي والعربي ؛ كما اشرنا الى التنافس الاستعماري على هذه المنطقة العزيزة الأثيرة، وقد اتسمت سياسة دول الحلفاء بالغدر والمماطلة والتسويف والوعود الكاذبة ... وابرزت هذه الثورة القضية العربية الى حيّز الوجود، كما أعادت وحدة العرب الروحية ومحاولة اعادة تاريخهم وتكوينهم الفكري والسياسي .

---

(١) انظر الاردن محاولة للفهم: مرجع سابق ، ص ٧٠ .

الخاتمة

هنالك نظرية لابن خلدون حول نشوء وارتقاء الحضارات ، وهنالك أمم وحضارات كثيرة مرت في هذه المنطقة ، حضارات سادت ثم بادت ، ... وما بعد الصعود إلا النزول ،... وهكذا بعد أن كان العرب والمسلمون اسيادا للعالم يحملون رسالة حضارية عظيمة رفعتهم إلى قمة المجد والرقي انحدروا وتهاووا ، وتداعت علينا الأمم كما تتداعى الأكلة إلى قصعتها ... وغطت الأمة في سبات عميق أفقدها القوة الذاتية وخيرية الرسالة .

كانت نهاية الدولة الايوبية سنة ١٢٥٠ م .بعد حكم دام ٦٣عاما . وقامت دولة المماليك في مصر . والمماليك ارقاء جلبهم ملوك البيت الايوبي من القوقاز وتركستان للخدمة في الجيش حيث تدربوا على فنون الحرب . واستولوا على مقاليد الحكم وأسّسوا دولة حكمت مصر وفلسطين وسوريا واليمن والحجاز واستمرت قائمة قرنين ونصف القرن الى ان قضى عليها السلطان سليم الاول العثماني عام ١٥١٧ واستولى على بلاد العرب ، وسمي بخليفة المسلمين .

هناك تاريخ طافح بالاحداث التي مر بها المشرق العربي ، وبصوته يحدثنا عن نظام الحكم العثماني ، وفساد الحكم في الولايات ، والثورة التي اعلنها الشريف الحسين بن علي امير مكة المكرمة في العاشر من حزيران سنة ١٩١٦ م . وكان شعارها الجهاد والتحرر والوحدة ، وعندما فجرها كانت بلاد العرب مقسمة الى ولايات حكامها من الاتراك العثمانيين . وفي عهدهم الذي دام اربعة قرون عاش الشرق في عزلة وتأخر في جميع الميادين الاجتماعية والثقافية والاقتصادية .

فتلك الثورة العربية الهاشمية هي ثورة أمة العرب التي يحتفل بذكراها الذين يقرأون التاريخ بامعان . وللتعريف والتمييز اطلق عليها المؤرخون وعمالقة الفكر اسم (الثورة العربية الكبرى) التي هي الأولى في التاريخ الحديث تفجرت بعد قرون طويلة عاشها العرب تحت سيطرة سلاطين الآستانة الذين تميز حكم بعضهم بالانحراف والاستبداد .!!

كانت ثورة على الظلم والاستبداد والفساد قادها أولاد الشريف الحسين (علي وعبد الله وفيصل وزيد) . وبعد ان حرروا الحجاز زحف جيش الثورة بقيادة الامير فيصل إلى بلاد الشام لتحريرها من الاتراك العثمانيين . وكان ذلك لأول مرة بعد أربعة قرون يرتفع في اجواء سوريا علم العروبة ! وبشهادة التاريخ ان الشريف الهاشمي لم يقدم على اعلان الثورة العربية الإبعد ان رفض الاتراك مطالب العرب العادلة ، وحولوا البلاد الى سجن رهيب ، وقتل جمال باشا الحاكم العسكري في سوريا وفلسطين عشرات المثقفين واعدام شنقا في دمشق وبيروت الطليعة الاولى من رجال النهضة العربية . وكان الهدف الرئيسي تحرير بلاد العرب وتوحيدها وقيام الدولة العربية الكبرى التي تضم سوريا وا لعراق والحجاز والاردن وفلسطين ولبنان . وقد تعهدت بريطانيا للشريف الحسين بتقديم المساعدات للتحرير والاعتراف باستقلال الدولة العربية الموحدة بعد الحرب . ووقف العرب الى جانب الحلفاء وحاربوا الاتراك والالمان .... وبعد ان تحقق النصر واستسلمت المانيا وانهارات الامبراطورية العثمانية طالب الشريف الحسين بريطانيا بتنفيذ العهد (الاتفاق المبرم عام ١٩١٦) والذي ينص عل

الاعتراف بالدولة العربية الموحدة . ولكن بريطانيا نكثت بالعهد وتقاسمت مع حليفتها فرنسا (التركة) . وكانت حصة فرنسا سوريا ولبنان ،أما العراق والاردن وفلسطين فكانت تحت الانتداب البريطاني .(١)

على أن نزعة الحرية والمطالبة بالاستقلال لم تخمد في نفوس العرب ، وكانت الثورات ، وكانت الحركات ، وكانت الجمعيات والمنتديات التي أشرنا إلى جانب منها . في حين نهض غيرنا وهضم حضارتنا واستلب ذاتنا وعدّنا من دول العالم الثالث ولو كان بمقدوره لأسمانا دول العالم العاشر !! وقد تساءل غير باحث : هل انتهت الثورة ؟ ... واقع الأمر أن الثورة لم تنته بعد ، وأن النهضة العربية لم يأفل نجمها بعد ، وهذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « الخير فّي وفي أمتي إلى يوم القيامة » ، وقد تناولنا هذا الجانب الهام في ثنايا البحث ،... فهذه النهضة العربية موجودة ما وجد العرب وما وجد بنو هاشم ، وهذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في حديث صحيح آخر : إن الله اصطفى من ولد ابراهيم اسماعيل ، واصطفى من بني كنانة قريشا ، واصطفى من قريش بني هاشم ، واصطفاني من بني هاشم » فهذه الثورة ، هي ثورة الثورات – كما اطلقنا عليها – وهي أساس معظم الاتجاهات الفكرية المعاصرة في القرن العشرين ويكون الباحث مجانبا الصواب وغير محق إن تناول التيارات الفكرية المعاصرة ولم يتناول النهضة العربية في مهادها وبداياتها ، وحول طرح السؤال

---

(١) انظر د. ابراهيم الشريقي: الثورة العربية الكبرى ، ص١٤ – ١٥ .

الذي ذكرنا : هل انتهت الثورة العربية ؟ يجيب الأستاذ الدكتور نقولا زيادة فيقول:

إن هذا الطرح يقتضي منا قبل كل شيء ، ان نعين نهاية للثورة العربية الكبرى . فهل هذا ممكن ؟ لعل هذا يصبح ممكنا إذا نحن اخذنا برأي الملك حسين بن علي الذي اشار به في رسالته الى السوريين من ان العرف هو واحد من الطرق التي يلجأ اليها لتعيين الامور ، او توضيح الحدود . وهنا تخطر لنا اسئلة متعددة ، منها : هل يمكن اعتبار « دخول دمشق » (ولم تقف الدولة العثمانية بعد هذه الحادثة على قدميها مدة طويلة) نهاية الثورة من حيث التخطيط لها وتنفيذها عسكريا ؟ أم هل تقل هذا الحد - نهاية الثورة - الى احتلال الفرنسيين دمشق والقضاء على الحكم العربي (الفيصلي) فيها (تموز / يوليو ١٩٢٠) ؟ ام هل نعتبر انشاء امارة شرقي الأردن (سنة ١٩٢١) نهاية للثورة ؟ .

هذا من حيث النظر الى الجزء الغربي من الهلال الخصيب ، فاذا اتجهنا شرقا فهل نعتبر ثورة العراق (في سبيل العراق) نهاية للثورة العربية الكبرى؟ ام هل نجد في تتويج فيصل ملكا على العراق (٢٣ آب / اغسطوس ١٩٢١) نهاية لهذه الحركة ؟ أم لعله مما يقتضيه « العرف » والمنطق ان نعتبر وفاة الملك حسين بن علي) سنة ١٩٣١ نهاية للثورة ؟ ويكون الباعث على اعتبار هذه الحادثة « حدّا » للثورة بسبب ارتباطها أصلا به - حماسة ودفعا وتنظيما !

بل هنالك سؤال آخر هو : هل كان للثورة العربية الكبرى نهاية في واقع الأمر ؟ .
هذه الأسئلة ، واسئلة اخرى غيرها خطرت للعاملين في الثورة ولمؤرخيها . والعاملون فيها – لها وضدها – لم يكونوا جميعهم عربا . كما ان المؤرخين للثورة العربية جاءوا من بلاد مختلفة ونظروا الى الثورة من زوايا متعددة – وقد تكون متضاربة ، ثم ان العاملين – او بعضهم على الاقل – من عرب واجانب ، جلسوا فيما بعد ودونوا مذكراتهم ، ثم تركوا الدنيا . اما المؤرخون فهم افراد وفئات تحاول النفاذ الى اسرار ما حدث بالتنقيب عن وثائق واسانيد ، بعد ان استنزف جيل واحد على الاقل من المؤرخين القصص والروايات عمن اشترك (ولم يكتب) او شاهد (ولم يدون) او سمع (ولم يقيد) . والثورة بلغت اليوم الثامنة والسبعين من عمرها (أخذاً بتاريخ اطلاق الرصاصة الأولى) . وهنا يجب ان نتذكر ان الكثيرين من الكتاب والمؤرخين عندما يكتبون عن امور سابقة واحداث مرت ، يقيسونها بمقاييسهم . وعندها تكون الاساءة للأحداث المدروسة كبيرة. بعد هذه الملاحظات نود ان نقرر ما يلي أولا – ان الحلفاء بقطع النظر عن الدولة ورجالها ، كانت لهم في المنطقة العربية مطامع ارادوا تحقيقها فساعدوا الحسين بن علي في ثورته ضد الاتراك . ولست اقصد بالمطامع تلك المرتبطة بالحرب العالمية الاولى بالذات ، بل بما كان في مخططاتهم البعيدة المدى . لذلك لما انتصروا اخذوا يخططون للوصول الى اهدافهم التي ترمي الى – السيطرة التامة على البلاد والعباد من حيث انها اسواق وطرق ! كما يرى الدكتور نقولا زياده .

ثانيا – فضلا عن هذا الموقف العام فقد كان هناك مواقف خاصة . أهمها – وابعدها اثرا بالنسبة للعرب – تصريح بلفور ، الذي قصد به ، من اول الأمر ان يؤدي الى خلق دولة يهودية في فلسطين .

ثالثا – لما تبين للعرب هذه المواقف – مواقف حلفائهم – لجأ بعضهم الى تذكير زعماء الحلفاء ورجال السياسة فيهم الى ان هذه الأفعال منافية للشرف . والبعض الآخر يناقشهم على أساس رسالة من فلان وتصريح من علان ووثيقة من الاثنين . والسياسة الأوروبية يومها (كما كانت دوما وكما ستظل كذلك) لا قيمة لديها لمثل هذا الكلام . والنتيجة العملية لهذا كله هو ان المشرق العربي مزقه الحلفاء وانتقل الحسين بن على الى رحمة ربه بعد ان رأى أحلامه وآماله قد عبث بها الدهر ، الا بقية منها في يد امير شرقي الأردن عبد الله وملك العراق فيصل . ومع ذلك فان الثورة العربية الكبرى – وهي اكبر حدث ثوري للعرب في مطلع القرن العشرين – تركت في الجو العربي آثارا كثيرة وكبيرة وإذا عدنا الى الملك حسين بن علي وجدناه . بعد ان تخلى عنه حلفاؤه ، يضطر الى معالجة الامور في الحجاز منفردا ، لكنه يرغم على التنازل عن عرش الحجاز والاستقرار في العقبة ، التي وصلها في أواخر تشرين الاول / اكتوبر ١٩٢٤ .لكن حتى هذه الاقامة لم تطل . فقد وجهت بريطانيا له انذاراً بضرورة مغادرة العقبة فغادرها في ١٨ حزيران / يوليو الى قبرص . اما السبب في تنازل الحسين عن ملك

الحجاز فهو رفضه قبول معاهدة مع بريطانيا . إذ اصّر الحسين على حقه في الدفاع عن قضية عرب فلسطين واعتبرها داخلة في نطاق البلاد التي وعدته بريطانيا باستقلالها . فقد رفض المعاهدة بعد مفاوضات استمرت اكثر من ثلاث سنوات ...[1]

* * * * *

إن مرحلة الثورة العربية الكبرى هي المرحلة التي شهدت أول تغيير « ثوري» جذري في تاريخ النضال العربي ضد الدولة العثمانية ، وقد انبثق هذا التغيير من قلب العالمين – العربي والاسلامي – من الحجاز ملتقى المسلمين ، وكانت « مكة » قد فتحت آفاقها أمام المسلمين ، وأمام القوى التحررية العاملة على نطاق الوطن العربي بعامة ، ومشرقه بخاصة . وكان لا بد لنداءات الثورة وتياراتها الفكرية من أن تنفذ الى الدول الإسلامية الأخرى والى المهجر ، لتحقق للنضال العربي – ولأول مرة في تاريخه الحديث – مستوى جديدا ومجيدا في قومية نطاقه ، (قومية الهدف وقومية الهوية ، وقومية الجيش وقومية القيادة). إذ تحددت وحدة الهدف العربي في أساسه ومضمونه ، ولم تقف ارادة التغيير للوصول الى الهدف عند القشور والمظاهر والشعارات والاصلاحات الهامشية ، ولم تقف الثورة خائفة أو مترددة أو سطحية بل أخذت تضرب بوعي الثوار وعزيمة الثورة في جميع الأسس المادية والفكرية والنفسية التي قامت بين

---

(١) انظر د.نقولا زيادة : أبعاد الثورة العربية الكبرى ، مرجع سابق ، ص ٦٥–٦٧

ظهراني الأمة العربية ، وليدة عهود طويلة ومظلمة عاشتها جماهير هذه الامة ، وبلغت ذروتها في عهد الاتحاديين الذين حاولوا تتريك الدولة ، واتباعهم مناهج متعددة تسيء للأمة العربية وتصيب مقومات وجودها وكرامتها ، كأمه يعتز بها احرار العرب الذين استطاعوا أن يؤكدوا تمييز أمتهم بين أمم الامبراطورية العثمانية ، تمييزا ينبع من خصال هذه الأمة ومن أن العرب هم حملة رسالة الاسلام الناطقين بالضاد ، لغة القران ، وكانت ثورتهم تحديا صارخا للدولة العثمانية خاصة عندما طالبوا بإقامة دولة العرب الموحدة في المشرق ، وما رسمته الثورة من توزيع السلطة والصلاحيات في داخل هذه الدولة العربية الاسلامية ووضع البرامج الاقتصادية والثقافية والعسكرية التي تسير عليها الدولة . أما التحدي الآخر ، فكان عندما طالبوا بأن تكون الخلافة لقرشي عربي، وتبين الثورة أنه :« من أعظم أنواع الخطأ الظن بأن القيام على هذه الفئة هو من قبل القيام على خليفة شرعي مستوف شروط الخلافة ، فليس منا من لا يعرف أحكام الشريعة» وقد طالب رجال الثورة أن يكون الحكم الفصل بينهم وبين من يخالفهم الرأي حول هذا الموضوع « الكتب الشرعية ، وما استفاضت به كتب المذاهب الفقهية والكلامية من مبحث الخلافة وشروطها ، والامامة وأحكامها »(١) فاكتسب هذا المنطق الثوري الجديد جماهير هائلة ، على مستوى الوطن العربي والعالم الإسلامي ، واستطاعت الثورة – بإيمان الثوار – أن تمزق جميع هالات القدسية التي نسجتها الدولة العثمانية حول الاسلام الرسمي للدولة العثمانية ،

(١) القبلة ، العدد الثاني.

فتجاوب مع الثورة شباب البوسنة والهرسك حيث أعربوا عن رضاهم بالاجماع عن عمل الشريف حسين أمير مكة المكرمة وأيدوا قيامه على « جون ترك » الذين سببوا خراب البلاد الإسلامّية وهلاك أهلها ، قائلين : « فلا يسعنا الا الهتاف للأمة العربية التي نهضت للدفاع عن حرمة الدين القويم ، ولاغاثة المسلمين وتأكيد مبادىء حرية الأديان والشعوب» كما استقبل مسلمو الهند قاطبة خبر نهضة جلالة شريف مكة بالمسّرة والحبور » وانهم يرفعون تمنياتهم المبروكة أن ينتصر على الاعداء ، كما أنكر علماء الهند وأساتذتها تتريك القرآن حسب الطريقة التي اتبعها الاتحاديون وذكرتها خلال البحث ، كما حسمت الثورة من خلال إعلامها وأدبياتها محاولة الاتحاديين تحطيم الشخصية الحضارية القومية للأمة العربية ، بأقسى الاشكال ، لهدر كرامة إنسانية الإنسان ، وأن الأمة العربية قد آمنت بأن الثورة أو النهضة هي السبيل الوحيد الذي لا سبيل سواه لانتقال الأمة العربية مما هي فيه بالواقع الى ما تريده قواها الاجتماعية المتحررة بالأمل لتؤكد الحقيقتين التاليتين :

١- حقيقة الوجود القومي للأمة العربية : كأمة واحدة ذات حضارة ورسالة.

٢- حقيقة امكانيات هذه الامة وطاقاتها الحضارية التقدمية الاسلامية .

وكان من أهم آثار الثورة العربية الكبرى ، تأكيد البعد الحضاري الإنساني لهذه المنطقة العربية بأكملها ، فقد تمسكت بالتراث والأصالة الحضارية ، في مواجهة التحديات الصهيونية والإمبريالية الهادفة الى طمس الحضارة العربية

الاسلامية ، وصمدت المنطقة في مواجهة هذه التحديات .[1]

وهذا رجل عسكري معاصر خبر المعارك ودرس الثورات المعاصرة وألف عدة كتب في هذا المجال ، يوجز لنا بعض الاشارات في ختام هذه الدراسة ، يقول العميد الركن قاسم محمد صالح :

١- . انطلق شريف مكة الحسين بن علي في ثورته العربية من ثلاثة مباديء أساسية تدور حول انتمائه الشديد لعقيدته الدينية - التي رفع رايتها جده المصطفى صلى الله عليه وسلم - وولائه الأكيد لعروبته- التي تشكل قبيلته بنو هاشم ذروتها وسنامها - وتفانيه واخلاصه لبلاده - التي كان قد مضى عليها حين من الدهر تحت سيطرة اجنبية باسم الاسلام حينا وغير الاسلام حينا آخر . وفي هذا المعنى قال شريف مكه: « انني أحب قومي وبلادي وديني اكثر من أي شيء في هذا الوجود واننا نحارب من اجل غايتين شريفتين هما حفظ الدين وحرية العرب عامة » بهذه الكلمات القلائل عبّر شريف مكة عن المعاني الكبيرة التي تمثلها ، وقطع الطريق على المتأولين والمخدوعين ببريق الشعارات الدينية التي زيفّها الاتحاديون الطورانيون لخدمة اغراضهم السيئة ونواياهم الخبيثة كشعار الدعوة للجهاد المقدس ضد الانجليز والفرنسيين وشعار مبايعة السلطان الجديد- المعين من قبلهم في

---

(١) الدكتورة سهيلة الريماوي : الاتجاهات الفكرية للثورة العربية ، مرجع سابق ٧٤-٧٦

ركيا - بالخلافة الدينية هذه الخلافة التي كان قد مضى على زوالها
ما يزيد على ستة قرون ونصف خلال الفترة بين (١٢٦٠- ١٩١٦) .

يكن شريف مكة يهدف من ثورته الكبرى مناصرة الانجليز
الفرنسيين ضد دولة السلطنة العثمانية فلم تكن هناك معركة بين
لديانتين الاسلامية والنصرانية في الوطن العربي كما ان الصورة
تي جاء بها الانجليز والفرنسيين في مطلع هذا القرن الى بلاد
لمسلمين لم تكن كتلك التي جاء بها اجدادهم صليبيو العصور
وسطى تطرفاً وجهالة بل جاؤوا وهم يظهرون للعرب مسلمين
حصارى أنهم منقذون محررون لا مغتصبين مستعمرين . وسواء أكان
هم دور في تأجيج الخلافات العربية العثمانية اولا فان هذه العلاقات
ن العرب والأتراك قد وصلت في مطلع هذا القرن الى درجة لا تسمح
لتواصل والاستمرار واصبح من الخير للعرب ان يحكموا أنفسهم
نفسهم كما اصبح من الخير للاتراك ان يدعوا العرب وشأنهم .

كان شريف مكة الحسين بن علي عظيما وهو يتحمل قدر امته
تولى زعامة ثورتها الشاملة كما كان عظيما وهو يضحي بسلطانه
وحه من اجل بلاده ووطنه . ولئن كان قد حقق للانسان العربي
يته القومية ووجوده الوطني والذاتي بين الامم والشعوب ، فلقد رسم
لريق للعرب بعده وعلمهم كيف يكون الانتماء للعقيدة والوطن والأمة

. ولقد كان شريف مكة صادق الوعد حيث قال : (إنني احب قومي وبلادي وديني اكثر من أي شيء في الوجود) ولقد جاد بسلطانه وحياته التزاماً ووفاء لهذا الحب الكبير . « قال تعالى : «من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا » . صدق الله العظيم .

٤ . لم يكن قرار شريف مكة باعلانه الثورة ضد الاتراك قرارا ارتجاليا فرديا بل كان يشكل مطلبا قوميا ودينيا وقد جاء معبرا عن مشاعر الأمة وأحاسيسها كما كان قائما على مبدأ الشورى باجماع الأمة نوابها وقادة الفكر والرأي فيها بالاضافة الى موافقة الزعماء المحليين في مختلف اقطارها في بلاد الشام والعراق والحجاز واليمن ونجد والخليج ومصر والسودان وليبيا . ومن الجدير بالذكر التنويه بأن المفاوضات التي جرت بين الانجليز وزعيم الثورة العربية الكبرى مثبتة في جميع المراجع والوثائق التاريخية .

٥ . ان قلة الوسائل وضعف الامكانيات العربية في مطلع هذا القرن وعدم وجود قوات عسكرية مدربة وعدم توفر الاسلحة والذخائر وغير ذلك من الامور الكثيرة التي تتطلبها الحرب كل ذلك كان يفرض على زعيم الثورة العربية الكبرى ان يعتمد على دولة قوية لمساندة وتعزيز قدراته في مواجهة جيوش كبيرة منظمة ومدربة ومجهزة بأحداث الوسائل

والمعدات في ذلك الوقت . لقد كان شريف مكة يرى في القاعدة الشعبية خير ناصر له ومعين في تحقيق الهدف الكبير كما كان يتطلع بأمل الى الضباط والجنود العرب في صفوف الأتراك حيث كان واثقا من سرعة استجابتهم لثورته والتحاقهم في صفوفها ولهذا فقد جرى الاتصال بهم عن طريق جمعيتي (العهد والعربية الفتاة) بوساطة الأمير فيصل.

٦. ان اشعال الثورة في بلاد الشام والعراق والحجاز في وقت واحد كان يشكل احدى الرؤى الاستراتيجية الملحة في ذهن شريف مكة ولهذا فقد طلب من الحلفاء النزول بقواتهم على شواطىء خليج الاسكندرونة لقطع خطوط التموين والامداد على القوات العثمانية الى الجنوب في بلاد العراق والشام والحجاز واليمن وهو بذلك يكون قد حقق هدفين كبيرين في وقت واحد هما : اضعاف القوات العسكرية التركية في خطوطها الدفاعية بقطع خطوط في الشمال، واجراء عمليات الاتصال والتنسيق مع القوات الصديقة بواسطة ضباط ارتباط كما هو النظام المتبع في الجيوش العصرية . وقد تم العمل بنجاح كبير خلف قوات العدو وخطوطها الدفاعية حيث تم تدمير الجسور الرئيسية المؤدية الى مناطق انتشار القوات المعادية . كما جرى تطبيق مبادىء القتال المستخدمة حاليا خلال الهجمات التي كانت تشنها قوات الثورة العربية ضد الحاميات العثمانية في مختلف عملياتها .

٧. لقد غدر الحلفاء بزعيم الثورة العربية وحاولوا سرقة منجزاتها لمصلحتهم وقد رفض اتفاقية (سايكس بيكو) بين فرنسا وبريطانيا والتي تقضي بانتداب فرنسي انجليزي على بلاد الشام والعراق كما رفض الانتداب الانجليزي على فلسطين وشرق الاردن وقد عرضوا عليه ان يكون ملكا على بلاد الحجاز مقابل اطلاق يدهم في بلاد الشام والعراق وفلسطين بحجة ان لهم مصالح في هذه المناطق فرفض ذلك مضحياً بسلطانه ونفسه في سبيل وطنه وامته وعقيدته ونفي الى قبرص وبقي في منفاه حتى انتقل الى الرفيق الاعلى وكانت وصيته ان يدفن في جوار المسجد الأقصى أولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين ومسرى جده المصطفى صلى الله عليه وسلم.(١)

* * * * *

إن حرص الهاشميين في الحفاظ على عروبة القدس تنبع اصوله من حادثة الاسراء والمعراج والعهد العمرية ، وهو عهد قطعه الهاشميون على انفسهم في بذل الغالي والنفيس في سبيل المحافظة على الطابع العربي الاسلامي لمدينة القدس ، والذي اكده الشريف الهاشمي الحسين بن علي طيب الله ثراه عندما ضحى بملكه في سبيل فلسطين والقدس وآثر أن يثوي جسده الطاهر في ثرى قدس الاقداس بجوار المسجد الأقصى – كما اشرنا غير مرة –

(١) انظر قاسم محمد صالح في رحاب الثورة العربية الكبرى ، ص١٤٢-١٤٤، وانظر الرؤية الاستراتيجية للثورة العربية من الكتاب نفسه ، ص ٦٤-٧٠

وها هو الحسين بن طلال حفظه الله ورعاه يبذل كل جهدممكن لاسترداد المدينة المقدسة والمحافظة على المسجد الاقصى متحدياً شامخاً معمراً أ حسن اعمار في وجه غطرسة الاحتلال ، وقد تجلى ذلك في الاعمار الهاشمي الثاني للمسجد الاقصى بعد حريق الاقصى الذي اشعلته سلطات الاحتلال سنة ١٩٦٩م والذي التهم ثلث المسجد ، وباعمار قبة الصخرة المشرفة بتبرع سخي من جلالته، وبأمر جلالته مؤخرا باعادة صنع منبر صلاح الدين الايوبي الذي احترق في الحريق المشار اليه . وقد نبّهت رسالة ملكية سامية موجهة الى اللجنة الملكية لشؤون القدس مسؤولية الامانة العلمية التي توجب بذل كل الجهود في اجراء الدراسات العميقة والقيام بدور اعلامي ثقافي توجيهي ، خدمة لقضية القدس وكشفاً لما تتعرض له من اخطار ومؤامرات وتحديات سداً للطريق على المخططات التي تبغي نزعها من ايدي العرب والمسلمين . ويأتي هذا التوجيه الملكي وهو يؤكد على أمانة المسؤولية وصدقها ليس طلبا للغنائم او للوجاهات او النفوذ أو رغبة لمصالح خاصة ومصالح فردية وإنما طلباً للحقوق : ، حقوق الأمة والحضارة والدين والتاريخ ، وحرصاً على مصالح الامة العليا ، ومن هنا فان مدينة القدس هي المرتكز الذي يجب ان يوحّد جهود المسلمين ويقرب بينهم لا ان يكون نقطة خلاف وتفريق ، فمن خلال القدس يتوحد المسلمون ويجتمعون لتحقيق اهدافهم وحماية حقوقهم .... وتوجه الرسالة آلية عمل اللجنة مما يضمن لها كل مظاهر الدعم والفاعلية والتنسيق مع مراكز البحوث والجامعات ليكون الفهم لقضية القدس فهماً عميقاً بعيدا عن الانفعالات والعواطف ويهدف الى المحافظة على

عروبتها واسلاميتها وما فيها من مقدسات اسلامية ومسيحية . وقد جاءت النقلة الكبيرة لعمل هذه اللجنة بتفضل حضرة صاحب الجلالة بأن يوكل أمر رئاستها لولي عهده الامين صاحب السمو الملكي الامير الحسن حفظه الله ، وسمو الامير بعلمه المتميز وثقافته الواسعة وغيرته الراسخة وعلاقاته وصلاته الدولية الواسعة سيثري مسيرة اللجنة بتوجيهاته ومتابعاته ، كما ان التوسع في عضوية اللجنة واضافة عدد من خيرة شخصيات العالم العربي والاسلامي لهي خطوة حكيمة جاءت لوضع العالم الاسلامي تجاه مسؤولياته نحو قضية القدس ، ولتؤكد على البعد العربي الاسلامي الشامل في التعامل مع هذه القضية وردا حازما على كل المحاولات التي تجري للتقليل من اهمية هذه القضية ، كما ان التشكيل لم يغفل دور المسيحيين في هذه القضية الوطنية والذين وجدوا عبر التاريخ الاسلامي الطويل كل رعاية وحماية على اساس التسامح والعدالة والمحافظة على الحقوق تنفيذاً للعهدة العمرية الخالدة . (١)

* * * * *

إن الشرعية القانونية - السياسية التي كانت تمثل القدس دوليا وعربيا ، ووطنيا ، حين تم احتلالها عام ١٩٦٧ تعود الى المملكة الاردنية الهاشمية ، فالقدس وما حولها - الضفة الغربية - كانت جزءا من المملكة الهاشمية اثر

---

(١) انظر تعقيب وزير الاوقاف والشؤون والمقدسات الاسلامية في جريدة الدستور ١٩٩٤/١/١٦.

مؤتمر اريحا ١٩٥٠ ، اى ان الجهة السياسية المخولة شرعيا بالتحدث باسم القدس هي حكومتنا الاردنية ممثلة بجلالة الملك الحسين ، وان ما حدث في «الرباط» عام ١٩٧٤ والذي تم فيه اعتبار « منظمة التحرير الفلسطينية هي الممثل الشرعي والوحيد للشعب الفلسطيني ،لم يتم تعميمه ليأخذ القدس ضمن شموليته ، بل إبقى لحكومتنا الاردنية الاشراف على مجمل الواقع الديني داخل مدينة القدس ، اي على مدينه القدس العربية باعتبار القدس أساسا هي مدينة دينية ، ومن يتولي الاشراف على الامور الدينية فيها هو الاحق والاولى بالاشراف علي مجمل واقع المدينة .

ان لجلالة الملك الحسين خصوصية تميزه ، وتضعه في موقع المطالب الشرعي بالمدينة المقدسة لاعتبارات شخصية اخرى اضافة الى الاعتبار القانوني السابق وهذه الاعتبارات نذكر منها :

أ - خصوصية الاسرة الهاشمية باعتبارها امتداداً للرسول الهاشمي عليه الصلاة والسلام ، ومن ثم احقيتها الدينية بالامارة والمسؤولية الدنيوية والدينية على بيت المقدس ، فالهاشميون هم عماد وجوهر القيادة السياسية لخصوصيتهم الاسلامية .

ب - ان جلالة الملك الحسين هو الوريث الشرعي للثورة العربية الكبرى والتي كان من اهم مبادئها قيام دولة عربية تضم ضمن ما تضمه بيت المقدس ، هذا الشعار ، ما زال ضمن الحلم القومي العربي ، الذي يتطلع العرب عموما ،

وعرب بلاد الشام خصوصا الى اقامته . وان تراجع الظرف الموضوعي والذاتي عن اقامة مثل هذا الحلم لا يعني التنازل عنه او الغاؤه وهذا ما يترتب عليه ضرورة استمرارية المطالبة ببيت المقدس باعتبارها احدى مرتكزات الحلم العربي المتعلق بأهداف الثورة العربية الكبرى .

جـ- الاهتمام الشخصي لاكثر من ربع قرن الذي أولاه ويوليه جلالة الملك الحسين لبيت المقدس ، ولعل آخر هذه المآثر هو تبرع جلالته الشخصي لاعادة ترميم الصخرة المشرفة كما سبق واشرنا .

د - تداخل الهمين الاردني والفلسطيني تداخلاً معيشياً يومياً بحيث اصبح من العبث عملياً اجراء فصل تعسفي بين الاردن وفلسطين ، واذا كانت السياسة بلعبها وتكتيكاتها تجبر هذا الطرف او ذاك على مواقف معينة ، واذا كانت الاستراتيجية الاردنية في هذا المجال السياسي المتمثل في مساعدة الشعب الفلسطيني على نيل حقوقه قد تطلبت « فك الارتباط » بين الضفتين فان الواقع المعيشي اليومي ، والتصورات المستقبلية في مجال الاقتصاد - والاجتماع ، والوحدة الثقافية التي تشكلت في هذه المنطقة كلها عناصر تؤكد حاجة الفلسطينيين الماسة لاستمرار التواصل مع الاردن ، وان ما قد تفرضه متغيرات الواقع السياسي من مواقف واراء تظل تحمل صفة « الراهنية » لانها تتناقض مع الواقع المعاش الذي يؤكد الوحدة البشرية - والثقافية أساساً -- بين الطرفين،

والقدس هي الرمز الروحي لهذه الوحدة . ان اتفاقية غزة اريحا اولا او ما يعرف باتفاقية اوسلو بين منظمة التحرير واسرائيل قد اجلت النظر في قضية القدس الى اشعار آخر ، وان فهماً ضمنياً يبدو من تصريحات رابين وبيريز بأن القدس موضوع غير قابل للتفاوض ضمن الاطار السياسي . وهذا يعني عدم وجود جهة شرعية فلسطينية يحق لها المطالبة بالسيادة على القدس في ضوء اتفاقية (اوسلو) ولكن هذا بالطبع لا ينطبق على الانظمة السياسية العربية ، ذلك ان للقدس خصوصيتها التي اشرت اليها سابقا ، وهي خصوصيتها الروحية واهميتها للعالم الاسلامي برمته . (١)

هكذا كانت الثورة ، وهكذا كان صاحبها وباعثها المغفورله جلالة المنقذ الأعظم الحسين بن علي ، صدق الوعد وصدق العهد في انتمائه لدينه وأمته ، وسار على نهج جده المصطفى صلى الله عليه وسلم وكذا سار ولده الملك المؤسس عبد الله بن الحسين على نهج والده وكان الاسلام العظيم ديدنه ومنهج حياته ، وبما انني ذكرت عدة أقوال ونصوص لأمير المومنين الحسين بن علي ، فانني سأكتفي بطائفة من الاقوال المأثورة لجلالة الملك المؤسس عبد الله بن الحسين في هذه الخاتمة التي ما أردتها خاتمة عادية مألوفة !! يقول المغفور له عبد الله بن الحسين .

– ما العرب الا بالاسلام . والثورة العربية التي قام بها والدي كانت ثورة حق للدفاع عن الاسلام .

(١) عبد الله رضوان: القدس والهاشميون، جريدة الرأي ١٩٩٤/١/٢٧ .

- إنني لا اتساهل مدة حياتي في أي اعتداء على شرف الانسانية ومخالفة الدين الحنيف .

- الاسلام عقيدة راسخة ، وتاريخ حافل وشجاعة قوية .

- والله ان الامة العربية لم تصل إلى ما وصلت إليه من الضعف والانحلال إلا بعد أن نبذ أبناؤها تعاليم الدين الحنيف ففسدت عقائدها وتدهورت أخلاقها .

- انني لم اترك فرصة تعزّز كلمة قومي وتقربني من رضاء ربي في جميع تبعاتي إلا انتهزتها لخير هذه البلاد.

- اليهود خطر دائم علينا قبل غيرنا من الاقطار العربية وأنا وشعبي واقفون لهم بالمرصاد .

- الله واحد والامة واحدة والقصد واحد .. والكفر والشرك والاقليمية أخوة من النار وإلى النار .

- ألا إن الشورى أصل من أصول الحكم عند العرب وقاعدة أساسية من قواعد الاسلام .

- وضع الاسلام أساساً : لا حكم إلا لله ولا عمل إلا بالكتاب والسنة . وبهذا جمع شتات العرب وأخضعهم للقانون الالهي .

-العرب أمة مبتكرة لا أمة مقلدة ، والعرب أمة توحي الى الغير ولا يوحى إليها .

-كل شيء مصيره للزوال ولا يمكث في هذه الارض إلا النافع ولا يصح إلا الصحيح ولا يرتفع في النهاية إلا منار الحق وان للباطل جولة ثم يضمحل !

- أنا لست بالجبان واذا وقعت مصيبة فلا بدّ لي من الموت . وهكذا اطلق الملك فيصل مقولته في دمشق الثورة «الدين لله والوطن للجميع » .

وتمضي المسيرة الاردنية الهاشمية عطاء وجهادا بقيادة جلالة الملك الحسين المعظم الذي نذر شبابه وعمره دفاعا عن فلسطين وأهلها ، بل دفاعا عن العروبة والاسلام في كل ميدان ، وفي كل رؤية ، وفي كل توجه .. فكان الأردن السد الذي يمنع العدوان من أن يصل إلى كل ديار العرب ، وكان عطاء سمو الامير الحسن بن طلال رافدا قويا بالدفاع عن القضية الفلسطينية بالفكر والقلم والحوار المسؤول ، وكانت كتاباته : « القدس دراسة قانونية ، لونغمان ، عمان ، ١٩٧٩ ،«وحق الفلسطينيين في تقرير المصير ، دراسة للضفة الغربية وقطاع غزة ، ١٩٨١ » و« السعي نحو السلام » مطابع الاهرام ، القاهرة ، « وملاحظات حول الأمن القومي العربي » وغيرها من المؤلفات باللغة الانكليزية ، وتعتبر بحق مراجع في العلوم السياسية والدراسات الاستراتيجية المعاصرة .

والأردن الذي يزهو فخرا بقيادته الهاشمية الملهمة تتجه إليه انظار العرب والمسلمين في كل مكان أملا بمستقبل واعد يحمل لأمتنا بشائر النصر والجهاد الدؤوب ، كما يزهو هذا البلد المرابط بتاريخه العريق وأمجاده ، يزهو بأرض الفتح والتحكيم [1] وانه لمن يمن الطالع أن يلتقي الفرع والأصل لقاء فروع الدوحة الهاشمية المباركة بأصولها المصطفوية ، يلتقي بنو هاشم الجد والوالد والابن والحفيد والسبط .. ويمكن للباحث أن يتناول بعض التوجيهات الاسلامية في فكر الحسين ، وذلك من خلال الخطب والكلمات والاحاديث التي تعتبر من الوثائق المهمة ، والتي تلقي الضوء على هذا الفكر ، وما فيه من التزام ، وانتماء ، لقيم الاسلام وعقيدته وشريعته السمحاء ، وفهم عميق لحضارة الاسلام ، ودعوة صريحة لوحدة الأمة ، ونبذ الفرقة ، وتنبيه ذكي للأخطار المحدقة ، والمؤامرات التي تحاك في الظلام وتمسك بالحقوق ، وعدم التفريط بها بأي شكل من الأشكال. [2]

---

(١) انظر « الهاشميون والقضية الفسطينية » مرجع سابق ، ص ٥

(٢) يقول الحسين بن طلال في ذكرى مولد الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم على سبيل المثال : واني اعجب من ان نضل ولدينا قرآن محمد وسنة محمد ، فلقد أعلن صلوت الله عليه وسلامه عهد الرشد الانساني ، ووضع اسمى المباديء وأدقها لمعالجة انحرفات النفس وانحرفات المجتمع ، وقد آن لنا ان نقتبس من ذكرى مولده عليه السلام الدروس والعظات ونسير الى الأمام ، صفوفا متراصة ، وجماعة متحابة لندرك المبتغى .... فأن من يطلب النصر على هدى من ايمانه ، وعلى ثقة بالأمة ، فالله مولاه ، والله ناصره ، وهو خير الناصرين .

انظر دراسة قدري النابلسي : الاتجاه الاسلامي في فكر الحسين مجلة هدي الاسلام ، المجلد ٣٠ . العدد الثاني ، ١٤٠٦هـ ، ١٩٨٦م وقد ركزت على الموضوعات التالية :

١- ايمان الحسين بأن الاسلام كان وراء النقلة الحضارية والتقدمية التي نقلت العرب من الجهل والتخلف عندما حملوا الاسلام .

٢- قدره الاسلام وتفوقه في اصلاح الواقع الانساني ، ومعالجة مشاكل الإنسان المعاصر .

٣- أثر الاسلام في وحدة الأمة ، ومواجهة التحديات والمؤامرات .

٤- ارتباط القدس وفلسطين بالعقيدة الاسلامية طريق التحرير والانقاذ .

هذا هو الاردن وهذه هي الثوره العربيه الكبرى التي حملت رساله الاسلام

هذا هوالاردن الذي يحمل على كاهله رسالة الثورة ، ... نحن أبناء الثورة وجند لثورة وينبغي أن نسير على النهج الذي أختطه الهاشميون في فكرهم ورسالتهم ومشروعهم النهضوي ، بل ينبغي على الاحزاب الاردنية والعربية المعاصرة أن تنهل من معين النهضة العربية ومبادئها القويمة . ،، نحن نحمل رسالة متميزة الى الاجيال القادمة، ولدينا المنطلقات والاهداف والرؤى الواضحة ... لقد أكرم الله سبحانه وتعالى ال البيت ، وظل الناس يفيئون الى بيت الرفادة والسقاية قال تعالى « ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما واسيرا »

صدق الله العظيم

هذا هو الاردن ... أرض الفتح والبطولات ، أرض مؤته / السنة الثامنة للهجرة – الموافق أيلول ٦٢٩م) ، وأرض اليرموك السنة الخامسة عشرة للهجرة الموافق (٢٠ آب ٦٣٩ م) ، وأرض حطين (سنة ٥٨٣هـ / ١١٨٧م) ... هذا هو الاردن أرض جعفر الطيار وزيد بن حارثة وعبد الله بن رواحة الانصاري ، وثابت بن أقرم البلوي ، والحارث بن عمير الازدي ، ... أرض القلاع الاسلامية : قلعة الشوبك ، وقلعة الكرك، وقلعة عجلون، وقلعة السلط، وقلعة الازرق، وقلعة العقبة... هذا هو الاردن ارض العلماء المسلمين من أمثال : يحيى بن فضل بن دعجان ، وابراهيم بن محمد بن يوسف الاربلي ، ويحيى بن عمر بن أبي القاسم ، وأحمد بن سليمان بن محمد الاربدي ،، واحمد بن محمد بن عبد الله بن ملك العجلوني ، وعمر بن محمود الكركي ، وشهاب الدين ابو العباس ، والقاضي

برهان بن شمس الدين ابو اسحق ابراهيم ، وتقي الدين الحصني وعبد الله بن خليل الرمثاوي ، وعمر بن حاتم العجلوني وعز الدين بن عبد السلام السعدي ، والشيخ العلامة برهان الدين بن محمد الشافعي ، ومحمد بن محمد بن خليل العجلوني ، وأحمد بن اسماعيل العجلوني الشهير ببيرس ... وغير هؤلاء كثير كثير !!

هذا هو الاردن ارض نهضة الحسين بن علي طيّب الله ثراه، أرض حفيد آل البيت الكرام ، ومنذ اللحظة التي توجه فيها قادة الثورة من أبناء المنقذ الاعظم الى بلاد الاردن وسورية والعراق تكون هذه الثورة قد دخلت مسارها العربي الاسلامي ، كيف لا وقد انطلقت من أرض ، الحجاز وباركها قادة العرب والاسلام في المشرق والمغرب ... وها هم الاحفاد يسيرون على نهج الآباء والاجداد .... إنهم «الهاشميون» وقد بذلوا الغالي والنفيس ، وآثروا المنيه على الدنية ، نفي من نفي وطورد من طورد ، واستشهد من استشهد ، فعلت الراية الهاشمية وعلا البنيان .. وهكذا ظهر الاتجاه الاسلامي واضحافي نهضة الحسين بن علي، كما حذا الخلف حذو السلف في اعمار بيت المقدس والمحافظة على الاوقاف والمقدسات الاسلامية ، كما ظهر في اعمار مقامات الصحابة رضي الله عنهم ورضوا عنه ، وقد لانت القناة لسيف بني هاشم وصقر قريش ، .. لانت الزعامة والقيادة لأهل الزعامة والقيادة من الُغّر الميامين ... عندها نقرأ سورة قريش بخشوع « لإيلاف قريش * إيلافهم رحلة الشتاء والصيف * فليعبدوا ربّ هذا البيت * الذي أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف * » صدق الله العظيم

المصادر والمراجع

المصادر والمراجع

١. القرآن الكريم

٢. صحيح البخاري

٣. ابراهيم الشريقي : الثورة العربية الكبرى دوافعها وحصادها ، منشورات المؤسسة الدولية (مؤسسة العرب) ، ط١ ، لندن ، ١٩٨٤.

٤. أحمد بن السيد زيني دحلان : أمراء البيت الحرام منذ أولهم في عهد الرسول (ص) حتى الشريف الحسين بن علي ، الدار المتحدة للنشر والتوزيع ، بيروت ، ط١، ١٩٨١.

٥.أحمد عزة الاعظمي : القضية العربية أسبابها مقدماتها ونتائجها ، ط١، بغداد ١٩٣٢ .

٦. أحمد قدري مذكراتي عن الثورة العربية الكبرى ، مطبعة ابن زيدون ، دمشق ، ١٩٥٦ .

٧. أديب خضور : الصحافة السورية نشأتها وتطورها ، دمشق ، دار البعث للصحافة والطباعة والنشر ، دمشق ، ١٩٧٢.

٨. اديب مروة : الصحافة العربية نشأتها وتطورها ، دار مكتبة الحياة ، بيروت ، ١٩٦١.

٩. أسعد داغر : ثورة العرب الكبرى مقدماتها وأسبابها ونتائجها ، وزارة الثقافة ، عمان ١٩٩١ .

١٠. أسامة يوسف شهاب :« صحيفة الجزيرة الاردنية : دورها في الحركة الادبية » ، ١٩٣٩ – ١٩٥٤ ، وزارة الثقافة والتراث القومي ، عمان ، ١٩٨٨.

١٠. أمين سعيد : الثورة العربية الكبرى ، ج١ ، مطبعة البابي الحلبي ، القاهرة ، ١٩٣٤.

١١. بلال حسن التل : الاردن محاولة للفهم ، دار اللواء للصحافة والنشر ، عمان ، ١٩٧٨ .

١٢. البنك العربي : مسكوكات العالمين القديم والاسلامي ، مصورة من مجموعة الدكتور نايف القسوس والدكتور خلف الطراونه ، عمان ، ١٩٩١ .

١٣. تيسير ظبيان : الطابع الاسلامي في ثورة الحسين بن علي ، مجلة الشريعة ، عمان.

١٤. تيسير ظبيان ورفاقه : الزوايا المشرقة في ثورتنا المباركة ، دار الكتاب الذهبي ، عمان ، ١٩٨٨.

١٥. جامعة الدول العربية : الوثائق الرئيسية في قضية فلسطين » المجموعة الاولى ١٩١٥ – ١٩٤٦ .

١٦٠ جميل عويدات اعلام العرب في القرن العشرين ، جامعة العلوم والتكنولوجيا الاردنية ، كتاب مضروب على الالة الكاتبة .

١٧٠ جورج أنطونيوس : يقظة العرب ، ترجمة احسان عباس وناصر الدين الاسد ، ط٢ بيروت ، دار العلم للملايين ، ١٩٦٦ .

١٨٠ حسن الحكيم : الوثائق التاريخية المتعلقة بالقضية السورية في العهدين الفيصلي والانتداب الفرنسي ، بيروت ، دار صادر ، ١٩٧٤ .

١٩٠ حسن ريان ومحمود طوالبه: مذكرة في تاريخ العرب الحديث، وزارة التربية والتعليم ، عمان ، ط٧ ، ١٩٨٣ .

٢٠٠ حسن محمد ناصيف : ماضي الحجاز وحاضره ، القاهرة ، ١٩٣٠

٢١٠ خير الدين الزركلي : الاعلام ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ط٩ ، ١٩٩٠

٢٢٠ خيرية قاسمية : الحكومة العربية في دمشق بين ١٩١٨ - ١٩٢٠ ، القاهرة، دار المعارف ، ١٩٧١ .

٢٣٠ ربحي عليان وصاحبه: دليل الدوريات الاردنية ، جمعية المكتبات الاردنية، عمان ١٩٨٢.

٢٤. زياد أبو غنيمة : جوانب مضيئة في تاريخ العثمانيين ، دار الفرقان ، عمان ، ١٩٨٣ .

٢٥. زين نور الدين زين ورفاقه : الثورة العربية الكبرى ، عمان ، ١٩٦٦ ، ذكرى مرور نصف قرن .

٢٦. ساطع الحصري : البلاد العربية والدولة العثمانية ، بيروت ، دار العلم للملايين ، ١٩٦٥

٢٧. ساطع الحصري : حولية الثقافة العربية ١٩٤٨ - ١٩٤٩ ، القاهرة ، جامعة الدول العربية .

٢٨. سعد أبو دية وعبد المجيد النسعة (عرض وتبويب وتعليق) الحسين بن علي / مبادىء ومواقف من خلال الوثائق المنشورة في صحيفة القبلة ١٩١٦ - ١٩٢٤ ، عمان ، المطابع العسكرية ، ١٩٩١ .

٢٩. سعد أبو دية وقاسم محمد صالح : الثورة العربية الكبرى / الجانب الفكري ، القيادة العامة للقوات المسلحة ، عمان ١٩٩١.

٣٠. سهيلة الريماوي : الاتجاهات الفكرية للثورة العربية من خلال جريدة القبلة ، منشورات لجنة تاريخ الاردن ، عمان ، ١٩٩٢ .

٣١.سهيلة الريماوي : التجربة الفيصلية في بلاد الشام ، وزارة الشباب ، عمان ١٩٨٨.

٣٢. سليمان موسى : صفحات مطوية (١٩٢٠ - ١٩٢٤) ، وزارة الثقافة ،عمان ، ١٩٧٧ .

٣٣. سليمان موسى : الحسين بن علي والثورة العربية الكبرى ، منشورات دار النشر ، عمان ١٩٥٧

٣٤. سليمان موسى : صور من البطولة ، وزارة الثقافة والتراث القومي ، عمان ، ط ٢، ١٩٨٨ .

٣٥. سليمان موسى : الحركة العربية (١٩٠٨ -١٩٢٤) دار النهار ، بيروت ١٩٧٠ .

٣٦. سليمان موسى : المراسلات التاريخية (١٩١٤ - ١٩٢٤)) ثلاثة اجزاء ، عمان ، ١٩٧٣ ، ١٩٧٥ ، ١٩٧٨ .

٣٧. سليمان موسى وصاحبه : تاريخ الاردن في القرن العشرين ، ط١ ، عمان ، ١٩٥٩.

٣٨. سليمان موسى : الثورة العربية الكبرى : رجال صنعوا التاريخ ، وزارة الشباب ، عمان ، ١٩٨٨ .

٣٩ . سليمان موسى : الثورة العربية الكبرى ، وثائق واسانيد ، دائرة الثقافة والفنون ، عمان ، ١٩٦٦ .

٤٠. سليمان موسى : أيام لا تنسى : الاردن في حرب ١٩٤٨ ، عمان ١٩٨٢.

٤١. سليمان موسى : وجوه وملامح : وزارة الثقافة والشباب ، عمان ،١٩٨٠ .

٤٢ سليمان موسى : مذكرات الأمير زيد ، مركز الكتب الاردني ، عمان ، ١٩٩٠ .

٤٣. سمير عبد الكريم الصالح : أوراق وصور وثائقية خاصة .

٤٤. شفيق جبري : نوح العندليب – منشورات مجمع اللغة العربية ، دمشق ، ١٩٨٤ .

٤٥ . عبد الكريم غرايبة : تاريخ العرب الحديث ، الأهلية للنشر والتوزيع ، بيروت ، ١٩٨٤ .

٤٦.عبد الله بن الحسين : الآثار الكاملة ، الدار المتحدة للنشر ، ط٣ ، بيروت ، ١٩٨٥ .

٤٧. عبد الله بن الحسين : الأمالي السياسية ، عمان ، جريدة الأردن ، ١٩٣٩.

٤٨.عبد الله بن الحسين : مذكرات الملك عبد الله ، القدس ، ١٩٤٥ ، منشورات مجلة الرائد باشراف المحامي أمين أبو الشعر .

٤٩. عبد الله بن الحسين : من أنا ، مطبعة الاستقلال ، عمان ، ١٣٥٩هـ .

٥٠. علي جـودت : ذكـريات (١٩٠٠ – ١٩٥٨) ، مطابـع الوفـاء بيـروت ، ١٩٦٧ .

٥١. علي مـحـافظة : الاتجـاهـات الفكرية في عـصـر النهـضـة في فلسطين والاردن، بيروت ، الاهلية للنشر والتوزيع ١٩٨٧.

٥٢. علي محافظة : الفكر السياسي في الأردن ، وثائق ونصوص ، ج١ مركز الكتب الاردني ، عمان ، ١٩٩٠

٥٣. علي مـحـافظة : الفكر الـسـيـاسي في الاردن ، ج ٢ ، ١٩١٦ –١٩٤٦ ، مركز الكتب الازدني ، عمان ، ١٩٩٠ .

٥٤. علي محافظة : تاريخ الاردن المعاصر ، ط١ ، عمان ، ١٩٧٣ .

٥٥. علي مـحـافظة : العلاقـات الاردنيـة البريطانية ، دار النهار ، بيـروت ، ١٩٧٣ .

٥٦. عـودة القسـوس : مذكـرات عـودة القسـوس (١٨٧٧ – ١٩٤٣) ، ثورة الكرك ١٩١٠ ، مخطوط

٥٧. غازي ربابعة : الهاشميون والقضية الفلسطينية ، وزارة الشباب ، عمان ، ١٩٨٨ .

٥٨. فائز الغصين : مذكراتي عن الثورة العربية . دمشق ، مطبعة ابن زيدون ، ١٩٣٩ .

٥٩. قاسم محمد صالح (عميد ركن) : في رحاب الثورة العربية الكبرى ، عمان ، ١٩٨٧ .

٦٠. قاسم محمد صالح وقاسم محمد دروع (تقديم وتحرير) : النهضة العربية الكبرى ، القيادة العامة للقوات المسلحة الأردنية ،عمان ، ١٩٩٠ .

٦١. قدري قلعجي : جيل الفداء ، دار الكاتب العربي ، بيروت ، ١٩٦٧ .

٦٢. المجمع الملكي لبحوث الحضارة الاسلامية ، مؤسسة آل البيت : صور من حياة المغفور له الملك عبد الله بن الحسين ، جمعية عمال المطابع التعاونية ، عمان ، ١٩٨٥ .

٦٣. محمد أبو صوفة : من أعلام الفكر والأدب في الاردن ، عمان ، مكتبة الأقصى ، ط١ ، ١٩٨٣ .

٦٤. محمد أحمد خلف الله ورفاقه :« القومية العربية والاسلام » ، مركز دراسات الوحدة العربية . بيروت ، ١٩٨١ .

٦٥. محمد عزة دروزة : القضية الفلسطينية في مختلف مراحلها ، صيدا المكتبة العصرية ، ١٩٥٩ .

٦٦. محمد علي ذياب : عبد الله بن الحسين مؤسس المملكة الأردنية الهاشمية ، وزارة الشباب .عمان ، ١٩٨٨ .

٦٧. مصطفى الشهابي : القومية العربية تاريخها وقوامها ، معهد الدراسات العربية العالية القاهرة ١٩٥٩ .

٦٨. مصطفى طلاس : الثورة العربية الكبرى ، منشورات مجلة الفكر العسكري ، دمشق ، ١٩٧٨ .

٦٩. ممدوح الروسان : حروب الثورة العربية الكبرى في الحجاز وبلاد الشام (١٩١٦ - ١٩١٨) مكتبة الكتاني ، اربد ، ١٩٨٦ .

٧٠. ممدوح الروسان : فلسطين في مراسلات (الحسين - مكماهون) ، عمان ، ط١ ، ١٩٩٠ .

٧١. نبيه أمين فارس : الثورة العربية الكبرى في الميزان / مشارك ، دراسات في الثورة العربية الكبرى ، عمان ، ١٩٦٧ .

٧٢. نقولا زيادة : أبعاد الثورة العرية الكبرى ، وزارة الشباب عمان ، ١٩٨٨.

٧٣. وجيه علم الدين : العهود المتعلقة بالوطن العربي (١٩٠٨ - ١٩٢٢) بيروت ، دار الكتاب الجديد ، ١٩٦٥ .

٧٤. وجيه كوثراني : الاتجاهات الاجتماعية والسياسية في جبل لبنان والمشرق العربي (١٩٦٠ - ١٩٢٠) ، معهد الإنماء العربي ، بيروت ١٩٧٨

٧٥. وزارة الإعلام : الأرن في التاريخ الاسلامي ، عمان ، ط ١ ، ١٩٧٩ .

٧٦. وزارة الاعلام : الصحافة الأردنية نشأتها وتطورها عمان ، الدار العربية للموسوعات بدون تاريخ .

٧٧. يوسف جميل أبو داهود : الثورة والنفي ، وزارة الثقافة ، عمان ١٩٩٢.

دوريات الجامعة الأردنية / عمان

المجلات :

١- مجلة الشريعة عمان ، العدد ، ٢٢٦ ، حزيران ١٩٨٤ رمضان ١٤٠٤هـ .

٢- مجلة الشباب ، وزارة الشباب ، عمان ، عدد خاص مصور عن جلالة الملك الحسين بن طلال ،العدد ٤٥ ، تشرين الثاني ،١٩٨٥ .

٣- المجلة الثقافية/ الجامعة الأردنية ، عمان ، العدد ٢٨، ك٢ ١٩٩٣.

٤- مجلة العمران / دمشق ، السنة ١٢، العدد ٣٨٢، تشرين الاول ، ١٩٠٨.

٥- مـجلة هدي الإسـلام ، عـمـان ، المجلد ٣٠ ، العـدد الثـانـي ،١٤٠٦هـ ، ١٩٨٦م .

٦- مجلة الهلال : القاهرة ، عدد خاص ، نيسان ، ١٩٣٩.

٧- النشرة العربية ، ملحق خاص ، رقم ٢ ، آذار ١٩١٨.

- الجرائد : -

١- جريدة القبلة ، مكة المكرمة ، ١٥ شوال ١٣٣٤هـ الموافق ١٥ آب ١٩١٦ - السـابـع من ربيع الأول ١٣٤٣هـ الموافق ٢٥ ايلول ١٩٢٤ / مـركـز الوثائق والمخطوطات الجامعة الاردنية .

٢-جريدة القبلة : مكة المكرمة ، العدد (٤) ٢٥ شوال ١٣٣٤ هـ ، ٢٥ / آب / ١٩١٦ م .

٣-جريدة القبلة ، مكة المكرمة ، العدد (٥) ٢٩ شوال ١٣٣٤ هـ ، ٢٩ / ٨/ ١٩١٦ م

٤-جريدة القبلة ، مكة المكرمة ، العدد (١٣) ٢٨ ذي القعدة ١٣٣٤ هـ ، ٢٦ / ايلول / ١٩١٦ م

٥-جـريدة القـبلة ،مكة المكرمـة ، العـدد (١٧) ٥ ذي الحـجـة ١٣٣٤ هـ ، ١٩١٦/١٠/١٣ م .

٦- جريدة القبلة ، مكة المكرمة ، العدد (٥٢) ١٩ ربيع الثاني ١٣٣٥هـ ، ١٣ / شباط / ١٩١٧ م .

٧-جريدة القبلة ، مكة المكرمة ، العدد (٥٨) ١١ جمادى الاول ١٣٣٥ ١٣٣٥ هـ ، ٦/ ٣/ ١٩١٧ .

٨- جريدة القبلة ، مكة المكرمة ، العدد (٨٢) الاثنين ٧ شعبان ١٣٤٢ هـ حزيران ١٩١٧ م.

٩-جريدة القبلة ، مكة المكرمة ، العدد (١٨٤) ١٧ شعبان ١٣٣٦هـ ، ٢٨/ ٥ /١٩١٨ م.

١٠-جريدة القبلة ، مكة المكرمة ، العدد (١٩٢) ١٦ رمضان ١٣٣٦ هـ ، ٢٥ / ٦ / ١٩١٨ م .

١١-جريدة القبلة ، مكة المكرمة ، العدد (٢٢٠) ٤ محرم ١٣٣٧ هـ ، ١١ /١٠ / ١٩١٨ م .

١٢-جريدة القبلة ، مكة المكرمة ، العدد (٢٧٤) ١٦ رجب ١٣٣٧هـ أيار ١٩١٩ م .

١٣-جريدة القبلة ، مكة المكرمة ، العدد(٣٠٦) ١٤ ذي القعدة ١٣٣٧هـ ، ١١ /٨/ ١٩١٩ م .

١٤-جريدة القبلة ، مكة المكرمة ، العدد (٣٠٧) ١٧ ذي القعدة ١٣٣٧هـ ، ١٤ / ٩/ ١٩١٩ م.

١٥-جريدة القبلة ، مكة المكرمة ، العدد (٤٣٢) ٢٩/ ١٠/ ١٩٢٣ م . ذو الحجة ١٣٤١ هـ .

١٦-جريدة القبلة ، مكة المكرمة ،العدد (٦٦٢) ٦ رجب ١٣٤٢ هـ ، ١١ / ٢ / ١٩٢٤ م .

١٧-جريدة القبلة ، مكة المكرمة ، العدد (٧٧٤) ، ١٨ شعبان ١٣٤٢ هـ ، ٢٤ / ٣ / ١٩٢٤ م .

١٨-جريدة القبلة ، مكة المكرمة ، العدد (٧٧٥) - ، ٢١ شعبان ١٣٤٢هـ ، ٢٧ / ٣ /١٩٢٤ م .

١٩-جريدة القبلة ، مكة المكرمة ، العدد (٣٠٨) ٢١ ذي القعدة ١٣٣٧ ، ١٨ / ٨ / ١٩١٩ م .

٢٠- الجريدة الرسمية لامارة شرق الأردن ، عمان ، ١٩٢٩- ١٩٤٦.

٢١- جريدة الجزيرة ، عمان ، ١٩٣٩ - ١٩٥٤

٢٢-جريدة العاصمة ، دمشق ، العدد ٨١ ، ١٤ / ١٢ / ١٩١٩ م .

٢٣-جريدة الرأي ، عمـان ، ٢٣ /٣ / ١٩٩٤ ، ١٣/ ٤/ ١٩٩٤م . ، ١٩/ ٤/ ١٩٩٤ ، ١٠/ ٦/ ١٩٩٤ .

٢٤-جريدة الدستور ، عمان ، ١٩ / ٤/ ١٩٩٤ ، ١٦/٩/ ١٩٩٤ م .

مصدر الصور و الوثائق

- ابراهيم الشريقي: الثورة العربية الكبرى دوافعها و حصادها، المؤسسة الدولية (مؤسسة العرب)
ط١ ، لندن، ١٩٨٤.
- ارشيف مركز الشرق الأوسط في كلية القديس انطون (سانت أنتوني)/ جامعة اكسفورد، لندن.
- ارشيف المجلة الثقافية / الجامعة الأردنية، عمان.
- سعد أبو ديّة وقاسم محمد صالح: الثورة العربيّة الكبرى، القيادة العامة للقوات المسلّحة / عمان ١٩٩١.
- سعد أبو ديّة وعبدالمجيد النسعة: الحسين بن علي، مبادىء ومواقف، المطابع العسكريّة / عمان ١٩٩١.
- سليمان موسى: الحسين بن علي و الثورة العربية الكبرى، دار النشر، عمان، ١٩٥٧.
- عبدا لله بن الحسين: الآثار الكاملة، الدار المتحدة للنشر، ط٣، بيروت، ١٩٨٥.
- علي جودت: مذكرات علي جودت الأيوبي، ط١ ، مطابع الوفاء، بيروت، ١٩٦٧.
- علي محافظة: الفكر السياسي في الأردن، مركز الكتب الأردني / عمان ١٩٩٠.
- قاسم محمد صالح وقاسم محمد دروع (تقديم وتحرير): النهضة العربية الكبرى، المطابع العسكرية / عمان ١٩٩٠.

- القاعة الهاشمية، الجامعة الأردنية، عمان.
- مجلة الشباب، وزارة الشباب، عمان، عدد خاص عن جلالة الملك الحسين بن طلال.
- المجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلاميّة /   ، صور من حياة المغفور له الملك عبد الله ابن الحسين، مؤسسة آل البيت، عمان، ١٩٨٢.
- مديرية المكتبات و الوثائق الوطنية، عمان.
- مركز الوثائق و المخطوطات / الجامعة الأردنية، عمان.
- مصطفى طلاس: الثورة العربية الكبرى منشورات الفكر العسكري، دمشق، ١٩٨٧.
- ممدوح الروسان : حروب الثورة العربية الكبرى في الحجاز وبلاد الشام (١٩١٦ – ١٩١٨) مكتبة الكتاني ، اربد ، ١٩٨٦ .

الفهرست

الفهرست

الموضوع	رقم الصفحة

الموضوع	رقم الصفحة

الموضوع	رقم الصفحة
الفصل الثامن : الاردن يحمل	
لواء الثورة العربية الكبرى	٢٩٧–٣٢٦
– نهج الثورة في الولاء لعامة المسلمين والدعوة الى الشورى	٢٩٩–٣٠٥
– الاردن يحمل لواء الثورة العربية الكبرى	٣٠٦–٣١١
– المشاركة الاردنية	٣١٢–٣٢٢
– الاردنيون يحركون الثورة على ارضهم	٣٢٢–٣٢٦
– الفصل التاسع :– الثورة العربية الكبرى	
والمجتمع الدولي	٣٢٧–٣٥٢
– الثورة العربية الكبرى وانكلترا	٣٣٠–٣٣٤
– الثورة العربية الكبرى وفرنسا	٣٣٤–٣٤٠
– الثورة العربية الكبرى وروسيا	٣٤٠–٣٤١
– الثورة العربية الكبرى وامريكا	٣٤٢–٣٤٣

الموضوع	رقم الصفحة

صدر للباحث

١- وسائل الاتصال الجماهيري في الاسلام ، دار المعرفة ، عمان ، ١٩٨٢

٢- نحو أدب إسلامي معاصر ، دار البشير ، عمان ، ١٩٨٥ .

٣- صحيفة الجزيرة الأردنية دورها في الحركة الأدبية ، وزارة الثقافة ، عمان ، ١٩٨٨

٤- جرش تاريخها وحضارتها ، دار البشير ، عمان ، ١٩٨٩ .

٥- بيبلو غرافيا الادب الأردني المنشور في صحيفة الجزيرة ١٩٣٩ - ١٩٥٤ ، جامعة اليرموك ، اربد ، مركز الدراسات الأردنية .

٦- مع صاحب « الملك عبد الله كما عرفته » مجلة الشريعة ، عمان .

٧- نشر عدة استطلاعات ودراسات مصورة عن الأردن في المجلات والصحف العربية .

٨- شارك في توثيق الأدب الأردني الحديث في مركز الدراسات الأردنية ، جامعة اليرموك ، اربد .

٩- شارك في مختارت القصة الأردنية القصيرة ، دار البيرق ،عمان ١٩٨٣ .

- عضو اتحاد الكتاب والأدباء الأردنيين / عمان .

الملاحق

ا-وثائق ونصوص

ب-صور وخرائط

العهدة العمرية

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا ما أعطى عبد الله عمر أمير المؤمنين أهل إيلياء من الأمان، أعطاهم أماناً لأنفسهم وأموالهم ولكنائسهم وصلبانهم، وسقيمها وبريئها، وسائر ملتها، لا تسكن كنائسهم، ولا تهدم، ولا ينتقص منها، ولا من حيِّزها، ولا من صليبهم، ولا من شئ أموالهم، ولا يكرهون على دينهم، ولا يضار أحد منهم، ولا يسكن بإيلياء معهم أحد من اليهود... وعلى أهل إيلياء أن يعطوا الجزية كما يعطي أهل المدائن، وعليهم أن يخرجوا منها الروم واللصوص، فمن خرج منهم فهو آمن على نفسه وماله حتى يبلغوا مأمنهم، ومن أقام منهم فهو آمن وعليه مثل ما على أهل إيلياء من الجزية، ومن أحب من أهل إيلياء أن يسير بنفسه وماله مع الروم ويخلي بيعهم وصليبهم فإنهم آمنون على أنفسهم وعلى بيعهم وعلى صليبهم حتى يبلغوا مأمنهم، ومن كان منهم من أهل الأرض.. فمن شاء منهم قعد وعليه مثل ما على أهل إيلياء من الجزية، ومن شاء سار مع الروم، ومن شاء رجع مع أهله فإنه لا يؤخذ منه شيء حتى يحصد حصادهم.

وعلى ما في هذا الكتاب عهد الله وذمة رسوله وذمة الخلفاء وذمة المؤمنين إذا أعطوا الذي عليهم من الجزية.

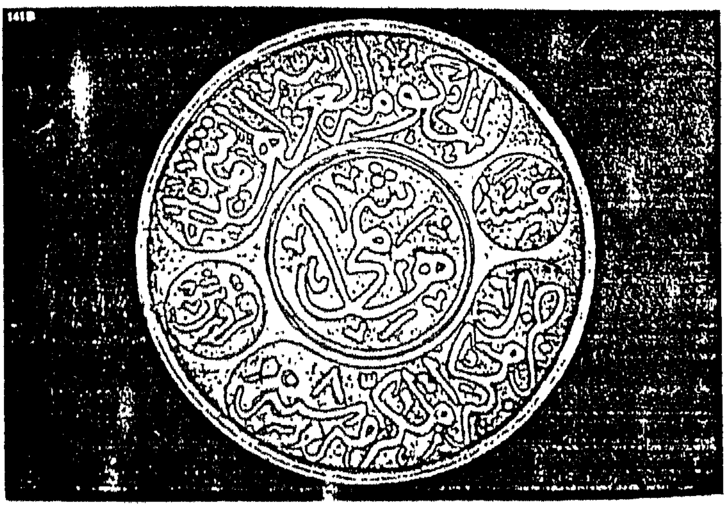
شهد على ذلك: خالد بن الوليد، وعمرو بن العاص، عبد الرحمن ابن عوف، معاوية بن أبي سفيان وكتب وحضر سنة ١٥ هجرية.

القبلة

الأنباء الأخيرة عن الحركات الحربية بجهات الطائف

حول فظائع الوهابية في الطائف


141A


141B

دينار المملكة السورية آذار/ مارس ١٩٢٠



منشور الشريف الحسين بن علي
الى سكان بلاد الشام يدعوهم
الى الالتحاق بالثورة
في ٢٠ ربيع الاول سنة ١٣٣٥ هـ
١٦ كانون الثاني ١٩١٧

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد الله عز شأنه،

إلى كافة من يراه من قبائل الشمال ونواحيه، حضريهم مع بدويهم، قرويهم وشواويهم. قد علمتم قيامنا وأسبابه الموضحة في منشورنا الاول والثاني، بما لا يبقي لنا حاجة لاعادة البحث عنه. فعليه قد أقدمنا ولدنا فيصل بن الحسين ليطارد أعداءنا واعداءكم ويذهب رجسهم. وعلى هذا فعلمي بحميتكم وغيرتكم على كيانكم الديني والقومي يغنيني عن كل قول. وقد حررت هذا أهديكم به أولا السلام وتحية الاسلام، وأعلمكم به بأني قد أقمت ابني فيصل المشار اليه مقامي، ليعمل فيكم بكتاب الله وسنّة رسوله، وما يجب على كل امرىء يتولى أمراً من أمور عباده، فاعتمدوه بعد الله سبحانه وتعالى، اعتمدوا كل ما يقركم عليه وينفذه بينكم، وقد أمرنا أن ينسخ صورة كتابنا هذا ويبلغه لكل من يراه من رؤسائكم وأفاضلكم. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

٢٠ ربيع الاول ١٣٣٥
شريف مكة وأميرها
وملك البلاد العربية
(الحسين بن علي)

افتتاحية

(القبلة، مكة المكرمة، العدد ١٨٤، ١٧ شعبان ١٣٣٦ هـ، الموافق ٢٨ أيار ١٩١٨ م)

﴿قل هل يستوي الخبيث والطيب ولو أعجبك كثرة الخبيث﴾

رأت الامم في هذا العصر ان الجامعة الجنسية والرابطة العنصرية من أقوى أسباب اجتماع الامم ومن أمتن روابط اتحاد الشعوب، فأخذت تعمل على إحياء الرابطة الجنسية وإيقاظ الشعور القومي بين أفرادها بطرق شتى ووسائل تختلف بحسب استعداد تلك الشعوب وأغراض حكامها وقادتها.

والواقع أن الجامعة الجنسية نوعان: نوع لا ينافي روح الدين ولا يخالف أوامره وهو ما كان الغرض منه ايجاد التحالف والاتحاد والتآخي واحياء روح التعاضد والتضامن بين أفراد الامة، على شريطة أن لا يتجاوز الى ظلم السوي والحاق الضرر بالغير، وهذا هو النوع المحمود الذي قامت على أساسه الدول العربية في صدر الاسلام، تلك الدول التي لاقى العالم بأسره على اختلاف أجناسه وأديانه كل راحة وهناء في عصور حكمها وأزمان سيادتها. وهذا هو النوع الذي ندعو اليه ونسعى لتحقيقه.

أما النوع الثاني وهو ما كان الغرض منه إحياء العصبيات الباطلة، وإيجاد روح الانانية الممقوتة في الامه، وإنماء حب الاعتداء على الغير في نفوس أفرادها، فقد جاء الدين الحنيف بالنهي عنه وتقبيحه وذمه. إلا أن ذلك مع الأسف لم يردع الطورانيين عن المناداة به والغلو فيه، مقلدين في ذلك ساداتهم الجرمانيين الذين وصل غلوهم في الدعوة الى الجامعة الجنسية الى درجة أن كتابهم وأولي الأمر فيهم أمطروا الشعب الالماني وابلاً من النظريات الخيالية والأراء المتطرفة، وأخرجوا له الالوف المؤلفة من الكتب والرسائل التي تدور حول الجامعة الجرمانية وقواعدها وأركانها وأغراضها ومراميها، التي منها سيادة العالم والسيطرة على الكون واستعباد كل أمة تحول دون الوصول الى أغراضهم وتقف أمام تحقيقها. وقد ساعدهم على

ذلك الملوك والحكام في المانيا لانهم رأوا في تلك الدعوة ربحاً لهم وتحقيقا لاطماعهم وآمالهم.

والناظر الى الطرق التي سلكها كثيرون من اولئك الدعاة، والاساليب التي اتبعوها في بث دعوتهم، يعجب جد العجب، من غرابة بعضها وبعده عن المألوف. ولا يكاد يصدق انها تجد لدى أمة متمدنة ميلا أو قبولا، اللهمّ إلاّ إذا كان من الموافقين للدكتور غوستاف لوبون في قوله إن شعور الجماعات ومداركها أحط بكثير من شعور الافراد ومداركهم. وإلاّ فأي عقل سليم يقبل مثل سخافات بعض الغلاة من دعاة الجامعة الجرمانية كعدّ جميع نوابغ البشر، على اختلاف اجناسهم، من الجرمان وفي جملتهم سيدنا عيسى.. كل هذا ليغرسوا في نفوس الشعب الالماني عقيدة أنه أرقى الشعوب وأشرفها، وأنه مصدر النبوغ والعبقرية وأنه لا يدانيه في مواهبه واستعداده وذكائه شعب من الشعوب، ولا تلحقه في رجاحة العقل وقوة المدارك أمة من الأمم، وبالتالي أنه الشعب المختار من الله سبحانه وتعالى لسيادة العالم والسيطرة على الكون.

وقد نسخ التورانيون في الاستانة على هذا المنوال، وجروا على هذه السنن في الدعوة الى الجامعة الطورانية، ولكنهم كانوا أغرب في دعوتهم وأكثر شذوذا، حيث بنوها على أساس يخالف تقاليد سلاطين آل عثمان، ويناقض مصلحة الدولة العثمانية ورغائب بيتها المالك، ومطالب شعوبها المختلفة الاجناس والاديان. وقد ظنّ دعاة الجامعة الطورانية ان في قدرة العنصر التركي وحده النهوض بأمر الدولة والقيام بأعباء الملك. وفاتهم أن ذلك ضرب من المحال في بلاد كالبلاد العثمانية تعددت فيها الاجناس والاديان واللغات والعادات، هذا عدا عن قلة عدد الشعب التركي وعدم كفاءة حكومته الحاضرة لادارة شؤون بلاده كما يقتضيه الحال. فقد ظنّ اولئك المتطرفون انه يمكنهم التغلب على تلك العقبات بتتريك العناصر العثمانية، فقاموا يريدون ان يمزجوا بهم تلك الاقوام الخاضعة لسلطتهم مزجا تاما ويجردوهم من صفاتهم القومية ومميزاتهم الجنسية بالعنف والاكراه، وذلك ما لا ترضاه أقوام مجيدة ذات تاريخ قديم ومفاخر قومية خالدة كالامة العربية...

فنحن معاشر العرب مدينون في يقظتنا للطورانيين.. أجل، إن تعنت الطورانيين وقحتهم الزائدة دعت حضرة صاحب الجلالة الهاشمية ملك العرب المفدى وقومه الكرام، الى العمل على إحياء الجامعة العربية، لتكون سدا حائلا دون تحقيق مطامع الطورانيين والجرمانيين، وسلما ترقى فيه الامة العربية الى الكمال الذي أعده الله سبحانه وتعالى لها من الازل.

هذا هو الباعث على إحياء الجامعة العربية وايجادها كم يعلم الناس أجمعون، فهي تخالف الجامعتين الجرمانية والطورانية من هذه الجهة، لان تينك الجامعتين لم يكن الباعث على إيجادهما غير حب التعدي واغتصاب حقوق الامم، كما هو معلوم عند الخاص والعام.

أما الاغراض التي ترمي اليها الجامعة العربية فهي لا تتجاوز إخراج العرب ـ بلا تمييز ـ من ظلمات الاستعباد الى نور الحرية، والعمل على ترقيتهم ماديا وادبيا بكل واسطة مشروعة وهي أغراض شريفة لا غبار عليها. *

* علي محافظه : الفكر السياسي في الأردن، وثائق ونصوص، مركز الكتب الأردني، عمان، ١٩٩٠

هذا منشورنا

نحن هيئة مجلس شورى الخلافة

الى كافة اخواننا مسلمي مشارق الارض ومغاربها نحمد الله اليهم ونصلي ونسلم على نبيه وآله وصحبه وسائر انبيائه ورسله صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين، ثم نحيط افضالكم باعتناء مولانا امير المؤمنين وامام المسلمين (جلالة الحسين بن علي) وحرصه وشفقته على الاسلامية وعلى شؤون معتنقيها اخوانه في الدين حتم عليه تشكيل هيئتنا المؤلفة من افاضل البلاد واتقيائها والمجاورين بها من اجلاء سائر البلاد الاسلامية بلا تفريق لتؤازره وتعاضده على القيام بكل ما تقتضي به الحالة المشهودة مادياتها ومعنوياتها. وعليه وعلى ما تلزمنا به صفته ولقب شورى الخلافة علاوة على فريضة النصيحة المحتمة على كل فرد من المسلمين لله ولرسوله ولاخوانه ابناء دينه بماله وبدنه وعمله — رأينا ايقاظ اخواننا مسلمي المعمورة مما يراد بهم وبدينهم الذين قضت حكمة قدرته الازلية وأبت الا ان يتم نوره ولو كره الكافرون، يتمثل لهذا عندما نتأمل توالي ما يقوله كثير من صحف الاجانب من ضرورة لغو فريضة الحج احد اركان الدين الخمس وتتبجح به صحف كالتي انقره وزعمائهم ومن هم على رأيهم وهذا خلاصة ما تقوله احدى الصحف الاجنبية (طالما ابدينا استياءنا من ذهاب الجاويين الى مكة للحج واصطحابهم نقوداً وافرة. وهل بذل الاموال الطائلة خارج البلاد مما يسوغ ان يعد قياماً بحق الانسانية، كلا فان من يرتكب هذا الصنيع انما يؤثر فقط خاصة نفسه ليتحصل على لقب حاج). وتقول احدى الصحف الاجنبية ايضاً (جاء اوان الحج وبدأ الناس يهرعون الى البلاد المقدسة يشيعهم الى الموانىء الجم الغفير من اصحابهم واقربائهم كل هذا لينالوا لقب حاج وان الواحد من هؤلاء الذاهبين يستسحب على الاقل الف روبيه هولندية من الفضة الصافية. فلأي شيء كل هذا، نرى كثيراً هؤلاء يكرسوا من المبالغ الجسيمة ما يكفيهم ان يعولوا حجاجاً وهم وان لم يكونوا كلهم من ذوي الاموال لكنهم بالاشتراك يمكنهم ان يشتروا مكرتهم ويسدوا حاجة المحتاجين منهم فانهم يستطيعون ذلك بالدراهم التي يبددونها في الحج). وهذه تبجحات زعماء الكماليين ومن على شاكلتهم بقولهم (ان جحودنا للدين الاسلامي هو امر خاص بنا نحن الاتراك دون سوانا فقد اصبحنا الان على تمام اليقين بان هذا الدين لم يخلق لنا ولم يخلق لاعتناقه نحن نعيش في اوروبا نعيش في منطقة شديدة البرودة باداه هذ الدين منذ قرون على التزام الطهارة والوضوء وغشيان المساجد خمس مرات في اليوم لاداء فريضة الصلاة والصيام فكانت تحصدنا الامراض الناجمة عن استخدام الماء البارد والتعرض لمثل البرد عند ارتياد المساجد معاناة شر الجوع اثناء الصيام وناهيك بتحريم شرب الخمر الذي لا حياة بدونه لسكان المناطق الباردة). انتهى.

هذا ما يقوله اقوام ولا حاجة لبيان ما وراء هذه المبادىء المجردة من كل حقيقة. واننا لنخل ونكبر ايراد ادنى دليل ديني على صحة مبادىء الدين الاسلامي امام من يجهل حتى ما في قوله تعالى: (وما جعل عليكم في الدين حرج) وكيف لا نقول باجلال واكبار ابسط حرف من اسطر نص ديني للرد على تلك الهذيانات والتلفيقات في اربابها وزعمائها الذين يجهلون الشمس المشرقة الناطقة ببطلان مراعمهم واثبات اعراضهم الا وهي الحرب الكبرى المنصرمة وتقول الصحف الاجنبية الاقتصاديات فيما يلزم الحجاج من المصاريف ولا سيما قولها بان الاجدر بالحجاج ان يبدلوا مصاريف الحج فيما يسد حاجة المحتاجين ويخدم الانسانية في بلادهم يظهر بطلانه بادنى تأمل فيما انفقه العالم في الحرب الماضية فلماذا اعتبرنا مصرف عموم الحجاج من حين مفروضية الحج الى اليوم لا نجده يوازي واحداً من مائة الف هذا من جهة ومن الاخرى يكفيهم ما في قوله تعالى: (ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا) فان فيه من البراهة ورفع الحرج ما يدفع كل ما يقال عن الدين وعن الحج خاصة من الواجهة الاقتصادية اما حوارج القرة ومن على شاكلتهم فستشهد على رد مراعمهم بالحرب المنصرمة بان من اهلكته واعدمته هذه الحرب هل كان ذلك من اثار الصلاة والصيام وغشيان المساجد ومع ذلك فنقول لهم ان احصائيات من اهلكتهم تلك الحرب تدل على ان لا تكون ضحايا مساجدكم ونحوها بالنسبة لها واحداً من عشرات الالوف. وهذا دليل بسيط كاف وان لما يعني ان قال من تلك المزاعم. ومع هذا فانا تلقينا مبتدعات بكل ايناس لتكون مصيرة لمن استرسل في مبادىء دينه وتقاليد اقوامه وركن الى تقاليد من اعماهم الجهل والشهوات عن ان يدركوا حتى ما في هذه المقايسة البسيطة فان رزء ذلك ومصابه في العالم هو من آثار مدارك الخلاصة من ابناء مدينتكم الحاضرة. لذا فلا يهمنا ما في تلك الاقوايل لانها مدحوضة بهذا المثال البسيط وانما الذي يهمنا هو تحذير اخواننا المسلمين من الاسترسال والتمادي فيما يسرع بوقوعهم فيما يراد بهم وبدينهم من آثار الاخذ بالتقاليد والاسترسال في اللذات والاهواء التي لا يكون وراءها الا ما يشاهدونه في كثير من اخوانهم انا لا نريد المنع عن اكتساب الفضائل والمنافع الحقيقية التي تكسب بلادنا وابناءها الرقي والتقدم الحقيقي ووفقاً لما تقضي به مشكلات بلادنا وعاداتها ومبادئها وتقاليدها كما لا نريد ان نخرج بهم الى ما يمس حقوق الغير او يعكس القضية. ولكن لا نريد ان تكون عاداتنا وتقاليدنا وعقائدنا وشرعيتنا مضغة في افواه الجهلة المتشدقين فان عقائدنا وشريعتنا هي اكبر من ان يدرك حقائقها امثال اولئك كما يعلم من اعتراف كثير من افاضل الامم قدروا تلك العقائد هذا هو الاساس وهو الحرص على ما يؤدي الى صيانتنا وصيانة ديننا من امثال تلك الهذيانات وان في غيرة الافاضل من ابناء ديننا في كافة انحاء المعمورة ما يسهل لنا معاشر المسلمين نيل الاغتباط والتنعم بتلك النتائج الشريفة راجين من فضائلكم ان يتبادل كل منا مع اخيه ما يؤمن حصوله على هذه

المصلحة المقدسة هذا على وجه الاختصار ولنا بعده مباحث اخرى وهو حسبنا ونعم الوكيل ومن كانت هجرته الى الله ورسوله فهجرته الى ما هاجر اليه.

دار الخلافة (مكة المكرمة)

ذي القعده /١٣٤٢هـ

حول تعمير المسجد الأقصى

ورد في القبلة عدد ٨٠٦ تاريخ ٢٦ ذي الحجة/١٣٤٢هـ الموافق ٢٨/ يوليو/١٩٢٤م المراسلات مع المجلس الاسلامي الاعلى حول تعمير الاقصى وهي على هذا النحو:ـــ

بلاغ رسمي من الديوان الهاشمي العالي

بناء على الاشعار الوارد الى السدة الهاشمية حرسها الله ـــ من المجلس الاسلامي الاعلى وخلاصته: ان وفود المجلس الاسلامي الاعلى التي وفدها الى الاقطار الاسلامية عادت بما يخالف الآمال والاعتقادات بالحصول على النتيجة المرغوبة المنتظرة بتدارك ما طرأ على المسجد الاقصى، اولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين، لم يرد من ان يستدعي ويستنجد بالملجأ الوحيدللعرب. وبلادهم وما احتوت عليه من المزايا المقدسة المادية والمعنوية. كما يعلم من محرره الوارد بادىء الذكر اعلاه وانما والمحرر الثاني الوارد مرفق الوفد الذي طلبه مولانا امير المؤمنين من المجلس العالي الاسلامي المذكور عند ورود افادته بادية الذكر ـــ ايفاد من المعتمده للمباحثة في موضوع التعمير. وما اعترى ذلك الاثر المقدس وعليه ولما حصلت النتيجة المطلوبة من قدومه وهي الفحص والتدقيق في الحادثة المذكورة وما يقتضي لها ـــ اذن مولانا امير المؤمنين بعودة الوفد واصدار البرقية الاتية الى المجلس رأساً وهذا نصها:ـــ

رئاسة المجلس الاسلامي الأعلى بالقدس الشريف

لقد عرض علينا التقرير بالكشف الذي جرى بخصوص تعمير ما حدث من اختلال مباني المسجد الاقصى المقدس. بحضور ولدنا (عبدالله) وقد تلقينا الايضاحات الشفاهية اللازمة ايضاً من وفدكم المحترم برئاسة الحاج سعيد الشوا ـــ لذا وللواجب المفروض فبمنه وكرمه تيسير مبلغ خمسة وعشرين الف جنيه افرنجي دون ان نكلف اي شخص بپارة واحدة من هذا المبلغ الذي من الباري به علينا في سبيل هذه المبرة، والايقان الله، والحق حق الله، والفضل والمنة له، وحده لا شريك له واملي في لطفه وعنايته التي عودنا جودها وكرمها كلما هو لي معي

ذلك ــ حصولنا على ماسيبقى لهذا الامر الخيري المهم، وان ولدنا المشار اليه سيستصحب هذا المبلغ والوفد المحترم معه ليجري وضعه في احدى المصارف بمعرفة الجميع ويكون امر الصرف حسب التعليمات التي ستبلغ اليكم. انتهى

١٤/ ذي الحجة/ ١٣٤٢هـ

وعقبه صدرت الارادة الهاشمية بالابراق بما يأتي الى المجلس المشار اليه وهذا نص البرقية:

رئاسة المجلس الاسلامي الأعلى بالقدس الشريف

فان علينا ان نشعركم في برقيتنا اليوم ان ولدنا (عبدالله) ومن معه سيبحر من جده الى العقبة في ٥/المحرم/ سنة ١٣٤٢هـ ومنها الى مقر حكومته

٢٤/ ذي الحجة ١٣٤٢هـ

وعقبه ايضاً صدرت البرقية الهاشمية الاتية وهي.

ارجوكم ان لا تكلفوا اخواننا المسلمين بالاعانة، دعوهم وحميتهم وما يلزم لباقي التعمير سيسره المولى بمنه وكرمه.

٢٥ ذي الحجة ١٣٤٢هـ

ولاعلام العموم بالواقع سيما بالنظر لنتائج الاجتماعات الاخيرة المعلومة مع افاضل وفود البيت الحرام وجب صدور هذا البلاغ في اول عدد يصدر من (القبلة) الغراء انتهى

رئيس الديوان العالي الملوكي

منشور سام في ذكرى البيعة الأولى

نشر في القبلة عدد (٨١٠) ١٠ محرم ١٣٤٣ ١١ اغسطس ١٩٢٤م

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله على آلائه، والشكر على نصائله ونعمائه، والصلاة والسلام على رسوله سيد الاولين والآخرين، وعلى آله وصحبه اجمعين

اما بعد ففي مثل هذا اليوم السعيد من عام النهضة المباركة اعلنت الامة استقلالها وبايعتنا بالملك علينا، تلك النهضة التي اولدتها العصور، واختتها الدهور، لامر قدره الله واراده، وجعل ظهوره على يد من اختاره من عباده، واختاره من عباده فحمده ونشكره على ما اولانا جميعاً من النعم وما صرف عنا من المحن والنقم على انا لم نبحث (كما اعلنا في منشوراتنا العديدة)

حرصاً على جاه او لملك اردناه، بل للدواعي الدينية، وما تحتمه احكامها الجليلة القدسية، وتكائف المهالك والاخطار على البلاد والدار ، ولسان التظلم وطلب الحق من امتنا وتتذ تخطي حد القول، وحرج لاسترداده بالحول والطول، مما كان ينجلي منها فعلاً في بعض النواحي العربية بحد القلبى، وفي سائر الاقطار بما كان يدور في كل مجتمع ومنتدى، وكان ما كان (مما ابتته ولا تزال تثبته الحوادث) بعد الاتكال على الله والالتجاء اليه — هرباً من المسؤولية الدينية ومسؤولية المطالبة بحق شعبنا المظلوم، وحرمة بلاده الممتازة بتشكلاتها الطبيعية، اهمها واعظمها قدسيتها منذ مبدأ العالم علاوة على المخاطبات والالزامات الواردة الينا حينذاك من قادة وزعماء شعبنا الكريم في عموم انحاء الاقطار العربية المعلومة الحدود فضلاً عن وفودهم التي كانت بين ايدينا الراعية في اسباب السلامة من المخاطر المشهودة والعزم على المثابرة والاستمرار للوصول الى الغاية (التي ينشدها ابسط الشعوب المجردة من ابسط صفة امتاز بها العرب وامتازت بها بلادهم) بصورة لا تكون خطراً على اي امة كانت او اي شعب كان، ولا تمس ابسط حقوقه واحتراماته باي شكل او حس او شعور مع احترام حقوق من جاورنا ممن يتاخمنا من الأمم والدول. وقد ثبتت ولله الحمد صحة رأينا واصابة وطننا بتحقيق الغاية وحصول النتيجة التي هي من جملة ما يعجزنا اداء شكره لله عز شأنه من النعم التي من بها على البلاد واهلها، ادناه خجل من كان يرمينا بالمساوىء كقولهم اننا شققنا العصا، وفرقنا الكلمة، يظهر خجل من ذكر جلياً مما اثبتته حسن النية وخلوص الطوية من تجلي الحقائق الناصعة بما تبين اخيراً للعالم اجمع في الدولة العثمانية من الانقلاب الذي لم يبق محلاً لقول قائل، ولا حجة لمبطل مخاتل، واقام البرهان الجلي لاهل المشارق والمغارب كافة ان عملنا كان خالصاً لله وفي سبيله وابتغاء مرضاته. هذا من جهة ومن الاخرى منه جل شأنه بما قضت به حكمته الازلية وعنايته الربانية من إسناد الخلافة الاسلامية بالبيعة العامة التي لاتزال تتوارد من اخواننا المسلمين في سائر الاقطار — الامر الذي لا يسعني ازاءه الا الالتجاء الى احديته الصمدانية، وقدرته الربانية ان يديم الطاقة بنا، وتوفيقاته لكل ما يحبه ويرضاه. اهمها قياما بواجبات هذه الوظيفة المقدسة الشريفة التي لا تجهل مهامها ومقتضاياتها بالنسبة للحالة المشهودة في العالم الاسلامي. ولا شك ان شعور جهابذة بل وعامة من حصر حجما هذا من افراد الأمة الاسلامية كافة بمظاهر رضاهم عن البيعة بالخلافة الاسلامية وتأييدهم وقبولهم لها — دليل على اعتقادهم مكانة عملنا ورضاهم عن مبدأنا. فالله نسأل التوفيق لاتمام اسباب نهضتنا المؤسسة على الحقيقة المجردة بعونه وعنايته عن الاهواء والاغراض والمقاصد الذاتية، كما يشهد به عن الاذن وقوف احادنا عند ملوعيهم منتهى حدود البلاد الشمالية — حالة ان حربنا اذ ذاك لم تزل قائمة على ساقها وقدمها. ونقول لمن سيرمينا بقوله (ماذا كانت النتيجة من ذلك) بان ستظهر لك الايام عين الحقيقة التي اخجلت من كان يرمينا باننا شققنا العصا وفرقنا

منشور أمير المؤمنين

نشر في القبلة عدد (٧٧٥) تاريخ ٢١/شعبان ١٣٤٢هـ الموافق ٢٧/مارس ١٩٢٤م

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، الرحمن الرحيم مالك يوم الدين اياك نعبد واياك نستعين اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين انعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد عبده ورسوله افضل الصلاة والتسليم، وعلى آله وصحبه وكافة انبيائه ورسله صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين.

اما بعد فاني اسأله الرأفة والرحمة بعباده والهداية والتوفيق لهم، وان يجعلنا هادين مهتدين غير ضالين ولا مضلين، فانه هو البرُّ الرحيم والمنان الكريم، ثم انه لما كانت الامامة الكبرى والخلافة العظمى نظام عقد الامة وسد قوام الملة، وكان امر صيرورتها وكيفيتها وما جرى فيها مدوناً ومنقولاً عمن تلقينا عنهم ديننا، وكان كل ما جرى من بعد عهدهم السعيد في كيفية حقوقها وصلاحيتها وسائر معاملاتها الى يومنا هذا موضحاً في تواريخ العالم الاسلامي وسيره المعتبرة، فاقدام حكومة انقرة بما اقدمت عليه على ذلك المقام الكريم كيفما كان شكله — جعل اولي الرأي والحل والعقد من علماء الدين المبين في الحرمين الشريفين والمسجد الاقصى وما جاورها من البلدان والامصار يفاتحونا ويلزمونا ببيعتهم بالامامة الكبرى والخلافة العظمى حرصاً على اقامة شعائر الدين وصيانة الشرع المبين، اسقطه لعدم جواز بقاء المسلمين اكثر من ثلاثة ايام بلا امام كما يفهم صراحة من توصية الفاروق الاكرم رضي الله عنه لاهل شورى البيعة بعده كيفما كانت صيغة تلك الامامة وأشكالها الى الان.

وعليه ولما كانت المملكة الهاشمية والقطعة المباركة الحجازية مهد الاسلام ومحل ظهوره ومطلع نوره وكانت مصونة بعنايته تعالى من كل شائبة في حالتيها السابقة والحاضرة ولا سيما العمل فيها باحكام كتابالله وسنة رسوله بجميع خصوصياته وعمومياته وانطباق حكم البيعة المشروعة من المبايع والمبايع له انطباقاً لا يتصور حصوله في اي مملكة اخرى في الوقت الحاضر — كان حقاً علينا اجابة ذلك الطلب الديني المشروع بعد الاتكال على الله سبحانه واستمداد روحانية نبيه ﷺ لذلك قبلنا البيعة متوكلين عليه عز وجل مستمدين منه الغوث والعون والتوفيق بما يحبه ويرضاه، واننا نرجوه سبحانه وتعالى ان يكون هذا الأمر الذي قضى به في حكمته الازلية. وقدرته الصمدانية وأظهر حكمة قوله تعالى: ﴿ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم﴾ مضاعفاً الهاماتنا باتباع مسالك السلف الصالح.

نعم اننا لم نتعرض البحث في شؤون ذلك المقام الجليل ابان نهضتنا لا بل الى قبيل جرأة انقرة على كرامته كيفما كانت وضعيته وذلك حذرا من توسع شقة الاختلاف لئلا يتخذه

اعداء الاسلام وسيلة للتعريض بمكانته ولا نكلف سوانا بما لا يراه عملاً بقوله تعالى: ﴿قل كل يعمل على شاكلته فربك اعلم بمن هو اهدى سبيلا﴾، ومع هذا فهو المسؤول ان يجعل هذه البيعة مدار الفة للمسلمين تضم قاصيهم ودانيهم وتسوقهم الى حسن التآلف مع مجاوريهم من ابناء دينهم وسكان بلدانهم من أهل الكتب السماوية وسائر مواطنيهم بما القته اليهم الشريعة الاسلامية وتطبيق ما فرض في أمر: ﴿لهم ما لنا وعليهم ما علينا﴾ وكما ما اوجبه عليهم الشرع الشريف من الرفق بالبشرية وخدمة الانسانية وتجنب الشرور والامر بالمعروف والنهي عن المنكر مؤملين منهم حسن القيام بكل ما هو في معنى هذا مما اوجبه الله عليهم فرداً فردا وجماعة جماعة وبالاخص العلماء الاعلام في اقطار الاسلام كافة

انه لما كانت العائلة العثمانية ممن سبقت لها خدمات لا تنكر ومفاخر لا تستحقر للاسلام والمسلمين، ولما كان الحكم الاخير عليهم مما تتفتت له الأكباد وتنفطر منه المهج رأينا من واجب أخوة الأسلام أن نهيء لها ما يساعدها بما يقوم بأودها ويدفع عنها العائلة في أمر معاشها، ومن أحب الاشتراك في هذه المثوبة العظمى من سائر ارباب الشهامة فعليه ان يشعر رئاسة وكلائنا بمكة المكرمة بما يريده.

والله جل شأنه وتعالت قدرة سلطانه يعلم ان غايتي الوحيدة هي خدمة الاسلام واقوامي ابناء الجزيرة خصوصاً والمسلمين عموماً، فهو المسؤول وحده لا شريك له ان يجعل لنا واياهم بمنة وعناية من لدنه ولياً ويجعل لنا من لدنه نصيرا وهو المستعان وهو ولي التوفيق ولا حول ولا قوة الا به والصلاة والسلام على خيرة خلقه وآله وصحبه اجمعين.

حرر ـــ ٥ شعبان سنة ١٣٤٢ هجرية

القبلة

منشور شريف

من حضرة صاحب الجلالة الهاشمية الملك المعظم

بسم الله الرحمن الرحيم

وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم امناً يعبدونني لا يشركون بي شيئا

الحمد لله ولي الحق ونصيره، ومبيد الباطل ومبيره، منزل السكينة على قلوب عباده المتقين، والآخذ بنواصي اعدائه المارقين، وصلى الله على سيدنا محمد مطلع شموس الهداية، ومزيل حنادس الغواية، وعلى آله واصحابه وسلم.

اما بعد فاننا لا نرتاب ـ وشاء للباري جل شأنه ـ بان منشوراتنا السابقة قد اتت بمنه تعالى وتيسيره بالغاية المقصودة من نشرها، ومع هذا فتيمنا بمشيئته تعالى واتباعاً لحكمه ما اراده الله بقوله عز من قائل (ويزداد الذين آمنوا ايماناً ولا يرتاب الذين أوتوا الكتاب والمؤمنون ـ الى قوله تعالى ـ كذلك يضل الله من يشاء ويهدي من يشاء ـ وقوله جل اسمه ـ كلا والقمر والليل اذ ادبر والصبح اذا اسفر انها لاحدى الكبر) هذا من جهة ومن جهة اخرى ليزداد الذين آمنوا ايماناً بما قلناه ويتقنوا ما نشرناه نورد لهم نبأ جناية اغرار المتغلبة التورانية في هذه المرة على الاموات والاحياء من افراد العالم الاسلامي وهو مما تكنه صدورهم للشريعة الاسلامية المطهرة كما قلنا في السطر الخامس والعشرين من منشورنا الأول الا وهو نهبهم كل ما تحتويه حجرة نبيهم عليه الصلاة والسلام من هداياهم وتبركاتهم التي ارادوا بها تكريم ساحته الطاهرة زادها الله تعظيماً وتكريماً. فان هذه الحادثة ليست احدى الكبر بل هي كل الكبر. اجل كيف لا نقول انها كل الكبر واعظمها وقد امر الله تبارك وتعالى باحترام ذلك المقام الاقدس بما هو اقل من ذلك بقوله جل من قائل (يا ايها الذين آمنوا لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبي) وقوله عز وجل (ان الذين يغضون اصواتهم عند رسول الله اولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى) فاين هذه المرتبة من الاحترام التي امرنا بها الله تبارك وتعالى لمقام النبوة الأرفع

مما فعله متغلبة التورانيين من سلب تلك الساحات الطاهرة انما نترك الحكم في هذا الى العالم الاسلامي كما تركنا لهم امثال هذه الاحكام الصريحة في منشوراتنا السابقة غير انما نريد هنا ذكر قوله تعالى (ان الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والاخرة واعد لهم عذاباً مهينا) ومع ايرادنا لهذه الآية الكريمة نقول انه صلوات الله عليه وسلامه في غنى عن هذه الدنيا وما فيها. ولكننا نلفت انظار العالم الاسلامي الى التأمل في نهيه عز وجل عن رفع الصوت في تلك الحضرة الشريفة وثنائه على الذين يغضون اصواتهم هناك ليكتشف لهم الامر عما في هذه الجناية الجديدة الجديدة من الاستحقاق الصريح المعلوم حكمه في كتب مذاهب ائمة الدين عامة

واذا كان أحد من المسلمين في ريب من هذا النبأ العظيم فعليه ان يبعث من أئمته ليستعلم عن هذه الحقيقة من مئات الملتجئين الى (ينبع) و (رابغ) من جيرانه صلوات الله عليه وآله وسلامه أما نحن فلا نستغرب هذا الحادث العظيم من تلك الفئة بعد وصفنا لسيرته صلوات الله عليه وسلامه بانها شر السير (والعياذ بالله تعالى) كما اشرنا الى ذلك في منشورنا الأول. ولكننا نسوق الحديث الى اخواننا المسلمين في مشارق الارض ومغاربها ليروا رأيهم في هذه الفضيحة التي غشيهم ذلها وعارها من فوقهم ومن تحتهم. ومن بين ايديهم ومن خلفهم والا فنحن على اقصى درجات اليقين بأن الله تعالى عندما اقتضت حكمته جزيهم والانتقام منهم خصمنا وشرفنا باجرائه على ايدينا. فهذه اسيافنا تقطر من دمائهم وبيوتنا غاصة باسراهم ، ، ،

فآبوا بالنهاب وبالسبايا وأبنا بالملوك مصفدينا

فمن تأمل في وقاحة الفئة التورانية المغرورة يوم خلعهم للسلطان عبد الحميد من نهب داره وحلى أزواجه وبناته حتى اخرجوا الخرصان من آذانهن بالصورة التي يعلمها كل فرد من ساكني الاستانة وسلبهم كل ما في تلك الدار التي لا بدّ لهم ان يعترفوا بانها حسب دعواهم دار خليفة ويفترض على المسلمين احترام دور خلفائهم، وفيما اتوه ايضاً منذ ذلك من الجراءة على ما يمس بالاحكام الاسلامية كما سبق بيانه في منشوراتنا مختصراً يرى انهم كانوا يسبرون غور الحس الاسلامي فما لمسوا عدم اكتراثه حتى بمعاتبته لهم لو على لسان احدى الصحف الاسلامية الصادرة في خارج المملكة التركية تجرأوا اليوم على هذه الجناية العظمى والجرم العظيم والحادث المريع فليحذر العالم الاسلامي من ان يفجعوه بما هو اعظم من هذا. فليس وراء ذلك من الشر ما هو ادهى وامر (اعاذنا الله تعالى من ذلك)

وعليه فاننا نعلن لمن بقي من مسلمي الممالك التركية خصوصاً جيشها وقواده بانها اذا لم ينهضوا لاسقاط حكومة هؤلاء الاعرار التورانيين ويعلنوا براءتهم منهم فانا نقطع آخر أمل لنا بعودة رونق الاسلام لتلك المملكة ورابطته بأهلها، وتكون فاتحة براءتنا منها طي اسم سلطانها من خطب الجمعة التي ابقينا اسمه فيها حتى الآن حرمة لآثار اسلافه وأملاً بقيام من ينقذ بلاده من افراد الفئة التورانية المتعاقبة عليها ولله الأمر من قبل ومن بعد

مكة المكرمة في ١٠ جمادي الاولى سنة ١٣٣٥

الحسين بن علي

الى كافة اهل الشام حضريهم وبدويهم
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته اما بعد فانه يتبين لكم
من الفرمان الذي نص هذا الكتاب الصلاحية التي خولني
اياها جلالة والدي المعظم في بلادكم وعليه ربما آتي
الى بلادكم بشخصي قد انبت عني الشريف ناصر بن علي
والسيد نسيب البكري لتكونوا واياهما يداً واحدة على اعدائنا
واعدائكم وتبذلون غاية الجهد في كل ما تستطيعون فعله
مع عدوكم وتفادون بالنفس والنفيس والغالي والرخيص
لتخلصوا بلادكم من ربقة الذل والهوان وتطردوا من دياركم
عدواً طالما طغى في ارضكم وفسد في بلادكم وقتل وشنق اماثل
رجالكم وعن قريب ان شاء الله اكون عندكم واريح
نفساً طالما شقيت لاجلكم وتألمت لالمكم وما ذلك على
الله بعزيز في غرة شعبان ١٣٣٥ قائد الجيش الشمالي
ابن ملك العرب

قيادة

الجيوش العربية الشمالية

ديوان الأمير القائد

رقم

تاريخ ١١ ... ١٣٣٦

سلام الله عليكم ... أما بعد فقد ... الدولة العربية ... [illegible]

... [illegible] جميعا نحن معاشر العرب الكرام ... تاريخ العرب ... [illegible]

[illegible]

[illegible] ... العربية ... [illegible] ... الجيش العربي ...

[illegible]

[illegible] ... بالسيادة والعزة ... [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

العرب ... [illegible]

الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير إنك على كل شيء قدير .

[illegible]

[illegible]

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ...

قائد الجيوش العربية

ابن ملك العرب

٤٤٣

موقف جلالة الملك من الأماكن المقدسة في القدس

كما ظهر في القبلة عدد (٦٠٨) ١٦ ذي الحجة ١٣٤٠هـ ١٠ آب ١٩٢٢م.

بلاغ رسمي

ورد على اعتاب صاحب الجلالة الهاشمية برقية من الهيئة القومية الاسرائيلية الفلسطينية وصدر من الديوان الهاشمي الرد الملوكي عليها ولبيان الحقيقة رأت الحكومة نشر البرقيتين المتبادلتين وهما:

صورة البرقية الواردة:

صاحب الجلالة الهاشمية الملك حسين المعظم: مكة

ان برقية جلالتكم للجنة الجمعية الاسلامية المسيحية التمهيدية في القدس بشأن الاماكن المقدسة ذكرتنا بعطف خلفاء الاسلام الخالد على اخوانهم اليهود في جميع الادوار التاريخية. يقيناً ان ارتياح اليهود بالامس لتحرير العرب واعادة مجدهم الغابر يقابلون اليوم وجلالتكم على رأسهم عودة اليهود الى وطنهم بالارتياح لترقيته مع سكانه اخوتهم في العنصرية طبقاً لمواعد الانبياء المتقدمين. انا واثقون بحكمتكم ادراك الاكاذيب التي يدعيها الافاكون على مسجد عمر. اليهود يحترمون الاماكن المقدسة الاسلامية احترام المسلمين انفسهم. الدولة المنتدبة العالمة عواطف اليهود كذبت رسمياً هذه الاختلاقات عدا المنشور الذ اذعناه بين اخواننا المسلمين في انحاء العالم. نسأل الله هداية للشرقيين ابناء ابراهيم الخليل الى العمل معاً لخيرهم. كونوا واثقين يا مولانا المعظم بالاخلاص والاحترام اللذين يحفظهما جميع اليهود لجلالتكم وللمسلمين اجمع رافعين اليكم تهانينا بعيد الاضحى السعيد.

الاسرائيلية الفلسطينية

الهيئة القومية

الجواب الملوكي

القدس : الاسرائيلية الفلسطينية الهيئة القومية

تلقيت برقيتكم ولأؤكد لكم انني على خطتي التي جاهرت بها يوم لبيت استصراخ الخلفاء ولم ازل اجاهر بها فنهضت باقوامي العرب للذود عن وحدتهم واستقلالهم في جميع بلادهم المعروفة الحدود وفي مقدمة ذلك فلسطين وقد اثبتت الامة العربية في جميع ادوارها التاريخية انها مشبعة بروح الاستعداد والاستقلال المطلق والوحدة الخالصة وحرمة الحق والعدل وترفض كل شيء يخالف ذلك مما لا وجه له ولا محل.

٣٤٠/١٢/٨ هـ

من الحسين بن علي الى الأماجد كافة إخواننا أهل العراق

الخطاب القصير الذي ارسله جلالة الملك مع نجله فيصل بن الحسين الذي سافر للعراق نشر في عدد (٤٩٣) يوم الاثنين ١٤ شوال ١٣٣٩ ٢٠/يونيو/١٩٢١م وورد بالنص كمايلي:

سفر صاحب السمو الملكي الامير فيصل المعظم في صبيحة يوم الاحد الموافق ستة من شهرنا الجاري ــ توجه صاحب السمو الملكي الامير (فيصل) المعظم هو وحاشيته من جدة الى العراق على طريق البصرة في الباخرة (نورث بروك) بعد ان ودعه على ظهرها والده (مولانا المنقذ الاكبر) ونكتفي عن اطالة البحث في موضوع سفره الميمون بايرادنا التحرير السامي الذي بعث به جلالة مولانا المنقذ مع سموه المعظم مخاطبة به جلالته عموم اخواننا العراقيين وها هو نصه:

من الحسين بن علي ــ الى الاماجد النجباء كافة اخواننا اهل العراق حاضرهم وباديهم عافاهم الاسواء.

بعد السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وان محرري هذا سيصلكم ان شاء الله تعالى عن يد ابني فيصل انبئكم بأني لم اوفد اليكم الا لمحض انفاذ رغباتكم وطبقاً لارادتكم اذا لايهمنا ورب الكعبة الا حصول اقوامنا على استقلالهم ببلادهم ووحدتهم بأي صورة وشكل كان وعلى يد اي شخص من ابنائها وحسبي علمه تبارك وتعالى بكل ذلك وعلى كل حال فهو جل شأنه المسؤول ان يمن على الجميع بموجبات رحمانه ومرضاته ويدفع عنا واياكم الاسواء ويختار لنا ما كان فيه الخيرة وصلى الله على خيرته من خلقه وآله الطهر وصحبه الغر والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الخطاب الهاشمي على الجنود المظفرة

فيما يلي الخطاب الذي تمت تلاوته على الجنود العربية المظفرة وقد تم تقديم الخطاب في صحيفة القبلة على هذا النحو:ـــ

«هبطت علينا نفحة من النفحات التي نثرتها الحضرة الهاشمية على الجيوش العربية الباسلة امرت بتلاوتها على الجنود العربية المظفرة المنسوبة تحت أعلامها في المعسكرات وقد اودعتها من الدرر العوالي التي يجدر بكل فرد من افراد الجنود ان يستمد منها قوة تمكنه من ابتغاء هذا الواجب المقدس القائم به وان يجعلها نبراسا يستنار به وكوكباً مضيئاً يسترشد بنوره وللقبلة مزيد الشرف ان تزين بها صفحاتها لينتشي قراؤها الكرام استجلاء آياتها البينات.

«الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما اصابهم القرح للذين احسنوا منهم واتقوا اجر عظيم الذين قال لهم الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم ايمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل فانقلبوا بنعمة الله وفضل لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله والله ذو فضل عظيم»

(زهرة البلاد ابنائي الاعزاء)

(احمد الله اليكم واشفعه بالسلام عليكم. وبعد فقد توالت علينا في الأيام الاخيرة الانتصارات التي احرزتموها في سبيل اعلاء وطنكم العزيز وكيانكم الديني والقومي فقرت بها القلوب واهتزت فرحا وسرورا واشرأبت لها الاعناق تيها وعجبا وقد احيتم بما احرزتموه من جلائل الاعمال ذكر اجدادكم الكرام. ولعمري ما عليكم في ذلك من مخالفة الحق ومجانبة الصدق من سنة ولا عار وان ما بذلتموه حتى الآن وما ستبذلونه فيما بعد من الهمة العربية والهمة الشماء العدنانية في سبيل القيام بالواجب المقدس تجاه كيانكم واثبات وجودكم من طرد اعدائكم واعداء الشهامة والنسب العربية من عقر داركم لهو خير مصداق لما لا نشهده ونتوجاه منكم

ابنائي البواسل

انكم لن تجدوا بعد اليوم موقفا هو اقرب الى الله وادنى الى رحمته واحسانه من موقفكم الذي انتم فيه اذ انكم تدافعون عن وطن يشكو الى الله قوما اضاعوه واستعمارا حاولوه فاستدار الدار الى استكمال مهمتكم التي اخذتم على عاتقكم القيام بها فاضربوا بالفعل الى الحق المعبر عنه بالسامع المطيع العاصي المريب ابدا حتى يكون تاريخكم غرة في جبين الدهر وذكركم مسطرا بمداد الفخر ان امامكم احدى الحسنيين اما دكم الجنة ولكم الله واما دكم النصر ولكم الفخر ان شاء الله

فالله الله في انقاذ اخوانكم الذين اصبحوا من الضعف على حالة تذوب لها النفوس اسفا وتخترق الاكباد حزنا واصبحوا فريسة لطائفة لاخلاق لهم في الدنيا ولا في الآخرة ومن لا

يستطيعون ذودا عن حياضهم ولا دفاعاً عن انفسهم فان بينكم وبينهم وشيجة النسب ومفاخرة الاباء والاجداد انكم ان تحسنوا اليهم تحسنوا لانفسكم وان تنقذوهم تنقذوا جامعتكم وقومكم.

فصبرا صبرا اولادي الكرام فها هي نجمة النصر تخفق في آفاق السماء فاستنيروا بنورها واهتدوا بهديها وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون.

واختم خطابي اليكم واوصيكم باتباع المنهج الذي سنته الشريعة الغراء بمراعاة الاسرى واللاجئين اليكم والمحافظة عليهم واكرام نزلهم ومثواهم وعدم مس احدهم بسؤ والله يكلؤكم بعين رعايته.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الحسين بن علي

القبلة عدد ٦٥

٦ جمادى الثانية ١٣٣٥ هـ

سعد أبو دية وعبد المجيد النسعة (عرض وتبويب وتعليق): الحسين بن علي، المطابع العسكرية، عمان، ١٩٩٠.

سعد أبو دية وقاسم محمد صالح: الثورة العربية الكبرى / الجانب الفكري، القيادة العامة للقوات المسلحة، عمان، ١٩٩١.

النهضة العربية

تصارت اقوال الكتاب حول وحدة العرب والنهضة العربية وتطرقت القبلة عدد (٤٤٣) تاريخ ١٣ ربيع الثاني/ ١٣٣٩هـ — ١٩٢٠/١٢/٢٣م لهذا الموضوع:

نهض الحجاز بابنائه الحفاة العراة تحت قيادة زعمائهم العظام جلالة مولانا المنقذ وانجاله الامراء الكرام في تلك الظروف الحرجة (الحرب العمومية) التي ترل فيها اقدام اعاظم الدول، ولم ينهضوا الا ببواعث النخوة والشهامة لتحقيق الوحدة العربية واستقلال بلاد العرب بحدودها المعلومة استقلالاً تاماً واجابة لمستصرخ بني ابيهم في شمال الجزيرة الذي احنى عليهم الدهر وحدثانه وليرفعوا شأن امتهم العربية المجيدة ويعلوا كعبها ويعيدوا مجدها التاريخي بلم شتاتها وتحقيق وحدتها وضم اجزاء الجزيرة الى بعضها حتى تكون بقعة عربية مستقلة في الجزيرة تظلها راية عربية واحدة كدولة عظيمة ذات تاريخ مجيد وماض جميل ومدنية زاهرة.

هذه هي الغاية النزيهة التي نهض الحجاز من اجلها وعليها تأسست النهضة وتعاقد زعماؤها مع الحلفاء عليها فتعهدوا بها وقطعوا على انفسهم ذلك عهوداً ومواثيقاً — حتى ان الدول العظمى حينما كانت تنشر في بلاغاتها الرسمية اخبار جيوش النهضة تقول — (النهضة العربية) ولم تقل النهضة الحجازية — فكان من وراء ذلك ارتفاع اصوات العرب في الاوطان والمهاجر حتى من وراء البحار منادين بالاستقلال مجاهرين بالمطالبة بحقوقهم في اوطانهم بعد ان كانوا لا يستطيعون ان ينبسوا ببنت شفه ولا يسمع لهم صوت في العالم

اجل، على هذا الاساس نهض الحجاز نهضته المشهورة وثار على حدوده المقدس وانشأ جيوشه الظافرة بلاء حسناً في ذلك السبيل الشريف فكتب لهم النصر وقاموا بواجبهم خير قيام نحو امتهم وحلفائهم.

لهذه الغاية النزيهة وهي تحقيق الوحدة العربية باستقلال الجزيرة استقلالاً تاماً بحدودها المعلومة — نهض جلالة مولانا المنقذ وانجاله بالحجاز وجاهدوا ويجاهدون وسوف لا تنثني عزائمهم عن الجهاد بكل ما يستطيعون حيال هذه الغاية المقدسة ما دام فيهم عرق ينبض غير ملتفتين الى اقوال من يحاولون الصيد في الماء العكر من اعداء العربية. وان اكبر برهان على كل ما نقول هي تصريحات زعمائنا الرسمية التي تؤيدها الافعال ولا بأس ان نورد للقراء شيئاً منها (لمناسبة هذا البحث) وهو تصريح جلالة مولانا المنقذ الذي نشرته القبلة في احد اعدادها الماضية وهذا هو —

ان غايتي الوحيدة انا وابنائي وقومي التي اراها السعادة كل السعادة — هي تحرير البلاد العربية تحريراً مطلقاً ولا تداخله ادنى شائبة اجنبية مع حفظ وحدتها والله يعلم انني ما نهضت

نهضتنا المعلومة الا لهذه الغاية الشريفة ولا ازال اواصل السعي في سبيل تحقيقها حتى النهاية. هذه هي الغاية من نهضتنا وهذا هو الامر الوحيد الذي اصبو اليه، ولا علي في ان يكون العراق (والحالة هذه) واضعاً احدى يديه على سورية والاخرى على الحجاز او تكون سوريا واضعة احدى يديها على الحجاز والاخرى على العراق بل اود من صميم الفؤاد تحرير البلاد العربية بأجمعها مع حفظ وحدتها تحريراً بمعنى الكلمة ولو كان ذلك تحت امرة بدوي او قروي من بادية او قرى العراق او سوريا او اليمن او نجد.. اخ انا لا ارضى ولن ارضى الا بتحرير البلاد العربية وحكم نفسها بنفسها بأي وجه كان وعلى يد اي عربي كان ولا اصبو الى ملك او امارة. هذا ما افكر فيه ليل نهار واوصي به ابنائي والله على ما نقول وكيل. اما الحجاز فهو في مأمن من كل عادية ولا يحتاج الى صحة لانه اولاً مستقل بطبيعته وثانياً هو في مأمن من المطامع. ولكن يهمنا امر بني ابينا الذين نخف بهم المطامع من كل جانب ان اناساً اجراء يحملون نهضتنا على محامل تأباها الديانة الاسلامية والشرف العربي لذا نراهم يحاولون الصيد في الماء العكر. ولكن الله يعلم ما نعلن وما تخفي الصدور وهو اعلم بأننا برآء من التدجيل الاجنبي براءة الذئب من دم ابن يعقوب

هذا هو موقف الحجاز ازاء الوحدة العربية وهو لا يزال مثابراً عليه ولا يمسك عن الجهاد في سبيله بكل ما يمكنه من الوسائل ولله الأمر من قبل ومن بعد لامعقب لحكمه وهو احكم الحاكمين.

عن تأسيس مجلس شورى الخلافة

ورد في العدد (٧٧٨) من صحيفة القبلة تاريخ ٣ رمضان ١٣٤٢هـ ٧/ابريل ١٩٢٧م مايلي.ـــ

بناء على القرار الصادر من الافاضل هيئة مجلس شورى الخلافة العامة في جلستها المنعقدة يوم الاربعاء الماضي ـــ اجتمع كل فريق من الطوائف الاسلامية القاطنة في هذه الارض المقدسة لانتخاب الاعضاء اللازمين لمجلس شورى الخلافة فانتخبت كل طائفة من بينها الاعضاء الحائزين للصفات الممتازة اللائقة لعضوية هذا المجلس الموقر العلي الشأن وقدمت اوراق الانتخاب لمقام صاحب الجاه والاقبال نائب رئيس الوكلاء حجة الاسلام مولانا قاضي القضاة، وقد علم ذلك ان المنتخبين كلهم من العلماء وهذه نتيجة الانتخاب كما يلي.

عن السادة تسعة اعضاء، عن اهل (مكة المكرمة) اربعة اعضاء، عن اهل المدينة المنورة عضو واحد عن اهل الطائف عضوان، عن السوريين عضو واحد، عن الداغستانيين عضو واحد عن البخاريين عضوان، عن الهنود ثلاثة اعضاء، عن الاتراك عضو واحد، عن الافغانستانيين عضو واحد، عن الجاويين عضوان، عن السودانيين ثلاثة اعضاء، عن المغاربة عضو واحد.

وسيباشر المجلس اعماله بعد وسائط، وينشر دعوته للعالم الاسلامي يشترك فيه كل من يريد الاشتراك من الافاضل في كافة الاقطار الاسلامية حسبما تبين في خطاب صاحب الجلالة الهاشمية مولانا (امير المؤمنين) الذي القاه امام الهيئة الاسلامية العامة في اجتماعها الذي عقد في يوم الاربعاء الماضي ونشرنا تفاصيله في العدد الماضي من (القبلة).

ومما تقدم يتضح ان مجلس شورى الخلافة قد تم تأليفه تقريباً، وسيقوم بأعماله قريباً، ويوالي جلساته في الدائرة التي اعدتها له الحكومة. وهذه هي الحقيقة التي شوهتها (البرونزية) و(الاكسبريسية) واذنابهم من الصحف، بانها مؤتمر اسلامي للنظر في شؤون الخلافة وقد علموا انها قد بت في امرها على الاوجه والاصول والقواعد الشرعية المشترطة في كافة شؤونها وما يتعلق بالمبايع وللمبايع والموقع وسائر الصفات الدينية المشترطة في كيفيتها، وها هي برقيات ورسائل البيعة تتوارد من العالم الاسلامي على اعتاب صاحب الجلالة الهاشمية امير المؤمنين. أقر بها بالامس بيعة البعثة العلمية الموفدة من شبه جزيرة (ملقة)، وكذا البرقية الواردة بالبيعة لجلالة امير المؤمنين من (الجمعية الاسلامية) في (بيونس ايرس) باميركا، كما يرى القارىء ذلك مفصلاً في غير هذا المكان من هذا العدد، ولا حاجة ان نشير الى ما يقوله المتقولون عن المؤتمر واليهم ما اوردته الرصيفة جريدة (الفيحاء) الغراء الدمشقية بعددها (٢٤) تاريخ ١٥ شعبان سنة ١٣٤٢هـ فانه ملخص لكل ما ينبغي ان يقال في موضوعهم، موضح لمراحل احوالهم، وبيان ما هيتهم وها هو.

(تبلبلت اراء المسلمين بعد الغاء الخلافة التركية، واضطربت اراؤهم، والتفت مسلمو الحجاز والعراق وسورية وفلسطين وشرقي الاردن الى عميد البيت الهاشمي الجليل، ورأوا انه احق ملوك المسلمين بالخلافة، فأقدموا على مبايعته، ووقف بعض مسلمي الاقطار الاخرى موقف المتردد، وسواء أطال ترددهم هذا ام لم يطل، فانا نعتقد ان كلمة السواد الاعظم من المسلمين ستجمع على مبايعة (الملك حسين) لان فيه من شروط الخلافة مالا يتوفر في سواه ونريد بمناسبة الخوض في حديث الخلافة ان نوجه ثلاث كلمات الى ثلاث فئات من الناس، الاولى الى غير المسلمين الذين يتدخلون او يريدون ان يتدخلوا في امر الخلافة وهو امر اسلامي محض لا داعي لغير المسلمين الى الاشتراك به. ولا يحمل امر المشتغلين به من سواهم على محمل جميل، الكلمة الثانية الى دعاة عقد مؤتمر اسلامي عام للبحث في امر الخلافة وتقرير مصيرها، وهم طائفة قليلة والحمدلله تريد ان تجعل لانفسها شأنا بمثل هذا الخروج على الجماعة، ولا ندري ان عقد مؤتمر مثل هذا امر لم يحدث له مثيل في التاريخ الاسلامي ولابد ان يكون في مثل هذه الايام عرضة لتدخل الاجانب والاغيار وغير ذلك مما يجعل ضرره اكثر من نفعه والكلمة الثالثة الى الاقطار التي ترددت في امر البيعة وصدها الحقد على الاشخاص عن الاقدام فان الاشخاص لاينبغي ان يكونوا حائلاً دون الاقدام على امر تقتضي به المصلحة العامة وخير المسلمين، وفي هذا القدر كفاية) انتهى

- سعد أبو دية وعبد المجيد النسعة: الحسين بن علي مبادئ و مواقف، ص ٢٨-٢٩، ص ٥٦-٥٧، ص ٦٤-٦٥.

ارادة سنية بمنع التبرج

حرص الملك على الآداب العامة

وكان الملك يشعر في قرارة نفسه بأن عليه واجباً جللاً حيال أمته ولا سيما في المحالات الدينية والشؤون الروحية والعمل على رفع مستواها الخلقي ، وقد بلغ من غيرته على الآداب العامة وحرصه على صيانة أخلاق المرأة المسلمة أنه أصدر إرادة سنية بتاريخ ٢٧/٣/١٩٤٠ في كتاب وجهه إلى رئيس الوزراء حول هذا الموضوع هذا نصه ويفهم من سياق هذا الكتاب أنه وَجَّهَ كتاباً سابقاً بهذا المعنى .

حضرة صاحب الفخامة رئيس الوزراء الأفخم ،

عزيزي توفيق باشا ،

من الواجب المتحتم أن ألفت أنظاركم إلى ما سبق التنبيه إليه غير مرة ، وإلى ما صدر بسببه أكثر من بلاغ رسمي ، فيما يتعلّق ببعض النساء المسلمات اللواتي يرى أنهن لا يبالين بما فرضه الله عليهن من عدم التبرج واتباع اللائق بالمخدرات المؤمنات والفتيات المسلمات من الوقار والحشمة ، لأنه قد عاد بعضهن إلى ما نهين عنه بعد أن مضت فترة على البلاغ الأخير بهذا الصدد .

إنني حمدت الله سبحانه وتعالى أنه صادف وقت قيامنا بهذا الواجب في زمن يشغل فيه وزارة المعارف الجليلة سماحة قاضي القضاة من وزارتكم وتعلّق الوظيفتين بما نحن في صدده .

أني آمر بالإشارة إلى سماحته أن يصوغ بياناً جديداً يثبت فيه نص ما نوجهه عن واسطتكم بهذه الإرادة معلناً أنه صادر عنا لنبرأ إلى الله عز وجل من تبعة الإغضاء عن هذه المخالفة الممقوتة شرعاً ، والتي شرع النساء يقبلن عليها غير محتشمات وقد جاء في الآية الكريمة (٣٠) من سورة النور الشريفة قوله تعالى « قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم

ويحفظوا فروجهم ذلك أزكى لهم إن الله خبير بما يصنعون » وفي الآية الكريمة (٣١) « وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدين زينتهن إلاّ ما ظهر منها وليضربن بخُمرهِن على جيوبهن ولا يبدين زينتهن إلاّ لبعولتهن أو آبائهن أو آباء بعولتهن أو أبنائهن أو أبناء بعولتهن أو إخوانهن أو بني إخوانهنّ أو بني أخواتهن أو نسائهن أو ما ملكت إيمانهن أو التابعين غير أولي الأربة من الرجال أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء ، ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن وتوبوا إلى الله جميعاً أيها المؤمنون لعلكم تفلحون » . وجاء في سورة الأحزاب الشريفة في الآية الكريمة (٥٩) (يا أيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين وكان الله غفوراً رحيماً) وفي الآية (٣١) من سورة النور ذكر (وليضربن بخمرهن على جيوبهن) والخمر المقانع جمع خمار وهو غطاء رأس المرأة على جنبيها .

لقد أمرن بالقاء المقانع على خصورهن تغطية لنحورهن فقد قيل أنهن كن يلقين مقانعهن على ظهورهن فتبدوا صدورهن وكنّي عن الصدور بالجيوب لأنها ملبوسة عليها وقيل أنهن أمرن بذلك ليسترن شعورهن وقرطهن وأعناقهن قال ابن عباس (ونحن نقول بقوله رضي الله عنه) تغطي شعرها وصدرها وترائبها وسوالفها . فليفهمن وليفهم أولياؤهن ذلك ثم ليتأملوا سائر ما جاء في الآية الكريمة من الأوامر ولينظروا أيضاً في الآية الشريفة بسورة الأحزاب كما ورد آنفاً .

وإني آمر بالإشارة إلى وزير المعارف بأن من جملة مسؤوليات سماحته التفتيش الجدي على المعلمات في مدارس البنات وما يُلقنه تلميذاتهن وهل المعلمات في درجة علمية كافية لهذه المسؤولية الدينية والأخلاقية التي وضعت على عواتقهن فإنهن يكفلن بنات الإسلام على ما فطرن عليه من الولادة على فطرة الإسلام وأنهن في المدرسة محل الأب والأم فإذا عثر على مديرة لمدرسة أو على معلمة بها تترخص في هذه المقدّسات الأخلاقية فَلْيُقِلْها بدون تردد. هذا واجبي الذي سيسألني الله عنه أضعه على عاتق الحكومة لتقوم بواجبها نحوه وأنني أمل من أخلاقكم المرضية وحميتكم الدينية الاهتمام بأمرنا هذا وَمُتابَعَتِهِ وعرض نتائجه

علينا، وآمل من الأردنيات المسلمات أن يخضعن لأمر الله ونصائحنا وأنني أرجو بمشيئة الله قيامهن بذلك وأن يُشْكَرْنَ على ذلك عزيزي .

١٨ صفر ١٣٥٩

٢٧ آذار ١٩٤٠

« عبدالله »

وبعث بتاريخ ١٩٤٠/٧/٢٧ إلى رئيس الوزراء بالكتاب التالي :

لقد علم لرئاسة الوزراء ولقاضي القضاة ما نعلقه من الأهمية الكبرى على الأخلاق وعدم تطرق الخلل على ما ورثناه من الغيرة من الأسلاف في الجاهلية وما هذبه الإسلام من ذلك مؤيداً العناية بالأخلاق .

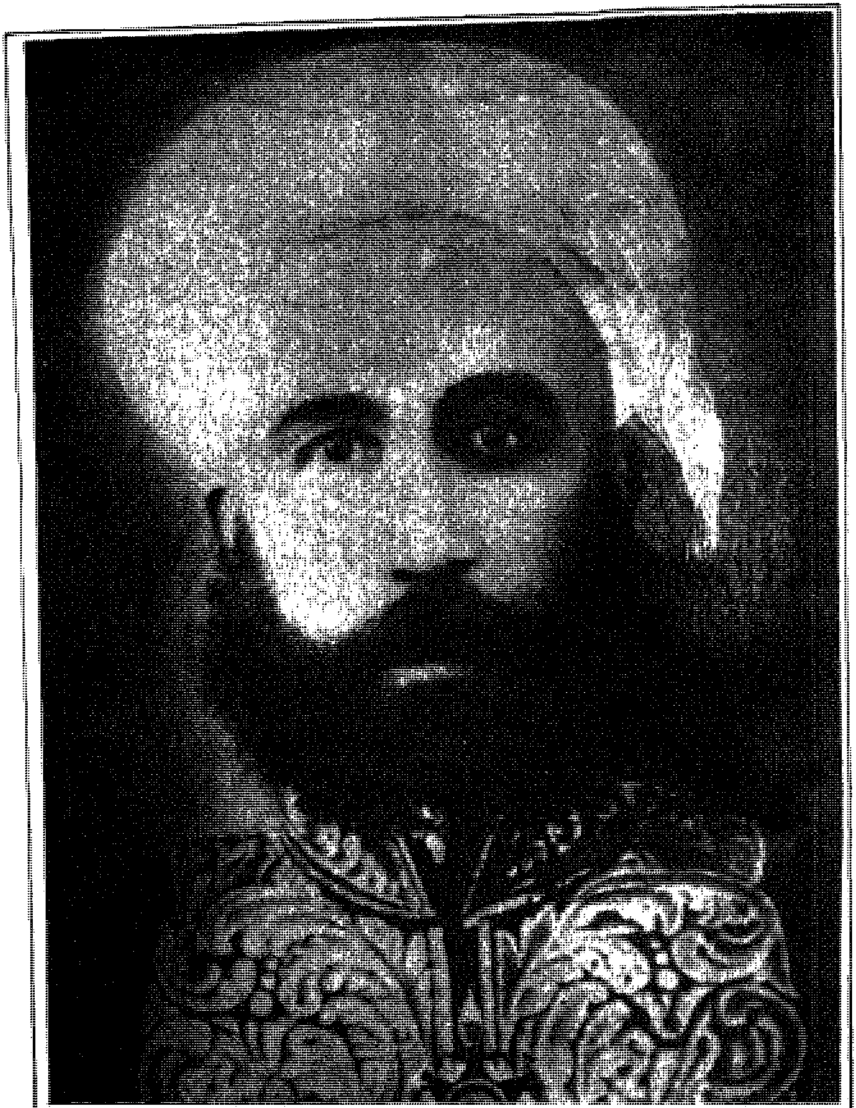
ولقد أشرنا إلى الحكومة أكثر من مرة إلى نقطة هامة وهو ما شاع من التبرج في النساء وعدم اعتدادهن بالحجاب وخروجهن في الأسواق بما لا يليق . ولقد شاهدنا في الأيام الأخيرة ما أوجب عميق حزننا على أخلاقنا الطاهرة العربية وعاداتنا الفاخرة الإسلامية حيث شاهدنا الكثير من المنتسبات إلى كبرى العائلات في شكل مزر ومن العامة أيضاً وعليه فنصدر أرادتنا هذه اليكم بلزوم جعل الملاءة (الشرشف المعروف) هو الرداء الواجب على المسلمة أن تخرج به خارج بيتها . و نقترح أن تسنوا بهذا قانوناً مستعجلاً يعرض علينا حالاً مع تعيين مادة للتعزيز الشرعي على حسب ما يرتأيه سماحة قاضي القضاة لكل عائلة تخالف ذلك مع لفت أنظاركم للتنبية بأن حسر الرأس للرجال في الأسواق يتنافى مع ما ورثته الأمة من فضائل معروفة . وإنني أعلمكم بأنني لا أتساهل مدة حياتي فيما فيه من الاعتداء على شرف الإنسانية وما جاء به الدين الحنيف وأن اللاتي يخرجن متبرجات غير متسترات فإنهن قد عصين الله عمداً ومن يعص الله عمداً فلا دين له ، وقد

قال الله تعالى : « ولا تمسكوا بعصم الكوافر » فلا يحل لامرئ مؤمن شريف أن تكون ربة بيته على هذا الطراز وإنني مصمم كل التصميم على القيام بالمسؤوليات الدينية ، فألفت أنظاركم جميعاً إلى القيام بما فرضه الله عليه داخل بيته وفي مسؤولياته الرسمية ، والسلام .

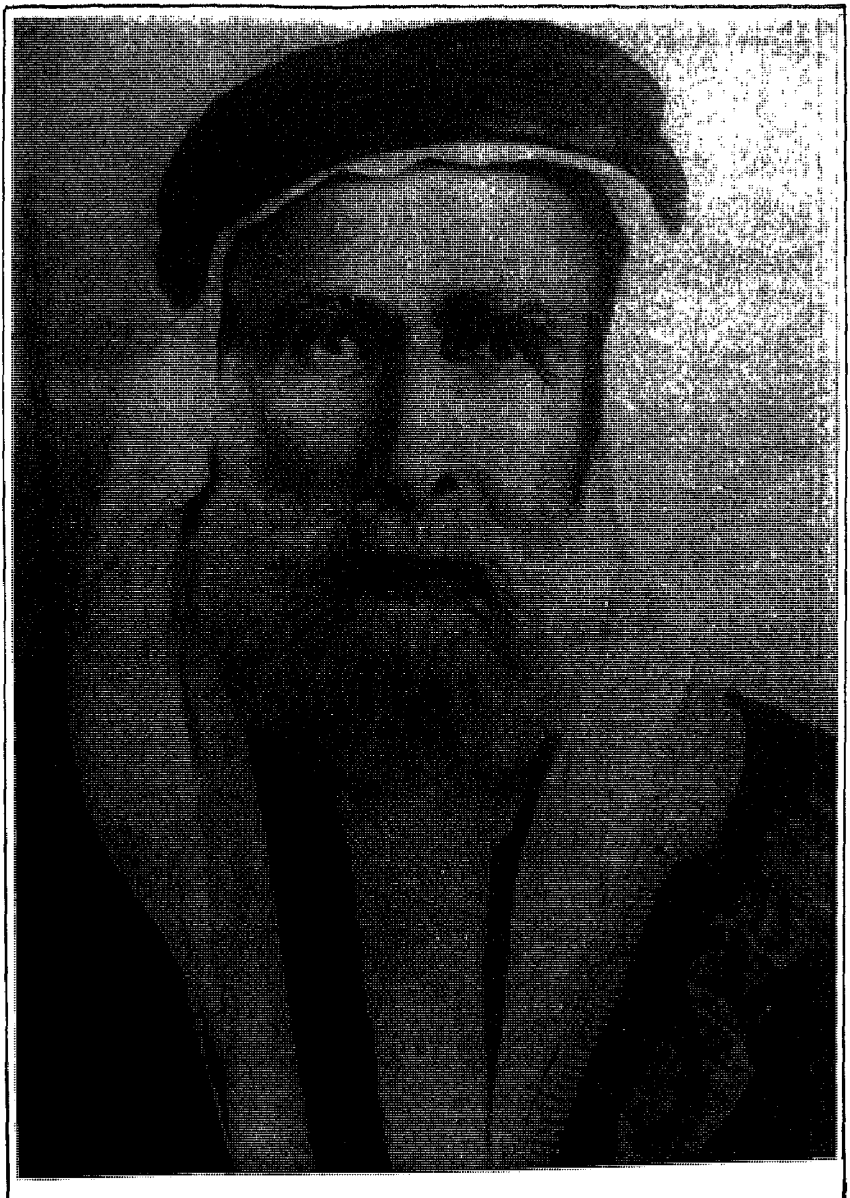
عـبـد الـلـه

وقد حدد جلالته حقوق المرأة وواجباتها من الناحية الشرعية وذلك في حديث خاص أفضى به إليّ في الثالث من أب عام ١٩٥١ قال :« إن المرأة المسلمة ليست ممنوعة ديناً عن القيام بأمرها في بيتها أو خارج البيت ولكن المرأة المسلمة ممنوعة عن الاختلاط بغير المحرم عليها ، والاختلاط معناه المقابلة والمؤاكلة والمشاربة كما يقع بين الزوج والزوجة والأب والبنت والجد والعم والخال والأخوة ، فكل أجنبي عدا هؤلاء ليس للمرأة المسلمة أن تتبرج أمامهم أو تخالطهم وتخاصرهم وتراقصهم . وللمرأة المسلمة أن تخرج فتقضي حاجتها وترى قضاياها وعليها خمارها أو ما يقارب الآن الحمار ولايرضى الدين أبداً بالتبرج والخلاعة والنزول إلى الساحل للسباحة مع الرجال ، وتأبى المروءة العربية أن تطرح المرأة درعها حتى عند زوجها » *

تيسير ظبيان :



صاحب الجلالة المغفور له الملك الحسين بن علي
عندما كان عضواً في مجلس شورى الدولة
في عهد السلطان عبد الحميد



المغفور له الشريف الحسين بن علي



الشريف الهاشمي الحسين بن علي مع موكبه العالي



قصر الشريف حسين في الطائف / شبرا (مجموعة فيلبي)، ١٩١٧

[illegible]



[illegible]

منشور شريف من حضرة صاحب الجلالة الهاشمية الملك المعظم

بسم الله الرحمن الرحيم

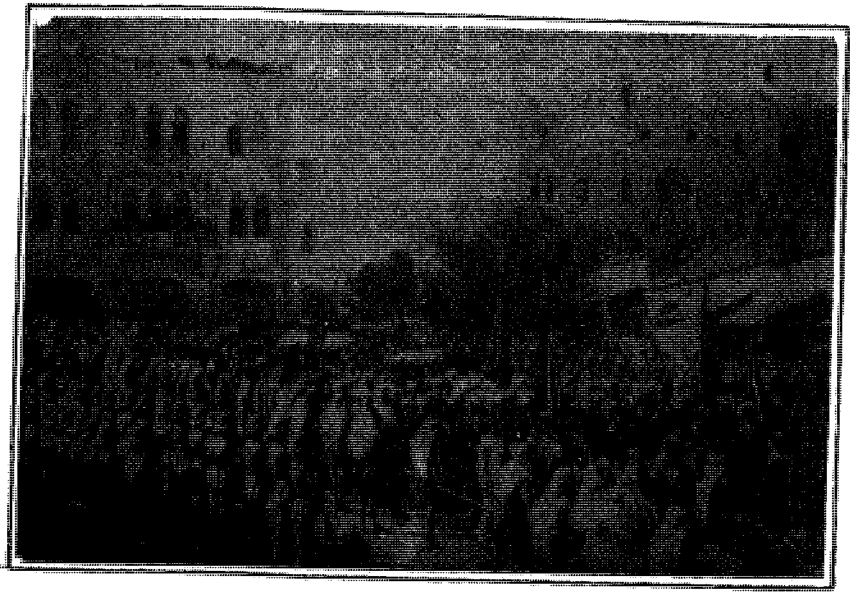
وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم
وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا
يعبدونني لا يشركون بي شيئا

[illegible]

الحسين بن علي



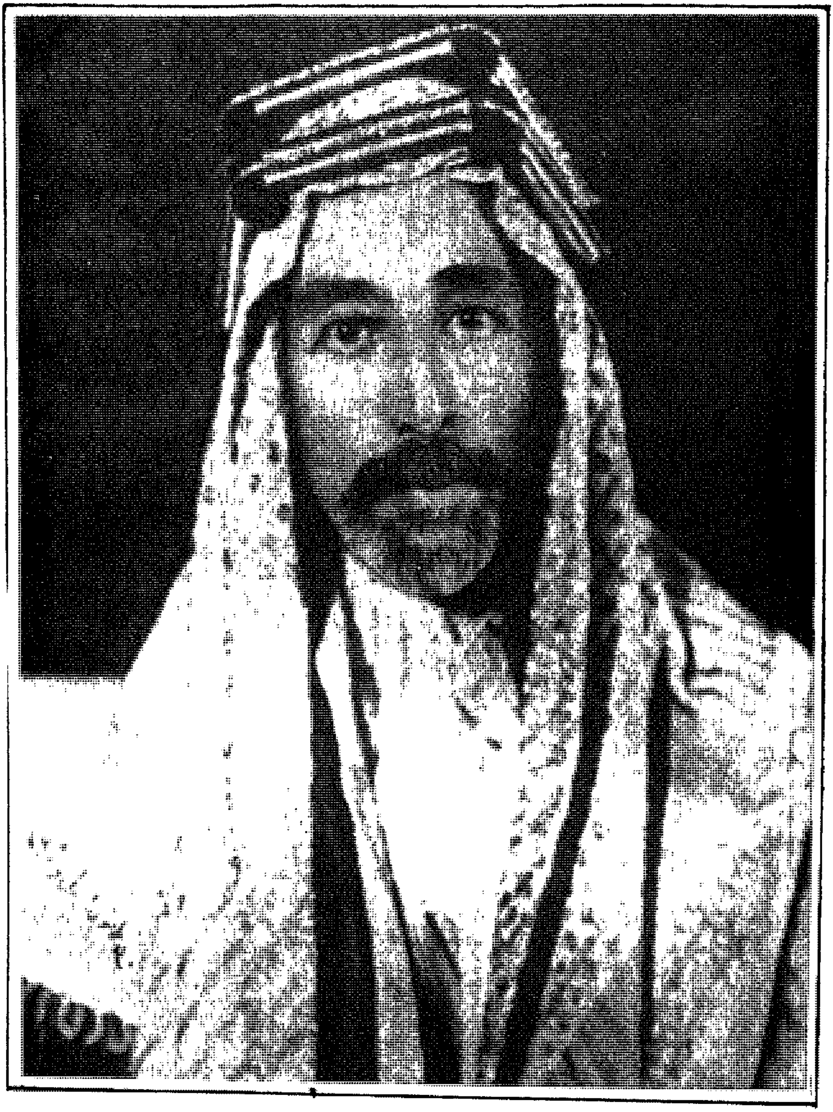
مراسم تعيين المغفور له الشريف الحسين بن علي شريفاً على مكة



(١) تمثل هذه الصورة جنازة الشريف حسين بن علي بن محمد بن عبد المعين بن عون، مفجر الثورة العربية الكبرى ١٩١٦ - توفي يوم ٣ حزيران عام ١٩٣١ - في مدينة عمان ودفن الحرم القدسي الشريف.

وقد أقيم يوم ١٢ تموز عام ١٩٣١ حفل تأبيني كبير في مدينة القدس بمناسبة مرور أربعين يوماً على وفاته ألقى فيها عدد من شعراء العروبة القصائد ومن بينهم أحمد شوقي، محمد علي الحوماني، معروف الرصافي، خليل مطران، خليل مردم، خالد الخطيب، أمين ناصر الدين، أما قصيدة أمير الشعراء فكان مطلعها:

الك في الأرض والسماء مأتم ... قام فيها أبو الملائك هاشم
عبرات الكتاب فيها حوار ... وعيون الحديث فيها سواجم
قعد الآل للعزاء وقامت ... باكيات على الحسين المواطم
يا أبا العليا البهاليل سل ... آباءك الزهر هل من الموت عاصم



صاحب الجلالة المغفور له - الملك علي بن الحسين

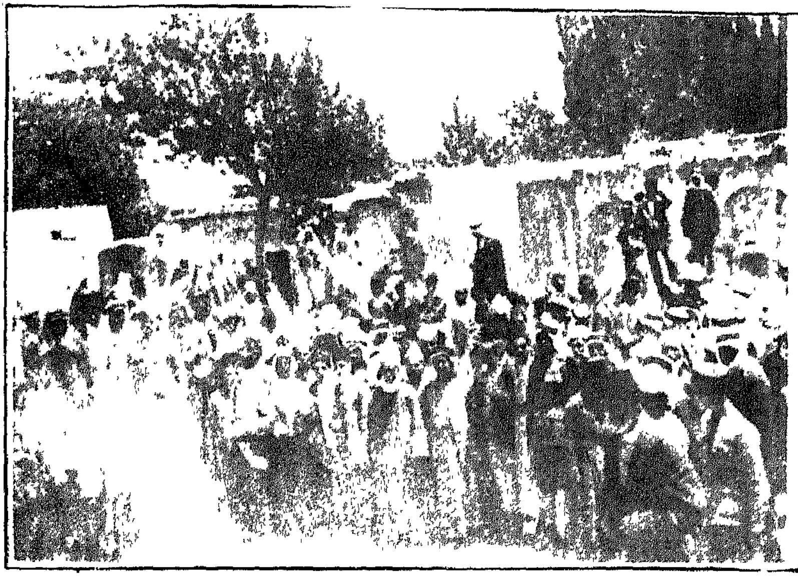
ملك الحجاز



* جلالة المغفور له الملك المؤسس عبدالله بن الحسين



* مؤسس المملكة الأردنية الهاشمية



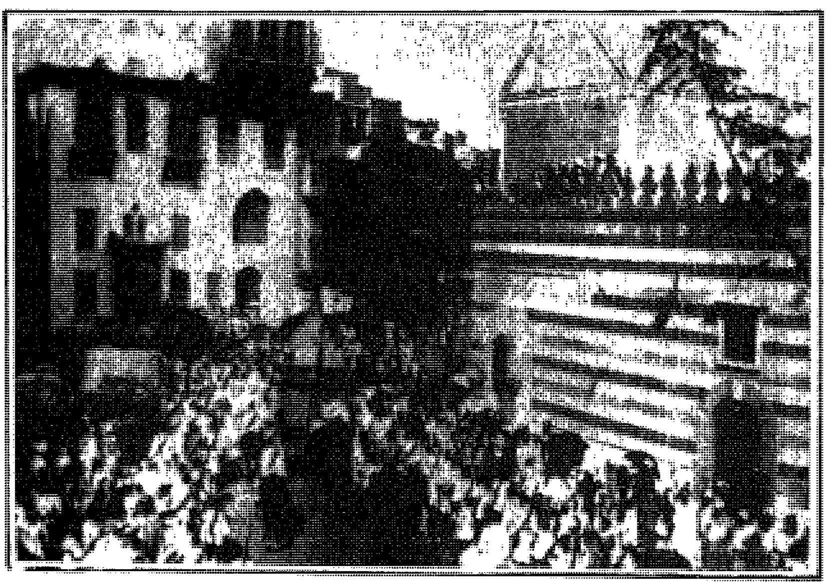
الامير عبدالله في حفل افتتاح المسجد الحسيني في عمان، ١٩٢٣ (فيلبي)



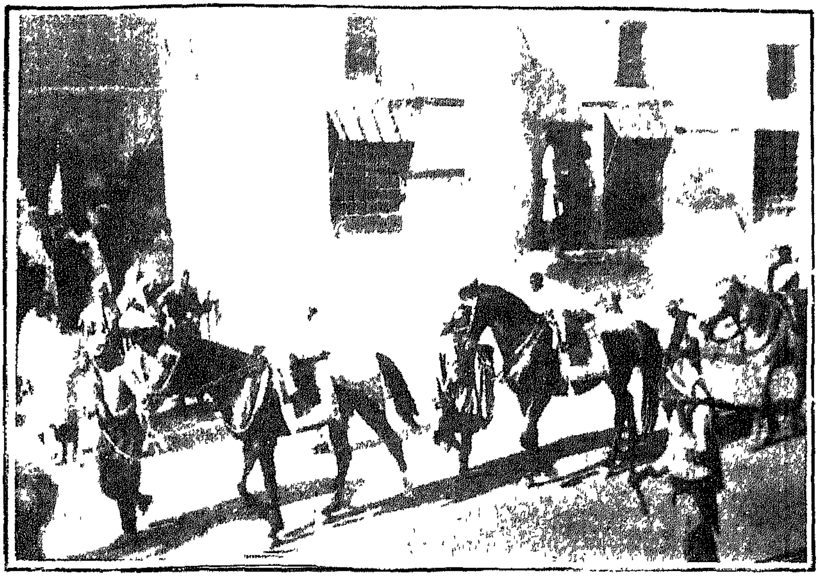
استقبال الملك عبدالله في اثناء زيارته للقدس، ١٩٤٩، (مجموعة جلوب) مؤسسة آل البيت



الملك عبدا لله ومعه الامير طلال اثناء زيارته للقدس ١٩٤٩ (مجموعة جلوب)



المحمل الشريف يخترق شوارع مكة المكرمة حوالى سنة ١٨٩٠ (مجموعة بومان) مؤسسة آل البيت



الحجاج يمرون في شوارع مكة حوالي سنة ١٨٩٠ (مجموعة ويكلي) / مؤسسة آل البيت



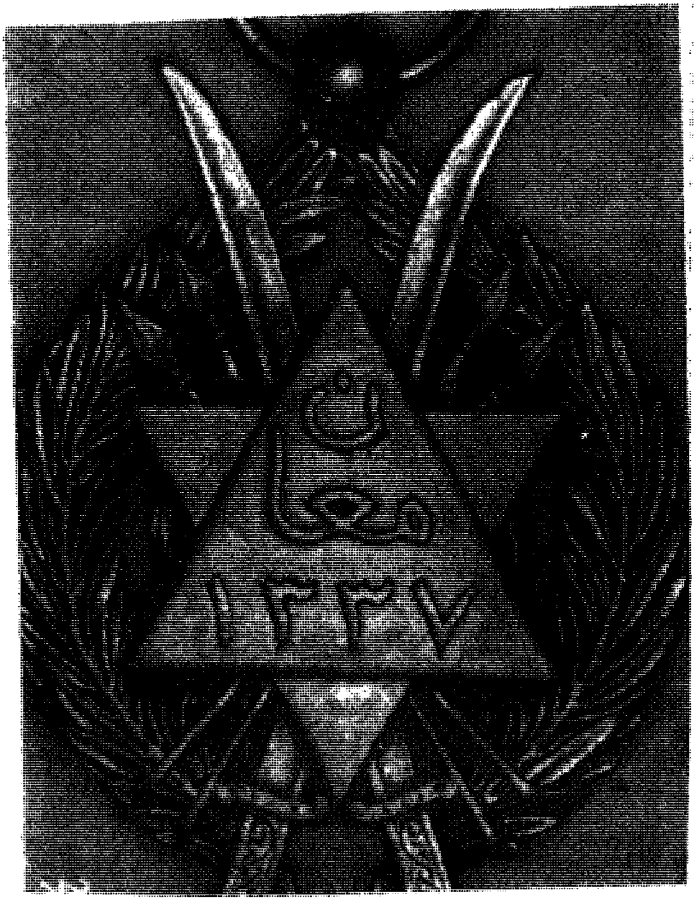
الملك عبد الله في القدس عام ١٩٤٨



جلالة المغفور له الملك طلال بن عبد الله



● المغفور له جلالة الملك طلال مع ولديه الحسين ومحمد



صورة تمثل وسام معان الذي أصدره الأمير فيصل بدمشق سنة ١٩١٩.

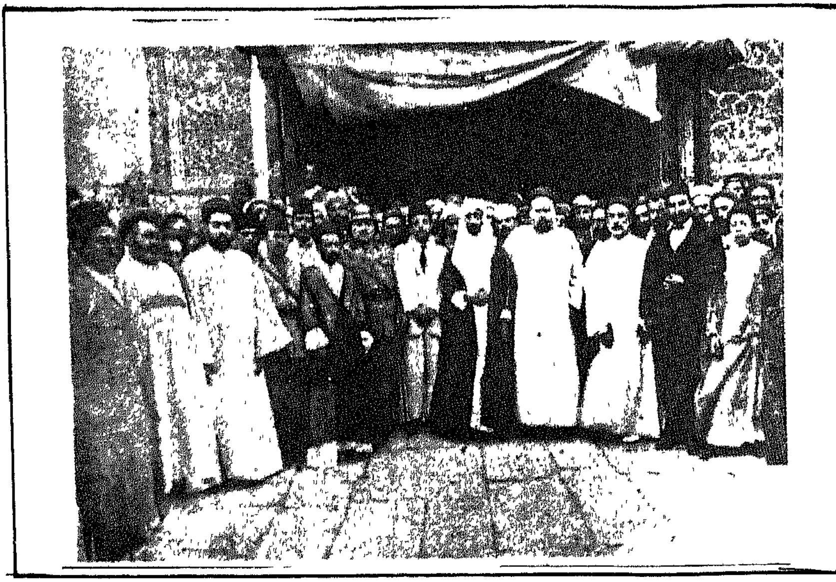
(أصدرت الحكومة العربية في دمشق التي تزعمها الملك فيصل الأول وسام معان، ومنح لمن شارك أو استشهد في معارك معان الكبرى التي ابتدأت في ٢٧ جمادى الثانية وغرة رجب ١٣٣٦ (١٩١٨)، منح هذا الوسام لثلاثة من أبناء الأردن وهم : الرئيس محمد علي العجلوني وجنديان من السلط.

المجلة الثقافية / محمد علي الصويركي، العدد 34، كانون الثاني 1995.

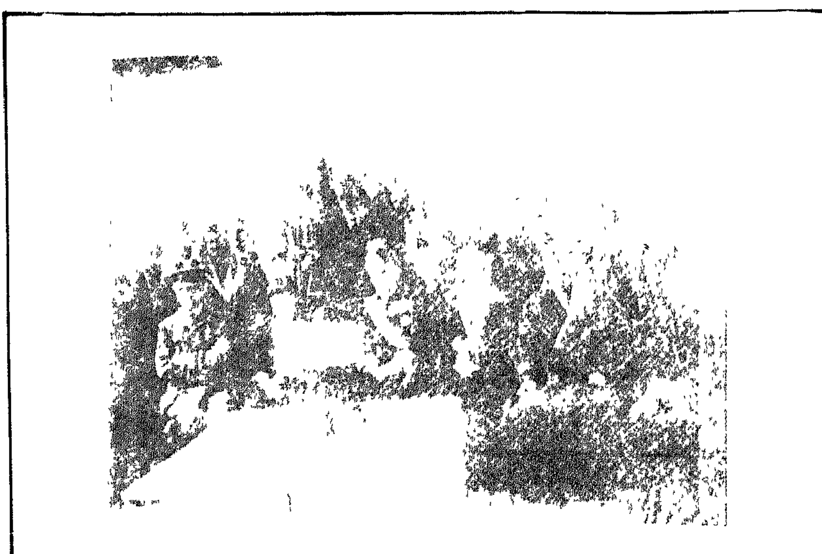


صاحب الجلالة المغفور له الملك فيصل الاول

ملك العراق



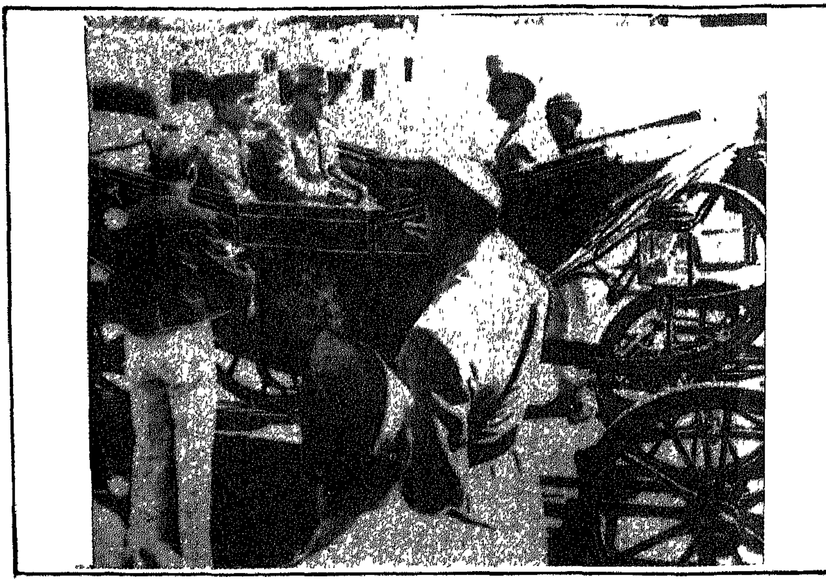
زيارة الملك فيصل الاول لكربلاء في حزيران ١٩٢٩ قبل تتويجه



الملك فيصل الاول في صورة نادرة مع الملك عبد العزيز بن سعود، ١٩٣٠ تقريباً



الملك فيصل، ويظهر في الصورة جده الملك فيصل الاول





الملك الحسين بن طلال في اثناء زيارته الى الملك فيصل الثاني/ بغداد



صاحب الجلالة المغفور له ـ الملك غازي الاول

ملك العراق



دخول الجيش العربي إلى دمشق ـ ١ تشرين الأول ١٩١٨



الاستيلاء على محطة المسلمية آخر معقل للأتراك



مقر الأمير فيصل في دمشق.

راية الدولة العربية الهاشمية

حزيران ١٩١٧

صدرت الارادة السنية الملوكية بأن تكون راية الدولة الهاشمية كما يراها القراء في هذا الرسم مؤلفة من الالوان الثلاثة المتوازية الأسود فالاخضر فالابيض، وأن يشمل الالوان الثلاثة المذكورة مثلث ذو لون أحمر عنابي.

اما اللون الاسود فهو رمز راية (العقاب) وهي راية النبي ﷺ المشهورة التي كان يتبرك كبار الصحابة رضوان الله تعالى عليهم بحملها في حروبهم، وهي التي أشار اليها أمير المؤمنين علي كرم الله وجهه بقوله عندما خاض (حصين بن المنذر) بهذه الراية المباركة:

لمن راية سوداء يخفق ظلها   اذا قيل قدمها حصين تقدما

ويقدمها في الموت حتى يزيرها   حياض المنايا تقطر الموت والدما

ولقد اتخذت دولة بني العباس السواد شعاراً لها حتى عرفت به وعرف بها. واللون الاخضر الذي بين السواد والبياض هو الشعار الذي اشتهر عن أهل البيت عليهم السلام منذ احقاب طويلة.

والبياض ايضاً كان شعاراً للعرب في دور من ادوارهم.

وأما اللون الاحمر الذي شمل هذه الرموز التاريخية الثلاثة بشكل مثلث فهو لون راية الاسرة المالكة الكريمة من عهد جدها ساكن الجنان الشريف ابي نمي الى عهدنا هذا.

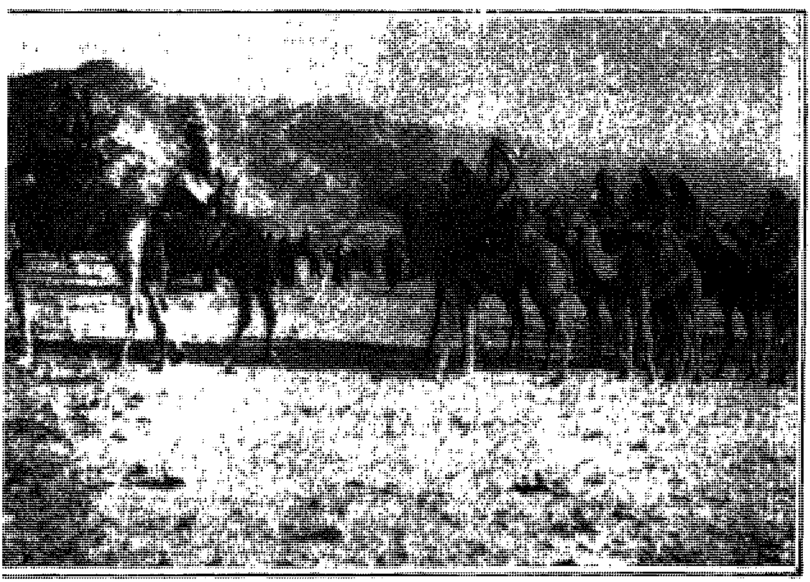
وعلى ذلك فان الراية الجديدة التي صدرت الارادة السنية الملوكية بأن تكون راية الدولة العربية الهاشمية قد لوحظ فيها ان تكون جامعة لرموز الاستقلال العربي في كل ادواره التاريخية لا زالت خافقة بالنصر والعز والكرامة الى يوم القيامة.

هذا وقد اخذ الناس باحضار الرايات بالشكل الذي اتينا على وصفه لرفعها في الاسواق والشوارع وعلى المنازل والحوانيت يوم عيد الاستقلال كما ان الحكومة السنية سترفعها على دوائرها ابتداء من ذلك اليوم.

(١) جريدة القبلة، العدد ٨٢، الاثنين ٧ شعبان ١٣٣٥هـ، حزيران ١٩١٧، ص٣.



من فيافي الثورة العربية الكبرى



من قوافل الثورة العربية الكبرى

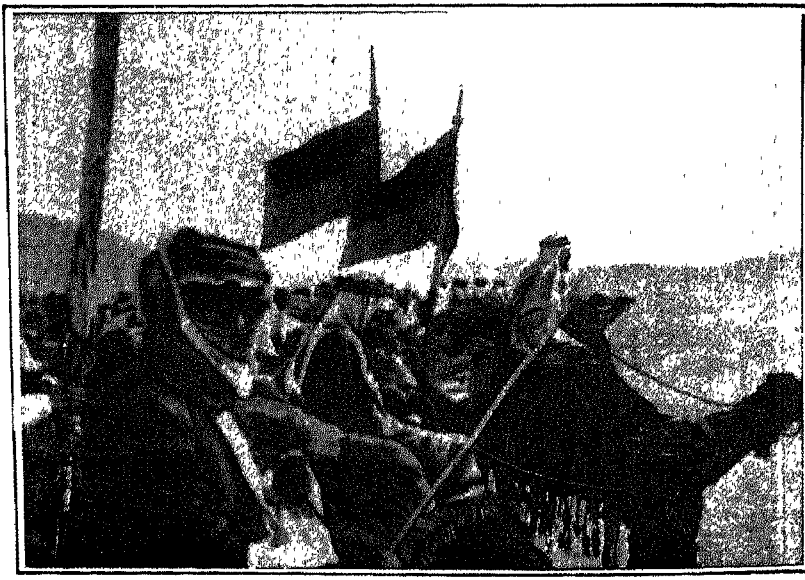


جيش الأمير فيصل بن الحسين كانون الثاني سنة ١٩١٧













الحجاز – جده : تشرين الاول ١٩١٦م /الأمير عبدالله بعد استيلائه على الطائف الى اليمين الشيخ سليمان قابل رئيس البلدية، الى اليسار السيد احمد باناجه وزير المالية.



الامير زيد ونوري السعيد في ميدان الاردن ١٩١٧م.



الامير زيد ومعه عبدالله الدليمي وراسم سردست ولطفي العسلي : والمدافع النمساوية التي استولى عليها العرب في معركة الطفيلة /٢٥ كانون الثانى ١٩١٧





رئيس الوزارة السورية في بدء العهد الفيصلي



فيصل الاول ملك سورية



الامير زيد برتبة زعيم في الجيش العراقي



هاشم الاتاسي رئيس المؤتمر السوري



في الجيش العثماني عام ١٩٠٩: نوري السعيد وجعفر العسكري وعلي جودت، اشتهر هؤلاء الثلاثة كقادة للقوات النظامية في جيش الثورة العربية الكبرى.



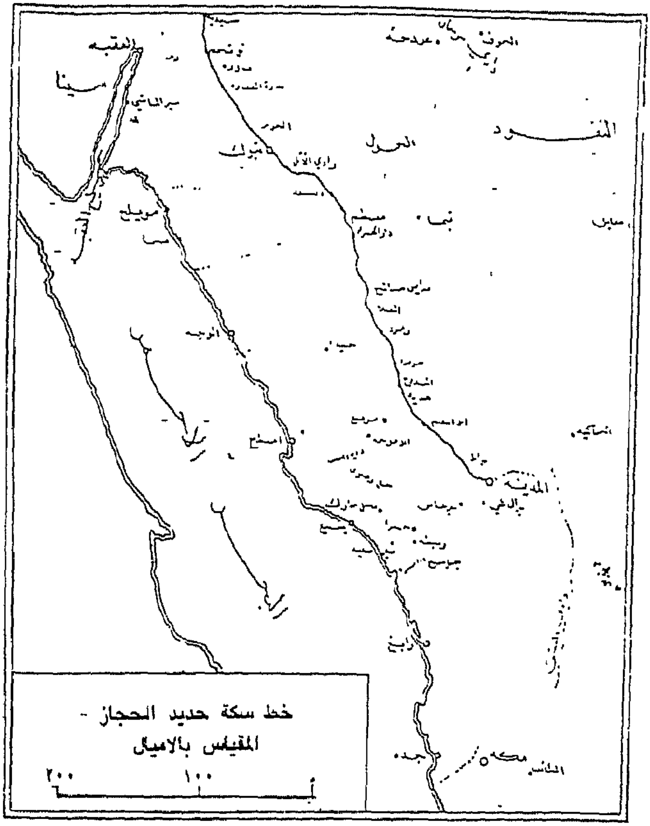
أعضاء المنتدى الادبي / اسنابول ١٩١٠م.



رئيس الوزارة رضا الركابي يحيط به من اليمين الى اليسار جلوساً : علي الحسيبي ويس الهاشمي .
وقوفاً : المرافق زكي بلك ، احمد الركابي ، فهمي الحسيبي ، توفيق شامية ، شكري القوتلي ،
الامير عادل ارسلان ، شاكر الحنبلي، أحمد الحسيبي ، رضى العابد .

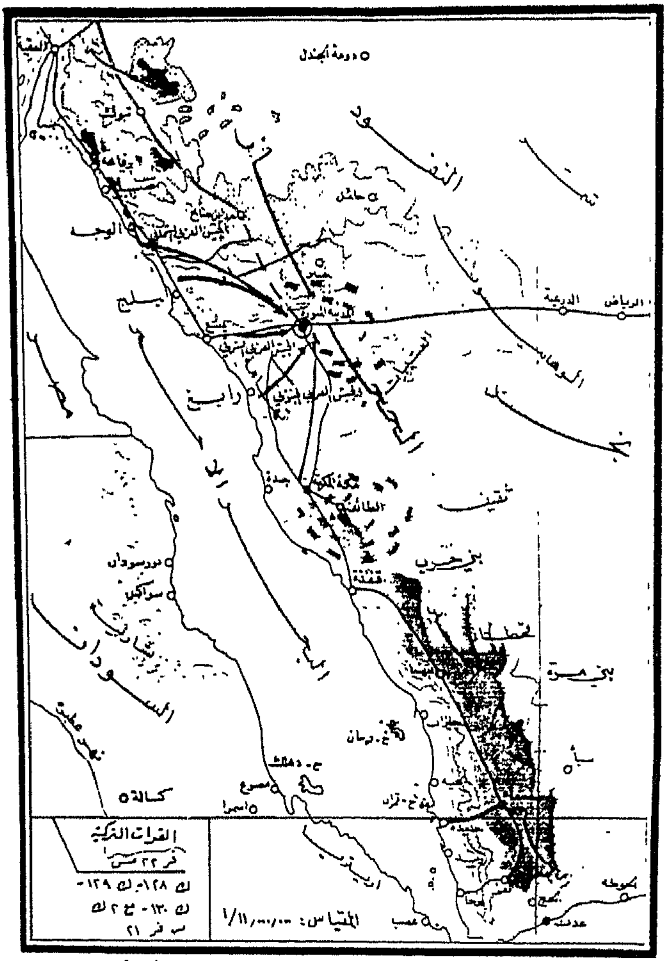


القويـره ١٩١٨
الامير زيد ونسيب البكري ومحمد شريف الفاروقي . من الخلف الدكتور حمدي ، وشخص اخر « قتـلان »



المواقع التي دارت فيها عمليات الجيوش العربية في الحجاز (*)
١٩١٦ - ١٩١٩

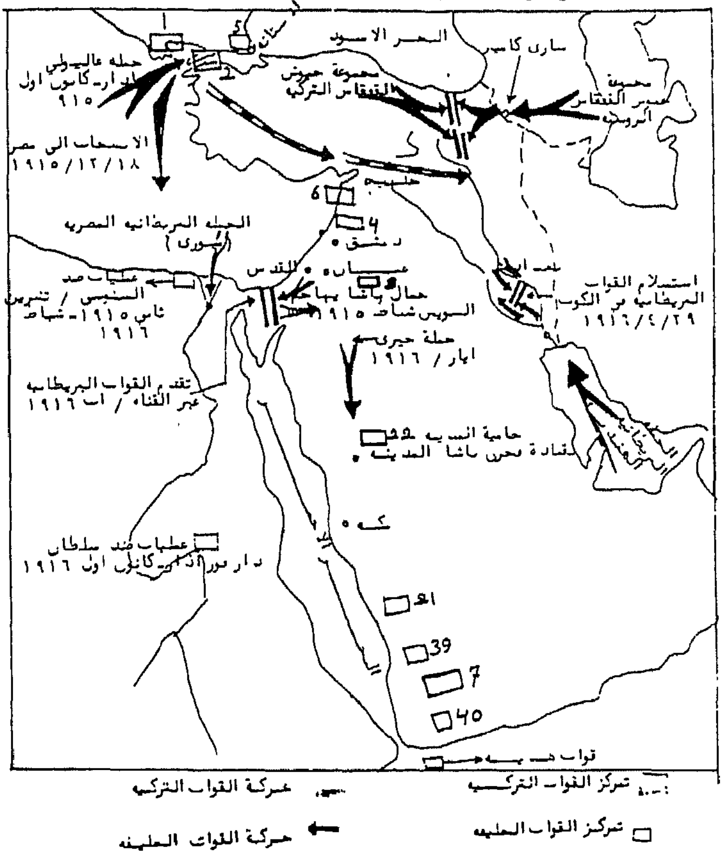
(*) المجلة الثقافية، الجامعة الأردنية، العدد ٣١، ١٤١٤ هـ ١٩٩٤ م، من الذاكرة المصورة

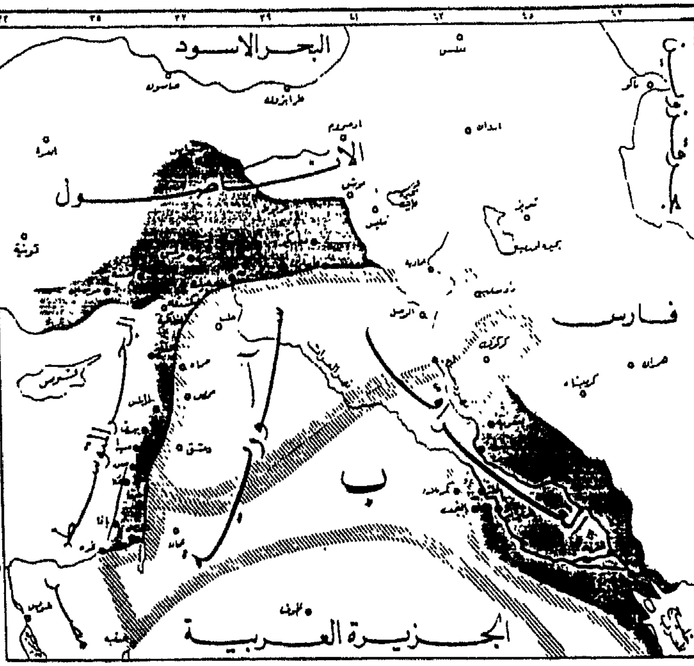


معركتا حصار واحتلال مدينتي الطائف والمدينة المنورة من قبل القوات العربية

الوضع العسكري العام عند اعلان الثورة العربية حزيران ١٩١٦

توزيع القوات التركية والحليفة (الروسية والانجليزية)

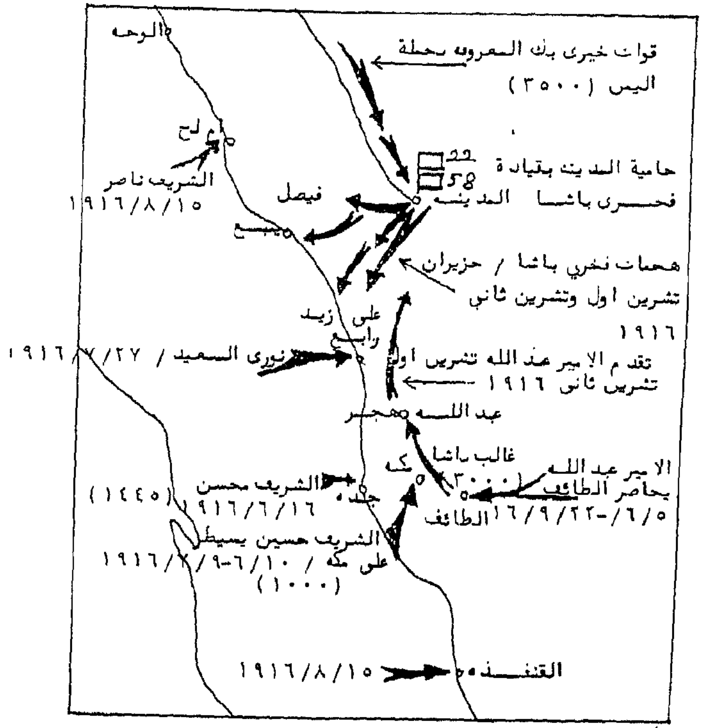




تقسيم سورية والعراق

حسب اتفاقية «سايكس - بيكو» سنة ١٩١٦

الحـرب في الحجـاز حـزيران - تشـرين ثانـي ١٩١٦



احتلال مدن وموانئ الحجاز الرئيسيه باستثناء المدينه

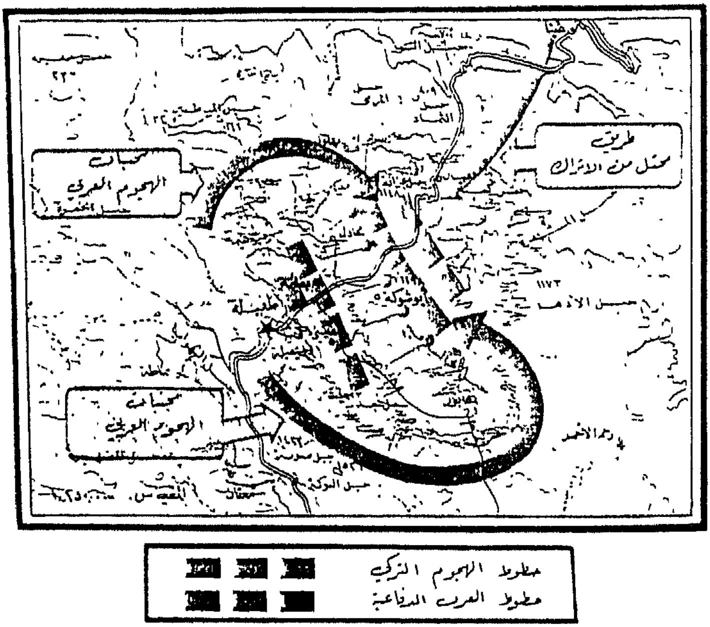
٥/٦-٢٢/٩/١٩١٦

الجيوش العربيه الثلاث :

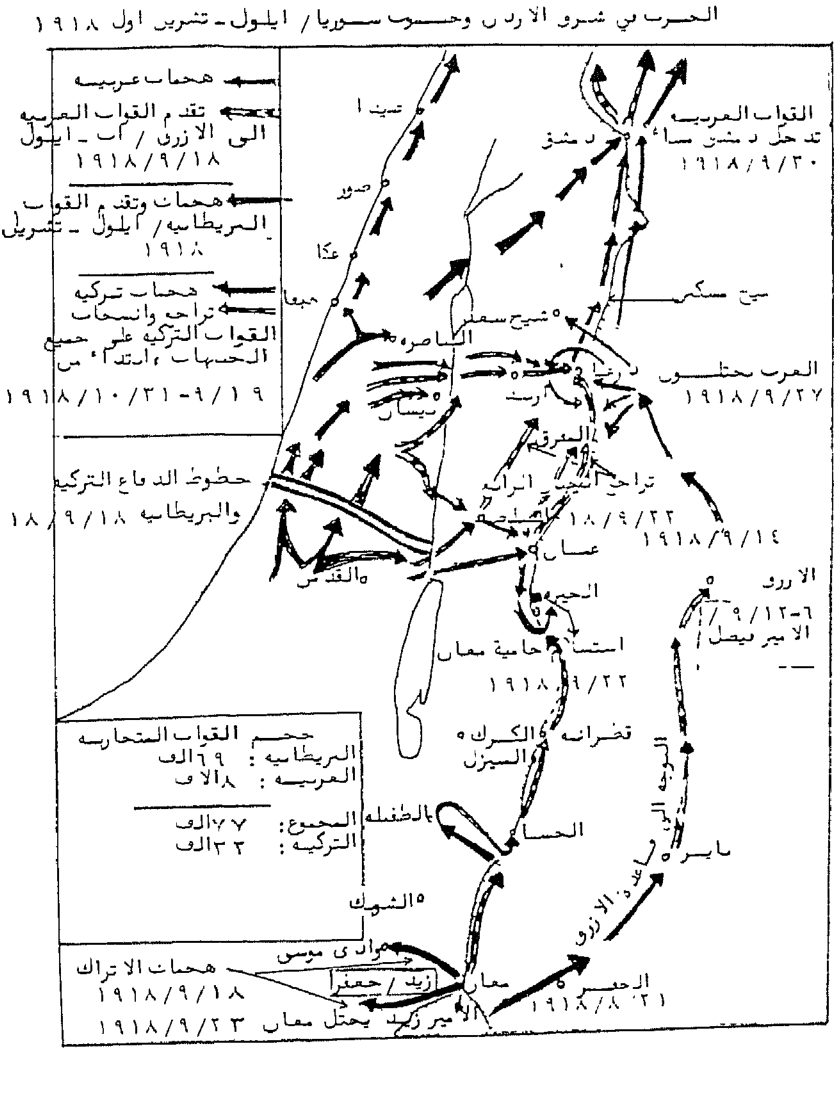
١) الشرقي بقيادة الامير عبد اللـه ومركزه الطائف

٢) الجنوبي بقيادة الامير علي يساعده الامير زيد ومقره رابغ

٣) الشمالي بقيادة الامير فيصل ومقره ينبع



معركة الطفيلة



ممدوح الروسان: حروب الثورة العربية الكبرى في الحجاز و بلاد الشام ١٩١٨، مكتبة الكتاني، اربد، ١٩٨٦.

أهدى جلالة الحسين

أثمن كنز لديه إلى الشعب الأردني بمناسبة عيد يوبيله الفضي

بسم الله الرحمن الرحيم

أيها الأخوة الأحبة، أبناء أردننا الصامد وأعضاء أسرته الواحدة المؤمنة الغالية أحييكم تحية الحب والوفاء.
يملؤني من السعادة الغامرة الشيء الكثير إنني أتشرف اليوم بحيازة أثمن أعز آثار تاريخنا العربي الإسلامي، وهو أصل الرسالة التي وجهها رسول الله محمد بن عبد الله صلوات الله وسلامه عليه، والذي أتشرف ما حييت بالانتماء إلى بيته، إلى هرقل عظيم الروم يدعوه فيها إلى الإسلام، كما يدعو أهل الكتاب إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله.

لقد كانت هذه الرسالة الخالدة أعز ما لدى عبد الله بن الحسين، مؤسس المملكة الذي عاش لها وقضى في سبيلها، وبسبب قيمتها التاريخية التي لا تحد ولا تقدر، وأوصى بأن تسلم إلى من يقدّر، فقد أودعها رحمه الله يداً أمينة وأوصى بأن تسلم إلى من يقدر القيمة، ويدرك قيمتها، ويحرص على صيانتها، والمعنى الكبير الذي حملته على مدى ما يقرب من أربعة عشر قرناً من الزمان فوصلتني بالأمس القريب والحمد لله.

أما أنا، فقد وضعت حياتي منذ أمن ما بدأ عبد الله أو ما رأى إخوانه، وجعلتها ما حييت رهناً بخدمة أهدافنا وخدمة إنساننا وتحقيق طموحاتنا، وما سعيت إلا أن أسعى لعزة شعبكم أفراداً وجماعة ومسيرة بكل طاقتي، فإنني لأؤمن بأن هذه الرسالة العالية وهي أعز أثر في تاريخنا المجيد لا يجوز إلا أن تكون لكم جميعاً، أنتم يا من ورثتم هذه الأرض الغالية، أرض الشهداء والبررة من أصحاب محمد، يا من حملتم الرسالة والراية من أهل الجود والصدق والإيمان، فلكم في عامي الخامس والعشرين في خدمتكم والتشرف بقيادتكم، أقدم رسالة رسول الهدى كأغلى وأنفس هدية يمكن أن أقدمها لكم إلى جانب حياتي التي وهبتها لكم ورهنتها من أجلكم.

أيها الأخوة الأكارم، حفاظاً على الأمانة التي انتهت إليّ وصوناً لها فقد رأيت أن أعيدها بعون الله في الهاشمية بيتكم جميعاً، وحيث جاءت أسرتنا لبلدنا العزيز الذي نؤمن بأنه سيبدأ على أرضه ماضي الإنسانية وإنسانها كفاح إنساننا، وذلك إلى أن يتم بناء مسجد الهاشمية في ذلك الموقع من بلدنا الذي يطل على الوادي، كما يطل على القدس الشريف حيث مسرى الرسول ومعراجه ومجمع المؤمنين بالله ومبعث ركب الحسين بن علي، وحيث استشهد عبد الله، وحال الانتهاء من بناء المسجد الذي شاءت قدرته تعالى أن يبقى الشهيد عليها والحسين ليرقد في أحد أركانه ستنقل رسالة الرسول الأعظم إليه، حيث ستودع فيه، ويمكن لكل أبناء أمتنا الإسلامية والزائرين بالأمس مشاهدتها والاطلاع على أثر من معالم تاريخنا العربي الإسلامي المجيد، حفظكم الله ورعى مسيرتنا وجعل وجود هذا الأثر العظيم في أردننا أثراً خيراً وعز وإلهام، ما يأتي الزمن بالتمني اللقاء أنا معكم ولكم، والله يوفقنا لنيل رضاه وإحسانه والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.



بسم الله الرحمن الرحيم من محمد عبد الله ورسوله
الى هرقل عظيم الروم سلام على من اتبع الهدى اما بعد
فانى ادعوك بدعاية الاسلام اسلم تسلم يؤتك الله
اجرك مرتين فان توليت فعليك اثم الاريسيين ويا اهل الكتاب
تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم الا نعبد الا الله
ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا اربابا من
دون الله فان تولوا فقولوا اشهدوا بانا مسلمون

الله
رسول
محمد

المجلس الشرعي الإسلامي الأعلى

القدس الشريف

صاحب السمو الملكي مولانا الأمير المعظم أيده الله

تشرفت بالأمر الكريم المؤرخ في ١٨ محرم سنة ١٣٤٢ عدد ٧٧٢ فقابلت هذه المنة التي تفضلتم بها على هذا الداعي المخلص بجزيل الشكر والثناء والدعاء إليه تعالى أن يؤيد ملككم الهاشمي بروح منه وأن يزيدكم من مكارم الأخلاق النبوية التي بعث جدكم عليه الصلاة والسلام لتتميمها.

وإن المجلس الإسلامي الأعلى ولجنة عمارة الحرم الشريف ليقابلان تفضلكم بالشكر والثناء ويرجوان بالنيابة عنهما إلى سموكم أن تتفضلوا بمنة أخرى وهي أن تكون عمارة الحرم الشريف كلها تحت رئاسة سموكم وتحت رعاية جلالة سيدنا أمير المؤمنين أيده الله.

وبناء على ذلك نرجو من سموكم أن تطلعوا على الحسابات وعلى كل شيء يتعلق بموضوع العمارة وأن تتفضلوا بإرسال من تريدون من قبل سموكم للاطلاع على ذلك في كل مناسبة.

على أننا سنقدم في آخر كل سنة بيانا وافيا في الحساب والنفقات وكل ما تأمرون به فأنا طوع أمركم العالي. والله يحفظكم بعين عنايته ويرفع بكم شأن العرب والإسلام مولاي.

في ٢٩ محرم سنة ١٣٤٢ و ١٠ آب سنة ١٩٢٤

رئيس المجلس الإسلامي الأعلى

أمين الحسيني

صورة كتاب الحاج أمين الحسيني رحمه الله الى جلالة الملك عبد الله الحسين



نص الرسالة الملكية السامية

بسم الله الرحمن الرحيم

« إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش إلا الله، فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين ».

« صدق الله العظيم »

سماحة رئيس لجنة إعمار المسجد الأقصى المبارك وقبة الصخرة المشرفة حفظه الله

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد ،

نبعث إليكم وإخوانكم أعضاء لجنة إعمار المسجد الأقصى المبارك وقبة الصخرة المشرفة بأصدق تحياتنا وعميق تقديرنا، على ما بذلتموه وتبذلونه في حملكم لهذه الأمانة وأدائكم لها.

وقد سعدنا باللقاء الذي جمعنا وإياكم في ديواننا، بيت الأردنيين جميعاً، المفتوحة أبوابه لكل واحد منكم، كما ملأنا الاعتزاز بكم لما واصلتم القيام به حفاظاً على مقدساتنا الإسلامية في القدس الشريف، ورعايته لها، وهو الواجب الذي لا نحمله من منطلق إسلامي وقومي وحسب، بل ومن منطلق هاشمي يلقي إلينا نحن آل البيت بهذه المهمة العظيمة والنبيلة، التي ما تخلفنا عن التصدي لها، ولا توقفنا عن القيام بها.

أن ما تم إنجازه حتى الآن في اتجاه البدء بعملية إعادة الترميم والإعمار، يبعث فينا جميعاً الرضا والاعتزاز، وإزاء استكمال الدراسات وطرح العطاءات المتعلقة بهذه العملية، فإنه ليسعدنا أن ننقل إليكم تبرعنا الشخصي مقدماً لهذا العمل العظيم باسم أسرتي الهاشمية، سليلة آل البيت وحاملة رسالته، وإذ علمنا منكم أن ما هو متوفر لديكم هو مبلغ مليون ومائتي ألف دينار أردني أي ما يعادل ١،٧٥١،٨٢٥ دولار، فإنني أضيف لهذا المبلغ ما مقداره ٨،٢٤٩,٠٠٠ مليون دولار، تبرعاً شخصياً مني ومن أسرتي الهاشمية، عوناً منا لكم على إتمام هذا الواجب، وعلى الصورة التي نتمناها جميعاً عرباً ومسلمين، ومن منطلق التزامنا الأبدي والمستمر بحماية مقدساتنا الإسلامية في بيت المقدس على امتداد العقود الخمسة الأخيرة، مستذكرين في هذه المناسبة ما كان يردده المغفور له مؤسس المملكة طيب الله ثراه حول مسؤولية آل البيت الذين إذا شاهدوا ثلمة في حائط البناء الإسلامي دعوا إلى رتق الفتق وتشييد البناء.

وفقكم الله، وأعانكم فيما أنتم ماضون فيه، والله نسأل أن يمنحنا عونه وقدرته لما فيه مرضاته.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ،،

أخوكم

الحسين

عمان في ٩ ذو القعدة سنة ١٤١٢ هجرية.

الموافق ١١ آذار سنة ١٩٩٢ ميلادية

الحسين

يتفضل بافتتاح

معرض الاعمار الهاشمي

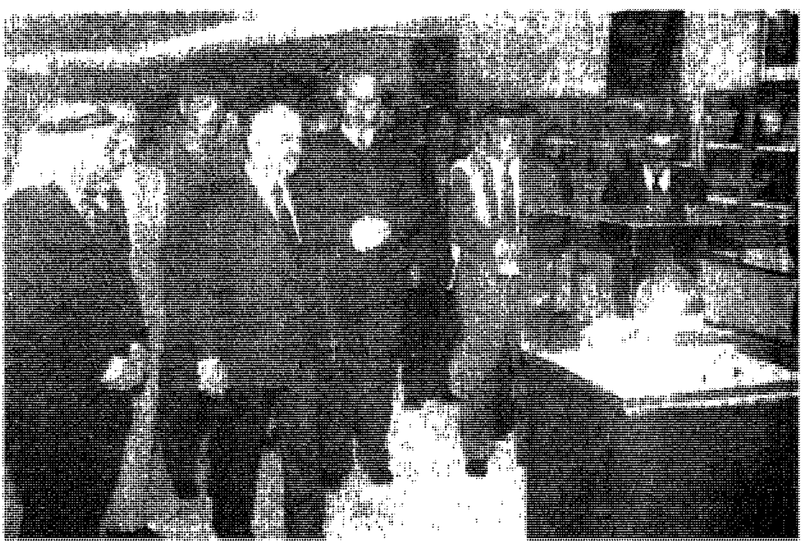
للمسجد الاقصى

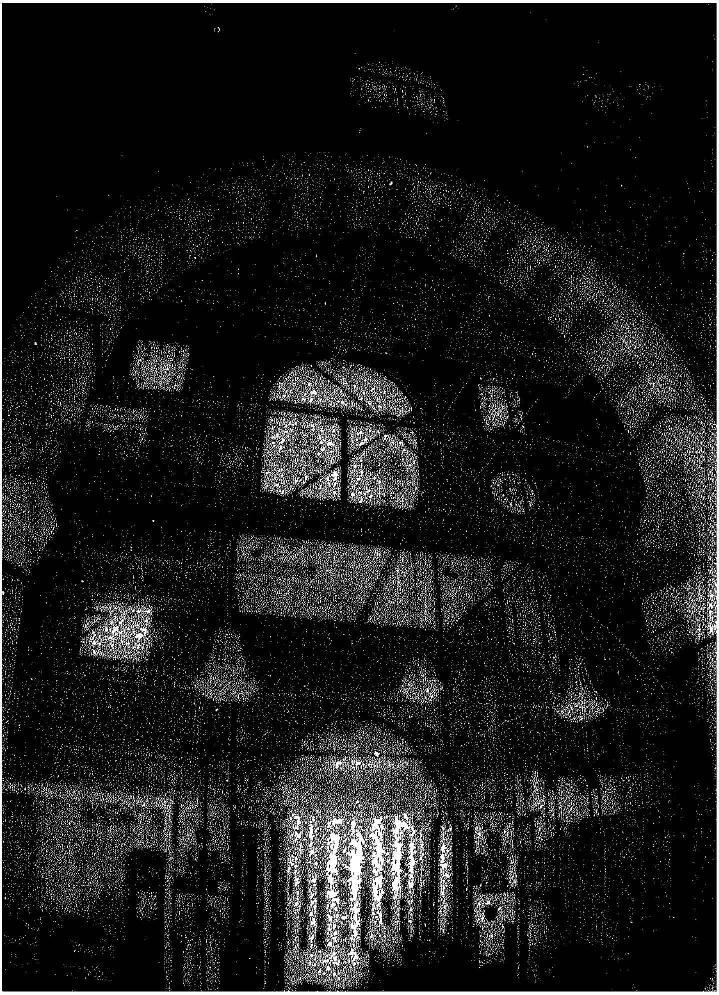
وقبة الصخرة



















الحسين في الديار الحجازية حاجّاً ومعتمراً.

﴿ إنما يريد الله ليذهب عنكم

الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا ﴾

« صدق الله العظيم »

صدر عن
(المطابع العسكرية للقوات المسلحة الاردنية)

واقع الثورة العربية الكبرى ، بل نهضة العرب ، كانت من أجل رفع الواقع المؤلم والمرير عن الأمة العربية لم يدع مفجرها الشريف الهاشمي الحسين بن علي الى الانسلاخ عن الخلافة الاسلامية ولكنه دعا الى الاصلاح وإعطاء الأمة العربية كرامتها وحريتها والحفاظ على لغتها. ودعا الى مقاومة المد الذي ظهر باسم الاتحاد والترقي وهو في حقيقته حركة قومية عنصرية وجهت كل غضبها ضد العرب وعلى هذه القاعدة كانت ثورة الشريف وقبوله البيعة من العرب للانتفاضة ضد الطغيان والنهوض بهم. وهذه المحاولة التي قام بها الدكتور أسامه يوسف تبين الجذور والأبعاد العربية للثورة والمرجعية الدينية لهذه النهضة وخير مافيها أن فيها كثير من المعلومات غير مكررة يستفاد منها حيث حللت بطريقة منهجية ذكية.

العميد الركن

محمد عليان عليمات

المطابع العسكرية